تفسير القرآن

النبي الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

دار المعراج — دار جوامع الكلم

تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

الجزء التاسع

تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء: (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ١٧ × ٢٤
التنضيد والإخراج الضوئي: محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

دار المعراج
تلفاكس : 2247242 11 963 +
ص.ب: 31429 . سورية . دمشق
E-mail: meraj.press@gmail.com

للطباعة والنشر والتوزيع
دار جوامع الكلم
جوال : 60 60 84 933 963 +
سوريّة ـ دمشق ـ تلفاكس : 2216555 11 963 + ـ ص . ب 13118
www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com
ISBN : 978-9933-586-77-5

تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

الجزء التاسع

دار المعراج

دار جوامع الكلم

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ
لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ
وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ
إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ
وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ
مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

سورة لقمان [الآيات ١٢ - ١٩]

[١٢] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق والتوكيد.

﴿ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾: الإيتاء هو العطاء بدون تملك؛ أي: يمكن استرداد ما أُعطي، والإيتاء يشمل الأشياء المادية والحسية والمعنوية، فهو أعم من العطاء. والإيتاء قد يكون بشكل خفي، والإيتاء هنا في هذه الآية يعني: الإلهام.

أو آتيناه الحكمة، وكما قال سبحانه: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].

﴿لُقْمَٰنَ﴾: اختلف المفسرون فيه؛ فمنهم من قال: لقمان بن ثادان رجل صالح، كان حكيماً، أعطاه الله الحكمة، عاصر داود، وقيل: أخذ عنه العلم، ولم يكن نبياً في أكثر الروايات، وقيل: كان حبشياً، أو من سودان مصر.

وليس هناك سند صحيح يدل على نبوته.

﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٦٩) من سورة البقرة لبيان معنى الحكمة. وقيل: هي إحسان القول وإحسان العمل معاً، أو توفيق القول بالعمل.

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾: أن: تعليلية أو تفسيرية للحكمة؛ وتعني:

آتيناه الحكمة ووصيناهُ بالشكر لله.

أو آتيناه الحكمة أن اشكر لله؛ أي: من الحكمة أن تشكر الله.

أو آتيناه الحكمة أن اشكر لله لما آتاك من الحكمة.

انتبه إلىٰ قوله تعالىٰ: آتينا، أن اشكر لله، آتينا: جاءت بصيغة الجمع والتعظيم، أن اشكر لله بصيغة الإفراد؛ للدلالة علىٰ التوحيد.

أن اشكر لله: أي اشكر الله وحده بإخلاص بلا شرك، أو شكراً خالصاً لوجهه، وشكر الله نصف الإيمان، والشكر نوع من العبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، والشكر أخص من الحمد فالحمد أوسع من الشكر وأعم؛ أي: احمده علىٰ إنعامه لك وإنعامه لغيرك.

والشكر خاص بالإنعام الّذي وصل لك وحدك.

الحمد لله: تعني هو المحمود علىٰ الإطلاق مني ومن غيري.

وكلمة الحمد تحمل في طياتها التعظيم والمحبة.

﴿وَمَن يَشْكُرْ﴾: الواو استئنافية، من: شرطية، يشكر: جاءت بصيغة الفعل المضارع؛ لتدل علىٰ التجدد والتكرار لأن الشكر يجب أن يتكرر؛ أي: يتجدد علىٰ مر الزّمن من العبد؛ لأن كل نعمة يجب أن يشكر العبد ربه عليها سواء كانت نعمة ظاهرة أو خفية أو ابتلاءً بالشر أو الخير.

﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾: أي فائدة شكره تعود عليه وليس علىٰ الله سبحانه؛ لأن الله غني عن العالمين وعن شكرهم، وقال تعالىٰ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧] فكلما شكرته زادك.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾: الواو استئنافية، من: شرطية، كفر: جاءت بصيغة الماضي وليس بصيغة المضارع كقوله: ومن يكفر؛ لأن المفروض أن الكفر لا يتجدد ولا يعود ولا يتكرر أبداً ولذلك قال تعالىٰ: ومن كفر، بعكس الشكر.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: الفاء رابطة للجواب، إن: للتوكيد.

﴿غَنِيٌّ﴾: عن خلقه وعن شكرهم وحمدهم وعبادتهم.

﴿حَمِيدٌ﴾: صيغة مبالغة على وزن فعيل، أبلغ من محمود على وزن مفعول.

محمود في ذاته قبل أن يوجد من يحمده من خلقه؛ لأنه يستحق الحمد على كل شيء، حميد على الدوام، حميد من خلقه.

غني حميد: يدل على الكمال؛ لاجتماع الغنى والحمد، فقد يكون غنياً وغير حميد أو حميداً وغير غني.

ولو قارنّا هذه الآية من سورة لقمان: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ مع الآية (٨) من سورة إبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾، نجد زيادة اللام في آية سورة إبراهيم: ﴿لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ والتي تدل على التّوكيد؛ لأن آية سورة إبراهيم فيها: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ ومن هذه استغراقية؛ تعني: كل كفار الأرض، وقال: (جميعاً) توكيداً، لذلك أكَّد مقابل ذلك بقوله: ﴿لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

وقوله: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ﴾: بصيغة المضارع التي تدل على تجدد كفرهم وتكراره، فسبحانه أبداً (لغني حميد) ولو كفر كل أهل الأرض جميعاً وتجدد كفرهم واستمر.

أما الاختلاف بين آية النّمل (٤٠)، وآية لقمان (١٢):

آية النّمل: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾: ومن شكر (مرة واحدة) فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن ربي غني كريم.

آية لقمان: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾: ومن يشكر (يتكرر شكره) فإن الله غني حميد.

فيكون المعنى بأنّ الله غني عن خلقه وعن شكرهم وحمدهم سواء كان مرة واحدة أو تجدد وتكرر

ربي كريم: لا يتوقف عن إعطاء الكافر والمؤمن في الدنيا، ومن شكر ومن لم يشكر.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾: حميد يستمر حمده وثناؤه رغم انقطاع حمد عبده أو عباده أو شكره أو شكرهم جميعاً.

لنقارن هذه الآيات الثلاث التالية:

سورة الروم آية (٤٤): ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾

سورة لقمان آية (١٢): ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾

سورة النّمل آية (٤٠): ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾.

ـ في سورة الروم: قدّم الكفر وأخّر العمل الصالح وذكر عاقبة كلٍّ من الفريقين بقوله: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ وذكر الفعلين الكفر والعمل الصالح بصيغة الماضي.

ـ في سورة لقمان: قدّم الشكر على الكفر وجاء بصيغة المضارع: ﴿وَمَن يَشْكُرْ﴾ وبصيغة الماضي للكفر: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ فإن الله غني عن العالمين.

ـ في سورة النّمل: قدّم الشكر على الكفر وجاء بصيغة المضارع للشكر: ﴿وَمَن يَشْكُرْ﴾ وبصيغة الماضي للكفر: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ فإن ربي غني كريم.

هذه الاختلافات يمكن إيضاحها:

١ - بأن فعل الشكر ينبغي أن يتجدد ويتكرر من العبد فلذلك يجيء به بصيغة المضارع التي تدل على التجدد والتكرار، أما الكفر ينبغي ألا يتجدد أو يتكرر من العبد ولذلك جاء به بصيغة الماضي.

٢ - في سورة لقمان، لقمان الّذي يتكلم، وهو رجل حكيم، طبعاً يبدأ بالشكر، وكذلك في سورة النّمل: سليمان عليه السلام الّذي يتكلم وهو قد آتاه الله من الملك ما لم يؤت أحداً من العالمين، فكان عليه أن يبدأ بالشكر، وآية سليمان ولقمان في سياق الدنيا.

أما في سورة الروم السياق هو في الآخرة؛ لقوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾. من كفر (في الدنيا)، ومن عمل صالحاً (في الدنيا).

إذن السياق في الآخرة فجاء بصيغة الماضي في كليهما.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: ظرفية بمعنى: حين، أو: واذكر إذ قال لقمان.

﴿قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾: من الوعظ: وهو النصح والتذكير بما يُليّن القلب ويرشد إلى العمل الصالح والخير، ويتضمن النهي والتحذير والبعد عن الشر.

﴿وَهُوَ﴾: الواو إما حالية؛ وتعني: إذا قال لقمان لابنه واعظاً إياه.

أو استئنافية وتعني: إذ قال لقمان كما يعظه في كل مرة.

﴿يَٰبُنَيَّ﴾: يا النداء، بُنيّ: تدل على التصغير والمحبة وإضافته إلى نفسه: (يا بُنيَّ) من باب حنان الأب لابنه، وليثير ويحرك مشاعر ابنه حتى يتبع ما يأمره أو ينهاه عنه.

﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾: لا النّاهية، تشرك بالله: بدأ بالتوحيد؛ لأن التوحيد أساس الإيمان، لا تشرك بالله مهما كان صغيراً أو كبيراً، ومهما كان نوعه، والباء للإلصاق والاستمرار.

﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ﴾: إن للتوكيد، الشّرك بالله مثل عبادة الأصنام أو الآلهة، أو الأولياء والملائكة وعيسى والعزير، أو الشّمس أو القمر.

﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾: اللام للتوكيد والتعليل، عظيم للنفس؛ لأنه سيورد صاحبه التهلكة ويحبط كل عمله الصالح، عظيم: من أعظم أنواع الظلم لا ظلم أشد منه.

[١٤] ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾:

قال مقاتل: نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٨) لمعرفة أسباب النزول.

﴿وَوَصَّيْنَا﴾: بدلاً من: ووصى لقمان ابنه.

أراد ربنا أن يوصي بالوالدين بنفسه هذه الوصية لكل إنسان، وهذا يدل على أهمية هذه الوصية وعظيم شأنها.

﴿ وَوَصَّيْنَا ﴾: عهدنا فيها معنى التكليف والإلزام، وهي بصيغة الجمع والتعظيم.

وصّينا بالتشديد، ولم يقل وأوصينا، ووصّينا من فعل وصّى؛ للمبالغة في الوصية فيها حثٌّ واهتمام وتوكيد من فعل أوصى بمعنى: طلب منه؛ أي: ترك له وصية، فأوصى تستعمل في الأمور المادية.

وصية في أمور الدين مثل التوحيد والإحسان إلى الوالدين، وفيها تكليف، بينما أوصينا بدون تشديد وتستعمل غالباً في المواريث كقوله: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾ [النساء:١١]؛ ارجع إلى سورة النساء آية (١١) لمزيد من البيان في أوصينا ووصينا. وإدراج الوصية بالإحسان للوالدين بعد النهي عن الشّرك في كثير من الآيات يدل على أهمية الإحسان إلى الوالدين وصلة الرحم. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٨) لمزيد من البيان، والمقارنة، وتكررت آية ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ في ثلاث آيات هي: سورة العنكبوت آية (٨)، ولقمان آية (١٤)، والأحقاف آية (١٥)، واقترنت بالوالدين إحساناً بعبادة الله في أربع آيات: في سورة البقرة آية (٨٣) وهي قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾، وفي سورة النساء آية (٣٦) وهي قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾، وفي سورة الأنعام آية (١٥١) وهي قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ ﴾، وفي سورة الإسراء آية (٢٣) وهي قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾.

﴿بِوَٰلِدَيْهِ ﴾: الباء للإلصاق؛ أي: دائماً وبشكل مستمر.

بوالديه: مشتقة من الولادة؛ أي: اللذين ولداه وللتذكير بحسن الصحبة التي تكون للوالدة غالباً، ولم يقل بأبويه؛ لأن الأبوين قد تطلق على الأبوين من

التربيــة أو تطلق على الجد أو على العم، وكلمة الأبوين تســتعمل في المواريث مثلاً وغيرها.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾: لم يذكر في هذه الآية ووصّينا الإنسان بوالديه إحساناً أو حسناً وحذف (كلاهما) لأنه سيذكر بعد قليل: (أن اشكر لي ولوالديك) والشكر يدل على الإحسان أو يقوم مقام الإحسان.

﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾: الوهن هو الضعف، هو يعني: وهن مستمر، وهن الحمل الّذي يستمر حتى الولادة فكلما نما الجنين وكبر استمد من أمه ما يحتاجه للنمو وشــاركها في غذائها وما تصاب به من تعب وإعياء واختلاطات الحمل وهكذا حتى يولد، وبعد الولادة يأتي وهن الرضاعة والســهر عليه وتربيته، وهكذا وهن على وهن.

وفي آيــة الأحقاف (١٥) قال: (حملته كرهاً ووضعتــه كرهاً). ارجع لآية الأحقاف للبيان.

﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾: أي فطامه في عامين (٢٤ شــهراً). ولم يقل سنتين، لأن القرآن يســتعمل العام في ســياق الخير والبركة، والســنة تســتعمل للشدة والضيق، وفي آية الأحقاف (١٥) قال تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾.

فإذا طرحنا (٢٤) شهراً من ثلاثين شهراً يكون الفرق بينهما (٦) أشهر وهذا يدل على أن الجنين قابل للحياة بعد (٦) أشهر فقط من الحمل. ويحتاج طبعاً إلى المســاعدة والرعاية الطبية الخاصة، وهذا من بينات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم الدالة على أن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى.

﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾: في ظرفية؛ تعني: فــي يد الأم فقد يحدث الفطام أو الفصــال قبل عامين، ولــم يذكر مدة الحمل؛ لأن ذلك ليــس بيدها فقد تزيد أو

تنقص والكل يعلم أنها حوالي (٩) أشهر، وبهذه الآية نعلم أن مدة الحمل بين (٦-٩) أشهر.

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾: أن: مصدرية تفيد التّعليل والتوكيد.

والشكر قلنا: قام مقام الإحسان فلا داعي لذكر الإحسان والشكر معاً، ولذلك اقتصر على الشكر في هذه الآية وبينه في الآيات الأخرى المماثلة.

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي﴾: أي اشكر المنعم الوهاب أولاً وهو الله تعالى، والشكر باللسان والعمل معاً شكر المنعم على نعمه التي لا تعدّ ولا تحصى، وشكر دائم يتجدد ويتكرر طوال الحياة، وجاء بصيغة الإفراد ﴿ٱشْكُرْ لِي﴾، بينما ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ بصيغة التعظيم؛ لتدل على الوحدانية وعدم الشّرك أو الرياء. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠) لبيان معنى الشكر.

﴿وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾: شكر الوالدة والوالد يكون بالإحسان إليهما وطاعتهما، واللام في كلمة (لوالديك) للتوكيد.

﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجع والمآل، تقديم (إلي) يدل على الحصر؛ أي: اعلم أن مصيرك ورجوعك إليّ فقط، وهذا يدل على البعث وإثبات المعاد.

وتعني كذلك: واحذر وصيتي واعلم أن مصيرك إليّ ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

[١٥] ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا

فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾:

﴿ وَإِن ﴾: الواو عاطفة، إن: شرطية تفيد الاحتمال أو ندرة الحدوث؛ أي: قلّما جاهداك، أو افترضنا جاهداك.

﴿جَٰهَدَاكَ ﴾: أي بذلا جهدهما أو غاية أو أقصىٰ جهدهما علىٰ أن تشرك بي (بالله)، جاهداك من: جاهد، وجاهد تدل علىٰ أن هناك اثنين يجاهد أحدهما الآخر، بينما جهد تدل علىٰ المفرد الّذي يجهد بنفسه، بينما في سورة العنكبوت آية (٨) قال تعالىٰ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى ﴾ المجاهدة أخف.

والمجاهدة في آية لقمان أشد؛ لأن الوالدين يشترطان علىٰ الولد الشّرك ولذلك جاء بعلىٰ التي تفيد المشقة والعلو، واستعمل اللام في آية العنكبوت، وسواء في آية لقمان أو العنكبوت ذكر ﴿بِى ﴾ لأن المقام مقام توحيد فلا يستعمل إلا ضمير المفرد.

﴿عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى ﴾: علىٰ: تفيد العلو والمشقة، والمجاهدة قد تعني المحاربة. أن: حرف مصدري يفيد التّعليل والتوكيد.

﴿تُشْرِكَ بِى ﴾: أي حاولا صرفك عن طاعتي وعبادتي، أو أكرهاك علىٰ الشّرك.

﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾: ما: للعاقل وغير العاقل، ليس: للنفي، به علم: أي لا تشرك شيئاً مهما كان من الشركاء سواء أتاك علم به أو لم يأتك.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، لا: النّاهية، تطعهما: أي لا طاعة لمخلوق مهما كان في معصية الخالق. لا تطعهما في أيِّ أمر يخالف أمر الله ورسوله.

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾: وكل ما عدا ذلك فعليك بالمعروف إليهما؛ أي: استمر بالعطف عليهما بالمساعدة.

﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾: أي في أمور الدنيا.

﴿مَعْرُوفًا﴾: نكرة؛ تعني أيَّ معروف مهما كان، والمعروف يمكن تقديمه لمن تحب ولمن لا تحب.

والمصاحبة نفسها تعتبر معروفاً، حتى مع حالة الكفر والشرك فلهما حق المصاحبة، ولا تتخذ من شركهما أو مجاهدتهما سبباً لك لقطع الرحم.

ولم يقل وصاحبهما بالمعروف: يدل على معروف معين أو بعينه، وإنما أطلقه؛ ليشمل كل معروف، فقوله: (معروفاً) أفضل وأشمل وأعم من قوله: بالمعروف.

﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾: سبيل: الطريق السهل. سبيل مفرد جمعه: سبل، وسبل السلام كثيرة.

من: ابتدائية، أناب إليّ: قيل: الرسول ﷺ، وقيل: الصحابة أو سائر المؤمنين. أناب: رجع، والإنابة الرجوع إلى الطاعة؛ أي: اتبع سبيل التائبين الطائعين الموحدين.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزّمن.

﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾: إليّ خاصة لا إلى غيري، إليّ وحدي مرجعكم للحساب والجزاء.

﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، أخبركم وأطلعكم.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: الباء للإلصاق، ما: اسم موصول بمعنى الّذي أو

مصدرية، كنتم: في الدنيا. تعملون: تشمل الأقوال والأفعال؛ وتعني تعملون بالمعروف والإحسان أو تعملون من خير وشر.

[١٦] ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾:

يواصل لقمان موعظته لابنه.

﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٣) للبيان.

﴿إِنَّهَآ﴾: للتوكيد.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال أو الشكّ.

﴿تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: حبة الخردل: تمثل أصغر شيء مادي حسي كان يعرف في ذلك الزّمن، أما في زمننا الحاضر هناك الذرة وأصغر من الذرة، وبما أن حبة الخردل أصغر شيء استعمل معها (تكُ): بدلاً من تكن أو تكون التي تمثل أقل كلمة مركبة من حرفين.

ارجع إلىٰ سورة سبأ آية (٣): لبيان معنىٰ الذرة وأصغر من الذرة.

وارجع إلىٰ سورة الأنبياء آية (٤٧) لمزيد من البيان في معنىٰ حبة من خردل.

﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: لنفرض أو علىٰ احتمال أن هناك شيئاً ما يعادل أو يماثل حبة من خردل في الوزن والحجم، وهذا الشيء ليس له مكان محدد في السّموات السبع أو في الأرض، وحيثما كان يأتي به الله؛ أي: سبحانه يعرف مكانه وقادر علىٰ الإتيان به.

أو تكن في صخرة أو في السّموات أو في الأرض: ثمّ استقر في داخل صخرة: (في) ظرفية؛ أي: في أيّ مكان في السّموات أو في الأرض، وليس علىٰ

صخرة؛ أي: على ظهرها يسهل رؤيته مقارنة (في باطن صخرة صماء). وصخرة: نكرة، أيّ صخرة غير معروفة، من صخور الأرض أو الكواكب الأخرى، واختار صخرة؛ لأن استخراج (حبة الخردل) الجسم المتناهي في الحجم والوزن يصعب العثور عليه واستخراجه، أو صعب جداً اكتشافه وإحضاره بالطرق الحديثة.

﴿أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أو قد تعني التخيير، أو تعني وفي الأرض أينما كانت هذه الصخرة أو هذه الحبة من الخردل في السّموات السبع أو في الأرض؛ أي: كلاهما.

﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾: دلالة على سعة علمه به وقدرته فلا تخفى عليه خافية، كما يخفى على النّاس، فهو يعلم أين هي ثم هو قادر على استخراجها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾: إن: للتوكيد، اللطيف: عالم؛ أي: أين توجد، وقادر على الوصول إليها واستخراجها، ومهما كانت الأشياء الخفية والمتناهية في اللطف في غاية الصغر والدقة.

الخبير: يعلم بواطن الأمور ودقائقها وخفاياها. ارجع إلى سورة الحج آية (٦٣) لمزيد من البيان.

[١٧] ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾:

بعد ذكر مبادئ وأسس العقيدة ومنها التوحيد والشكر والعلم والقدرة والتعريف بقدرة هذا الرب والإله، يأمر لقمان ابنه بالعبادات.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: لأن الصّلاة عماد الدين والركن الأول بعد الشهادة، فهي لا تسقط بأي حال عن المؤمن مهما كان حاله ولو كان مريضاً أو على سفر،

ولذلك خصها وحدها، وهي تمثل سائر العبادات الأخرىٰ من زكاة وحج وصيام وشهادة وغيرها.

لماذا لم يأت بذكر الزكاة مع العلم أن كل الآيات تقرن إقامة الصّلاة بالزكاة؟

السبب في عدم ذكر الزكاة:

١ - لأن ابنه لا زال في سن قبل البلوغ، والزكاة يُكلف بها العبد بعد سن البلوغ.

٢ - الزكاة تقع علىٰ ذمة لقمان في هذه الحالة.

﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: أي أمُر نفسك وأمر غيرك وحثّهم علىٰ تأدية حقوق الله تعالىٰ وطاعة الله مثل الحض علىٰ الجماعة في المسجد وعدم ترك فريضة الصيام، أو بتأدية حقوق العباد وعدم تعطيل مرافق البلد، وتوفير المياه، والحث علىٰ التبرع وعدم المماطلة في دفع الدَّين، حتىٰ الرأفة بالحيوانات واتباع مكارم الأخلاق، وثواب الأمر بالمعروف يعود علىٰ صاحبه.

﴿وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: وتعريف المنكر: هو كل ما أنكره الشرع وحرمه أو الطبع السليم من أفعال وأقوال، ومنه ما يتعلق بالعبادات مثل الإخلال بالصلاة وأوقاتها، والنهي عن الخيانة والغدر والتقصير في دفع الزكاة، والتوسل بأصحاب القبور والأولياء، واختلاط الرجال بالنساء والخمر والعري والغش والغناء وشرب الخمور وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وغيرها من الأعمال المنكرة.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصول الإسلام المقررة بالتضامن بين الحكومة والأفراد وهو واجب، ولا بد للقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر من العلم بالمعروف؛ ليأمر به والعلم بالمنكر لينهىٰ عنه، وتطبيق الرفق والصبر بالعباد ومعرفة كيفية القيام بذلك.

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾: من جراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو اصبر علىٰ المكاره وأذىٰ النّاس ابتغاء وجه الله ومرضاته.

ما: اسم موصول بمعنىٰ الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: إن: للتوكيد، ذلك: اسم إشارة للبعيد يشير إلىٰ إقامة الصّلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر علىٰ أذىٰ النّاس من عزم الأمور.

﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾: أي من الأمور التي تحتاج إلىٰ عزيمة ونية وقوة وقدرة علىٰ القيام بها؛ أي: إذا نويت علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحمل أذىٰ النّاس، اعلم أنك تحتاج إلىٰ صبر وعزيمة فائقة وقوة، فاجمع قوتك وقم بذلك من باب الندب. وكما قال في سورة آل عمران آية (١٨٦): ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

لنقارن الآية (١٧) من سورة لقمان مع الآية (٤٣) من سورة الشورىٰ وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

في آية لقمان قال تعالىٰ: ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾، وفي آية الشورىٰ: ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ زاد اللام الدالة علىٰ التّوكيد؛ لأن الصبر في الشورىٰ صبر أشد وأقوىٰ؛ لأنه صبرٌ علىٰ من ظلمك وأساء إليك، بينما الصبر في آية لقمان صبر علىٰ مكروه مثل مرض أو خسارة، ليس هناك غريم أو خصم.

[١٨] ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو استئنافية، لا: النّاهية.

﴿تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾: الصَّعر: داء يصيب البعير ويجعله يميل برقبته.

ويشبه الإنسان المتكبر الّذي يميل بوجهه أو خده عن النظر إلى النّاس تهاوناً بهم، واختار الله سبحانه هذا التشبيه؛ لأن تصعير الخد داء جسدي والكبر أو التكبر داء خُلُقي.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام لام الاختصاص؛ أي: خاصة للناس.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾: لا: الناهية، في الأرض؛ لأن الغلاف الجوي للأرض طبقة منها، فهو يمشي في وليس على الأرض.

﴿مَرَحًا﴾: المرح: هو الاختيال والتبختر؛ أي: لا تمشِ مشية المتعالي المختال المعجب بنفسه الجهول، ولكن امشِ باعتدال، ولا يعني ذلك امشِ مشية المطأطئ رأسه، بل ارفع رأسك ولا تقفز أو تمشِ جرياً أو بإسراع.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ﴾: للتوكيد.

﴿مُخْتَالٍ﴾: اسم فاعل من: خال: تكبر، واختال زيادة في الاختيال؛ أي: بالغ في الاختيال والتكبر على الخلق بفعله؛ أي: بسلوكه، وقيل: هو الّذي وجد له مزية عند النّاس.

﴿فَخُورٍ﴾: وهو الذي بالغ في الفخر بأقواله؛ قيل هو الّذي وجد له مزية في نفسه يفتخر بها على النّاس، فخور بماله أو قبيلته أو جاهه.

[١٩] ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾:

في الآية السّابقة قال لقمان لابنه: ولا تمشِ في الأرض مرحاً.

ولم يُبين له كيف يمشي، بل نهاه فقط عن المشي مرحاً.

فجاء في هذه الآية يبين له كيف يمشي فقال له:

﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾: القصد هو الاعتدال أو التوسط بين البطء والإسراع، والاعتدال لا يعني طأطأة الرأس ويعني: وعدم المشي قفزاً وبسرعة.

﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾: أي اخفضه أو اقصره، وحسبك من الرفع ما يبلغ أذن السامع؛ أي: لا ترفعه لأن علو الصوت يدل على الغرور وعدم احترام الآخرين؛ أي: الزم الاعتدال في الصوت فذلك أقرب لفهم الكلام واستيعابه.

﴿مِن صَوْتِكَ ﴾: من بعضية.

﴿إِنَّ ﴾: للتوكيد واللام في كلمة (لصوت) للتوكيد أيضاً.

﴿أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾: شبه رفع الصوت بدون مبرر بصوت الحمير. أنكر الأصوات: أسوأ وأوحش الأصوات (الأجناس من الحيوانات)؛ أي: لا تستسيغه وتنفر منه النفوس فلا يجوز رفع الصوت إذا كان المستمع ليس عنده آفة في السمع، أما إذا كان عنده آفة في السمع فلك أن ترفع صوتك حتى يسمعه الآخر، وقال: (صوت) وليس أصوات الحمير؛ لأن المراد هو صوت الجنس وهذا التشبيه فيه ذم لمن يرفع صوته بلا عذر وفيه تثبيط عن رفع الصوت.

واعلم أن الحمار هو مسخر لك من الله؛ أي: مذلل لك؛ لكي تستخدمه كيف تشاء، وكما ذكر في الحديث أن الحمار ينهق إذا رأى شيطاناً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (إذا سمعتم نهيق الحمار فتعوّذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطاناً) أخرجه البخاري في صحيحه.

أو ربما ينهق ليهتدي إليه صاحبه ويعرف مكانه، والله أعلم. والمهم أن نعلم أن لكل صوت يصدر شدة وله طبقة، وطبقة الصوت: هي قوة الصوت أو

شـــدة الصوت هي المسافة بين المصدر والســـامع، وطبقة الصوت تعني سرعة تردده أو ذبذبته وتقاس بالهرتز.

وصوت الحمار يصل إلى أكثر من (٣٠٠) هرتز، وشـــدته أكثر من (١٠٠) دســـبل، أما صوت الإنســـان يتراوح بين (٤٠-٥٠) ولا يتجاوز (١٠٠) في أشد الحالات. واعلم أن المنكر هنا أن يرفع الإنسان صوته بلا مبرر أو حاجة، فيكون صوته عندئذٍ كصوت الحمير، أوّله زفير وآخره شهيق.

واختار هـــذه المواعظ؛ لأن الكلام والصوت والمشـــي من أهم متطلبات الحياة في كل لحظة. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٥٠) من ســـورة المدثر وهي قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾: نجد أن كلاهما (حمر وحمير): جمع حمار، واستعمل القرآن كلمة حمر: للحمر الوحشية، وكلمة حمير: للحمر الأهلية.

❖ ❖ ❖

أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ
ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ
وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ
وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥ ۚ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ
﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ
مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ
وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

الحزب ٤٢

سورة لقمان [الآيات ٢٠ - ٢٨]

[٢٠] ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾:

المناسبة: في مطلع السورة ذكر الله سبحانه عدداً من النعم، ثمّ ذكر وصية لقمان لابنه، ثم عاد إلى ذكر بعض النعم وأنها تسخير من الله فقال تعالى:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام وتقرير، ولم يقل أولم؛ لأن زيادة الواو تدل على شدة الإنكار.

﴿تَرَوْا﴾: رؤية قلبية فكرية تبصرية ورؤية بصرية عينية، والخطاب موجه إلى الكل وخاصة للمشركين؛ لقوله في الآية (٢١): ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾.

وقوله ألم تروا: إخبار من الله سبحانه عن شيء أعظم مما لو رأيناه بأم أعيننا وهو بدرجة عين اليقين، وألم تروا أقوى وآكد من قوله تعالى: ألم تعلموا.

﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: أن تفيد التّوكيد.

﴿سَخَّرَ لَكُم﴾: ذلّل لكم، والتسخير: التذليل بحيث تنتفعون به، لكم: خاصة بصيغة الجمع للعقلاء.

﴿مَّا فِي﴾: ما: اسم موصول بمعنى الذي، فكل ما في السّموات والأرض خُيّرت فاختارت أن تكون مسخّرة لا إرادة لها مثل الشّمس

والقمر والنجوم والكواكب والسحاب والمطر، كما قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢].

﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: من الحيوانات والأنهار والجبال والأشجار والزرع والمعادن وغيرها، وتكرار (ما في) يفيد التّوكيد وفصل ما في السّموات وما في الأرض أو كليهما معاً.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾: أسبغ: أوسع وأفاض، وغمركم بالنعم الظاهرة والباطنة؛ مما يدل علىٰ سعة العطاء، ونِعَمَ: جمع نِعمة، وتدل علىٰ جمع كثرة مقارنة بكلمة أَنْعَم علىٰ وزن أفْعَل جمع قلة.

إذن هو سبحانه سخّر لكم وأسبغ عليكم، فهذا يستحق شكره وحمده ليلاً ونهاراً.

﴿نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً﴾: مشاهدة ومحسوسة، ﴿وَبَاطِنَةً﴾: غير مشاهدة أو محسوسة، أو ما لا يعلم إلا بدليل أو لم يكتشف بعد.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أي بدلاً من أن يشكر الله علىٰ نعمه يكفر بها ويجحد بها.

﴿يُجَٰدِلُ﴾: الجدال هو الحوار الّذي يحدث بين طرفين أو أطراف؛ لإظهار حُجة؛ أي: يكون لدفع شبهة أو إثبات حق أو حقيقة.

﴿فِى ٱللَّهِ﴾: في آيات الله فيما أنزل الله أو فرض أو شرع، أو في العذاب، أو في أسمائه وصفاته وفي التوحيد، والبعث والآخرة والحساب منكراً إياها.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: بديهي أو مكتسب أو استدلالي.

﴿وَلَا هُدًى﴾: لا: لتوكيد النّفي، هدىً: نكرة أيّ هدىً مهما كان نوعه، هدىً من الله سبحانه أو رسول، أو هدىً من هادٍ، أو هدىً من الآيات الكونية الدالة على عظمته وقدرته.

﴿وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾: لا: لزيادة التّوكيد، ولا علم منزل في كتاب من السماء (أيّ كتاب) (أو عن طريق الوحي) وتكرار (لا) يفيد فصل كل واحدة عن الأخرى، العلم والهدىً والكتاب المنير فليس عنده أي منها ليجادل لا علم ولا هدىً ولا دليل من القرآن المنير.

[٢١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: شرطية تدل على حتمية الحدوث وتحققه وكثرة حدوثه؛ أي: ما قيل لهم: اتبعوا ما أنزل الله المرات الكثيرة.

﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ﴾: أي الّذي أنزله الله من الكتاب: القرآن، أو ما جاء به الرسول ﷺ من سنته، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ﴾: بل: للإضراب الانتقالي؛ أي: لسنا بحاجة إلى اتباع ما أنزل الله وما جاء به رسوله ﷺ، بل سنتبع ما وجدنا عليه آباءنا بدلاً من الأخذ بما أنزل الله تعالى وجاء به رسوله ﷺ.

﴿نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: أي نعبد ما كان يعبد آباؤنا أو نعبد ما وجدنا آباءنا يعبدون من أصنام وغيرها.

﴿أَوَلَوْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتعجب والتهكم عليهم وتسفيه عقولهم.

﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: أيتبعون آباءهم الّذين اتبعوا الشيطان الّذي زيّن لهم أعمالهم من الشّرك والمعاصي؛ كي يوردهم عذاب السعير، أو تقليدهم لآبائهم إنما هو اتباع للشيطان أو تزيين من الشيطان، الّذي يدعوهم إلىٰ عذاب السعير.

لنقارن هذه الآية من سورة لقمان وهي قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، مع الآية (١٧٠) من سورة البقرة وهي قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾.

ألفينا: تستعمل في سياق ما هو مشاهد؛ أي: محسوس فقط، وفي سياق الذم أو غير المستحب أو التافه من الأمور.

ووجدنا: تستعمل في سياق الأمور المحسوسة المشاهدة وغير المحسوسة والأمور القلبية، وفي الأمور الأقل ذماً من (ألفينا). ارجع إلىٰ الآية (١٧٠) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

[٢٢] ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾:

المناسبة: بعد ذكر الّذين يجادلون في الله ويتبعون آباءهم، وبالتالي هم يتبعون الشيطان وينقادون ويسلمون له، هناك بالمقابل الّذي يسلم وجهه إلىٰ الله وهو محسن.

﴿وَمَن﴾: الواو استئنافية، من: شرطية.

﴿يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: يسلم: من أسلم؛ أي: انقاد وأسلم له: انقاد له، ويسلم: ينقاد، أسلم لله: جعل نفسه خالصة لله. يسلم: بصيغة المضارع تدل على التجدد والتكرار. بينما أسلم: بصيغة الماضي تدل على وقوع الحدث مرة واحدة وانتهى، كما جاء في سورة البقرة آية (١١٢): ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ جاءت رداً على اليهود الّذين قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، بلى من أسلم، وأسلم؛ أي: دخل في الإسلام، والدخول في الإسلام هو مرة واحدة.

ومعنى يسلم وجهه: أي ذاته، والوجه هو أشرف أعضاء الجسم وذكر الجزء يدل على الكل.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ هذه الآية الوحيدة في القرآن تقول: ومن يسلم وجهه إلى الله، وبقية الآيات: أسلم وجههُ لله، في سورة البقرة آية (١١٢) ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾. وفي سورة النّساء آية (١٢٥) ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.

فما الفرق بين أسلم لله، وأسلم إلى الله؟ أو يسلم لله، ويسلم إلى الله؟

أسلم وجهه لله مرة واحدة دخل فيها الإسلام، أما يسلم لله أكثر من مرة. لله: اللام لام الاختصاص والملكية؛ أي: يكرر ويجدد إخلاصه وتوحيده لله تعالى بشكل مستمر.

أسلم وجهه لله مقارنة بـ: أسلم وجهه إلى الله: فقوله تعالى: أسلم وجهه

للـــه؛ أي: أقرب، أو أعلىٰ درجة ومرتبة من قوله تعالىٰ: (إلىٰ الله)، وأســـلم لله؛ أي: بلغ غايته، وأما أســـلم إلىٰ الله: لا يزال في طريقه، ولم يصل إلىٰ نهاية الغاية المرجوة بعد.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: هو ضمير فصـــل يفيد التّوكيد، محســـن؛ أي: بلغ درجة الإحســـان في تقواه وطاعته وأصبح مستقيماً في إحســـانه؛ أي: ثابتاً. ارجع إلىٰ الآية (١١٢) من سورة البقرة: لبيان معنىٰ الإحسان.

﴿فَقَدِ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشـــرط، قد: للتحقيق والتوكيد؛ أي: تحقق استمساكه بالعروة الوثقىٰ.

﴿ٱسْتَمْسَكَ﴾: فيها مبالغة في التمســـك، ولم يقل أمسك بالعروة الوثقىٰ؛ أي: عمل كل جهده ووسعه في الإمساك.

﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: البـــاء للإلصاق والالتزام. والعروة: هي الحلقة التي في طرف الحبل التي يمسك بها.

الوثقىٰ: تأنيث: الأوثق، والأوثق مذكر: الوثقىٰ، والأوثق اسم تفضيل؛ أي: أوثق العرىٰ علىٰ الإطلاق وأقواها وأمتنها لا تنقطع ولا تنفصل.

﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: هذا تمثيل للمحســـن الّذي يســـلم وجهه إلىٰ الله بحال من أراد أن يتدلىٰ من شـــاهق أو جبل، فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق العرىٰ بحبل متين مأمون عدم انقطاعه معمول بشـــكل عروة، وهو يقبض عليها بيديه بكل قواه خوفاً من أن يهوي في مكان سحيق.

وفي سورة البقرة آية (٢٥٦) قال تعالىٰ: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾؛ أي: لا تنفتح أو تنقطع؛ أي: محكمة أشد الإحكام.

وفي قوله: لا انفصام لها: فيها توكيد؛ لأن السياق مختلف عن آية لقمان، ففي آية البقرة ذكر: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ فلذلك أكّد بقوله: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾، أما في آية لقمان فلا تحتاج إلىٰ توكيد.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور، وإلىٰ الله: للحصر.

﴿عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾: العاقبة آخر الأمر؛ أي: المرحلة النهائية بعد الحساب إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النّار.

[٢٣] ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾:

﴿وَمَن﴾: الواو استئنافية، من: شرطية استغراقية تدل علىٰ العموم المفرد والمثنىٰ والجمع وللعاقل، ولا تدل علىٰ فرد معين أو جماعة معينة.

﴿كَفَرَ﴾: جاءت بصيغة الماضي: كفر ولو مرة واحدة، ولم يقل يكفر؛ لأن الكفر يجب ألا يتكرر ولا يتجدد.

﴿فَلَا﴾: الفاء: جواب الشرط، لا: نافية.

﴿يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥ﴾: أي لا يهمّنّك كفر من كفر، والحزن بضم الزّاي تدل علىٰ ضيق الصدر مؤقتاً ولو طال، أما الحَزَن بفتح الزّاي تدل علىٰ ضيق الصدر الدائم المستمر حتىٰ موت الإنسان، والمنهي هنا الكفر؛ أي: يا أيها الكفر لا تحزن رسول الله ﷺ، وبالتالي: يا رسول الله، لا تحزن بكفر من كفر.

﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: إلينا: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: إلينا وحدنا حصراً مرجعهم.

إلينا مرجعهم ولم يقل إليّ مرجعهم، إلينا مرجعهم: تأتي في سياق الحساب والجزاء والثواب، أما: إليّ مرجعهم: فتأتي في سياق التوحيد والنهي عن الشّرك.

﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: بصيغة الجمع للتعظيم، فأعقبها بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ تدل على الإفراد والتوحيد.

﴿فَنُنَبِّئُهُم﴾: الفاء تدل على الترتيب والتعقيب والمباشرة؛ أي: نخبرهم، والنبأ أهم من الخبر وأعظم.

﴿بِمَا عَمِلُوا﴾: الباء للإلصاق، ما: اسم موصول بمعنى الّذي أو مصدرية.

ننبئهم بما عملوا: بما قاموا به من أقوال وأفعال ظاهرة أو خفية في الدنيا.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: عليم صيغة مبالغة من: عالم، عليم تفيد الشمول، عليم بالكافر والمؤمن. ذات الصدور: خفايا الصدور وما داخل الأنفس. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١١٩) لمزيد من البيان.

لنقارن:

عليم: صيغة مبالغة مطلقة.

عالم: مخصصة للعلم بالغيب والشهادة.

علّام: مخصصة للغيوب؛ أي: علّام الغيوب.

[٢٤] ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾:

﴿ نُمَتِّعُهُمْ ﴾: من المتاع: كل ما ينتفع به ويتمتع به كالطعام واللباس وأثاث البيت والأداة والمال والبنين، نمتعهم بزينة الحياة الدنيا.

﴿قَلِيلًا ﴾: تحتمل معنيين: إما زمناً قليلاً، أو نمتعهم بالشيء القليل؛ أي: نمتعهم تمتعاً قليلاً في الدنيا فلا نعجل لهم العقوبة.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزّمن.

﴿نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾: الغليظ: العذاب الشديد الثقيل على المعذَب وذلك بعد بعثهم وحسابهم نذيقهم من عذاب يوم القيامة، ثم يساقون إلى عذاب غليظ أشد وأبقى. والعذاب الغليظ ورد في القرآن في أربع آيات، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٢٦) من سورة البقرة: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ قيل: العذاب الغليظ أقل شدة من عذاب النار؛ لأن لعذاب له أشكال متعددة كثيرة.

[٢٥] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾:

﴿وَلَئِن ﴾: الواو عاطفة، لئن: اللام للتوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال والندرة.

﴿سَأَلْتَهُم ﴾: أي الكفار والمشركين.

﴿مَّنْ﴾: استفهامية.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾: اللام والنون للتوكيد. ارجع إلى

سورة فصلت الآيات (٩-١٢) للبيان، وسورة الأنبياء آية (٣٠): لبيان معنى الخلق.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على إقرارهم بأن الّذي خلق السّموات والأرض هو الله وأظهر عليهم الحجة، أو الحمد لله على خلق السّموات والأرض، ولا يظن أحد خطأً أن الحمد هنا يعود على أن أكثرهم لا يعلمون.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: بل: للإضراب الانتقالي.

لا يعلمون أن الّذي خلق السّموات والأرض كما أقروا بذلك هو المستحق للحمد ويستحق أن يُعبد وحده، ومع ذلك انصرفوا إلى عبادة الأصنام وعبادة غيره، أو أن خلق السّموات والأرض يدعو إلى توحيده.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن لله ما في السّموات والأرض، وأن الله هو الغني الحميد، أو أكثرهم لا يعلمون لو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم، أولا يعلمون أن خلقهم وبعثهم كنفس واحدة إن الله سميع بصير.

[٢٦] ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾:

﴿لِلَّهِ﴾: اللام لام الاستحقاق والملكية؛ أي: له ما في السّموات والأرض. وتقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: حصراً وقصراً لله وحده وليس له شريك.

﴿مَا﴾: للعاقل وغير العاقل، وأوسع من (مَن).

﴿فِي﴾: ظرفية، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: أي السّموات السبع نفسها وما فيها من مجرات ونجوم، والأرض: السبع أرضين وما فيهن.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر.

﴿ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾: ارجع إلى الآية (١٢) من السورة نفسها لمزيد من البيان.

وقوله تعالى: إن الله هو الغني الحميد؛ يعني أيضاً لا أحد سواه غني هو الوحيد الغني وغيره ليسوا أغنياء حتى ولو كان عندهم المال والملك، فهو ملك محدود وزائل، وحين يقول تعالى: ولله ملك السّموات والأرض: الملك يعني كذلك الحكم والملك معاً.

فالله سبحانه هو الغني الحميد له ما في السّموات والأرض.

وأما ما تعبدون من دونه: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ:٢٢].

﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [هود:١٠١] فأنى يسحرون.

[٢٧] ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو عاطفة، لو: شرطية غير متناهية.

﴿أَنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿فِي﴾: ظرفية، ﴿ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ﴾: لم يقل أشجار، من: استغراقية تشمل كل شجرة ولم يترك ولو شجرة واحدة، من: تعني الجنس؛ أي: جنس الأشجار.

﴿مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾: تعني جميع أشجار الأرض كلها قطعت وصيّرت إلىٰ أقلام.

﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾: والبحر اسم جنس يشمل كل البحار والمحيطات، ومن ورائه سبعة أبحر: جمع قلة، وبحار: جمع كثرة؛ تحولت إلىٰ مداد (محبرة أو حبر).

﴿مَّا نَفِدَتْ﴾: ما: النّافية، ﴿نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾: أي وكتب بتلك الأقلام وذلك المداد كلمات الله تعالىٰ، لنفدت السبعة أبحر والأقلام كلها ولم تنفد كلمات الله؛ لأن كلمات الله تعالىٰ غير متناهية وكذلك علمه سبحانه، وذكر كلمة سبعة علىٰ وجه المبالغة وليس الحصر، سواء كانت سبعة أبحر أم أكثر أو سبعة محيطات، والعرب تذكر السبعة والسبعين والسبع مئة للكثرة ومنتهىٰ العدد، وهذا من باب تقريب المعنىٰ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿عَزِيزٌ﴾: قوي لا يُغلب ولا يُقهر ولا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وقادر علىٰ نصر عباده وله العزة جميعاً.

﴿حَكِيمٌ﴾: حكيم في تدبير شؤون خلقه وكونه فهو أحكم الحاكمين وأحكم الحكماء. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٢٨] ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾:

﴿مَّا﴾: النّافية.

﴿خَلْقُكُمْ﴾: بدء الخلق أو تجديده وتكرار الخلق؛ أي: إعادة.

﴿وَلَا﴾: الواو عاطفة، لا: لزيادة توكيد النّفي.

﴿بَعْثُكُمْ﴾: يوم القيامة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: الكاف: كاف التشبيه؛ أي: خلقكم وبعثكم يشبه خلق وبعث نفس واحدة، وبكلمة كن، فيكون.

فالواحد والجمع والخلق والبعث متساوون عنده؛ أي: ليس هناك هيّن وأهين، وصعب وأصعب، وصعب وهيّن.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿سَمِيعٌ﴾: صيغة مبالغة من السمع، سميع لأقوال عباده وسميع لسرّهم ونجواهم، وجهرهم وأحاديثهم، ودعائهم وبكائهم.

﴿بَصِيرٌ﴾: بأعمالهم الظاهرة بكل المرئيات.

إن الله هو الخالق المبدئ المعيد وهو السميع البصير ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النّحل:٢٠-٢١].

ولا يسمعون ولا يبصرون: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٨].

❖ ❖ ❖

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ
كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ
فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ
عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ
ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ

ترتيبها ٣٢ — آياتها ٣٠

سورة لقمان [الآيات ٢٩ - ٣٤]

[٢٩] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾:

المناسبة: يستمر الله الحق سبحانه في تقديم الأدلة والبراهين على عظمة قدرته وخلقه ووحدانيته، ويخاطب الكل أو يخاطب المفرد.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: خطاب لكل فرد مؤمن أو كافر، بينما (ألم تروا): خطاب للجميع.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الهمزة للاستفهام، تر: رؤية بصرية ورؤية قلبية فكرية؛ أي: ألم تفكر كيف يولج الله الليل في النهار والنهار في الليل، وبالتالي تدرك عظمة الخالق وقدرته. وألم تر أقوى من ألم تعلم، وإذا قال سبحانه: ألم تر فرؤياه سبحانه أفضل وأعظم من رؤيا خلقه، فهي رؤيا تمثل عين اليقين، وعين اليقين أقوى وأكبر من علم اليقين، ورؤيا الخالق سبحانه تكفي وحدها وحسبنا.

﴿أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: أن: للتوكيد.

﴿يُولِجُ﴾: من الولوج؛ أي: الدخول، من الناحية العلمية هذا إشارة إلى كون الأرض كروية الشكل وتدور حول محورها كل (٢٤) ساعة وكونها تدور حول الشّمس مما يؤدي إلى تبادل الليل والنهار، والنهار والليل والذي هو من ضروريات استقامة الحياة على هذه الأرض.

ومـــن الناحية اللغوية تعني تداخل الليل في النهار، والنهار في الليل بحيث إذا طال أحدهما قصر الآخر وبالعكس.

يولج: جاءت بصيغة المضارع لتدل على التجدد والتكرار بشـــكل مستمر؛ لأن الشّـــمس تشـــرق في مكان وتغرب في مكان آخر في عموم الكرة الأرضية، وقدّم الليل على النهار؛ لأن الليل هو الأصل أو الظلام هو الأصل، لأنه قبل خلق الشّمس، وبالتالي النهار الناتج عن أشعتها بعد أن كان الكون كله ظلاماً، وفي كل القرآن يقدّم الله سبحانه الليل على النهار؛ لأنه الأصل.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾: والتســـخير هو الانقياد للخالـــق بعد أن خيّرها فاختارت أن تكون مســـخّرة تؤدي مهمة معينة بلا إرادة لها ولا مشيئة كما يأمرها الخالق. وسخّر جاءت بصيغة الماضي؛ لأنه سبحانه حين خلقها سخّرها وانتهى الأمر، فالتسخير حدث وانتهى مرة واحدة، أما الإيلاج فهو مستمر، ودائماً في كل القرآن نجد كلمة سخّر بصيغة الماضي.

وســـخّر هنا جاءت بدون كلمة لكم، فحين يذكر لكـــم تعني خاصة لكم، ولأن اللام لام الاختصاص فتأتي لكم في سياق تعداد النعم، وتأتي مطلقة بدون لكم في سياق الكلام عن عظمة قدرته ووحدانيته وفي سياق الآيات الكونية.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾: إلى: حرف غاية، وتستعمل لعموم الغايات (أول الأمر أو آخره)، أما حتى: حرف غاية فقط تشير إلى آخر الأمر.

وهذا التســـخير من مظاهر نعم الله تعالى علينا، وسوف ينتهي وينقطع يوم القيامة.

﴿كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّى﴾: تجـــري كجري الأمواج صعـــوداً وهبوطاً؛ أي:

بشكل متعرج (كجري الحصان) تجري في مجرّتها حتىٰ تتم دورتها في (٢٥٠) مليون سنة كما قدرها العلماء.

الأجل: هو الزّمن أو الوقت المضروب لانتهاء الشيء.

الشّمس تجري إلىٰ أجل مسمىٰ: تجري إلىٰ أن ينقضي أجلها.

وهناك فرق بين تجري إلىٰ أجل مسمىٰ وتجري لأجل مسمىٰ.

تجري إلىٰ أجل مسمىٰ: تعني الآن تجري؛ أي: الشّمس تجري وتجري الآن للوصول إلىٰ أو بلوغ الأجل المسمىٰ لها، وهي نقطة تسمىٰ (ايبكس صولر) نقطة القمة الشمسية.

تجري لأجل مسمىٰ؛ أي: تجري وسوف تجري لقيام الساعة.

فكلمة إلىٰ أجل مسمىٰ: تعطينا صورتها قبل وصولها المستقر.

ولأجل مسمىٰ: تعطينا صورتها بعد وصولها المستقر.

ارجع إلىٰ سورة الرعد آية (٢) لمزيد من البيان والتفسير العلمي لهذه الآية.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق، ما: اسم موصول بمعنىٰ الّذي أو مصدرية.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: تضم الأقوال والأفعال.

﴿خَبِيرٌ﴾: صيغة مبالغة؛ أي: خبير ببواطن الأمور؛ أي: خفاياها، ومن يعلم بواطن الأمور بديهي أن يعلم ظواهرها.

وقدّم العمل علىٰ (خبير) ولم يقل وأن الله خبير بما تعملون؛ لأن سياق الآيات في الحديث عن:

[٣٠] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد والكاف للخطاب يشير إلىٰ إيلاج الليل في النهار، والنهار في الليل، وتسخير الشّمس والقمر، والجري، من عجائب قدرته وعظمته الدالة علىٰ أنه هو الإله الحق الذي يجب أن يُعبد ويطاع ويقدس.

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الباء: للإلصاق، والثبوت والتوكيد. أن الله هو: أن وهو تفيدان التّوكيد، وهو يفيد الحصر والتوكيد معاً. الحق: أي الأمر الثابت الّذي لا يتغير ولا يتبدل. الحق في ذاته وصفاته، فهو واجب الوجود لا وجود لشيء إلا به، ألوهيته وربوبيته حق، وأسماؤه وصفاته حق، وكل ما يقوله حق، وكل شيء يفعله حق، الحق المطلق.

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾:

﴿وَأَنَّ مَا﴾: الواو عاطفة، أن: للتوكيد، ما: لغير العاقل والعاقل بمعنىٰ الذي.

﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون ويعظّمون.

﴿مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾: أي غيره، أو كل ما سواه الباطل.

الباطل: ما لا وجود له؛ أي: الزائل والزائف مثل الشّرك والأصنام.

ولنقارن هذه الآية من سورة لقمان وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾، والآية (٦٢) من سورة الحج وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾.

ففي آية سورة الحج أضاف (هو) التي تفيد التّوكيد والحصر، والسبب في إضافة (هو) في سورة الحج؛ لأن السياق مختلف عن سورة لقمان.

لأن صور الباطل في سورة الحج أكثر ومختلفة ومتنوعة تمثل الشّرك والكذب والظلم والإحباط في الأعمال، بينما الباطل في سورة لقمان صوره قليلة منها الشّرك، ولذلك أكّد في آية الحج بإضافة (هو) ليتناسب مع الرد على الباطل.

ارجع إلى سورة الحج آية (٦٢) لمزيد من البيان.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾: ارجع إلى سورة الرعد آية (٩): لبيان معنى الكبير.

ارجع إلى سورة الحج آية (٦٢): لبيان معنى العلي الكبير.

[٣١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾:

ومن الآيات الكونية الدالة على عظمته وقدرته ووحدانيته وفضله على النّاس: الفلك التي تجري في البحر.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٩) للبيان.

﴿أَنَّ ٱلْفُلْكَ﴾: أن: للتوكيد، الفلك: السفن، والفلك تطلق على المفرد والمؤنث والجمع.

﴿تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ﴾: كما ذكر سابقاً: والشمس والقمر كل يجري، والجري: هو السير السريع، في البحر؛ لأن الطبقة الغازية حول البحر هي جزء من الأرض أو البحر، هذا الجري الّذي هو بسبب ظاهرة التوتر السطحي لماء البحر والتي تمثل شدة ترابط جزيئات الماء مع بعضها لتساعد على حمل هذه الفلك العملاقة.

﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾: الباء للإلصاق وسببية؛ بسبب نعمة الله تعالىٰ، ونعمة الله هذه لها معانٍ عدّة:

الفلك تجري بواسطة الرياح، فالرياح نعمة من نعم الله.

أو الفلك نفسها نعمة من نعم الله.

أو تجري بنعمة الله؛ أي: ما تحمله من البضائع والمواد والشحن نعمة من نعم الله.

والبحـــر أيضاً نعمة، وجريان الفلك نعمة وعدم توقفها، نِعم لا تحصىٰ ولا تُعد.

﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾: اللام لام التّعليل، مـــن: ابتدائية بعضية (من بعض آياته الكونية).

ونســـب الآيات إليه سبحانه بقوله: (آياته) لتدل علىٰ عظمة الآيات وكونها خاصة، ولم يقل ليريكم من الآيات.

من آياته الدالة علىٰ عظمته وقدرته ووحدانيته، وأنه هو الّذي يستحق العبادة وأنه هو الإله الحق.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ إن: للتوكيد، واللام في كلمة (لآيات) للتوكيد، في: ظرفية، ذلك: ذا اسم إشارة واللام للبعد وتشير إلىٰ الآيات (الفلك والبحر وجريان الفلك)، لكل: الـــلام لام الاختصاص. صبار: صيغة مبالغة من فعل: صبر، صبّار: كثير الصبر علىٰ وزن فعّال، صبّار علىٰ طاعة الله تعالىٰ والشدائد وتحمّل المشاق والمصاعب، وخاصة في مجال البحوث والاكتشافات العلمية فـــي مجال الكون وعلم الفضاء وعلم البحار وغيرها، وما يتعرض له الباحث من

فشـــل أو نجاح يحتاج إلىٰ كونه صبّاراً وشكوراً في آن واحد، ولا يكفي أن يكون صبّاراً بل أيضاً شكوراً: صيغة مبالغة من شكر؛ أي: كثير الشكر وكثير الصبر.

كلما اكتشف حقيقة علمية شكر الله سبحانه ونظر إليها وتأمّلها ودل النّاس عليها؛ حتىٰ تزيدهم إيماناً مع إيمانهم.

فهـــذه الآيات الكونية التي لا يعقلها إلا العالمون تدل علىٰ أن الله هو الإله الحق لا إله إلا هو وتســتوجب العبادة والشــكر وتدعونا إلىٰ الصبر والشكر في العمل والبحث عن حقائق الكون، والشــكر يدعو إلــىٰ زيادة النعم وزيادة النعم تدعو إلىٰ زيادة الشــكر وهكذا، كما قال سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]، وكلمة صبّار فــي كل القرآن لم ترد إلا مقترنة مع شــكور؛ أي: صبّار شكور، وأما كلمة شكور قد تأتي مفردة.

[٣٢] ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾:

في الآية السّابقة بيّن الله ســبحانه أن الفلك تجري في البحر بنعمته، وإذا غشــي هؤلاء الّذين أشــركوا موج كالظلل، دعوا الله مخلصين له الدين وأقروا بوجود الخالق ووحدانيته؛ كي ينقذهم وبعــد أن ينجيهم يعودون لما كانوا عليه من قبل.

﴿وَإِذَا﴾: الواو اســتئنافية، إذا: ظرفية شــرطية تدل علىٰ حتمية حدوث ما يذكر بعدها.

﴿غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾: الغشــي: علاهم وغطاهم مــوج كالظلل، الكاف للتشــبيه، الظلل: جمع ظلّة؛ وهي التي تعلو الإنسان وتظلله، موج ارتفاعه متران

أو ثلاثة (أي جاءهم الموج من كل مكان) ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ [يونس:٢٢]. وأيقنوا بالهلاك ولا أحد يأتي لإنقاذهم.

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: دعوا الله رغم كفرهم وشركهم، دعوا الله: دعاء من الفطرة التي فطر النّاس عليها.

مخلصين: جمع مخلص؛ أي: مطيعين تائبين منيبين، وقدّم كلمة (له) على الدين التي تدل على الوحدانية له وحده.

دعاء المضطر؛ أي: دعوا الله في حالة الشدة والكرب حيث تذكروا الخالق وهو سبحانه يجيبهم وينجيهم.

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، نجاهم: أنقذهم وأخرجهم من كربهم وهلاكهم، وهو سبحانه يعلم منذ الأزل أنهم سيعودون إلى ما كانوا عليه من الشّرك ويجحدون ومع ذلك تركهم ينجون؛ ليقيم عليهم الحجة يوم القيامة، وأنه أرحم الراحمين.

نجاهم: أي تركهم لفترة من الزّمن يلاقون العذاب أو الخوف، ولم يقل أنجاهم التي تعني بسرعة وزمن قصير، نجاهم: تعني ببطء لعلهم يتذكرون ذلك فيما بعد، فما حدث: أنه ارتدع وتاب قسم منهم والقسم الآخر عادوا إلى الكفر والشرك وخانوا عهدهم.

﴿فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾: له عدّة معانٍ:

- موفٍ بما عاهد الله عليه في البحر عند الغرق من الإيمان بالله والإخلاص وعدم الشرك.

- متوسط بين الكفر والإيمان، إذا تعرّض لكرب تاب ورجع، وإذا لم يتعرّض ضعف إيمانه.

- وقيل: المقتصد من يخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

- أو يؤدي فقط الفرائض ولا يزيد عليها.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾: ما: النافية؛ يجحد: الجحد: هو إنكار الشيء المشاهد أو الظاهر، والختّار الكفور، الختّار: غدّار؛ أي: خائن العهد الّذي قطعه على نفسه عندما أصابه الكرب، كفور: صيغة مبالغة من الكفر؛ أي: كثير الكفر، وما: الواو استئنافية، ما: النّافية. يجحد بآياتنا: الجحود يكون للآيات الظاهرة أو الشيء الظاهر، وهو إنكار متعمد لما رآه وشاهده يوم أصابه الكرب من الآيات الدالة على عظمة الله ورحمته وربوبيته وتوحيده، والإنكار يكون للظاهر والباطن؛ أي: يعلم ويرى هذه الآيات حقاً ويجحد بها. إلا: أداة حصر.

﴿كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ ختّار: صيغة مبالغة من الفعل ختر؛ أي: غدار وخداع، أو خائن للعهد الّذي قطعه على نفسه وكثير الكفر.

لنقارن هذه الآية (٣٢) من سورة لقمان وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ مع الآية (٦٥) من سورة العنكبوت وهي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

في آية لقمان الخطر والتهديد أو الكرب أشد وأكبر مما أصاب المشركين في آية العنكبوت.

ولذلك في آية لقمان ارتدع قسم وأصبح مقتصداً، وقسم استمر على ما كان عليه في السابق من الشّرك والكفر.

وفي آية العنكبوت لأن الخطر والكرب كان أقل، فالكل عاد مشركاً بعد الكرب.

وإذا قارنّا آية لقمان (٣٢): ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ والآية (٤٢) من سورة هود: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾.

الموج في آية لقمان هو موج غرق وهلاك وعذاب، وركاب الفلك هم من عامة النّاس منهم المؤمن أو الكافر والموج يغشاهم كالظُّلل.

الموج في آية هود هو موج إنقاذ ورحمة ونجاة، وركاب الفلك هم نوح والذين آمنوا معه، الموج يجري بهم من تحتهم.

[٣٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾:

المناسبة: بعد أن بيّن الله سبحانه في كثير من الآيات الكونية الدالة على عظمته وقدرته ووحدانيته، أراد أن يختم السورة بالأمر بتقوى الله تعالى عز وجل والخشية من يوم القيامة، ثم ذكر خمسة من مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: ياء النداء والهاء في (أيّها) للتنبيه، النّاس جميعاً المؤمن والكافر، الإنس والجن؛ أي: الثقلين، والناس مشتقة من: النَّوس؛ أي: كثرة الحركة.

﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾: أي اجعلوا بينكم وبين سخطه وغضبه وناره وقاية، وذلك

بطاعــة أوامره وتجنب نواهيه، ربكم: مشــتقة من الربوبية وهــي التربية؛ وتعني الخالق الرازق المدبر المسيطر المربي، واختار كلمة ربكم؛ لأنه يريد أن يذكّرهم بأنه رب النّاس رب العالمين.

﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا﴾: الخشــية هي الخوف المقرون بالعلم والمقرون بالتعظيم والمهابة للذي تخشاه، يوماً: أي يوم القيامة جاء بصيغة النكرة؛ ليدل على التهويل والتعظيم.

﴿لَّا يَجۡزِي﴾: (في الآخــرة) ﴿لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾: لا النّافية، يجزي: يُغني أو يقضي عنه ما عليه؛ أي: لا تنفع الولاية والنسب أو القرابة أو الصداقة أو الخلَّة.

ولــم يقل لا يجزي فيه: (فيه) ظرفية تعني فقــط في ذلك اليوم وغير الأيام تنفع، وإنما أطلق ولم يقل فيه.

﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾: الوالد: من الــولادة؛ أي: الوالد الحقيقي ويختلف عن الأب الذي يرعى أو يربي الولد؛ أي: لا ينفع والد ولده بالشفاعة أو دفع العَدْل أو دفع الضــر أو تخفيف يوم من العذاب، أو تحويل العذاب أو تبديله. والولد: كل مولود هو ولد لوالديه والولد يطلق على الولد الصغير أو الكبير وعندما يقرب من سن البلوغ يطلق على غلام.

وقدّم الوالــد على الولد؛ لأن الوالد أكثر رحمة وشــفقة، والوالد أحرص على نفع ولده من نفع الولد للوالد.

ولم يذكر كلمة (أبداً) فيقول لا يجزي أبداً؛ لأنه كما قال في ســورة الطور

آية (٢١): ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، إيمان الآباء رفع درجة الأبناء ليكونوا مع آبائهم يوم القيامة.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾: تكرار (لا) يفيد زيادة توكيد النّفي، وفصل كل أمر عن الآخر أو كلاهما معاً.

﴿مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ﴾: المولود لا يقع إلا من ولد منك.

ولم يقل ولا ولد هو جاز عن والده؛ لأن الولد يقع على الولد وولد الولد، والولد يقول لجده أو عمه: أب، فإذا كان المولود لا يجزي عن والده الّذي ولد منه فمن الظاهر أنه لا يجزي عن جده أو عمه أو إخوته.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾: أي لا يغني عن والده شيئاً، (شيئاً) بصيغة النكرة لم يحدد؛ ليشمل كل شيء من الأشياء من شفاعة أو حسنة أو عذاب أو فدية أو أيّ شيء من الجزاء.

لا يجزي الوالد عن ولده بدافع الحنان والشفقة.

ولا يجزي مولود عن والده بدافع التكليف أو الوصاية، ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً.

وإذا قارنّا كلمة جازٍ بكلمة يجزي، جاز: هو اسم، أما يجزي هو فعل، والاسم أقوى من الفعل؛ لأنه يدل على الثبوت والفعل يدل على التجدد والتكرار.

فالوالد لا يجزي: أي لا يجري بشكل متكرر، ولكنه أحياناً قد يجزي وأحياناً لا يجزي فربما هناك بعض الجزاء.

المولود لا جازٍ: صفة ثابتة؛ أي: المولود لا يغني عن والده أيَّ شـــيء مهما كان لا أحياناً ولا قليلاً ولا كثيراً.

﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: إن: للتوكيد، وعد الله حق: وعد الله صدق وثابت لا يتغير ولا يتبدل.

وعده حق بالثواب أو العقاب والبعث والجزاء والحساب والجنة والنار.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: الفاء للتوكيد، لا: النّاهية لكل الأزمنة.

تَّغُرَّنَّكُـــمُ: أي لا تغتروا بالحياة الدنيا، وأكّد الفعل بنون التّوكيد الثقيلة (أي نهي مؤكد)؛ أي: لا تخدعنكم بزينتها وزخرفها وجمالها، ومتاعها الزائل ومالها ونسائها. تغرنكم: تُدخل فيكم الغرور.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾: الغَرور هو الشيطان.

الغرور صيغة مبالغة مثل: كفور وشكور.

وغرور: يعني كثرة الغَرّ.

ولا يغرنكم الشيطان بالوسوسة والتزيين والمعاصي واللذة العاجلة.

[٣٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾: أي موعدها وأهـــم مفاتح الغيب، لا يعلمها إلا هو. وتقديم الخبر على المبتدأ يفيد الحصر والقصر، والساعة تعني: بدء تهدّم النظام الكوني الحالي.

﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾: والغيث أهم أسباب الحياة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠]، وذكر الغيث - ماء السماء - أولاً؛ لأنه سبب الزرع والغذاء والحياة.

وينزل الغيث: بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد والتكرار والاستمرار. ولم يقل المطر؛ لأن الغيث يحمل معنى الخير والمطر يحمل معنى الشر (من خصائص القرآن): وما نراه من الأخبار عن الأحوال الجوية ليس صحيحاً وكاملاً في كثير من الأحيان، فهم لا يعلمون كما يعلم الله كمية الأمطار وأين ستحلّ، ونوع هذه الأمطار أو الثلوج أو الرياح وشدتها، فما يخبرون به عبارة عن تنبّؤات فقط، وهذا لا يقارن بعلم الله المنزل للمطر والمشكِّل للسحب والرياح والعواصف.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾: ما: للعاقل وغير العاقل في أرحام كل أنثى من النّساء وغيرها من أرحام والجن والحيوان، يعلم الجنس ذكراً أو أنثى، ويعلم إن كان توأماً أم أكثر أو عدد الأجنة، ويعلم هل الجنين تام أو ناقص، وإذا فيه تشوهات خلقية أم لا، يعلم زمن وساعة ولادته، يعلم ما تغيض الأرحام وما تزداد، يعلم علماً كاملاً شاملاً لا يقتصر على ذكورة أو أنوثة أو صفة أو صفتين، يعلم هل سيحيى أم يموت ويعلم صفاته الوراثية، وتشير الآية إلى جميع الأرحام، وأما الأطباء فيعلمون شيئاً ما ولكن علمهم قاصر ولا يتعارض مع هذه الآية؛ لأن الله سبحانه منحهم القدرة على علم بعض الصفات.

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾: وما: النافية، تدري: من درى بمعنى: علم، والدراية: أخص من العلم، ولا تكون إلا بعد الجهل، والدراية تستعمل في حق البشر، ولا تستعمل في سياق الله، فبعد الولادة تأتي مرحلة الكسب،

والكسب يشمل الرزق والمال، أو العلم والحسنات والسيئات والذنوب والصالحات والخير والشر.

غداً: لا تعني الغد بعينه وإنما في المستقبل من كل أنواع الكسب والحلال والحرام.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾: بعد الولادة والكسب، تأتي مرحلة الموت.

لا تدري بأيّ أرض ولا بأيّ زمن ولا أين تدفن، لا يعلم ذلك كاملاً إلا الله وحده سبحانه.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾: إن للتوكيد. الله عليم: بخلقه وكونه وبعباده ومخلوقاته، عليم بما يفعلون من صغيرة وكبيرة وما يفعلون من خير وشر، ويعلم المؤمن والكافر والمشرك. خبير: ببواطن كل الأمور وخفاياها، خفايا الأنفس، وعليم بظواهر الأمور، وعليم وخبير: صيغة مبالغة، تدل على كثرة العلم والخبرة.

وكل ما توصل إليه العلم الحديث والبحوث والاكتشافات والتجارب هي تعتبر ظاهراً من الحياة الدنيا وعلماً ناقصاً، ورغم ذلك يعتبر ذلك من فضل الله على خلقه ورحمة بهم، ولعلهم إذا توصلوا إلى بعض الحقائق والإعجازات العلمية يؤمنون بربهم ويتوبون إليه، ويحمدونه ويشكرونه بدلاً من الغرور.

❖❖❖

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ
إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ
كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ
نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ
مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا
مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى
خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم
مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

ربع الحزب

سورة السّجدة [الآيات ١ - ١١]

ترتيبها في القرآن (٣٢)، وترتيبها في النزول (٧٥).

روىٰ البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: كان النّبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السّجدة، و: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ الإنسان.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة؛ للبيان.

[٢] ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: تنزيلُ يدل علىٰ الطّريقة الّتي حصل فيها الإنزال، تنزيل عن طريق جبريل عليه السلام، والتّنزيل مهمة الملائكة، و(تنزيلُ) مشتقة من: نزل، وتفيد من جهة السّماء. وأنزل: تعني من الله تعالىٰ جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلىٰ السّماء الدّنيا، نزل: تعني منجّماً أو علىٰ دفعات...

﴿ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾: ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢) للبيان.

الكتاب: القرآن، لا: النّافية، ريب: الشك والتهمة فيه، والشك: تساوي طرفي النفي والإثبات؛ أي: لا ريب في كونه منزلاً من رب العالمين؛ أي: ليس مفتىٰ ولا مختلق.

﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: يمكن القول: تنزيل الكتاب من رب العالمين.

وجملة (لا ريب) اعتراضية، مـن: ابتدائية، رب العالمين: ارجع إلى الآية (٢) من سورة الفاتحة.

[٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمـزة للاسـتفهام، أم المنقطعة بمعنى: بل يقولـون افتراه، أو للإضراب الانتقالي من جملة إلى جملة.

﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: يقـول كفار مكة وغيرهم: إن هذا القرآن غير منزل من الله، هو افتراءٌ على الله وكذب متعمد مختلق، يقولون: تدل على التّجدد والتّكرار وبحكاية الحال؛ أي: اسـتحضار مـا قالوه في الماضي إلى الحاضر؛ لبشـاعته والتعجب منه، والنّون في (يقولون) للتوكيـد، افتراه: من الافتراء وهو: الكذب المتعمـد المختلق؛ أي: افتـراه محمّد ﷺ واختلقه من تلقاء نفسـه وأعانه عليه قوم آخـرون: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ الفرقان آية: (٤).

﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: بـل: للإضـراب الإبطالي؛ أي: تبطـل ما قبلها، (قولهم افتراه): وتثبت مـا بعدها (هو الحق من ربك)، هو: ضمير يفيد التّوكيد، هو: تعني الكتاب أو القرآن.

﴿الْحَقُّ﴾: أي: الكتـاب هو الحق، والحق هو الكتـاب؛ الحق من ربك، أو منـزل من ربك بالحق، والحق هو الأمر الثّابت الّـذي لا يتغير أو يتبدل؛ أي: الصّدق الّذي لا يطرأ عليه أيّ تبديل أو تغيير.

﴿مِن رَّبِّكَ﴾: أنزل من ربك.

﴿لِتُنذِرَ﴾: اللام للتعليل، تنذر: من الإنذار وهو الإعلام والتّحذير من القيام بعمل أو أمر حرّمه الله سبحانه؛ لتنذرهم بأس الله وعذابه إذا استمروا على شركهم وكفرهم، ولم يقل لتبشر أيضاً؛ لأنّ السّياق في الحديث عن الكفار، وليس هناك ما يدعو إلى تبشيرهم.

﴿قَوْمًا﴾ أي: قومك أهل مكة (قريش) ومن يأتي بعدهم.

﴿مَّآ أَتَىٰهُم﴾: ما النّافية، أتاهم: جاءَهم.

﴿مِّن﴾: ابتدائية استغراقية.

﴿نَّذِيرٍ﴾: صيغة مبالغة في الإنذار؛ أي: كثير الإنذار، نذير من قبلك.

﴿مِّن قَبْلِكَ﴾: من للقرب؛ أي: ما أتاهم من نذير من قبلك؛ أي: لم يبعث الله إلى قريش رسولاً من قبلك.

قبلك: يا محمّد ﷺ فقد كان بين عيسى عليه السلام ومحمّد ﷺ ما يقارب (٥٦٠) سنة بدون نذير أو نبي...

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: لعل: للتعليل، لعل هذا القرآن والنذير؛ أي: رسول الله ﷺ والتّبليغ والتّحذير يهتدون به إلى الصّراط المستقيم (الإسلام)؛ أي: يؤمنوا ويوحدوا الله سبحانه.

ومنهم من قال: لعل تفيد الرجاء؛ أي: رجاء هدايتهم بعد ضلالهم، ولا تعني الترجّي من الله تعالى، وقد يكون من رسول الله ﷺ.

ولو نظرنا إلى الآيتين (٢،٣) معاً نرى أن: تنزيله من رب العالمين ولا ريب في ذلك ثمّ أضرب (أبطل) وأنكر قولهم: (أم يقولون افتراه) ثمّ عاد إلى إثبات أنّه الحق من ربك.

[٤] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾

انتهت الآية السّابقة بقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ وبدأت هذه الآية: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾؛ أي: لعلهم يهتدون إلىٰ الصّراط المستقيم وإلىٰ الله الإله الحق الّذي خلق السّموات والأرض وما بينهما.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى﴾: الّذي اسم موصول يفيد التّعظيم والتّحديد والدّلالة علىٰ أنّ الله وحده الّذي خلق السّموات والأرض.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: ارجع إلىٰ سورة الأنبياء آية (٣٠) وإلىٰ سورة فصلت الآيتين (٩-١٢) وسورة البقرة الآيتين (٢٩ ، ٢٢)، وسورة الأعراف آية (٥٤) للبيان.

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: حيث ربط الغلاف الغازي للأرض بمكونات السّماء ولذلك أصبح هذا الغلاف الغازي ليس من الأرض بالكامل وليس من السّماء بالكامل، ولكنه ظل طبقة فاصلة بين السّماء والأرض.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: ثم: لتباين الرتبة والمنزلة بين صفة استوائه علىٰ العرش وخلق السّموات والأرض؛ أي: استوىٰ علىٰ العرش أعظم وأكبر وأعجب من خلق السموات والأرض وما بينهما.

استوىٰ علىٰ العرش: ارجع إلىٰ الأعراف آية (٥٤)، وسورة يونس آية (٣)، وسورة هود آية (٧).

سئل الإمام أحمد رحمه الله عن تفسير هذا الاستواء، فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسّؤال عنه بدعة. والعرش هو

أعظم المخلوقات على الإطلاق، وبما أنّه سبحانه قال: (ليس كمثله شيء) فالأفضل عدم الخوض في الغيب بدون علم.

﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾: ما: النّافية، لكم: اللام للاختصاص فهو الّذي خلق السّموات والأرض وما بينهما بالحق، فهو الإله الحق واجب الوجود الّذي يجب أن يُعبد، ومالكم من دونه من ولي ولا شفيع.

من دونه: من سواه أو من غيره، من: ابتدائية استغراقية تستغرق كلّ ولي يشفع، والولي اشتقّت من: الولي؛ وهو الّذي يليك؛ أي: القريب منك (من الأقارب)، أو غيرهم؛ أي: ما لكم من ولي: يتولى ويرعى مصالحكم ويدبر أموركم.

﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾: تكرار (لا) النّافية يفيد توكيد النّفي، شفيع: الّذي يشفع لكم أو يتوسط لكم لدفع العذاب أو الضّر أو تخفيفه إذا عبدتم غيره أو أشركتم به.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتوبيخ على عدم التذكر وتعجب، ألا: أداة تنبيه وحض.

أفلا تتذكرون: إن الله خالق السّموات والأرض وما بينهما هو الإله الحق فتعبدوه وتوحّدوه وتؤمنوا به، ولا تنسوا ذلك أبداً، ولو احتاج هذا الحدث خلق السموات والأرض إلى زمن طويل للتأمل والتفكير.

أفلا تتذكرون ولم يقل أفلا تذكرون، تتذكرون تحتاج إلى زمن أطول للتذكر؛ لأنّ السّياق في الصد عن الشّرك وعبادة الأصنام، فهم يحتاجون إلى زمن أطول للتذكر والتّفكر والتّأمل ليهتدوا إلى التّوحيد، أمّا تذكرون: تحتاج زمن أقصر للتذكر.

[٥] ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾:

﴿يُدَبِّرُ﴾: من التدبير: النظر أو التصرف (التقويم لما فيه صلاح العاقبة).

﴿الْأَمْرَ﴾: يحتمل أن يكون واحد من الأمور (الشؤون)، أو يحتمل أن يكون واحد من الأوامر؛ أي: يدبر كل شأن وله كل أمر؛ يتضمن التّكليف الشّرعي أو الوحي أو أمر المخلوقات (من حياة وموت وصحة وغنىٰ وفقر وحرب وسلم وعزٍّ وذلٍّ...) وأمر الكون كله والقضاء والقدر حسب ما تقتضيه حكمته وإرادته.

﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: من ابتدائية ابتداءً من السّماء من عرشه يبدأ الأمر.

﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾: وانتهاء إلىٰ الأرض وينتهي الأمر إلىٰ الأرض إلىٰ الرّسول أو النّبي ثمّ يبلّغه إلىٰ النّاس.

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾: ثمّ للترتيب الذّكري، يعرج إليه الأمر؛ أي: يرفع إليه ليحكم فيه، والعروج يختلف عن الصّعود. ارجع إلىٰ الآية (١٤) من سورة الحجر للبيان.

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: أي مسيرة ألف سنة أو الزّمن المستغرق (١٠٠٠) سنة للعروج أو للنّزول.

﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾: أي: من أيام الدّنيا، وإذا قارنا هذه الآية مع قوله تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤]، قالوا: خمسين ألف سنة تعني مقدار يوم القيامة (٥٠ ألف سنة)، أما ألف سنة الزمن الذي تحتاجه الملائكة للصعود بأعمال العباد. ارجع إلىٰ سورة المعارج آية (٤) لمزيد من البيان.

[٦] ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾:

﴿ ذَٰلِكَ ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد، ويشير إلىٰ أن تدبير الأمر من السّماء إلىٰ الأرض هو من شأن عالم الغيب والشّـــهادة؛ أو: ذلك: ذا اسم إشارة واللام تفيد البعد والتّعظيم ويشـــير إلىٰ عالم الغيب والشّهادة العزيز الرّحيم؛ أي: ذلك عالم الغيب والشّهادة الّذي يدبر الأمر.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾: عالـــم الغيب: الغيب مصـــدر وهو: كلّ ما غاب واســـتتر عن عيون النّاس ولا يدرك بالحواس في السّماء والأرض، عالم الغيب المطلق أو الغيب النّسبي الّذي يطلعه علىٰ رسله ومن اصطفاه من خلقه.

﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾: عالم الشّهادة: هو كلّ ما يشاهد بالمدركات والحواس من قِبل خلقه، فلا الغيب يغيب عنه ولا شيء مما يشاهده الخلق يغيب عن علمه.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: القوي الّذي يَغلب ولا يُغلب ويَقهر ولا يُقهر، صيغة مبالغة: له عزة القوة والغلبة والقهر والامتناع.

﴿ٱلرَّحِيمُ ﴾: بعباده المؤمنين. ارجع إلىٰ ســـورة الحمد آية (٢) لمزيد من البيان.

[٧] ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾:

﴿ ٱلَّذِىٓ ﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم ويعود علىٰ الله.

﴿أَحْسَنَ﴾: أتقن وأحكم.

﴿ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾: خَلَقَه بصيغة الماضي، أو خَلْقه بإســـكان اللام مصدر: خَلْق، كل: توكيد، شـــيء: نكرة، أيّ شيء صغير أو كبير إنس أو جن أو حيوان أو نبات.

أي: أحسن: خَلَقَ كلّ شيء جعله حسناً حسب ما اقتضته حكمته فجميع مخلوقاته خلقت على أحسن تقويم.

فإياك أن تُقبّحَ أو تعيب شيئاً لمجرد رؤيته، وكيف تقبّح شيئاً خلقه الله، أتعيب الصفة أو الشّيء أم تعيب الصّانع والخالق، وقل: ما شاء الله وسبحان الله.

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾: أي بدأ خلق آدم من طين. ارجع إلى سورة الحجر آية (٢٦).

[٨] ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للتراخي في الزّمن.

﴿جَعَلَ﴾: صيّر.

﴿نَسْلَهُ﴾: ذريته وولده؛ لأنها تنسل منه؛ أي: تنفصل عنه.

﴿مِن سُلَالَةٍ﴾: من ابتدائية، السّلالة: خلاصة الشّيء وأجود ما فيه أو السّلالة القليل مما يُنسل من حيوان منويّ يلقّح البيضة ويموت الباقي، سلالة: على وزن فعالة تعني: القليل.

من سلالة: من طين ثمّ من سلالة من ماء مهين.

﴿مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾: من: ابتدائية تشير إلى الجنس، وسمّاه المهين المستقذر الضّعيف، ماء مهين: النّطفة منيّ الرّجل وبويضة المرأة.

[٩] ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾:

﴿ ثُمَّ ﴾: للتفاوت والتّباين بين التّسوية والماء المهين أو التّراخي في الزّمن.

﴿سَوَّىٰهُ﴾: التّسوية: أي هي اختيار الصفات الوراثية المميزة لكل فرد؛ أي: الشيفرة الوراثية الجينات والصبغيات.

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾: نفخ الرّوح كما بيّنت أحاديث رسول الله ﷺ يكون في الليلة (٤٢) من بدء الحمل، كما ورد في حديث حذيفة أسيل ورواه مسلم، وليس بعد (٤) أشهر كما ظن بعض المفسرين وكما أثبتت الدراسات العلمية.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: الجعل يكون بعد الخلق، وخلق الأذن للسمع، والعين للإبصار، والأفئدة: القلوب، ودائماً يسبق السمع البصر. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٧) للبيان.

وأما الفؤاد فهو: القلب الحاوي علىٰ خلايا الذاكرة، الخلايا العصبية الّتي هي مركز للحب أو الإيمان والأحاسيس المعنوية. ارجع إلىٰ سورة الحج آية (٤٦) لمزيد من البيان.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾: أي قليل من عبادي الشّكور؛ أي: العدد الّذين يشكرونه قليل، أو مقدار وكمية الشّكر قليلة، والشّكر يكون باللسان والقلب والعمل. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد من البيان.

[١٠] ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۢ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾:

﴿وَقَالُوٓاْ﴾: الواو استئنافية، قالوا: منكرو البعث والآخرة.

﴿أَءِذَا﴾: الهمزة همزة استفهام واستبعاد وإنكار وتعجّب.

﴿ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أي بعد الموت صرنا تراباً واندثرت ذراتنا واختلطت بتراب الأرض.

﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: الهمزة استفهام إنكاري كالسّابقة، لفي: اللام للتوكيد، في: ظرفية.

﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: أيخلقنا ربنا من جديد؛ أي: مرة أخرىٰ أو يُعيدنا أحياء؟ فيرد عليهم ربهم: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي وتقرير حقيقة جديدة؛ وهي أنّهم بلقاء ربهم كافرون.

﴿هُم﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾: الباء للإلصاق، لقاء ربهم: يوم القيامة والبعث والعرض للحساب.

﴿كَٰفِرُونَ﴾: جاحدون، لا يؤمنون أو يصدّقون، وكافرون بالصّيغة الاسمية الّتي تفيد الثّبوت.

[١١] ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾:

هم ينكرون أن يعودوا أحياء بعد أن يكونوا تراباً، فتأتي هذه الآية لتؤكد لهم

أنّ ملك الموت سيتوفاهم، ثمّ إلىٰ ربهم يرجعون للحساب والجزاء ولا مفرّ من ذلك.

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ للذين ينكرون البعث سوف يتوفاكم ملك الموت.

﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾: بأمر من الله سبحانه وملك الموت يقبض الرّوح، ثمّ يأمر الملائكة الموكّلين بنزع أرواح الكفار ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ [النّازعات:١-٢].

وفي آية أخرىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١].

﴿ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾: وكّل بقبض أرواحكم.

﴿ثُمَّ﴾: ثمّ للترتيب والتّراخي في الزّمن؛ أي: يوم البعث.

﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: إلىٰ ربكم وحده.

﴿تُرْجَعُونَ﴾: قسراً وسواء شئتم أو أبيتم إليه تُرجعون للحساب والجزاء.

❖❖❖

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ
﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ
مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾
فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ
وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ
بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ
عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ
بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ
لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ
جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟
فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ
لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

سجدة

سورة السّجدة [الآيات ١٢-٢٠]

[١٢] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو عاطفة، لو: شرطية، وقد تحمل معنى التّمنّي مثل: وليتك ترى، أو: لو امتناعية حُذف جوابها وهو: لرأيت أمراً مخيفاً مُهيناً.

﴿تَرَىٰٓ﴾: الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ وأمته، ترى رؤية فكرية، وإذا أخبرنا الله تعالى بخبر وقال: ولو ترى، فرؤيته تعالى أفضل من رؤيتنا بأم أعيننا فهي رؤية بدرجة عين اليقين.

﴿إِذِ﴾: ظرفية فجائية يوم القيامة.

﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: الكافرون المشركون المكذّبون بالبعث وبالآخرة وأهل المعاصي. ارجع إلى سورة الأنعام، آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنى المجرمون.

﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾: جمع: ناكس، اسم فاعل من الفعل: نكس رأسه، والنّكس هو جعل الأعلى أسفل، وقد وردت هذه الكلمة في سورة الأنبياء آية (٦٥): ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾، ومعنى نكسوا على رؤوسهم في الدنيا؛ أي: عادوا إلى الباطل وعبادة الأصنام بعد أن تبيّنوا الرّشد، ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ [يس:٦٨] والتّنكيس في الخلق؛ أي: نعيده ضعيفاً في قواه وعقله غير قادر على الحركة والتّفكير بعد أن كان قوياً وقادراً على اتخاذ القرار، أمّا: ﴿نَاكِسُوا۟

رُءُوسِهِمْ ﴾ يوم القيامة بسبب شعورهم بالذّل والخزي والحياء والنّدم لم يرفعوا رؤوسهم عند ربهم ونظروا إلىٰ الأرض.

﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾: أبصرنا: البصر والبصيرة؛ أي: أيقنّا بعين اليقين لا شـــريك لك ولا ولي ولا شفيع إلا أنت، وأبصرنا صدق ما وعدتنا وعدلك وأنك الحق وكل ما دونك هو الباطل، أبصرنا مـــا كنا فيه من الضّلال والظّلم والخطأ. وفي هذه الآية قدم البصر علىٰ السمع، وكذلك قدم البصر علىٰ السمع في سورة الكهف؛ لأن السياق في هاتين الآيتين هو في الآخرة، أما في باقي الآيات وعددها (١٧) آية قدم الســـمع علىٰ البصر؛ لأن السياق في الدنيا. ارجع إلىٰ سورة الملك آية (٢٣)، وسورة البقرة آية (٧) لمعرفة السبب ومزيد من البيان.

وسمعنا: سماع الأحياء لأول مرة بعد أن كنّا في الدّنيا نسمع سماع الموتىٰ، سمعنا آياتك وما أنزلته علىٰ رسولك ولا نكذّب بالدّين، فقد كنّا عمياً وصمّاً.

﴿فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴾: الفاء للمباشـــرة، ارجعنـــا الآن، ارجعنا إلىٰ دار الدّنيا لكي نعمل صالحاً.

﴿إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾: إنّا للتوكيد، موقنون: جمـــع موقن، من اليقين وهو العلم بالحق (الأمر الثّابت الّذي لا يتغير ولا يتبدل) والعلم بأنّه لا يكون غيره.

إنّا موقنون: أي أصبحنا نعلم حق اليقين أنّك أنت الحق وكل ما قلته ووعدته وأنزلته حق، موقنون: جملة اســـمية تدل علىٰ محاولتهـــم الظّهور بمظهر الثّابت بالإيمان، ولم يستجب الله سبحانه لطلبهم وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام:٢٨]، ولم يعد ينفعهم قولهم ومعذرتهم في ذلك اليوم.

[١٣] ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾:

المناسبة: سأل المجرمون ربهم (فارجعنا نعمل صالحاً) فجاء الردّ عليهم (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنّهم لكاذبون) ولو شاء الله لهداهم قسراً ولكن لم يشأ.

﴿ وَلَوْ ﴾: شرطية غير امتناعية، ولو شئنا لآتينا كلّ نفس هداها ولكن لم نشأ فحقّ القول عليهم.

﴿شِئْنَا﴾: بصيغة الجمع للتعظيم، من المشيئة والمشيئة قبل الإرادة: وهي بدء العزم على الفعل، أما الإرادة: إتمام العزم أو البدء بالفعل، والإرادة قبل القدر، والقدر قبل القضاء، والقضاء قبل الإمضاء (وهو الخلق) وهو: إبراز المعدوم إلى الوجود وتأليفه وتركيبه.

﴿لَآتَيْنَا﴾: اللام لام التّوكيد (رابطة لجواب لو)، لآتينا: من الإيتاء وهو: العطاء. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة لمعرفة معنى الإيتاء والعطاء.

﴿كُلَّ﴾: للتوكيد.

﴿نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾: كما بيّن ذلك في آية أخرى: ﴿أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرّعد:٣١]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس:٩٩]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود:١١٨].

لآتينا كلّ نفس هداها: بالقسر والجبر، ولكن لم يشأ سبحانه وقضت حكمته أن يترك اختيار أمر الإيمان والعمل الصّالح بدون إكراه، وأعطى للعبد حرية الاختيار بين الإيمان والكفر والطّاعة والعصيان. فمن اختار الهداية وطريق

الإيمـــان ثمّ طلب منه المعونة والزّيادة في الإيمـــان والهدىٰ، زاده إيماناً وهدىٰ، ومن اختار طريق الكفر والضّلال وابتعد عن ربه، تركه فيما تهواه نفســه وحذّره وأنذره علىٰ لسان رسله وكتبه.

﴿وَلَٰكِنْ﴾: للاستدراك والتّوكيد.

﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾: ثبت ووقع وســبق ولن يتغير قضائــي ووعدي، وقوله: مني تدل علىٰ خطورة وأهمية القــول وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: الــلام والنّون في (لأمــلأن) للتوكيد، و(أجمعيــن) للتوكيد أيضاً، لأملأن جهنم مــن: ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾: مجموعة مــن الجن قد تكون قليلــة أو كثيرة. ﴿وَٱلنَّاسِ﴾: أي: الإنس مجموعة قليلة أو كثيرة.

[١٤] ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

المناســبة: إذن لا رجعة إلىٰ الدّنيا فذوقوا العذاب بما نســيتم لقاء يومكم هذا.

﴿فَذُوقُوا۟﴾: الفاء للمباشــرة، ذوقوا: أي العــذاب، أي: ذوقوا العذاب بما قدّمت أيديكم وبما نســيتم لقاء يومكم هذا، ذوقوا: واختار حاســة الذّوق؛ لأنّ هذه الحاســة أهم الحواس لأنّها تختص بالأكل والشّــراب وهما من مقومات الحياة الدّنيا، والطّعام والشّراب يؤثّران في كلّ عضو من أعضاء الجسم كما يفعل الجوع والعطش بالإنسان، ثمّ استعمل (ذوقوا العذاب) الّذي سيؤثّر في كلّ عضو من أعضاء الجسم كما يفعل الطّعام والشّراب والجوع والعطش.

﴿بِمَا﴾: الباء: باء السّببية، ما: حرف مصدري.

﴿ نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ ﴾: أي ذوقوا العذاب بسبب نسيانكم المتعمد للاستعداد لهذا اليوم، نسيانكم أوامر الله وفرائضه ونواهيه وسنة رسوله، وترككم العمل الصّالح والإيمان وعدم تصديقكم بالبعث والحساب، لقاء يومكم هذا: أي يوم القيامة، وقدّم اليوم للاهتمام ونكّره للتهويل والتعظيم.

﴿ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ﴾: إنّا: للتعظيم والتّوكيد، نسيناكم: النّسيان من قبل الله تعالىٰ لا يعني عدم التّذكر، حاشا لله أن ينسىٰ شيئاً، وإنما النّسيان يعني تركهم في العذاب وعدم الالتفات إليهم، وإهمالهم في نار جهنم وعدم النّظر إليهم أو تكليمهم.

﴿ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ ﴾: تكرار (ذوقوا) للتوكيد والتّوبيخ والتّقريع والخطاب للمجرمين، عذاب الخلد: عذاب نكرة: يشمل كلّ أنواع العذاب، الخلد: الدّائم الّذي لا ينقطع أو يفتر أو يخفف ويبدأ من زمن دخولهم النّار.

﴿ بِمَا كُنتُمْ ﴾: الباء: باء السّببية، ما: بمعنىٰ الّذي أو مصدرية.

﴿ تَعْمَلُونَ ﴾: كنتم في الدّنيا تعملون تضمّ الأقوال والأفعال، تعملون من الكفر والشّرك والمعاصي والتّكذيب، وجاءت بصيغة المضارع لتدلّ علىٰ تجدد وتكرار عملهم وأنّه لم يتوقف، وماتوا ولم يتوبوا ويرجعوا إلىٰ ربهم.

[١٥] ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾:

﴿ إِنَّمَا ﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿ يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾: يؤمن: يصدّق ويعمل بها ويتبع ما جاء في آياتنا (آيات

القرآن) والآيات الكونية والآيات الدّالة على نبوة محمّد ﷺ، بآياتنا: بما جاء من الأدلة.

الباء للإلصاق والدّوام على الإيمان والثّبات.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية وشـرطية تفيد حتمية الحدوث؛ أي: ما بعدها حتماً سيحدث وبكثرة، وهو هنا: خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم.

﴿ذُكِّرُواْ بِهَا﴾: أي تُليت عليهم في الصّلاة أو قرؤوها وهم يتلون القرآن سجدوا سجود التّلاوة أو وعظوا بها (مثل سجود الشّكر)

﴿خَرُّواْ سُجَّدًا﴾: الخرّ: هـو أن تهوي إلى الأرض ومن أعلى إلى أسـفل سـاجداً لله هبوط مع صوت يشـبه صوت خرير الماء. ارجع إلى سورة الإسراء الآيتين (١٠٧-١٠٩) لمزيد من البيان.

﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: سبّحوا: أي قدّسـوا ونزّهوا ربهم في ذاته وصفاته وأفعاله عما لا يليق به وعن كلّ نقص وشريك وولد وعيب، سبّحوا بحمد ربهم: أي عند سجودهم بالقول: سبحان ربي الأعلى سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، وسبّحوا بحمد ربهم عقب الصّلوات وبكرة وعشياً.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: هـم: ضمير فصل يفيـد التّوكيـد، لا: النّافية، يسـتكبرون: عن طاعة ربهم والسّـجود إليه في كلّ مرة وكلّ حين خاضعين لله متذللين له باستمرار وتجدد. لا يستكبرون بالامتناع عن قبول الحق والإذعان له بالعبادة.

[١٦] ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه حال المجرمين يوم القيامة وكيف نسوا لقاء يوم القيامة وكيف سينساهم الله، يذكر حال أهل الطّاعة والإيمان وما يتقربون إليه به من النّوافل والسّجود والتّهجد في الليل والدّعاء والتّضرع إليه فيقول:

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ ﴾: تتجافى: اشتقّت من: جفا السّرج عن الفرس؛ أي: رفع السّرج عن الفرس وتجافى عن مكانه إذا لم يلزمه؛ أي: يتركوا فُرُش نومهم ليعبدوا الله. وقيل: تتجافى من الجفوة: التّرك مع كراهية المتروك؛ أي: سُررهم؛ أي: يتركون فُرشهم بدون تردّد مسرعين ليقوموا إلى لذة أعظم وأبقى وأحب إلى قلوبهم من لذة الفراش؛ وهي لذة قيام الليل والاتصال بالخالق ومناجاته والتّبتل إليه، جنوبهم: جمع جنب وهو: شقّ الإنسان ويراد به الشّخص.

﴿عَنِ﴾: حرف جر يفيد التّجاوز والابتعاد؛ أي: يبتعدون بجنوبهم عن مضاجعهم.

﴿ٱلْمَضَاجِعِ﴾: جمع مضجع وهو: مكان النّوم أو الاتّكاء.

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾: بالاستغفار والتّوبة والحمد والشكر، خوفاً مما حدث منهم من تقصير في جنب الله أو مما أخطؤوا بغير عمد أو نسوه خوفاً من عقابه وعذابه، يدعون: جاءت بصيغة المضارع لتدل على التّجدد والتّكرار، وطمعاً في رحمة ومغفرة ربهم ورضوانه وجنته.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: من بعضية؛ أي: ينفقون من بعض أموالهم كالزكاة أو الصدقات. ارجع إلى الآية (٣) من سورة البقرة للبيان.

[١٧] ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾:

﴿ فَلَا ﴾: الفاء للتوكيد، لا: النّافية.

﴿تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾: نفس: نكرة؛ أي: لا تعلم أيّ نفس (لا نفس ملك من الملائكة أو نفس رسول ولا نبي ولا أحد)، ما أخفي لهم، ما: اسم موصول بمعنىٰ الّذي أو استفهامية، وما أوسع شمولاً من الذي، أخفي: بصيغة المبني للمجهول؛ أي: ما خُبِّئ لهم؛ أي: لهؤلاء الّذين تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع، من: استغراقية، قرة أعين: قرة أعين مشتقة من القرور؛ أي: السكون، وقرّ في مكانه؛ أي: استقر فيه، ولا يستقر الإنسان في المكان إلا إذا توفرت فيه مقومات الحياة والرّاحة، وقرة أعين مشتقة من: القرّ وهو البرد الشّديد، وقيل: العين الباردة هي العين المسرورة، والعين السّاخنة هي العين الحزينة، والمراد به قرة أعين؛ أي: في جنات النّعيم والخلد ما تُسرّ به أعينهم وتفرح به وتطمئن، من المساكن والقصور والطّعام والشّراب والحور العين وغيرها.

وكما جاء في الحديث القدسي كما روىٰ البخاري ومسلم والتّرمذي قال تعالىٰ: أعددت لعبادي الصّالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر.

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾: الجزاء: مقابلة الشّيء بالشّيء؛ أي: ثواباً، بما كانوا يعملون في الدنيا، ويعملون تضم الأقوال والأفعال. ارجع إلىٰ الآية (١٤) من السّورة نفسها.

[١٨] ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾:

﴿ أَفَمَن ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري فيه معنى التّعجب، من: تأتي للمفرد والجمع والمذكر والمؤنث، من: استفهامية.

﴿كَانَ مُؤْمِنًا ﴾: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾: الكاف كاف التّشبيه، من: اسم موصول بمعنى الّذي كان فاسقاً، الفاسق: من الفسق وهو: الخروج عن الإيمان وطاعة الله تعالى. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٦) لمزيد من البيان.

والمؤمن والفاسق لا يستوون أو لا يستويان؛ لأنّ هذا مفهوم عند العامة من النّاس ولا يحتاج إلى سؤال ولكن الغاية من هذا السّؤال هو أن نقرّ نحن بالجواب ونقول: لا يستوون حتّى نقيم الحُجة على أنفسنا، ولم يقل لا يستويان وقال: لا يستوون: لأنّ الفاسق صنف والفسق أنواع والفاسقون درجات، والمؤمن صنف والإيمان درجات وأنواع، فالمؤمنون درجات والفاسقون درجات ولذلك قال: لا يستوون بالجمع، ويجوز أن تعني الآية اثنين كلّ منهما يمثل جماعة، ثمّ ذكر الله سبحانه جزاء الفريقين فقال: أمّا الّذين آمنوا... وأمّا الّذين فسقوا.

[١٩] ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾:

﴿ أَمَّا ﴾: حرف تفصيل.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ ﴾: الفاء: للتوكيد، لهم: اللام لام الاختصاص والاستحقاق الذين آمنوا بالله إيمان التوحيد إيمان القلب وليس الإيمان باللسان فقط، وعملوا الصالحات: أي: كل ما يرضي الله من عمل يشمل جميع أوجه الحياة بالإضافة إلى العبادات المعروفة.

﴿فَلَهُمْ جَنَّتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾: فلهم: الفاء: للتوكيد، لهم: خاصة، نوع من أنواع الجنات مثل جنات عدن، جنات النّعيم، جنات الفردوس، المأوىٰ: مشتقة من المكان الّذي يأوي إليه الكائن الحي ليحفظه من المكروه. والمأوىٰ مكان الإيواء؛ أي: الاستقرار والرّاحة والطمأنينة.

﴿نُزُلًا﴾: من النُّزل: وهو ما يُعدّ للضيف من طعام وشراب ومسكن؛ أي: ثواباً.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٤) من السّورة نفسها.

بما: الباء السّببية، ما: بمعنىٰ الّذي كانوا يعملون أو مصدرية، كانوا: في الدّنيا يعملون من الأقوال والأفعال الصّالحة، ثمّ ذكر الله سبحانه ثلاث آيات بخصوص الّذين فسقوا، الآيات (٢٠-٢٢).

[٢٠] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: حرف تفصيل.

﴿ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟﴾: الفسوق: هو الخروج عن طاعة الله وعدم امتثال أوامره ونواهيه. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٦) لمزيد من البيان.

﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾: الفاء: للتوكيد، المأوىٰ: هو المستقر المريح والآمن الذي يصل إليه بعد جهد وسعي، فكيف يصف النار بالمأوىٰ؟ قد يكون الكلام هنا علىٰ سبيل السّخرية أو التّهكّم كما يقول: فبشّرهم بعذاب أليم. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٥١) لبيان معنىٰ مثوىٰ والفرق بين مثوىٰ ومأوىٰ.

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾: كلما: مركبة من (كلّ وما) المصدرية الظّرفية، فهي أداة شرط تفيد التّكرار.

﴿يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾: من النّار أعيدوا فيها، وفي الآية (٢٢) من سورة الحج: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾.

﴿وَقِيلَ لَهُمۡ﴾: من قبل الملائكة خزَنَة جهنم.

﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾: ارجع إلى الآية (١٤) من السّورة نفسها.

﴿ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾: الّذي كنتم به في الدّنيا تكذبون: لا تصدقون، تكذبون: تدل على التّجدد والتّكرار والاستمرار حتّى متّم وأنتم كفار. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤٢) من سورة سبأ، وهي قوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ نجد أن آية السجدة: جاءت في سياق الذين فسقوا، والفاسق قد يطلق على المؤمن، ويمكن أن يكون كافراً، وهؤلاء يكذبون بالعذاب، وليس بالنار، وأما آية سبأ: جاءت في سياق المشركين والكفار، فهؤلاء يكذبون وينكرون النار نفسها والعذاب.

❖ ❖ ❖

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ

ترتيبها ٣٣ آياتها ٧٣

سورة السّجدة [الآيات ٢١ - ٣٠]

[٢١] ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾:

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾: تعود على الّذين فسقوا. اللام: لام التّوكيد والنّون في (نذيقنّهم) لزيادة التّوكيد.

﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾: من ابتدائية، العذاب الأدنى: القريب، والعذاب: هو النكال والعقوبة؛ أي: عذاب الدّنيا مثل القحط والقتل والأسْر والخسارة والهزيمة كما حدث في بدر، والأدنى الأخفّ (الأقل شدة) دون الأكبر من مصائب الدنيا في الأموال والأولاد وغيرها.

﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ دون: تعني: قبل العذاب الأكبر عذاب الآخرة؛ لأنّه عذاب دائم وباق لا يتغير ولا يخفّف أو يزول. والعذاب الأكبر: عذاب النار بأنواعه المختلفة؛ مثل: عذاب الحريق، والزمهرير، والزقوم، وغسلين، والماء الحميم، والسلاسل، والأغلال... وغيرها.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعل: للتعليل، يرجعون: بإرادتهم يرجعون عن ضلالهم وكفرهم وفسقهم إلى الإيمان بالتّوبة والاستقامة قبل أن تزهق أنفسهم وهم كارهون.

[٢٢] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾:

المناسبة: ومن أظلم من هؤلاء الّذين فسقوا ثمّ ذكّروا بآيات ربهم مرة بعد أخرىٰ، فاستمروا علىٰ فسقهم وإعراضهم رغم الزّمن الطويل الّذي أُعطوه ليتوبوا.

﴿وَمَنْ﴾: الواو استئنافية، من استفهامية.

﴿أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾: جاء الخبر في هذه الآية بصورة الاستفهام؛ لتأكيد الكلام، وكأنّ المخبر بالخبر يدعو المستمع إلىٰ الإقرار ليقيم عليه الحجة ولم يأت بالجواب. ليقول أو يقر المستمع: لا أحد أظلم ممن فعل ذلك، أو ليس هناك أظلم من هذا الإنسان الّذي ذكّر بآيات ربه بالوعظ والإنذار والتّبليغ أو سمع آيات الله تتلىٰ عليه (القرآنية) أو شاهد الآيات الكونية ثمّ أعرض عنها.

﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾: ثمّ للترتيب والتّراخي في الزّمن، وعن تفيد المجاوزة والابتعاد، ولم يقل فأعرض عنها كما ورد في سورة الكهف الآية (٥٧): ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، الفاء: تدل علىٰ الترتيب والمباشرة فالإعراض في سورة السّجدة وقع بعد فاصل زمني بين التّذكير وحدوث الإعراض؛ أي: عدم التّصديق والرّفض، بينما الإعراض في سورة الكهف وقع مباشرة عقب التّذكير؛ لأنّ الّذين ذكّروا بآيات ربهم في قلوبهم أكنّة وفي آذانهم وقرٌ فلذلك أعرضوا مباشرة، فالإعراض في آية الكهف أسرع من الإعراض في سورة السّجدة.

فالمذكورون في آية السّجدة هم الّذين فسقوا وذكّروا بآيات ربهم فاستمروا

على فسقهم، وبعد زمن طويل أعرضوا عنها واستمروا على ذلك حتّى ماتوا ولم يتوبوا.

﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾: إنّا: للتعظيم، من المجرمين: أي هذا الّذي ذكّر بآيات ربه ثمّ أعرض عنها بعد مدة يدخل في زمرة المجرمين الّذين لم يؤمنوا، واستمروا على كفرهم وشركهم وعصيانهم. ارجع إلى سورة الجاثية آية (٣١)، وسورة الأنعام آية (٥٥) لمزيد من البيان في معنى المجرمين.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: قد تحقّق إيتاء موسى الكتاب منذ زمن طويل.

﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي آتيناه التّوراة، والإيتاء يختلف عن العطاء، لمعرفة المعنى ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

﴿فَلَا تَكُن﴾: الفاء للتوكيد، لا النّاهية، تكن: الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ، تكن ولم يقل فلا تك؛ أي: ليس هناك ما يدعو إلى شدة المِرية لاستعمال تكُ.

﴿فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾: في ظرفية، مِرية: المِرية هي الجدال بعد ظهور الحق أو تبيّن الحق، في مِرية من لقائه: لقاء موسى عليه السلام وكان ذلك ليلة الإسراء والمعراج فقد لقيه ﷺ في السّماء السّادسة.

ومن المفسرين من قالوا: فلا تكن في مِرية من لقائه؛ لقاء موسىٰ يوم القيامة حين الشّفاعة.

﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أي وجعلنا التّوراة أو موسىٰ أو كلاهما، هدىٰ لبني إسرائيل، أو الهدىٰ لبني إسرائيل للوصول إلىٰ الحق والرّشد وسبل السّلام والصّراط المستقيم.

[٢٤] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾: جعلنا؛ أي: من بني إسرائيل، أئمّة: أنبياء قدوة وهو المرجّح، أو هداة صالحين ليسوا بأنبياء.

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾: بأمرنا: بإذننا بإذن منّا، يهدون: يدعون النّاس إلىٰ طاعة الله وعبادته أو يهدون بالتّوراة.

﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾: ظرفية زمانية بمعنىٰ: حين صبروا علىٰ أذىٰ قومهم وصبروا علىٰ الدّعوة إلىٰ الله ومشاقّ التّكليف، وصبروا علىٰ فرعون وجنوده، أو لما: اللام للتعليل؛ أي: جعلناهم أئمّة لأجل صبرهم.

﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾: الباء للإلصاق والدّوام، بآياتنا: التّوراة والآيات الكونية وآيات الأحكام، يوقنون: من اليقين؛ أي: العلم بالحق الّذي لا يكون غيره؛ أي: يصدقون ويؤمنون ولا يشكّون فيها أبداً؛ آيات التّوحيد والبعث والآخرة، يوقنون: بصيغة المضارع تدل علىٰ التّجدد والاستمرار. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٤) لمزيد من البيان في اليقين.

[٢٥] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿رَبَّكَ هُوَ﴾: هو ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: بين الأنبياء وأممهم أو بين المؤمنين والكافرين. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٦٢): لمعرفة الفرق بين الحكم والقضاء والفصل.

﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: بين الأنبياء وأممهم أو بين الأمم أو الملل فيما كانوا في الدنيا فيه يختلفون من أمور الاعتقاد والدّين والحساب والثّواب والأعمال، والتّوحيد والإشراك وأهل الحق والباطل ومن علىٰ الحق ومن هو علىٰ الباطل، يختلفون باستمرار وتجدد وتكرار في الدّنيا.

الفرق بين الخلاف والاختلاف: الاختلاف أمر مشروع، ومنه الاختلاف المذموم والمحمود، أمّا الخلاف: منبوذ وهو من مظاهر الهوىٰ والعناد. والاختلاف قد يكون بين أفراد الأمة الواحدة، أو الاختلاف بين أمة وأمة، فحين يكون الاختلاف بين أفراد الأمة الواحدة يقول سبحانه: يقضي بينهم، وحين يكون الاختلاف بين الأمم أو الملل المختلفة يقول سبحانه: يفصل بينهم، والفصل يعني: يذهب فريق إلىٰ الجنة وفريق إلىٰ السعير، والفصل يعني: الحكم والفصل معاً، ولذلك الاختلاف بين الأمم أو الملل المختلفة يتطلب حكماً أولاً وفصلاً ثانياً، فالحكم: هو القضاء، وأما الفصل: فهو الحكم، والفصل: هو أشد وآكد،

والفصل: مشتق من جعل بينهما حاجزاً؛ أي: يجعل بينهما مسافة كأن يذهب أحدهم إلىٰ الجنة والآخر إلىٰ النار وينتهي الأمر.

[٢٦] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام، ولم يقل أفلم يهد لهم، ولم يقل أولم يروا، ما هي الفروق؟

١ - الفرق بين أولم يهد لهم وأفلم يهد لهم: الفاء تستعمل عادة إذا كان ما قبلها سبب ما بعدها، والفاء أكثر توكيداً وتهديداً أو توبيخاً.

٢ - الفرق بين أولم يهد لهم وأولم يروا: أولم يهد لهم تستعمل في سياق الآخرة عادة مثل العقوبات أو الأمور الّتي تحتاج إلىٰ تفكير وتدبر.

بينما أولم يروا تأتي في سياق عقوبات الدّنيا أو الأمور الدنيوية.

﴿يَهْدِ لَهُمْ﴾: لهم: كفار قريش ولغيرهم، لمَ لا يتفكرون ويتبين لهم.

والهداية تحتاج إلىٰ ثلاثة عوامل: هادٍ ومهديٍّ والشيء المهدىٰ إليه أو الغاية من الهداية، والهداية تحتاج إلىٰ علم وتفكر ورؤية مشتركة (بصرية وقلية).

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾: كم الخبرية وتفيد الكثير، وكم للسؤال عن العدد.

﴿مِن قَبْلِهِم﴾: من تفيد ابتداء الغاية، من: تعني من زمن قريب، وفيها تهديد ووعيد أشد من قوله: قبلهم بدون إضافة من، (وتحتمل الزّمن القريب أو البعيد)، بينما (من قبلهم) للتّذكير بإهلاك القريب، فيه تهديد أكبر من التّهديد

بإهـــلاك البعيد (قبلهم)، ولم يقل قبلهم؛ قبلهم: قد تعني الزمن القريب أو البعيد (غير محدد) كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ [يس:٣١]، ومن قبلهم (القرب) يدل علىٰ شدة الإنذار والتخويف.

﴿مِّنَ الْقُرُونِ﴾: جمع قرن والقرن يساوي (١٠٠) عام، وإذا قرن القرن بنبي قد يطول أكثر من (١٠٠) عام مثل قرن نوح دام (١٠٠٠) عام.

أو تعني قوماً عاشوا في زمن واحد.

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾: أي كفار قريش يمشـــون في مســـاكن قوم صالح (مدائـــن صالح) الحجر أو لوط في فلســـطين قرب البحـــر الميت أو الأحقاف (حضرموت). يمشـــون: تدل علىٰ التّجدد والتّكرار يمرون عليهم في أسفارهم وتجارتهم حين يذهبون إلىٰ بلاد الشّام.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: إن للتوكيـــد، واللام في كلمة لآيات للتوكيد، ذلك: اســـم إشارة واللام للبعد تشير إلىٰ ما حل بالأقوام السّابقة من هلاك.

﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾: الهمزة للاســـتفهام والتّوبيـــخ والتّقرير والتّعجّب، ألا تفيد التّنبيه علىٰ الاســـتماع إلىٰ أخبار الأقوام السّـــابقة الّتي أهلكناها، يسمعون سماع فائدة واتعاظ، واختيار حاسة السمع؛ لأنّهم قرون انقرضت ولم نعد نراها لذلك لم يقل أفلا يبصرون.

[٢٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: الخطاب ما زال لكفار قريش المكذبين بالبعث أنّا قادرون

على إحيائهم وبعثهم من جديد كما يشاهدون كيف نسوق الماء إلى الأرض الجُرُز، أولم يروا: الهمزة همزة استفهام للتعجب والتّقرير، ما: تستعمل في الأمور الدّنيوية أو العقوبات؛ أي: يمكن أن نرى آثارها، بينما (أولم يهد) تستعمل في أحوال الآخرة أو عقوبات الآخرة من باب التّبصر أو البصيرة وليس من باب الرّؤية، والرّؤية هنا رؤية بصرية ورؤية تفكر وتبصّر (رؤية فكرية) وتعني: أولم يعلموا.

﴿أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ﴾: أنّا للتعظيم، نسوق الماء: أي الرّياح تحمل السّحاب والملائكة يسوقون السّحاب أو يوجّهون السّحاب الّذي يحمل المطر.

﴿إِلَى﴾: تفيد الغاية.

﴿ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾: أي الأرض قُطع نباتها أو تمّ حصادها، أو أصبحت جُرزاً بسبب عدم الرّي والماء أو الرّعي وهي أرض صالحة للزراعة.

﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، به: بالماء، زرعاً: نباتاً أو حباً جديداً.

﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾: تأكل منه: من النّبات أو الزّرع أو الحب أو التّبن أو الورق، أنعامهم: الإبل والبقر والغنم والماعز، وأنفسهم: يأكلون من الحب والزّرع والثّمر وغيرها.

﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾: أفلا: الهمزة للاستفهام التّقريري والتّعجّب، أفلا يبصرون: رؤية بصرية بأعينهم إلى قدرة الله على الخلق والبعث، أفلا يبصرون تلك النّعمة فيهتدون إلى الخالق فيعبدونه ويشكرونه، ويتكرر ويتجدد هذا البصر.

قدّم الأنعام على الــزّرع؛ لأنّ الأنعام تحتاجه لتأكل منــه فهو قوام حياتها وقدّم الأنعام على النّاس؛ لأنّ الأنعام هي طعام وقوام حياة النّاس (اللبن واللحم وغيرها..).

مقارنة أفلا يسمعون وأفلا يبصرون:

أفلا يسمعون: ما يُروى لهم ويُقصّ عليهم من هلاك الظّالمين الّذين جاؤوا من قبلهم أمثال قوم هود وصالح ولوط، وصل إليهم عن طريق السّماع ويرشدهم إلى الهداية لعلهم يهتدون ويتعظون ويؤمنون.

أفلا يبصرون: الكلام هنا عن شــيء مشاهد بالعين والبصر مثل: السّحاب والمطر والزّرع والأنعام، فناســبها قوله: أفلا يبصرون ويهتدون إلى قدرة الخالق وعظمته ويؤمنوا به ويوحّدوه.

[٢٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

﴿وَيَقُولُونَ﴾: كفار قريش ومنكرو البعث، ويتجدد قولهم ويتكرر مرات كثيرة.

﴿مَتَىٰ﴾: للاستفهام عن الزّمان، واستعمالها يدل على استفهام فيه استبعاد أو ربما استهزاء وفيه معنى البطء؛ أي: متى سيحدث هذا الأمر أو الفتح المستفهم عنه فقد تأخّر طويلاً.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يفيد القرب.

﴿ٱلْفَتْحُ﴾: له معانٍ متعدّدة تشمل:

١ - الفصل بيننا وبينكم، والقضاء والحكم بين المشركين والمؤمنين.

٢ - النّصر بدون قتال وحرب مثل فتح مكة وفتح الحديبية.

٣ - يوم القيامة يوم يفصل بين المؤمنين وأعدائهم.

٤ - غزوة بدر.

٥ - النّصر بشكل عام.

٦ - إظهار الحق ودحر الباطل.

والفتح جاء معرفاً بأل التّعريف؛ يعنـي: يوم القيامة وهو الأرجح، والفتح قد يكون فتحاً مادياً أو معنوياً، قالوا ذلك ويكررون سؤالهم: متىٰ هذا الفتح؟ إمّا تكذيباً أو استهزاءً به أو بالفصل والحكم وبكلّ المعاني الأخرىٰ.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: إن: شـرطية تفيد الشـكّ أو الاحتمال أو النّدرة؛ أي: نشكّ في كونكم صادقين في إنذاركم أو وعيدكم بالفتح.

[٢٩] ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل لكفار مكة ومنكري البعث والحساب ولقاء الله تعالىٰ.

﴿يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ﴾: أي يـوم الفتح: يوم القيامة (يوم البعث أو يوم الفصل) لا ينفع الّذين كفروا إيمانُهُم إذا آمنوا حينذاك أو تابوا كقوله تعالـىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨].

وإذا كان الفتح يقصد به فتح مكة أو يوم بدر، فكيف يفسـر قوله تعالىٰ: (لا

ينفعُهُم إيمانهم) وقد نفع يوم فتح مكة أو غزوة بدر بعض النّاس وآمنوا بعد ذلك. يمكن القول: أراد بالّذين كفروا لا ينفعهم إيمانهم؛ أي: المقتولين حال القتل كما حصل لإيمان فرعون حين أدركه الغرق لم ينفعه.

﴿وَلَاهُمْ يُنظَرُونَ﴾: ولا النّافية، هـم للتوكيد، ينظرون: يمهلون أن يتوبون أو يعتذرون أو يؤخر عنهم القتل أو العذاب (عذاب جهنم).

[٣٠] ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾:

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: الفاء للتوكيد والمباشرة، أعرض عنهم: انصرف عنهم واتركهم في تكذيبهم ولا تجادلهم أكثر من ذلك، عن: تفيد المجاوزة والابتعاد.

﴿وَانتَظِرْ﴾: وعد الله عز وجل بالنّصر والغلبة عليهم أو هلاكهم، أو انتظر يوم القيامة أو موتهم.

﴿إِنَّهُم﴾: للتوكيد.

﴿مُّنتَظِرُونَ﴾: بك ريب المنون؛ أي: الموت أو الغلبة عليك، أو القتل أو حادث يمنعك ويكفّك عن إتمام دعوتك. (منتظرون): صفة ثابتة لهم؛ أي: منتظرون في كلّ الأزمنة؛ أي: على الدوام.

❖❖❖

نصف الحزب ٤٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن
رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى
جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ
وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ
يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ
هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ
فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم
بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا
﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ
وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم
مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

سورة الأحزاب [الآيات ١ - ٦]

ترتيبها في القرآن السّورة (٣٣)، وترتيبها في النّزول السّورة (٨٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾: يا أداة نداء للبعد، أيّها: الهاء في أيّها للتنبيه، النّبي: نداء تشريف وتكريم فلم يناده كما نادىٰ نوحاً وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ، فقال: يا نوح، يا إبراهيم، يا موسىٰ، يا عيسىٰ.

ولم ينادي سبحانه وتعالىٰ نبيه محمّد باسمه محمد إلا في أربع آيات لأسباب خاصة، وهي:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمّد: ٢].

وورد اسم أحمد في آية واحدة وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصّف: ٦].

وليس في هـذه الآيات الأربع نداء أو خطاب إلىٰ رسـول الله ﷺ، وإنما إخبار عن شأن من شؤونه ﷺ.

ففي كافة القرآن لم ينادِ الله سـبحانه وتعالـىٰ نبيه محمّداً ﷺ إلا بقوله: يا أيّها النّبي، أو يا أيّها الرّسول تشريفاً له.

وفي سـياق الرّسـالة والدّعوة والتّبليغ يخاطبه أو يناديه: يا أيّها الرّسـول كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة ٦٧].

وفي سياق الجانب الشّـخصي أو الفردي أو الاجتماعي يخاطبه أو يناديه يا أيّها النّبي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ [الأحـزاب:٢٨]، وكقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ [الأنفال:٧٠].

ولنعلم أنّه حين ينادي أو يخاطب الله تعالىٰ رسوله ﷺ؛ المقصود بالنداء والخطاب هو أمته؛ لأنّه ﷺ هو قائد ورسول هذه الأمة وقدوتها.

واعلم أنّ كلّ رسول هو نبي، وليس كلّ نبي رسولاً.

﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾: تعريف التّقوىٰ بشـكل عام أن تتقي سخط الله وغضبه وناره، بـأن تجعل بينك وبينه وقاية، أيْ: حاجزاً يمنع عنك سـخطه وغضبه وناره ويتم ذلك بامتثال وإطاعة أوامره وتجنب نواهيه. والسّـؤال: كيف يأمر الله عز وجل رسوله بالتّقوىٰ وهو سيد المتقين؟

وقوله: اتق الله؛ أي: استقم علىٰ تقوىٰ الله تعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هـود:١١٢]، والتّقوىٰ بالنّسبة للرسول غير التّقوىٰ بالنّسبة لسائر الخلق، أو كما قلنا: الخطاب إلىٰ الرّسول والمراد به أمته.

تقوىٰ تناسب مقام المخاطب ولا يعني اتق الله، أنّ رسول الله ﷺ يعصي ربه فيأمره بالتّقوىٰ، ومن المفسرين من فسر اتق الله بقضية تبني زيد، أي: ادع زيداً لأبيه وهو ليس ابنك وأنت لست أبا أحد من الرّجال، كما سنرىٰ في الآيات (٤-٥).

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: حين سألوه أن يطرد الّذين يدعون ربهم أيْ: يطرد أتباعه من ضعفاء المسلمين حتّىٰ يجلسوا ويستمعوا إليه. أو نزلت في أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور السلمي حين قدموا إلىٰ المدينة، وسألوا رسول الله ﷺ أن يرفض ذكر اللات والعُزىٰ ومناة، ويقول: إن لها شفاعة فشقَّ علىٰ النّبي قولهم. (رواه الواحدي في أسباب النّزول).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: إنّ للتوكيد، كان تشمل كلّ الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، كان ولا زال وسيظل عليماً حكيماً.

عليماً: صيغة مبالغة تعني: كثير العلم أحاط علمه سبحانه بجميع خلقه وكونه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السّموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وعليم بما يقال في السّر والعلن وعليم بنوايا عباده.

حكيماً: أحكم الحكماء، وأحكم الحاكمين، حكيم في تدبير خلقه وكونه وشرعه، حكمته مقرونة بالعلم والقدرة والخبرة.

[٢] ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾:

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: واتبع ما: بمعنىٰ الّذي يوحىٰ إليك من

ربك، وما: أوسع شمولاً من الذي؛ أي: القرآن. ارجع إلى سورة النّساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان في معنى يوحى إليك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾: ارجع إلى الآية السّابقة.

﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: الباء للإلصاق والدّوام دائم العلم بما تعملون، خبيراً: أيْ: يعلم بواطن الأمور وخفاياها، ومن يعلم ذلك من البديهي أن يعلم ظواهرها. صيغة مبالغة من الخبرة.

وقدَّم العمل (بما تعملون) على (خبيراً)؛ لأنّ السّياق في التّقوى والطّاعة والعمل واتباع الوحي.

[٣] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: أيْ: رُدَّ أمرك إلى القائم بتدبير خلقه وتدبير كلّ الأمور راجياً عونه وتيسيره وتوفيقه للوصول إلى الغاية بعد اتخاذ كلّ الأسباب المطلوبة. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩) لمزيد من البيان في التوكل.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: أيْ: يكفي أو حسبك بالله: الباء للتوكيد، حافظاً ومدبراً ومعيناً.

[٤] ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾:

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾: ما النّافية، جعل: خلق الله، لرجل: اللام لام الاختصاص والتّعليل، من قلبين في جوفه: من استغراقية ولبيان الجنس،

والجعل يكون بعد الخلق أيْ: لم يجعل الله لأحد قلبين في صدره، وهذه حقيقة علمية، وهناك الكثير من التشوهات الخلقية تحدث في القلب، ولكن لم يُعثر على أحد خُلق وله قلبان.

وذكر بعض المفسرين أن هذه نزلت في بعض الأفراد من بني فهر أو بني جمح من قريش يُضرب بهم المثل في الحفظ والذاكرة أو الدهاء.

وقيل: ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه هو مثل ضربه الله للذي يُظاهر امرأته والمتبني ولد غيره، أيْ: كما لم يجعل الله لرجل قلبين في جوفه لم يجعل زوجة لرجل أماً له، ولم يجعل أيَّ ابن بالتبني ابناً حقيقياً للأب المتبني، ولذلك قال تعالىٰ: ادعوهم لآبائهم فقط.

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾: فقد كان شائعاً عند العرب وقريش زمن الجاهلية عادة اجتماعية تسمَّىٰ الظّهار، فحين يحدث بين الرّجل وزوجته نشوز أو كره كان يقول لها: أنت كظهر أمّي، أيْ: أنت عليّ محرمة كحرمة أمّي فتصبح عليه محرمة إلىٰ الأبد (تشبه الطّلاق)، فلما جاء الإسلام جعل لها كفارة ولم يعتبرها طلاقاً؛ لأنّ الزّوجة ليست أمّاً له كما ادَّعىٰ، وحدَّد هذه الكفارة إمّا بعتق رقبة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.

قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٣-٤].

واستعمل كلمة اللائي هنا بدلاً من اللاتي؛ لأنّ اللائي بالهمزة أثقل من التّاء في اللاتي، واللائي يستعملها فقط في آيات الطّلاق، والظّهار فهو يستعمل أثقل الحروف مع أثقل الحالات وهي الطّلاق والظّهار، وكلمة اللائي مشتقة من اللأْي، أيْ: الاحتباس والشّدة، وهذا ما يناسب حالتي الطّلاق والظّهار اللتين في معناهما حبس النفس والشّدة.

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾: وظاهرة أخرىٰ كانت شائعة في الجاهلية وفي مطلع الإسلام هي التّبني، وأجمع أهل التّفسير علىٰ أنّ هذه الآية نزلت في زيد بن حارثة، وروىٰ الأئمّة أنّ ابن عمر قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمّد حتّىٰ نزلت ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ رواه البخاري، ورواه الواحدي في أسباب النّزول.

الدّعي: هو الّذي تدعي أنّه ابن لك بالتّبني، فأراد الله سبحانه أن يبطل ذلك فأنزل هذه الآية، ودعا الله سبحانه رسوله ﷺ والصّحابة وعامة المسلمين أن لا يدعوا أدعياءَهم أبناءَهم، وأن يدعوهم لآبائهم، وأظهر الله سبحانه أن:

﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾: ذلكم اسم إشارة واللام للبعد والكاف للخطاب، ذلكم تشير إلىٰ الادّعاءات الثّلاثة: أن رجلاً له قلبان في جوفه، وأزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمّهاتكم، وأدعياءَكم أبناءَكم هي مجرَّد أقوال باطلة لا حقيقة لها، وما يقوله الله سبحانه هو الحق بعينه، أيْ: حق اليقين.

ذلكم: ولم يقل ذلك؛ لأنّها تشمل عدة أمور، وليس أمراً واحداً ولأنّها أمور بالغة الأهمية.

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾: أي: الصدق والحق هو الأمر أو القول الثابت الّذي لا يتغيَّر أو لا يكون غيره.

﴿وَهُوَ﴾: هو ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾: أي: ادعوهم لآبائهم ولا تدعــوا أزواجكم أمّهاتكم ذلك هو السّبيل: الإسلام الصّحيح.

[٥] ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾: انسبوهم لآبائهم الّذين ولدوهم فلان بن فلان أو هو ابن فلان، لا تقولوا: زيــد بن محمّد ﷺ قولوا: زيد بن حارثة، لآبائهم: اللام لام التّعليل والتّوكيد والاختصاص.

﴿هُوَ﴾: ضمير للتوكيد.

﴿أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: على وزن أفعل التّفضيل نقول: هذا قِسْــط وهذا أقسط مثل عدل وأعدل، أيْ: ما يرشــدكم الله سبحانه إليه أقســط وأعدل ولماذا قال تعالى: أقسط وأعدل؟ أقسط من ماذا؟

ما اختاره رسول الله ﷺ حين نسب زيد إليه بقوله: زيد بن محمّد يُعدُّ قِسطاً وعدلاً بشرياً، ولكن الله ســبحانه يبيِّن لنا الأقسط (الأفضل والأعدل) من ذلك بأن ندعوهم لآبائهم، ونقول: زيد بن حارثة.

والفرق بين القســط والعدل: القسط هو العدل البيِّن الظّاهر، ولذلك سُمِّي

المكيال قسطاً؛ لأنّه بيِّن، والقسط يعني أيضاً تطبيق العدل وليس فقط الحكم بالعدل، ولا بُدَّ من تطبيق الحكم بالعدل ليدعىٰ قسطاً.

﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، إن شرطية تفيد الشّك أو الاحتمال، أيْ: في حالة احتمال لم يتبيَّن لكم من هم آباؤهم الّذين ولدوهم، ولم للنفي نفي الحال.

﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾: أيْ: هذا أخي كذا وكذا، هذا أخي زيد ولا تقولوا: هذا ابني زيد علىٰ شرط أنّهم أسلموا.

والأخوة في الدّين: هي الأخوة الحقيقية، وتعتبر أهم وأقوىٰ من أخوَّة الدّم والنّسب.

﴿وَمَوَٰلِيكُمْ﴾: أنصاركم (الخدم) ادعوهم بالقول: يا ابن العم وإن كانوا عتقاء محرَّرين نادوهم: يا أخي أو يا مولاي.

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾: وليس للنفي أيْ: ليس عليكم جناح: أيْ: الإثم أو الذنب، والجناح: أعم من الإثم والذنب ويقتضي العقاب فيما أخطأتم به، في ظرفية، ما: اسم موصول بمعنىٰ الّذي أخطأتم به قبل النّهي أو نزول هذه الآية أو أخطأ باللسان من دون قصد ظناً أنّه ابنه، وليس عليكم جناح ولم يقل: ولا جناح عليكم: لا جناح أشد وأقوىٰ من قوله ليس عليكم جناح؛ لأنّ لا جناح عليكم جملة اسمية، وليس عليكم جناح جملة فعلية والجملة الاسمية أقوىٰ وأثبت من الفعلية، ولذلك لا جناح عليكم: تأتي في سياق الأمور الهامة، أو الأوامر مثل: العبادات، والحقوق الزوجية، والعقيدة، وتستعمل ليس عليكم: في القضايا أو الأمور الأقل أهمية، والنادرة كما في هذه الآية.

﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: أيْ: بعد النّهي: لكن استدراك يفيد التّوكيد، ما تعمَّدت قلوبكم: أي: التّعمُّد والقصد في مخالفة أوامر الله بعد نزول الحكم عندها يكون عليكم جناح أيْ: إثم. ارجع إلىٰ سورة النّساء آية (١٠١) لبيان معنىٰ جناح.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: كان تشمل كلّ الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، غفوراً: صيغة مبالغة، غفوراً لمن تاب وأصلح ورجع عن خطئه، رحيماً: صيغة مبالغة، لم يعجل بالعقوبة لمن عصىٰ وأخطأ لعله يتوب وبعد أن يتوب يقبل توبته ويغفر له. يغفر الذنوب جميعاً إلا الكفر والشّرك به.

[٦] ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾:

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: أولىٰ: أحق، ولهذه الآية عدة معانٍ، منها:

١ - إذا دعاهم الرّسول إلىٰ شيء مثل الخروج في سبيل الله ودعتهم أنفسهم إلىٰ شيء آخر كانت طاعته أولىٰ (أحق) من طاعة أنفسهم، أيْ: إذا تعارض مراد الرّسول مع مراد أحد من النّاس أن يقدم مراد الرّسول كائناً من كان، وأن يفدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، أي: الرّسول أوّلاً وأنفسهم ثانياً.

٢ - أيْ: له الحق أن يحكم فيهم بما يشاء أو يقضي بينهم بما يشاء، أيْ: حق النّبي من أعظم الحقوق.

٣ - أولىٰ بالمؤمنين، أيْ: أرق وأرحم بهم وأعطف عليهم من أنفسهم؛ لأنّ أنفسهم قد تدعوهم إلىٰ الهلاك والنّبي يدعوهم عادة إلىٰ النّجاة؛ لأنّه بالمؤمنين رؤوف رحيم.

٤ - إذا مات المسلم دون أن يؤدِّي ما عليه من الدّين كان ﷺ يتحمل الدّين عمن يموت ويؤدِّي عنه دينه.

﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾: تشبيه بليغ، أيْ: مثل أمهاتهم في الاحترام والتّعظيم وحرمة النّكاح، والأم: تعني الوالدة.

فلا يحل لأحد من الخلق أن يتزوج بواحدة من أمّهات المؤمنين (زوجات الرّسول ﷺ) كما لا يحل له أن يتزوج بأمّه.

يجب تعظيمهنَّ واحترامهنَّ وعدم الطّعن بأي واحدة منهنَّ احتراماً للنّبي ﷺ سواء مات عنها النّبي أو لم يمت.

﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ﴾: الأقارب.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾: أولىٰ بميراث بعضهم بعضاً في حق الإرث.

﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: في شرع الله أو في القرآن الكريم أو اللوح المحفوظ.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾: بالمؤاخاة أو بالمهاجرة، فالمؤاخاة والمهاجرة لا تعطي حق الإرث للمسلم، كما كان في مطلع الإسلام، إذن الأقارب أحق بالإرث من المؤمنين المهاجرين بالحلف أو المؤاخاة والمهاجرة، فما حدث أنّ المهاجرين لما هاجروا من مكة إلىٰ المدينة تركوا أموالهم وأهلهم وديارهم ولم يشأ الأنصار أن يتركوهم من دون مساعدة أو مال، فكانوا من شدة

إيثارهم لإخوانهم يقدِّمون لهـــم نصف أموالهم وممتلكاتهم، وحين ألف وآخىٰ رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار اقتضت هذه المؤاخاة أن يرث المهاجر أخاه الأنصاري، فلما أعز الله الإســـلام والمسلمين وأوجد له طرق العيش أراد الحق ســـبحانه أن تعـــود الأمور إلىٰ طبيعتها، ولم يعد هنـــاك ضرورة؛ لأن يرث المهاجر أخاه الأنصاري، فجاءت هذه الآية فقالت: وأولو الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض.

﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗا﴾: إلا أداة استثناء، أن تفعلوا: أن تعليلية، تفعلوا إلىٰ أوليائكم معروفاً: هنا ترك الله ســـبحانه باب الإحسان مفتوحاً، فقال: أيّهـــا الأنصار أو المؤمنين عامة إذا أردتم أن تحســـنوا إلىٰ إخوانكم المؤمنين أو المهاجرين بالوصية، فذلك جائز ومســـطور في اللوح المحفوظ، أيْ: مكتوب، والقريب أولىٰ بالوصية من الأجنبي إذا كان القريب لا يرث، وهذا يعرف باســـم الولاية بالدّين.

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾: ذلك اســـم إشارة علىٰ ما ذكر من حق الوراثة والإحسان إلىٰ الإخوان المؤمنين في الدّين مكتوباً ومسطوراً في اللوح المحفوظ أو في القرآن الكريم، ومسطوراً: لا يحل تبديله أو تغييره.

❖❖❖

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟
زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ
مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۛ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ
لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟
ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾

سورة الأحزاب [الآيات ٧ - ١٥]

[٧] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾: أيْ: واذكر إذ أخذنا، أو إذ ظرفية واذكر حين أخذنا، أخذنا: بصيغة الجمع: للتعظيم.

﴿مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾: من ابتدائية واستغراقية، ميثاقهم: الميثاق عهد موثق أو مؤكد باليمين وأوثق الشّيء أحكم شده، ويتم بين اثنين، وهنا تم بين الله سبحانه من طرف وبين النّبيين من طرف ثانٍ، ولم يقل: الميثاق، وإنما نسب الميثاق لهم فقال: ميثاقهم؛ لأنّه مهم بالنّسبة لهم؛ لأنّ عليهم الالتزام به وتنفيذه وأن يكونوا للنّاس قدوة.

ما هو الميثاق الّذي أخذه الله من النّبيين: هو أن يعبدوا الله تعالىٰ وحده ويدعوا إلىٰ توحيده (لا إله إلا الله) وإلىٰ عبادته وإقامة دينه ويبلغوا رسالته، وقيل: هو أن يصدق بعضهم بعضاً وينصر بعضهم بعضاً، كما ورد في الآية (٨١) من سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾، ولم يكن هناك رسول واحد عُرضت عليه الرّسالة أو الميثاق فرفضها.

والسّؤال متىٰ أخذ الله هذا الميثاق من النّبيين؟

١ - قيل: حين خرجوا من ظهر آدم كالذّر، كما ورد في سورة الأعراف الآية (١٧٢): ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

٢ - وقيل حين اصطفىٰ الله سبحانه رسلَه وأنبياءَه من البشر ليكونوا رسلاً وأنبياءَ ويبلغوا رسالته وشرعه، فكانت المسألة مسألة إيجاب وقبول.

﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾: الواو واو الجمع المطلق: أيْ: أخذْنا من هؤلاء ومن غيرهم من الرّسل، وهنا عطف الخاص علىٰ العام من النّبيين (العام) ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ابن مريم (الخاص)، أيْ: عطف الخاص علىٰ العام للتوكيد علىٰ أهمية هؤلاء الرّسل الخمسة الّذين اختارهم من بين الرّسل وسماهم أولو العزم من الرّسل.

وقدَّم نبينا محمّد ﷺ تشريفاً وإكراماً له علىٰ بقية الرّسل ولفضله عليهم وأنّه للناس كافة، ثمّ ذكر نوحاً عليه السلام ولم يذكر آدمَ عليه السلام الأب الأوّل، وذكر هؤلاء الرّسل؛ لأنّهم أصحاب الكتب والشّرائع ولفضلهم علىٰ بقية الرّسل والأنبياء فنوح هو أبو البشر وإبراهيم أبو الأنبياء ومحمّد ﷺ للناس كافة بشيراً ونذيراً ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: وأخذنا التّكرار للتوكيد، ميثاقاً غليظاً: وهو الميثاق نفسه الّذي ذكر سابقاً وغليظاً يدل علىٰ اليمين أو القسم المؤكد علىٰ الوفاء بما حُملوا.

[٨] ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

﴿لِّيَسْـَٔلَ﴾: اللام لام التّعليل.

﴿ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾: أي: الرّسل والأنبياء، وهذا السّؤال سيكون يوم

القيامة، وسؤالهم هذا لا يقصد به الشّك في صدقهم أو عدم تبليغهم ما أرسلوا به، وإنما هو ليقيم الحُجَّة على الصّادقين وعلى الّذين كذبوا رسلهم.

وما هو السّؤال الّذي سيسألونه هو: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١٠٩]، أيْ: هل بلغتم ما أرسلتم به، فيؤتى بالرّسول ﷺ وبالرّسل وأولو العلم كما قال تعالى؛ ليشهدوا على الّذين كذبوا رسلهم ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٤١]، ﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج:٧٨]، ليشهدوا على المؤمنين الّذين آمنوا برسلهم، وعلى الكافرين الّذين كذبوا رسلهم، وإذا قارنا هذه الآية ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ مع الآية (٢٤) من نفس السورة، وهي قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ نجد ليس بينهما صلة، فالأولى: تتعلق بالسؤال، والثانية: تتعلق بالجزاء، والأولى: جاءت في سياق الكافرين، والثانية: جاءت في سياق المنافقين؛ ارجع إلى كلا الآيتين لمزيد من البيان.

[٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نداء جديد للذين آمنوا بالتّذكير بنعمة جديدة وهي ما حدث ليلة الأحزاب في السّنة الخامسة للهجرة.

﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾: إذ ظرفية فجائية، (في غزوة الخندق وتسمى غزوة الأحزاب)، أي: اشكروا واحمدوا ربكم، إذ جاءتكم وأنتم على ظهر جبل سُلْع، جنود المشركين من قريش بقيادة أبي سفيان وجنود من بني أسد وغطفان وعامر وسليم والنّضير وبني قريظة، وقيل: كان عددهم حوالي (١٠ آلاف) مقاتل، وكان عدد جيش المؤمنين (٣ آلاف) مقاتل.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾: الرّيح في القرآن تحمل الشّر بينما الرّياح تحمل الخير، أيْ: ريحاً شديدة قوية اقتلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم وأكفأت قدورهم وأذاعت الذّعر فيهم.

﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾: أي: الملائكة الّذين اقتلعوا أوتادهم وأكفؤوا قدورهم ودبُّوا الهلع والرّعب في جنود المشركين؛ مما اضطرهم إلى الهرب والانسحاب من أرض المعركة بسرعة ومن دون قتال.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾: كان ولا زال وسيظل في المستقبل بما تعملون بصيراً، الباء للإلصاق والإلزام، ما اسم موصول بمعنى الّذي وقد تكون مصدرية، بما تعملون بصيراً: قدَّم العمل على (بصيراً) لأنّ السّياق في العمل، وتعملون: تضم الأقوال والأفعال، أيْ: من حفر الخندق والاستعداد للمعركة.

[١٠] ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرفية فجائية، أيْ: واذكر إذ، أو اذكروا حين.

﴿جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾: من ناحية الشّرق من أعلى الوادي وهم غطفان وبنو قريظة وبنو النّضير، بقيادة عيينة بن حصن من فوقكم: أيْ: كأن جيش المشركين هبط على المؤمنين من فوقهم مباشرة.

﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: من أسفل الوادي من ناحية الغرب وهم قريش وكنانة. وأسفلَ: جاءت منصوبة؛ لأنها ممنوعة من الصرف، وقوله من فوقكم ومن أسفل منكم: لكي يحاصروكم فلا تستطيعوا الفرار، ولم يقل من تحتكم لعدم وجود فاصل يفصل بين الطرفين.

﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾: واذكر إذ زاغت الأبصار: زاغ البصر مال يمنة

ويسـرة، أي: اضطرب من شدة الفزع، وقيل: زاغت الأبصار لم تعد تنظر إلا إلى عدوها لشدة الخوف والرّوع، أو لم تعد تتحرك في الاتجاهات الطبيعية لحركات العين أو محاورها العادية.

﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾: اضطربت القلوب من شدة الفزع حتّى أصبحت ضربات القلب كأنّها تخرج أو صادرة عن الحناجر، أيْ: كأنّ القلوب تحركت وارتفعت إلى أن وصلت الحناجر من شدة النّبض القوي الّذي يصل إلى الحناجر، وما يسمّى النبض القافز.

﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾: أيْ: تظنون بالله الظّنون المختلفة والكثيرة، الخطاب موجّه للمؤمنين، كلٌّ حسب ظنه، حسب إيمانه، ظنون مختلفة منكم قوي الإيمان وضعيف الإيمان والمنافق، قوي الإيمان يظن أنّ الله سينصر رسوله والمؤمنين، وضعيف الإيمان يظن أن المشركين سينتصرون ويدحرون المؤمنين، وبما أنّ هذه الظّنون كثيرة لا حصر لها أطلق كلمة الظّنونا بدلاً من الظنون؛ لتدل على كثرتها وعدم حصرها، وقال: الظّنونا جاء بأل التّعريف لكونها كثيرة فهي معلومة عند الله وعند الصّحابة، فهي معارف؛ لأنّها تدور حول النّصر والغلبة، وزيادة الألف زيادة في المبنى، أيْ: تشير إلى زيادة في المعنى.

[١١] ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾:

﴿ هُنَالِكَ ﴾: اسم إشارة للمكان البعيد أيْ: في غزوة الخندق، ولم يقل: هناك اسم إشارة للمكان المتوسط.

﴿ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾: بالخوف والجوع وشدة الحصار، ابتُلي المؤمنون ليتبيَّن الّذين صدقوا في إيمانهم والكاذبين.

﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾: زلزلوا: كلمة مركبة من زل زل، وزل ومعناها سقط

أو وقع من مكانه، وزل الثّانية تعني نفس ذلك، أيْ: سقط أو وقع من مكانه مرة أخرىٰ، فهناك وقوع أوّل ووقوع ثانٍ، والوقوع الثّاني ليس استمراراً للوقوع الأوّل وإنما هو وقوع جديد.

﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾: تعني: إصابتهم بالمصائب الكبرىٰ المتكررة والواحدة بعد الأخرىٰ، وهي لا تتكرر علىٰ نمط واحد، وإنما يتكرر عددها أصيبوا بكثير من عوامل الزّلزلة، ومنها الخوف والذعر من قوة العدو (١٠) آلاف مقابل (٣) آلاف من المسلمين، أيْ: قلة عددهم وأصيبوا بالمجاعة والبرد الشديد، وما أظهره المنافقون من تخاذل، ونقض بني قريظة عهدهم مع الرسول ﷺ وانضموا إلىٰ الأحزاب.

[١٢] ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾:

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: ظرفية فجائية، أيْ: واذكر إذ يقول المنافقون أو اذكر حين قال المنافقون. جمع منافق وهو الّذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر، أو من لا يوافق قلبه لسانه.

يقول: بصيغة المضارع لتدل علىٰ تجدُّد وتكرُّر قولهم، ولم يقل: وقال المنافقون والذين في قلوبهم مرض.

﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: الرّيبة أو الشّك.

﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾: ما النّافية، وعدنا الله ورسوله، بالنصر أو الفتح أو الغلبة علىٰ المشركين.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿غُرُورًا﴾: إلا باطلاً أو وهماً لا صحة له، والغرور إيهام الآخر علىٰ فعل

شـــيء يضره إذا فعله مع حجب وجه الصواب عنه، والغرور قد يؤدي إلىٰ هلاك المال والنفس والغرور قد يسمىٰ خداعاً والخدع يسمىٰ غروراً علىٰ التوسع.

[١٣] ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾:

﴿ وَإِذْ ﴾: واذكر إذ قالت طائفة منهم، أو اذكر حين قالت طائفة منهم.

﴿قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾: قالت طائفة: جماعة (قيل: هم بنو حارثة).

والطائفـــة: يطوفون أو يجتمعون علىٰ عقيدة واحدة خير أو شـــر، وتعني: التعصب والولاء لجماعة معينة.

﴿يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾: يا أهل المدينة (المدينة المنورة كانت تسمَّىٰ يثرب قديماً) وسماها رسول الله طيبة أيضاً.

﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾: أيْ: لا إقامة ولا مكان لكم (خاصة) هاهنا في سفح جبل ســـلع عند الخندق، والمُقام بضم الميم مكان الجلوس والإقامة والسّـــكن والبقـــاء، والمَقام بفتح الميم مكان القيام الوقـــوف مثل المكان الّذي وقف عليه إبراهيم يبني الكعبة.

فارجعوا: الفاء للمباشـــرة الآن ارجعوا: إلىٰ المدينة ارجعوا إلىٰ منازلكم واتركوا محمّداً وأتباعه في جبل سلع.

﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ ﴾: في الرّجوع إلىٰ بيوتهم.

﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾: بحُجَّـــة أن بيوتنا: إن للتوكيـــد، عورة: غير حصينة أمـــام العدو، ذهب عنها السّـــتر أو ليس لها حائط عـــال، أو محصنة أو خالية من الرّجال؛ لأنّهم ستر لها ويحفظونها عورة، يعني: لا تمنع من أرادها بسوء.

﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾: ما النّافية، هي بعورة: هذا ردُّ الله عليهم، بل هي حصينة والعلَّة أو السّبب الحقيقي هو.

﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾: إن تفسيرية تعليلية، إلا: أداة حصر، فراراً: الفرار: هو الهرب بسرعة مع الخوف، وبدون محاولة التستر، والهرب: هو الجري بسرعة مع الخوف ومحاولة التستر؛ أي: بالخفاء من القتال مخافة القتل أو الهزيمة.

[١٤] ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾:

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾: ولو: شرطية، دخلت عليهم: أن لو أن الأحزاب (قريش) دخلوا المدينة المنورة.

﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾: من جميع الجوانب أو نواحي المدينة من الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب، ولو دخل عليهم العدو الغازي المدينة من جميع أقطارها، واستولوا عليها.

﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾: طُلب من هؤلاء الّذين يقولون: إن بيوتنا عورة الرّدة أو العودة إلىٰ الشّرك، أو مقاتلة المسلمين، ثمّ: للترتيب الذّكري، وليس الزّمني.

﴿لَآتَوْهَا﴾: لبادروا في التّخلي عنها وتركها وإعطاء الدّيار للعدو.

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾: أيْ: لأعطوهم ما طلبوا وأسرعوا في الإجابة، وما تلبثوا: ما أقاموا فيها إلا الزّمن اليسير، إذن قولهم: عورة، مجرَّد حُجَّة باطلة.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾: قيل: من قبل غزوة الخندق، وكان ذلك يوم غزوة أُحد، أو بعد بدر الكبرىٰ قالوا ذلك (أيْ: من فاتهم بدر): والله لئن شهدنا

قتـــالاً لنقاتلنَّ معك، وقيل: كان ذلك في بيعة العقبة حين عاهدوا الرّســـول على النّصر والمؤازرة.

﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾: لا النّافية، والنّون في يولون للتوكيد أيضاً.

لا ينهزمون من أرض المعركـــة، وكنىٰ عن الفرار والانهزام بتولي الأدبار؛ لأنّ المنهزم الفارَّ يولي دبره، ولم يقل: ظهره للتوبيخ والتّبكيت الشديد.

﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾: العهد هو وعد مع شرط، أيْ: مطلوباً من صاحبه بالوفاء ومحاســـب علىٰ تركه فهم نقضوا عهدهم حين سألوا رسول الله بالإذن لهم بالرّجوع إلىٰ بيوتهم بحُجَّة أنّ بيوتهم عورة وما هي بعورة.

❖❖❖

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا
لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ
أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ
لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَٱلَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم
بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ
ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ
لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ
فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم
مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٢

سورة الأحزاب [الآيات ١٦ - ٢٢]

[١٦] ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿قُل﴾: لهم يا رسول الله ﷺ.

﴿لَّن﴾: حرف نفي لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ﴾: هو الجري بسرعة مع الخوف وعدم محاولة التستر أو اللواذ بشيء ما. أمّا الهرب فهو الجري بسرعة مع محاولة الخفاء والسّتر.

﴿إِن فَرَرْتُم﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال أو الشّك في أمر الفرار، ولم يقل: إذا فررتم الّتي تفيد حتمية الفرار أو بكثرة.

﴿مِّنَ ٱلْمَوْتِ﴾: من ابتدائية، الموت العادي، كما قال تعالىٰ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾: [الجمعة: ٨].

﴿أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾: القتل يؤدي إلىٰ الموت، ولكن في القتل يموت البدن أولاً بسبب القتل مما يلزم ويجبر الرّوح أن تخرج من البدن الّذي أصبح غير صالحاً لبقاء الرّوح فيه. وأما في الموت العادي فتخرج الرّوح أولاً وبعد خروجها يموت البدن.

﴿وَإِذًا﴾: حرف جواب.

﴿لَّا تُمَتَّعُونَ﴾: في الحياة أو بالعيش والبقاء إلا قليلاً.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: إلا أداة حصر، أيْ: زمناً قليلاً بعد الفرار وتموتون وذلك بانقضاء آجالكم.

ولا تمتعون إلا قليلاً: جواب شـــرط، أيْ: إن نفعكـــم الفرار ظاهراً أو كما تظنون فالفرار لا يزيد في آجالكم والقتل لا ينقص منها شيئاً.

[١٧] ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾:

﴿ قُلْ ﴾: يا رسول الله ﷺ.

﴿مَن﴾: استفهام تقريري وتخص العاقل وتشمل المفرد أو الجمع.

﴿ذَا﴾: اسم إشارة يفيد القريب.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّوكيد.

انتبه: كيف جاءت هذه الآية على صورة الاســتفهام ولم تأت على صورة الخبـــر مثل قوله: قل لا يعصمكـــم من الله أحد إن أراد بكم ســـوءاً أو أراد بكم رحمة؛ لأنّ الجملة الاستفهامية يقصد بها التّوكيد وإن يقروا بأنفسهم أي: استفهام تقريري والله سبحانه يعلم جوابهم منذ الأزل. وليعلموا أن لا أحد يقدر على أن يعصمهم من الله لا في الدّنيا ولا في الآخرة.

﴿يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: يجيركـــم أو يمنعكم، أو يحفظكم أو يحميكم من الله سبحانه.

﴿مِّنَ﴾: ابتدائية.

﴿إِنْ أَرَادَ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والنّدرة.

﴿أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾: بكم خاصة سوءاً: كالهلاك والهزيمة والعذاب، أو القتل

أو الضّرر والفقر والمرض (السّوء يعني كلّ ما يسيء إلى النّفس) أيْ: تكرهه النّفس.

﴿أَوْأَرَادَبِكُمْرَحْمَةً﴾: أو للتفصيل، أراد بكم رحمة: نصر غنى سلامة والسّوء أو الرّحمة جاء بصيغة نكرة ليشملا كلّ أنواع السّوء أو الرّحمة.

﴿وَلَايَجِدُونَ﴾: النّون للتوكيد بدلاً من ولا يجدوا: أي: الفارون من أرض المعركة.

﴿لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: لهم اللام لام الاختصاص من غير الله أو سواه.

﴿وَلِيًّا﴾: القريب المعين المحب القادر على جلب النّفع لهم.

﴿وَلَانَصِيرًا﴾: تكرار لا تفيد توكيد النّفي، لا ولي لوحده ولا نصير لوحده ولا كلاهما، نصيراً: القادر على نصرهم ودفع السّوء عنهم.

[١٨] ﴿قَدْيَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد، أيْ: يعلم الله سبحانه بكل توكيد المعوقين منكم.

﴿يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾: يعلم بصيغة المضارع فالله سبحانه يعلم ما يفعله المعوقين. المعوقين: جمع معوق من عاق يعوقه أيْ: صرفه عن الوجه الّذي يريده، أو المعوق الشّخص الّذي يضع العوائق أمام شخص آخر كي يثبطه أو يخذله عن تحقيق ما يصبو إليه وقيل: المعوق المثبط.

فقد كان هناك جماعة أو طائفة من المنافقين يثبطون ويضعون العوائق أمام كلّ من أراد نصرة رسول الله ﷺ، أو الدّخول في الإسلام أو أراد القتال معه أو الانضمام إلى صفه.

﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾: القائلين لإخوانهم من ساكني المدينة: هلمَّ إلينا أقبلوا إلينا كونوا معنا ولا تسمعوا له، ارجعوا إلينا ودعوا محمّداً ولا تخرجوا معه إلى القتال، فإنا نخاف عليكم الهلاك والقتل والهزيمة والأسر.

﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: تعود على المعوقين، البأس: الحرب والقتال، أيْ: هم أنفسهم لا يحضرون القتال في سبيل الله، إلا: أداة حصر، قليلاً: أيْ: نادراً، ويحضرون فقط للسمعة والرّياء وليس للقتال في سبيل الله، أيْ: هم لا يقاتلون في سبيل الله ولا يريدون من الآخرين أن يقاتلوا في سبيل الله أيضاً.

[١٩] ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾:

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾: أشحة: من الشح: وهو الحرص على تحصيل ما ليس عنده، والبخل: الامتناع من الإنفاق منه بعد الحصول عليه، وقيل: الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً، كما قال ابن مسعود، وقيل: الشح أكثر ما يكون في النفس؛ أي: مجبول على الشح، وقيل: الشّحيح هو الّذي يبخل على الغير، وقد يكون كريماً على نفسه وأهله، أمّا البخيل فهو الّذي يبخل على نفسه وعلى الغير.

فلذلك قال تعالى: أشحة عليكم وليس على أنفسهم، أيْ: لا يقدِّمون لكم أيَّة معونة أو لا ينفقون على الفقراء أو الجهاد في سبيل الله أو لا ينفقون في سبيل الله عامة، ولا يقدمون لكم يد العون في حفر الخندق.

﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾: الفاء للتوكيد أو المباشرة، الخوف: الحرب أو القتال والفزع واختار جاء لتدل على الشّدة والصّعوبة، ولم يقل: أتى الخوف.

﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾: ونسمِّي هذا في عالم الطّب بـ منعكس عيني الدُّمية الّذي يراه أطباء العصبية حين يشارف المريض على الموت إذا أدرت رأسه إلى اليسار ترى عينه تتجه إلى اليمين أو بالعكس: تدور أعينهم كما تدور عينا الّذي دنا من الموت يمنة أو يسرة؛ دليلاً على قرب موت الدّماغ.

﴿كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾: أي: اقترب أجله وليس هناك أملٌ في شفائه، ودوران العين يعني: عدم ثباتها واستقرارها.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾: أي: انتهت الحرب أو انتهى القتال وأصابكم من الغنيمة شيء.

﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾: سلقوكم: خاطبوكم أشد مخاطبة والسّلق يعني الضّرب. ألسنة حداد: على وزن فعال جمع حاد بمعنى القاطع كحد السيف القاطع.

وسلقوكم بألسنة حداد: أيْ: آذووكم بالكلام أو الغيبة والتّهمة والسّب للمطالبة بقسم من الغنيمة، أو لما لا تعطونهم أكثر مما تعطونهم أو بأنهم سبب النّصر والفوز الّذي أصابكم أو بأنهم فعلوا كذا وكذا وقدَّموا لكم العون، وكل ذلك كذب وافتراء.

﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾: أيْ: بخلاء على الغير في كلّ عمل خير حتّى بالقول، وكيف بالفعل أو عندما يتولّون تقسيم الغنائم بأيديهم يصبحون بخلاء أشحاء لا يعطون غيرهم شيئاً من الغنائم أو المال (الخير).

﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾: أولئك اسم إشارة تدل على التّحقير، لم يؤمنوا: نفى

عنهم الإيمان الصّحيح وإن أظهروا أنّهم مؤمنون؛ لأنّهم منافقون، أولئك لم يؤمنوا حقيقةً، بل هم منافقون.

﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، أحبط الله أعمالهم: أبطل الله ثواب أعمالهم الصّالحة من الحبط مرض يصيب الماشية، فتظن أنّها مليئة باللحم، ولكنها مريضة ومصابة بالوذمات واحتباس السوائل في بدنها ولحمها فاسد لا يؤكل؛ لأنّها مريضة ومصابة بمرض الحبن أو الكبد، أيْ: أبطل الله ثواب خروجهم وما أنفقوا مهما كان قليلاً أو كثيراً، وكان ذلك على الله يسيراً، أيْ: إبطال أعمالهم وإحباطها هيِّن وسهل على الله تعالى.

[٢٠] ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾: يحسبون من حسب وهو الظّن الرّاجح المبني على التّقدير والحساب والتّجربة، ويعني الاعتقاد أو لم يصدقوا أنّ الأحزاب لكثرة عددهم (١٠ آلاف) مقاتل كيف ينصرفون من دون قتال ويولون الأدبار ولم يدحروا المسلمين القلة، فهم يعتقدون أنّ الأحزاب وهم قريش وغطفان ما زالوا حول المدينة ولم يعودوا بعد إلى ديارهم منهزمين.

يحسبون: فيها نون التّوكيد، وجاءت بصيغة المضارع لتدل على حكاية الحال حدث في الماضي يأتي بصيغة الحاضر ليدل على عدم تصديقهم أنّ الأحزاب انهزموا وتركوا أرض المعركة رغم عددهم الكبير.

﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والنّدرة، يأت الأحزاب

أيْ: تتجمع الأحزاب مرة أخرىٰ ضد المسلمين، ويعود لمقاتلة المسلمين علىٰ فرض ذهبوا وسيعودون مرة أخرىٰ.

﴿يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ﴾: أيْ: يود المنافقون لو أنهم بادون في الأعراب: أيْ: أنهم مع البدو المقيمون في البادية مع الأعراب، أيْ: بعيدون عن المدينة أو خرجوا إلىٰ البادية ليكونوا مع البدو، بادون: اسم فاعل جمع بادي من بدا، وأصلها باديون وحذفت الياء لالتقاء السّاكنين لكي لا يحاربوا الأحزاب؛ لأنّهم غير واثقين بنصر الله تعالىٰ للمسلمين ورسوله، أو لا يحاربوا مع المسلمين فيصيرون أعداءً للأحزاب، فالأفضل لهم في كلا الحالتين أن يكونوا في البادية (مع البدو).

﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾: يسألون الأعراب وغيرهم ممن قدِم إلىٰ زيارة المدينة ورجع ما آل حالكم إليه أو ما جرىٰ لكم. أنبائكم: أخباركم والنّبأ هو الخبر العظيم.

﴿وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا﴾: ولو شرطية، كانوا فيكم: أيْ: في أرض المعركة وخاضوا المعركة معكم أو كانوا في حزبكم.

﴿مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا﴾: ما النّافية، قاتلوا معكم إلا: أداة حصر، قليلاً: أيْ: ظاهرياً أو رياء أو سمعة خوفاً أن يلحق بهم عار.

فهم في ريبهم يتردَّدون بين هل الأفضل لهم العيش في البادية مع البدو أو العيش معكم عيشة نفاق، فلا تأس عليهم ولا تحزن.

[٢١] ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾:

﴿لَّقَدْ﴾: اللام لام التّوكيد، قد للتحقيق أيْ: قد تحقق كونه أسوةً لكم.

﴿كَانَ لَكُمْ﴾: لكم لام الاختصاص لكم خاصة.

﴿فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: أسوة مصدر الائتساء من يتأسى به؛ أي: الاقتداء، والمؤتسى به: المقتدى به، أسوة حسنة: قدوة حسنة، في أقواله وأفعاله وجميع أحواله لكل من يرجو الله واليوم الآخر.

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: لمن اللام لام الاختصاص، لم من: للعاقل اسم موصول تعني الذي.

﴿يَرْجُو اللَّهَ﴾: أيْ: يرجو ثواب الله ولقائه والبعث والحساب والجزاء، أي: الجنة ونعيمها.

﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: يؤمن باليوم الآخر أو يخشى اليوم وأهواله.

﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾: ولا تتحقق الأسوة الحسنة إلا بذكر الله سبحانه ذكراً كثيراً وبالصّلاة وبالتّسبيح والتّحميد والتّهليل والنّوافل والشّكر والقيام بالتّكاليف الإيمانية وغيرها.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾:

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾: الواو عاطفة، لما ظرفية بمعنى حين تتضمن معنى الشّرط، رأى المؤمنون الأحزاب: لها احتمالان:

الأول: رأوهم حين جاؤوا من فوقهم ومن أسفل منهم والمؤمنون في سفح جبل سلع، قالوا عندها: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله.

والاحتمال الثّاني: رأوا الأحزاب يفرون من أرض المعركة مهزومين قالوا: هذا وما وعدنا الله ورسوله، أو الاحتمالان معاً قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله عند البداية وعند النّهاية.

﴿قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: الوعد بالنّصر والغلبة كما أخبرهم رسول الله ﷺ أنّ الله ناصرهم عليهم أو الوعد بالابتلاء والاختبار، ثم النّصر القريب، هذا: الهاء للتنبيه، ما اسم موصول بمعنى الّذي وعدنا الله ورسوله.

﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾: وما: النّافية، زادهم: تجمع الأحزاب (١٠ آلاف) مقاتل أو ما أصابهم من الزّلزلة والشّدة يوم الخندق أو ما زادهم النّصر على أعدائهم يوم الخندق.

إلا: أداة حصر.

إيماناً وتسليماً: إيماناً بالله وبقضائه وقدره وتسليماً، أي: انقياداً لأمره وقضائه، إيماناً بصدق ما وعد الله ورسوله وتصديقاً برسول الله ﷺ وقوله تعالى: وما زادهم إلا إيماناً: اتخذوا هذه الآية دليلاً على أن الإيمان قد يزيد وينقص.

❖ ❖ ❖

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن
قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ
ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ
أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ
فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ
سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ
ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ
لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

سورة الأحزاب [الآيات ٢٣ - ٣٠]

[٢٣] ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: من ابتدائية بعضية.

﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾:

أسباب النّزول: قيل: نزلت هذه الآية كما روىٰ البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك في أنس بن النضر فقد عاهد الله تعالىٰ حين فاتته المشاركة في غزوة بدر، عاهد الله لو جاءت معركة أخرىٰ ليبلون فيها بلاء حسناً فجاءت معركة أحد، فأبلىٰ فيها بلاء حسناً حتّىٰ استشهد فيها، فوجدوا في جسده بضعاً وثمانين جرحاً نتيجة ضربه بسيف أو طعنه برمح أو رميه بسهم وليست العبرة بخصوص السّبب وإنما بعموم اللفظ.

﴿صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾: أيْ: أتموا وأوفوا بعهدهم حتّىٰ ولو أدّىٰ ذلك إلىٰ الشّهادة في سبيل الله أو التّضحية بنفسه وماله معاً.

﴿مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾: ما: اسم موصول بمعنىٰ الّذي أو مصدرية بمعنىٰ صدقوا عهد الله.

﴿عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾: ليخرجنَّ مجاهداً في سبيل الله كما فعل أنس بن النضر.

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾: النحب في الأصل النذر، وقضى نحبه، أيْ: أوفى بنذره أو أتم نذره أو عهده أو يأتي بمعنى الأجل، وقيل: قضى نحبه: انقضى أجله أيْ: قد قتل: استشهد أو مات في سبيل الله، استُعير النحب مكان الأجل؛ لأنّ الأجل وقع بالنّحب (بالقتل).

ومنهم من قال: نحبه: إرادته ورغبته.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾: تكرار ومنهم يفيد التّوكيد، ينتظر: الوفاء بعهده، أيْ: ساعٍ في ذلك ينتظر الشّهادة في سبيل الله واللحاق بمن سبقوه.

﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾: أي: استقاموا وثبتوا على عهدهم مع الله ونيتهم ولم يبدلوا أدنى التّبديل، أيْ: تراجعوا عن القتال خوفاً أو دخل أحدهم الحرب رياء وسمعة أو تخاذلوا أبداً.

[٢٤] ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

﴿لِّيَجْزِىَ﴾: اللام لام التّعليل والتّوكيد. ليجزي: من الجزاء (وهو المماثلة) وهو الثواب.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾: الباء باء الإلصاق والسّببية بسبب صدقهم على ما عاهدوا الله عليه بوفائهم بعهدهم.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾: إن شرطية تعني: الاحتمال أو الشّك يعذب المنافقين إذا لم يتوبوا لعدم وفائهم بعهدهم يعذبهم في الدّنيا أو في الآخرة أو كلاهما.

﴿أَوْ﴾: للتخيير.

﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾: إذا تابوا وأوفوا وأصلحوا وعملوا الصّالحات.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ﴾: تشمل كلّ الأزمنة كان في الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿غَفُورًا رَحِيمًا﴾: ارجع إلى الآية (٥) للبيان.

[٢٥] ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾:

بعد أن بيَّن الله مصير الصّادقين والمنافقين يبيِّن مصير القسم الثّالث وهم الّذين كفروا من قريش (الأحزاب).

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾: الرّد هو العودة أو الرّجوع بإكراه وقسر، الّذين كفروا من قريش وكنانة وأسد وغطفان (الأحزاب).

ردهم ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾: الغيظ: الحقد والغضب الّذي ملأ قلوبهم والباء للإلصاق وتدل على الدّوام ردهم خائبين مغتاظين. ارجع إلى سورة التّوبة آية (١٥) لمزيد من البيان.

﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾: لم ينالوا أيَّ خير، نكرة تعني أيَّ خير سواء كان نصراً أو غنيمة أو أسراً ورجعوا وهم يشعرون أنهم هم الخاسرون أو المهزومون لم يحققوا أيَّ شيء مما جاؤوا من أجله.

﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾: أيْ: لم يحتاجوا أن يقاتلوا الكفار حيث سلط الله عليهم الرّيح الّتي قلعت خيامهم والملائكة الّذين ألقوا الرّعب في قلوب الكافرين فولوا مدبرين خائبين.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾: كان ولا يزال وسيظل قوياً: لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء.

عزيز: يَغلب ولا يُغلب ويَقهر ولا يُقهر له عزة القوة والغلبة والممتنع لا يَضرُّه أحد من خلقه.

[٢٦] ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾:

هذه الآية (٢٦) والآية (٢٧) جاءتا في سياق غزوة بني قريظة بعيد غزوة الخندق في السّنة الخامسة للهجرة، فبعد أن رجع الأحزاب مهزومين.

وعاد رسول الله ﷺ والمؤمنون إلى المدينة، وكان بنو قريظة آنذاك قد نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ وانضموا إلى الأحزاب ضد رسول الله ﷺ فما إن وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة جاء جبريل عليه السلام ليخبر رسول الله ﷺ بالخروج والسّير إلى بني قريظة، فبعث رسول الله ﷺ منادياً ينادي في المدينة بالخروج والسّير إلى بني قريظة قائلاً: لا يصلين أحدكم العصر إلا ببني قريظة. رواه البخاري في صحيحه ومسلم عن حديث عبد الله بن عمر، فاجتمع رسول الله ﷺ مع المؤمنين وحاصروا بني قريظة حوالي (٢٥) ليلة، وأجهدهم الحصار وقذف الله الرّعب والذّعر في قلوب بني قريظة وخيَّر رسولُ الله ﷺ بني قريظة على أحد أمرين إما أن يقبلوا بحكمه ﷺ أو بحكم سعد بن معاذ، فأبوا حكم رسول الله ﷺ فيهم، وقبلوا بحكم سعد فحكم بأن يقتل الرّجال وتسبى الذّراري والنّساء وتقسم الأموال، فقال له رسول الله: لقد حكمتَ فيهم بحكم الله عز وجل من فوق سبع سموات، وأنزل الله سبحانه في بني قريظة هاتين الآيتين فقال تعالى:

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾: وأنزل الله سبحانه بقدرته الّذين ظاهروهم أيْ: ظاهروا الأحزاب وعاونوهم ضد رسول الله ﷺ وهم يهود بني قريظة.

من صياصيهم: أنزلهم من حصونهم بعد أن حاصرهم رسول الله ﷺ(٢٥) ليلة، صياصيهم: جمع صيصة: وهي كلّ ما يتحصن به أو يُتمنعُ به، أيْ: يلجأ إليه.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾: الخوف الشّديد والذّعر الّذي يظهر على هيئة المرعوب مما سيحل به أدّى بهم إلى القبول بحكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم بقتل المقاتلين من بني قريظة من الرّجال.

﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: وهم الرّجال.

﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾: وهم النّساء والذّراري (الأطفال) وهم لا يحملون أيَّ سلاح، انتبه قدَّم المفعول على الفعل حين قال: فريقاً تقتلون ولم يقل: تقتلون فريقاً التّقديم على الأهم والتّوكيد على أمر القتل العجيب الذي يحل بهم بعد أن ينزلوا من صياصيهم، بينما قدَّم الفعل على الفاعل كما هو المفروض حين قال: وتأسرون فريقاً وجاء بصيغة المضارع في كلا الفعلين للدلالة على حكاية الحال، رغم أنّ كلاهما حدث في الزّمن الماضي للدلالة على بشاعة القتل والأسر، وجاء بصيغة المضارع لكي يشعر كأنّه يحدث الآن.

[٢٧] ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾:

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾: كانت لهم أراضٍ زراعية والنّخيل والبساتين.

﴿وَدِيَٰرَهُمْ﴾: منازلهم المعمورة والحصون.

﴿وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾: المدخرة وهي الحلي والأثاث والمواشي والسّلاح والمال.

﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾: يقصد بها في المستقبل مثل أرض خيبر.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾: كان ولا زال وسيظل سبحانه، كان تستغرق كلّ الأزمنة، على كلّ شيء قديراً: ارجع إلى الآية (٢٠) من سورة البقرة.

[٢٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾:

السّؤال هنا: ما سرُّ الانتقال من الحديث عن غزوة الأحزاب وغزوة بني قريظة إلى مخاطبة الرّسول ﷺ لأزواجه على النّفقة والحياة الدّنيا وزينتها.

السّر هو أنّ رسول الله ﷺ قال بعد غزوة الأحزاب وهزيمة الكفار لن يغزونا بعد عامهم هذا، بل نغزوهم وبعد أن بشّر رسول الله ﷺ أصحابه بفتح بلاد كسرى وفارس وكون المسلمين أخذوا من غنائم بني قريظة وأموالهم وأرضهم وديارهم، فزوجاته رضي الله عنهنَّ أمّهات المؤمنين طلبن من رسول الله ﷺ أن يوسع عليهن في النّفقة فجاءت هذه الآيات رداً على طلبهنَّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾: ياء النّداء والهاء للتنبيه، قل لأزواجك: اللام لام الاختصاص. يا أيها النبي: نداء عام إلى النبي وبشأن خاص به، ولكنه لا يتعلق بالدعوة والتبليغ لم يقل يا أيها الرسول؛ ارجع إلى الآية (١) من نفس السورة لمعرفة الفرق بين يا أيها النبي ويا أيها الرسول.

﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال أو النّدرة بدلاً من قوله: إذا كنتن الّتي تفيد الحتمية والكثرة، الحياة الدّنيا: من طعام وشراب وملبس وحلي وزينة ومتاع.

﴿فَتَعَالَيْنَ﴾: الفاء للمباشرة، أيْ: تعالين الآن، أيْ: أقبلن.

﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾: أعطيكن ما يحق لكن من المهر المؤخر.

﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: التّسريح، أي: المفارقة ويعني: الطّلاق، وسراحاً جميلاً من دون مشادة أو غضب أو انتقام وبكلّ رأفة ورحمة ومن دون تجريح وبُغض ومشاحنة وخصومة.

واستعمال إن كنتن تردن الحياة الدّنيا: إشارة إلى عدم المبالغة في الاهتمام بها فالأمر لا يعدو أن يكون مجرَّد سؤال نادر، ونساء النّبي كنَّ تسعة في ذلك الحين خمس من قريش: عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية، وأربعة من غير قريش صفية بنت حيي بن أحطب، جويرية بنت الحارث من بني المطلق، ميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش من بني أسد.

[٢٩] ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾:

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: مقابل قوله: إن كنتن تردن الحياة الدّنيا وزينتها هذا يسمَّى في فنون جمال اللغة الطّباق، وإن كنتن: الواو عاطفة، إن شرطية تدل على الاحتمال والافتراض، تردن الله ورسوله؛ أي: رضا الله تعالى ورضا رسوله ﷺ.

﴿وَالدَّارَ الْآخِرَةَ﴾: الجنة، أو ثواب الآخرة.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، إنّ: للتوكيد.

﴿أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، المحسنات

جمع محسنة، أعد: هيَّأ، وأعد: أعم من اعتد، وتشمل أمور عديدة منها: الأجر العظيم... وغيره مثل: المتكأ والرزق؛ المحسنة: الزّوجة الصّالحة الّتي تجاوزت درجة التّقوىٰ في إيمانها وطاعتها ولم يعد إحسانها مقصوراً علىٰ نفسها وإنما تجاوز إلىٰ الآخرين، أي: الإحسان إلىٰ رسول الله ﷺ في العشرة.

﴿مِنكُنَّ﴾: من لبيان الجنس جنس المحسنات؛ لأنّ زوجات النّبي أمّهات المؤمنين، كنَّ كلّهن محسنات.

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: جنات الفردوس والخلود والنّعيم الدّائم، والأجر مقابل العمل، والأجر العظيم لا يفوقه أجر آخر.

والعبرة في هذه الآية بعموم اللفظ وليس بخصوص السّبب فالخطاب موجَّه أيضاً إلىٰ نساء المؤمنين كافة؛ لأنّ نساء النّبي هنَّ قدوة لنساء العالمين.

[٣٠] ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾:

خطاب موجَّه من الله سبحانه إلىٰ نساء النّبي مباشرة رضي الله عنهنَّ للدلالة علىٰ أهمية طاعة الله ورسوله ﷺ.

﴿مَن يَأْتِ﴾: من شرطية.

﴿مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ﴾: بفاحشة مبينة: الفاحشة هنا تعني معصية الرّسول ﷺ، أو النّشوز أو أذية الرّسول، أو عدم طاعته الّتي تحمل في معانيها معنىٰ الكفر، وحذفت أل التّعريف من الفاحشة؛ لأنّ أل التّعريف في كلمة الفاحشة تعني: الزّنىٰ.

﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾: أيْ: في العلن والظّاهرة للناس أيْ: يعلم بها النّاس، وحدد

الفاحشـــة بكونها مبينة، أمّـــا غير المبينة فهي غير المطلـــع عليها أحدٌ، أيْ: ذنب مقصور عليها نفســـها فيكـــون عقابها كعقاب، أيْ: ذنـــب أو عقاب الآخرين أما المبينة عقابها ضعفين.

﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾: أيْ: مرتيـــن مقارنـــة بعـــذاب غيرهنَّ؛ لأنّهنَّ قدوة لغيرهنَّ من النّساء، ولأنّ ذلك يؤذي رسول الله ﷺ أيضاً، ولكونهنَّ أمّهات المؤمنين، فكل ذلك يستوجب مضاعفة العذاب، كما أنّها إذا فعلت حسنة يضاعف لها الأجر.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: أيْ: مضاعفة العذاب أمر ســـهل يسير عليه سبحانه، ولا نفهم من الآية أنّ هناك شيئاً سهلاً وشيئاً صعباً أو غير يسير على الله سبحانه، وإنما للتهديد والوعيد.

ولم يبدأ ســـبحانه بالقول: يا نســـاء النّبي من يقنت منكنَّ لله ورسوله بدلاً من: يأت منكنَّ بفاحشـــة، بل بدأ بالتّحذير؛ لأنّ درء المفســـدة مقدَّم على جلب المصلحة رغم كون الفاحشة أمراً مستعبداً قدَّمها للتوكيد والاهتمام.

❖ ❖ ❖

۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ
فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا
يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾
إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ
وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ
وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

سورة الأحزاب [الآيات ٣١ - ٣٥]

[٣١] ﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾:

﴿وَمَن﴾: الواو عاطفة، من شرطية وتشمل الواحدة أو الجمع.

﴿يَقْنُتْ﴾: من القنوت قيل: هو الخضوع التّام والخشوع المصاحب للطاعة أو (العبادة) المصحوبة بالخضوع والخشوع، قنت: خشع وتذلل لله في دعائه، وكلمة يقنت جاءت بصيغة المذكر ولم يقل: تقنت بصيغة المؤنث، وسنرىٰ بعد قليل السّبب.

﴿مِنكُنَّ﴾: خاصة.

﴿لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: لله اللام لام التّوكيد والاختصاص خالصة لوجه الله ومرضاة وطاعة لرسوله ﷺ.

﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾: قليلاً أو كثيراً من الفروض والنّوافل والذّكر وغيرها من الأعمال الصّالحة، تعمل صالحاً: جاءت بصيغة المؤنث (التّأنيث)، فالسّؤال الآن لماذا ذكر كلمة يقنت وأنّث كلمة تعمل؟ ولنذكر أنّ التّذكير يدل علىٰ القلة والتّأنيث يدل علىٰ الكثرة، فالقنوت يقوم به القلة من النّساء فلذلك جاء بصيغة المذكر، مقارنة بالأعمال الصّالحة تقوم بها النّساء بكثرة، ولذلك أنث.

﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾: الإيتاء: هو العطاء والإيتاء أعم من العطاء، العطاء يستعمل للأشياء المادية الحسية فقط، بينما العطاء يشمل ذلك + المعنوية. ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

أسند الإيتاء، أي: الفعل إليه سبحانه وبصيغة التّعظيم، وهذا شرف لهنَّ ورحمة منه، بينما في الآية (٣٠) قال: يضاعف لها العذاب بنىٰ الفعل للمجهول.

نؤتها أجرها مرتين: أيْ: ضعف ما تستحقه غيرهنَّ من النّساء؛ لأنّهنَّ مثال للقدوة الصالحة.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا﴾: أيْ: أعددنا لها: اللام لام الاختصاص لها خاصة وأعددنا لها من الآن فهو ينتظرها.

﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾: أي: الجنة فهذه الآية بشارة لنساء النّبي ﷺ بالجنة، ووصف الرّزق بالكريم: الوافر الّذي لا ينقطع أو يقل أو ينقص والكريم؛ لأنّه يأتي الإنسان من دون أسباب عليه أن يقدِّمها كما هو الحال في الدّنيا يجب أن يسعىٰ ويكد ويتعب، والرّزق الكريم لا يأتي إلا من الرّازق الكريم والرحيم بعباده.

[٣٢] ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾:

نداء ثانٍ مباشر إلىٰ نساء النّبي ﷺ من الله سبحانه، وكان النّداء الأوّل في الآية (٣٠) للدلالة علىٰ أهمية الخبر أو الأمر المذكور في الآية: النّداء الأوّل بالتّحذير من الإيتاء بفاحشة مبينة والنّداء الثّاني بالتّحذير من عدم الخضوع بالقول.

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ﴾: ليس النّافية.

﴿كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾: الكاف كاف التّشبيه، أحد من النّساء: الأحد تشمل الواحدة والاثنتين والجمع، أيْ: لستنَّ كأيٍّ امرأة من النّساء قاطبة.

ولم يقل: واحدة من النّساء: أيْ: لا مثيل لها، لماذا لستنَّ كأحد من النّساء؟

أولاً: بحكم أنتنَّ أزواج النّبي ﷺ.

ثانياً: بحكم أنتنَّ أمّهات المؤمنين.

فأنتنَّ قدوة لغيركنَّ من النّساء فهذه ميزة خاصة.

﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾: إن شرطية، أيْ: ليست التّقوىٰ بكونكنَّ نساء النّبي وأمّهات المؤمنين، وإنما التّقوىٰ هي امتثال وطاعة أوامر الله ورسوله ﷺ، وتجنُّب نواهي الله تعالىٰ ورسوله، أي: استقمن علىٰ التّقوىٰ فلا تخضعن بالقول.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾: الفاء للتوكيد، لا النّاهية، والخضوع بالقول؛ أي: الانقياد والإذعان، وفيه معنىٰ الاستجداء، والخضوع: يكون في البدن، والخشوع: يكون بالصوت والبصر؛ أيْ: لا تخاطبن الرّجال بليونة أو ميوعة أو نبرات غير طبيعية في الكلام من ترخيم وغيره، ولا يعني ذلك التكلُّم بخشونة وغلظة أيضاً.

﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾: مرض الرّيبة والفجور والفسق والنّفاق وضعف الإيمان والظن والخبال.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: معروفاً ما تعارف عليه النّاس من القول ليس فيه شبهة أو فتنة بعيداً عن الرّيبة والأطماع.

[٣٣] ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾:

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾: أقمن أو ألزمن بيوتكنَّ من القرار، وهو السّكون لا تكثرن الخروج منها.

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾: لا النّاهية، تبرجن: من التّبرج ويعني: إبداء المرأة للرجل الغريب مفاتن جسمها ومحاسنها مثل إظهار العنق والشّعر والسّاقين والصّدر؛ مما يثير الشّهوة أو الفتنة، والتّبرج مشتقة من البرج وهو الحصن، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾

[الحجر:١٦]، وبرج المرأة: هو بيتها، وسمي البيت برجاً، وتعني: الخروج من الحصن حصن العفة والزوجية وإبداء الزّينة كما كنَّ يفعلن النّساء في الجاهلية الأولىٰ: جاهلية الكفر ما قبل الإسلام، أو ما قبل القرآن؛ فقد روىٰ ابن عباس وجرير: أن الجاهلية الأولىٰ: هي التي تمتد في الفترة بين عيسىٰ عليه السلام، ومحمد ﷺ، وجاهلية العصر الحديث تنطوي علىٰ الجاهلية الأولىٰ وزيادة، وهناك من قال: إنّ الجاهلية الأولىٰ هي التي ولد فيها إبراهيم عليه السلام، والجاهلية الآخرة الت يولد فيها محمد ﷺ.

﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: إقامة الصّلاة؛ لأنّها أهم العبادات علىٰ الإطلاق وإقامتها تعني لأوقاتها وبجميع شروطها وأركانها وسننها والدّوام عليها.

﴿وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: وتعني زكاتها غير زكاة زوجها فهي مكلفة بإيتاء زكاة أموالها الخاصة الّتي ورثتها مثلاً وكسبتها في تجارة أو عقار أو زكاة الحُلي والذّهب.

﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: في كلّ ما أمر به ونهىٰ عنه.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾: إنما كافة مكفوفة تفيد التّوكيد بما أمركنَّ ونهاكنَّ عنه من التّقوىٰ والصّلاة والزّكاة وطاعة الله ورسوله أن يذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيراً.

﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾: اللام للتعليل، يذهب: يبعد أو يجنبكم الوقوع في الرّجس، الرّجس: بالسّين يعني كلّ ما هو مستقذر تعافه النّفوس، وتعني الذّنوب بشكل عام والشّيطان والمعاصي والآثام والذّنوب والشّرك من الأمور المعنوية والخمر والميسر والأنصاب والأزلام والميتة والدّم المسفوح ولحم الخنزير من الأمور الحسية، أمّا الرّجز: فهو العذاب، عنكم ولم يقل: عنكنَّ. عنكم تشمل: الذّكور والإناث، أيْ: تشمل عنكنَّ، ولم يقل عنكن: مراعاة لشعور أزواج النّبي ﷺ وحيائهنَّ.

﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾: أيْ: نساء النّبي كلّهنَّ من أهل البيت وذريته، وتطلق أهل

البيت عادة على الزّوجة والأولاد، وقال آخرون: تطلق أيضاً على عشيرة الرّجل؛ أي: ذريته من نسل عبد المطلب (بنو هاشم).

﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾: ولم يقل: يطهركنَّ تطهيراً: أيْ: تطهيراً كاملاً من الذّنوب، والمجيء بصيغة التّذكير يشمل الذّكور والإناث.

[٣٤] ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾:

﴿وَاذْكُرْنَ﴾: من الذّكر: يعني: تذكرنَّ واتلين أو أخبرن استحضرن كلّ معلومة كانت منسية لم تذكر لكي تذكر.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: (آيات القرآن الحكيم) بيوتكنَّ بيوت النّبوة.

﴿وَالْحِكْمَةِ﴾: السّنة النّبوية (أحاديث رسول الله ﷺ) بيوتكنَّ لأنّهنَّ مهابط الوحي على رسول الله ﷺ يتلى: بصيغة المضارع لتدل على التّجدُّد والتّكرار.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾: ارجع إلى الآية (١٦) من سورة لقمان للبيان.

[٣٥] ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾:

أسباب النّزول:

١ - يُروى أنّ أزواج النّبي ﷺ قلن: يا رسول الله ذكر الله الرّجال في القرآن بخير

أفما فينا خير نذكر بـه؟ إنا نخاف أن لا تُقبل منا طاعـة. أخرجه الطّبراني، وقيل: السّائلة هي أمّ سلمة: في حديث أخرجه النّسائي والطّبراني والحاكم.

٢ - وروىٰ أنّه لما نزل في نساء النّبي هذه الآيات في سورة الأحزاب وغيرها قال نساء المسلمين: فما نزل فينا شيء (أخرجه الطّبراني) فنزلت هذه الآية.

٣ - وقيل: نزلت في أسـماء بنت عميس زوجة جعفر بن أبي طالب دخلت علىٰ نسـاء النّبي ﷺ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن قلن: لا فأتت النّبي ﷺ فقالت: يا رسـول الله إن النّساء لفي خيبة وخسـارة، قال ﷺ: ولم ذلك؟ قالت: لأنّهنّ لا يذكرن بخير كما يذكر الرّجال. فأنزل الله سبحانه هذه الآية التي اشتملت علىٰ عشر صفات للرجال والنساء:

١ - ﴿ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾: جمع مسلم ومسلمة، والإسلام يعني: الشّهادة والصّلاة والزّكاة والصّيام والحج.

٢ - ﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: جمـع مؤمـن ومؤمنـة؛ يعني: الإيمـان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

٣ - ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾: جمع قانت وقانتة، والقنوت: هو الخضوع والخشوع المصحوب بالطّاعة أو العبادة.

٤ - ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾: جمع صادق وصادقة، الصّدق في القول والعمل صدق الإيمان والقول والحديث.

٥ - ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾: جمـع صابر وصابرة، الصّبـر علىٰ أداء العبادات وترك المعاصي والصّبر علىٰ المصائب والمحن.

٦ - ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾: جمع خاشع وخاشعة، الخشوع: هو السّكون والطّمأنينة والتّواضع لله في العبادات.

٧ - ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾: جمـع متصـدق ومتصدقة بمـا في ذلك

الزّكاة والتّصدق على الفقراء والمساكين، ولم يقل: المصدقين كما ورد في سورة الحديد آية (١٨)؛ إن المصدقين والمصدقات: فيها تضعيفان في الصاد، وتضعيف في الدال، أما المتصدقين فيها تضعيف واحد في الدال، المصدقين تعني: المبالغة في التصدق؛ أي: وهم المبالغون في الصّدقات، أيْ: يعطون الكثير، أمّا المتصدقون حتّى ولو بقليل، ولو قال: المصدقين فلم يدخل فيهم من يتصدقون بشيء قليل.

٨ - ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾: الصّيام الامتناع عن شهوتي البطن والفرج في أيام الصيام وغيره من آداب الصيام.

٩ - ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾: عن الحرام كالزّنى وما شابه، ولم يقل: والحافظات فروجهنَّ؛ لكي يستر أمر المرأة وشهوة الفرج جعلها الله لحفظ التّناسل، وليس لارتكاب الحرام.

١٠ - ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾: بالألسن والقلوب بالتّسبيح والتّحميد والتّهليل والذّكر والدّعاء والصّلاة، والذّكر هو أخف العبادات وأيسرها على النّفس وأثقلها في الميزان.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾: أعدَّ الله لهم ولم يقل: ولهن؛ لأنها تدخل في لهم من باب التغليب وستر المرأة وصيانتها لا للتقليل من شأنها، قدَّم المغفرة على الأجر العظيم، هذه جملة من أعظم العبادات والصّفات الّتي تميز المسلم المؤمن من غيره من النّاس.

❖❖❖

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ
لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا
مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ
أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ
مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ
مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ
أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا
﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن
رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم
مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

سورة الأحزاب [الآيات ٣٦ - ٤٣]

[٣٦] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه لنساء النبي ﷺ التّخيير بين الحياة الدّنيا وزينتها وبين إن كنتنَّ تردن الله ورسوله والدّار الآخرة، يذكر بعدها هناك أمور لا اختيار فيها لأحد، وذلك إذا قضىٰ الله ورسوله أمراً، ثم ذكر مثال علىٰ ذلك قصة زيد بن حارثة وزينب بنت جحش رضي الله عنهما، وزواج النّبي ﷺ من زينب تنفيذاً لأمر الله تعالىٰ وإبطال التّبني في الإسلام.

وسبب نزول هذه الآية: كما روىٰ ابن عبّاس أنّ النّبي ﷺ خطب زينب بنت جحش لزيد الّذي تبناه في مطلع الإسلام، وكانت زينب ابنة عمة رسول الله ﷺ فظنت زينب أنّه يريدها لنفسه، فلما علمت أنّه يريدها لزيد فأبت هي وأخوها عبد الله بن جحش، فنزلت هذه الآية.

﴿وَمَا كَانَ﴾: أيْ: ما يصح أو يحق له، ما النّافية، أيْ: هو أمر مستبعد أن لا يقبل مؤمنٌ بالله ورسوله بما حكم الله ورسوله.

﴿لِمُؤْمِنٍ﴾: اللام لام الاختصاص مثل عبد الله بن جحش (أخي زينب).

﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾: لا النّافية، تكرار النّفي يفيد التّوكيد، مثل زينب بنت جحش.

﴿إِذَا﴾: ظرفية بمعنىٰ حين.

﴿قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾: حكماً أو أمراً.

﴿أَن﴾: للتوكيد.

﴿يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾: على ما قضاه الله تعالى ورسوله.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: من شرطية، يعص الله ورسوله: فيما أمر به أو نهى عنه.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء جواب الشّرط، قد للتحقيق والتّوكيد.

﴿ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾: هنا ثلاث توكيدات: قد وضلالاً (مفعول مطلق) ومبيناً.

والضّلال يعني: عدم الاهتداء إلى الصواب وإلى الصّراط المستقيم (دين الإسلام) ابتعد ابتعاداً مبيناً: أيْ: ضلال بين لكلّ فرد اطلع عليه، وضلال واضح بين بنفسه لا يحتاج إلى دليل أو برهان، ضلال يصعب معه الهداية مرة أخرى أو يرجى توبته.

وبعد أن نزلت هذه الآية رضيت زينب بالزّواج من زيد ورضي أخوها عبد الله بما قضى الله ورسوله.

[٣٧] ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾:

كما أخبرت كتب السيرة اختار زيد البقاء مع رسول الله ﷺ عندما طلب منه أبوه العودة والعيش معه، فسمي زيد بن محمّد، ولما بلغ سن الرشد أراد الرّسول أن يزوّجه من زينب بنت جحش، وهي ابنة عمة رسول الله ﷺ وسيدة من سيدات قريش فرفضت ورفض أخوها عبد الله، فنزلت الآية (٣٦) السّابقة، فأذعنوا لقدر الله وقضائه وقبلت بالزّواج من زيد، وكان هناك عدم تكافؤ اجتماعي

بين زينب وزيد آنذاك، وتعالت زينب على زيد وحدث نشـوز بينهما، وكان حبُّ زيد لرسول الله ﷺ يمنعه أن يطلِّقها، وكان ﷺ يقول لزيد: أمسك عليك زوجك واتق الله، وجاء الأمر الإلهي بأن يطلِّقها زيد ويُؤمر رسول الله ﷺ بالزّواج منها، وإلغاء مبدأ التّبني، فخشي رسول الله ﷺ من ألسنة الكفار؛ كيف يتزوج من امرأة ابنه زيد الّذي تبنَّاه خشية استحياء.

﴿ وَإِذْ ﴾: واذكر إذ ظرفية.

﴿تَقُولُ ﴾: (يا محمّد ﷺ) للذي أنعم الله عليه (بالإسلام والإيمان).

﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾: بالعتق أوّلاً، وجعلته ابناً لك بالتّبني قبل تحريم التّبني، وأنعمت عليه بأن زوَّجته ابنة عمتك زينب:

﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾: تقول لزيد: أمسـك عليك زوجك خوفاً من كلام النّاس أن يقولوا تزوَّج من امرأة ابنه الّذي تبناه.

﴿وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾: هذا قول رسول الله ﷺ لزيد، واتق الله؛ أي: في أمر طلاقها ولا تطلقها، والله سبحانه يريد من زيد أن يطلق زينب وأن يُنهي عادة التّبني، وأن يتزوّج رسول الله ﷺ زينب، وكان أمر الله مفعولاً لا رجعة فيه حاصل لا محالة.

﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾: تخفي في نفسـك مـا أظهره الله لك على أنّك ستتزوج منها بعد طلاقها من زيد.

﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾: تخشـى مـن كلام النّـاس خشـية استحياء، والله أحق أن تخشاه.

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا ﴾: أيْ: لـم يعد له فيها حاجة ولم يعد بينهما أيُّ رابطة وطلقها زيد.

﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾: الزواج: يدل على الدخول والاقتران، والنكاح: يدل على العقد؛ زوَّجه الله بها من فوق سبع سموات، وكانت زينب تفتخر على بقية أزواج رسول الله ﷺ فتقول: زوجني ربي، زوجناكها بعد انقضاء عدتها.

وانتبه إلى قوله تعالى: زوجناكها: زوَّج أيْ: زَوَّجه غيره من فوق سبع سموات، أمّا تزوَّج: فتعني تزوَّج بنفسه وبرغبته بينما زُوج: قسراً ومن دون خيرة، والضّمير زوجناكها يعود على الله سبحانه والكاف لخطاب رسول الله والهاء تعود على زينب، زوجناكها لكي نرفع الحرج عن المؤمنين في أزواج أدعيائهم الّذين تبنوهم بعد طلاقهنَّ التّام.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾: كائناً لا محالة لا تبديل ولا تغيير، والأمر يشمل كلّ شيء وزيادة.

وفي هذه الآية كان رسول الله ﷺ قدوة في تطبيق هذه الآية من ناحيتين:

الأولى: فقد كان رسول الله ﷺ قدوة في تنفيذ أمر الله حين قال: ما كان لمؤمن إذا قضى الله أمراً أن يكون له الخيرة في أمره.

الثّانية: لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم، فكان رسول الله ﷺ وزيد وزينب هم الّذين اختارهم الله سبحانه ليكونوا أوّل من ينفِّذ أمر الله سبحانه في هذه القضية وينالوا رضاه وثوابه، ويكونوا قدوة للآخرين، ولذلك ذكر اسم زيد في القرآن كثواب له ولم يذكر اسم زينب ستراً لها.

وإذا انتبهنا إلى كلمة لكي لا يكون في هذه الآية كيف جاءت كلمة لكي مفصولة عن لا، ولم تكتب لكيلا، فالفصل بين الكلمتين (كي) و(لا) لتناسب سياق الآية في الطّلاق الّذي هو فصل بين الزّوج والزّوجة لترى أنّ كتابة الكلمة في القرآن بحد ذاته له معناه الخاص ويجاري سياق الكلام.

بينما كلمة لكيلا جاءت متصلة في سورة الحج الآية (٥) وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾. ارجع إلىٰ سورة الحج الآية (٥) للبيان.

[٣٨] ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾:

﴿مَّا كَانَ﴾: ما النّافية، كان تستعمل للماضي والحاضر والمستقبل.

﴿عَلَى﴾: تفيد العلو والشمقة.

﴿ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾: من استغراقية تشمل أيَّ حرج والحرج هو الضّيق والمشقة أو العيب.

﴿فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾: فيما: ظرفية وما اسم موصول بمعنىٰ الّذي، وأوسع شمولاً من الذي. فرض الله له: قدَّر الله له أو قسم الله له، وما فرض الله له ليس أمراً جديداً، وإنما هو سنة الله في الّذين خلوا من قبل.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾: السّنة تعريفها ارجع إلىٰ الآية (٢٦) من سورة النّساء، وسورة آل عمران آية (١٣٧) للبيان.

﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾: الّذين خلوا: أيْ: مضوا أو جاؤوا من قبل من الرّسل والأنبياء؛ أي: فما نفعله لك يا رسول الله ﷺ ليس أمراً جديداً، بل هو سنة قديمة، من قبل: تدل علىٰ زمن معين ولم يقل: من قبلِ، الّتي لا تدل علىٰ زمن محدَّد طويل أو قصير.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: كان في الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾: كائناً أو واقعاً لا محالة؛ لأنّه قدر مقدَّر منذ الأزل ولا شيء

يخرج عن تقدير الله، وفي الآية السّابقة قال تعالىٰ: وكان أمر الله مفعولاً: أيْ: واقعاً وهو تزويج رسول الله ﷺ من زينب، إذن هذا الزّواج مقدَّر منذ الأزل، والآن تم وقوعه من غير تبديل أو تحويل.

[٣٩] ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾:

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح والتّعظيم ويعود علىٰ الرّسل والأنبياء.

﴿يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾: التّبليغ هو الإيصال مع الإعلام، أيْ: إيصال الرّسالة أي: الخبر أو النّبأ إلىٰ النّاس ويبلغون رسالات الله (مجموع رسالة وكلّ رسالة أمر أو نهي، أي: افعل أو لا تفعل) لعباده، ولم يقل: ربهم؛ لأنّ السّياق في الدّعوة والتّبليغ والله هو المعبود والإله الحق وليس في سياق الرّزق أو سبل العيش.

﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ﴾: يخافونه والخشية لا تقتصر علىٰ الخوف من الله، بل كذلك التّعظيم والعلم بالله وقدره وعظمته، وفيها معنىٰ الأمل.

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا﴾: ولا: لا النّافية، يخشون أحداً: توكيد وإضافة النّون لزيادة التّوكيد، وأحداً لزيادة التّوكيد.

﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾: إلا أداة حصر، خشية حياء أو استحياء، وليس خشية خوف من تبليغ الرّسالات.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾: يكفي الله وحده أن يكون حافظاً لأعمال العباد ومحاسبهم عليها، وليس حسابهم عليكم ولا حسابكم عليهم (أي: علىٰ الرسل).

[٤٠] ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾:

المناسبة: بعد أن تزوَّج رسولُ الله ﷺ من زينب قال بعض النّاس: إنّ محمّداً تزوج امرأة ابنه فجاءت هذه الآية للرد عليهم، فقال تعالىٰ:

﴿ مَّا كَانَ ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٨) للبيان.

﴿مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾: السّؤال هنا: ألم يكن محمّد أباً لعبد الله وللقاسم ولإبراهيم؟ الجواب: نعم فهؤلاء الثّلاثة أولاده ﷺ، ولكن ماتوا ولم يبلغوا سن الرّجال، ولأنّ الآية قالت: من رجالكم ويقصد به زيد، ولم يقل: أبا أحد منكم؛ لأنّ منكم تشمل الصّغير والكبير والولد الحقيقي والمتبنىٰ، من: ابتدائية استغراقية. وقد خاطب الله سبحانه نبيه محمد باسمه محمد ﷺ في أربع آيات لأسباب خاصة، ومرة باسمه أحمد؛ ارجع إلىٰ الآية (١) من نفس السورة.

﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾: لكن للاستدراك والتّوكيد، رسول الله.

﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: أيْ: آخرهم وخاتم الشّيء آخره فلا نبي ولا رسول يأتي بعده إلىٰ قيام السّاعة وكلّ بشر يدعي النّبوة بعد رسول الله ﷺ هو كذاب أفاك.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾: كان تشمل كلّ الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، كان ولا زال وسيظل، بكلّ شيء: الباء للإلصاق والالتزام والدّوام، شيء عليماً: من قول وعمل عليم بأقوال العباد وأعمالهم، وما يجري في كونه ولا تسقط من ورقة إلا يعلمها ويعلم ما في السّموات وما في الأرض، يعلم من يدَّعي النّبوة ومن هو أبو، أو أمُّ كلِّ جنين ويعلم ما يُشرع لعباده وما هي مصلحتهم.

ولم يقل سبحانه: وخاتم المرسلين: لكان هناك احتمال أن يأتي بعده نبي،

ولكن حين قال: خاتم النّبيين (لأنّ كلّ رسول نبي، وليس كلّ نبي رسولاً) أيْ: لن يأتي بعده لا نبي ولا رسول.

[٤١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾:

نداءٌ إلى الّذين آمنوا وتكليف جديد بذكر الله، فهو أيسر العبادات على المؤمن، ومن أعظمها أجراً، والذّكر يشمل التّحميد والتّهليل والتّقديس والتّكبير والأسماء الحسنى، والذّكر الكثير هو الدّائم والمتواصل، والذّكر يشمل كذلك الصّلاة والعبادات والدّعاء وحلقات العلم وتلاوة القرآن، والذّكر باللسان كالقول سبحان الله، لا إله إلا الله، الله أكبر، الحمد لله، لا حول ولا قوة إلا بالله، وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، والذكر بالقلب.

[٤٢] ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾:

﴿وَسَبِّحُوهُ﴾: التّسبيح هو تنزيه الله سبحانه باللسان من كلّ نقص وعيب في ذاته وأفعاله وصفاته ومن الولد والشّريك والنّد والمثيل، ولم يكن له كفواً أحد، وليس كمثله شيء، والتسبيح: هو القول: سبحان الله وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم والتّسبيح قد يعني الصّلاة.

﴿بُكْرَةً﴾: أول النّهار؛ أي: الصباح، أو تعني صلاة الفجر.

﴿وَأَصِيلًا﴾: آخر النّهار؛ أي: المغرب، أو تعني صلاة الظّهر والعصر والمغرب والعشاء، وبكرة وأصيلاً تعني: ذكراً دائماً لا ينقطع.

[٤٣] ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد، ويعود على الله سبحانه.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾: الصّلاة من الله تعنـــي: المغفرة والرّحمة والرّأفة والنّجاة وتعني أن يذكركم فيمن عنـــده، أيْ: في الملأ الأعلىٰ، وكقوله تعالىٰ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢].

﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾: بالدّعاء للمؤمنين والاستغفار.

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الـــلام لام التّعليـــل، يخرجكـــم من الظّلمات: جمع ظلمة منها ظلمة الكفر والشّـــرك، والظلم والمعصية، إلىٰ النّور: نور الإيمان والتّوحيد.

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾: كان تشـــمل كلّ الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، بالمؤمنين: الباء للإلصاق والدّوام، رحيماً: صيغة مبالغة كثير الرّحمة بالمؤمنين في الدّنيا والآخرة. ارجع إلىٰ سورة الفاتحة الآية (٢) لمزيد من البيان.

❖❖❖

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ
مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ
فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ
أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ
وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً
مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

سورة الأحزاب [الآيات ٤٤ - ٥٠]

[٤٤] ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾:

﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾: تعني: المؤمنين.

﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ﴾: يوم القيامة أو البعث والهاء في يلقونه ترجع إلىٰ الله سبحانه، أيْ: تحيتهم من الله سبحانه يوم يلقونه (يوم القيامة).

﴿سَلَٰمٌ ۚ﴾: من ربكم سلام تحية السّلام عليكم) وسلام من السّلام، أي: الأمان والاطمئنان وسلام يعني: من كلّ مكروه وضر مثل الموت والمرض وكل ما تكرهه النّفس. كقوله تعالىٰ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

وقد تعني تحيتهم من الملائكة يوم يلقونه يقولون لهم: سلام من ربكم سلام تحية وسلام أمان واطمئنان وسلام من كلّ مكروه وضر.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾: أعد: هيأ وجهز، لهم: اللام لام الاختصاص، أجراً علىٰ العمل في الدّنيا كريماً: هو الجنة وما فيها من النّعيم نعيم المأكل والمشرب والملبس وكل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

كريماً: الأجر الكريم من الرّب الغني الكريم، أي: الأجر الأكثر بكثير مما يستحقه العبد أو يتصوّره العقل.

[٤٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾: نداء إلىٰ النّبي ﷺ مباشر

بياء النّداء، أيها: الهاء للتنبيه، النّبي: نداء تكريم وتعظيم بدلاً من قوله: يا محمّد إنا أرسلناك.

﴿إِنَّآ﴾: للجمع والتّعظيم.

﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾: ولم يقل: بعثناك. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان ومعرفة الفرق بينهما.

﴿شَٰهِدًا﴾: على أمتك وعلى الرّسل جميعاً.

﴿وَمُبَشِّرًا﴾: بالجنة لمن آمن وعمل صالحاً. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿وَنَذِيرًا﴾: أيْ: منذراً لمن يخرج عن منهج ربه ويعصي ربه ويعمل السيئات. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

ولنعلم أنّ رسول الله ﷺ هو الرّسول الوحيد الّذي أرسل مبشراً ونذيراً لكافة النّاس (الثقلين).

[٤٦] ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾:

﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾: أيْ: داعياً إلى الإيمان به وعبادته وتوحيده وطاعته فيما أمر أو نهى عنه، بإذنه: بأمره وإرادته ومشيئته، وكما أمر.

﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾: هادياً ودالاً النّاس إلى الصّراط المستقيم (الإسلام الدّين الحق) كالشّمس المضيئة الّتي تهدي النّاس بنورها وضوئها إلى رؤية الأشياء وإدراكها.

وهو تشبيه بليغ للنّبي ﷺ في الهداية إلى دين الله تعالى، فهو ﷺ الشّمس

والقرآن العظيم هو النّـور. كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء:٧٤]، وكقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ [التغابن:٨].

[٤٧] ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾:

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: من البشارة وهي الخبر السّار. ارجع إلىٰ الآية (١١٩) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿بِأَنَّ﴾: الباء للتوكيد، أن لزيادة التّوكيد.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: من ابتدائية.

﴿فَضْلًا كَبِيرًا﴾: الفضـل هو الزّيادة علىٰ ما يسـتحق العبـد من الأجر أو الثّواب ارجع إلىٰ الآية (٤) من سورة الجمعة للبيان. وفضلاً كبيراً: دخول جنات النعيم ورضوان من الله أكبر.

فضلاً كبيراً علىٰ سائر الأمم بالتّقوىٰ والعمل الصّالح.

[٤٨] ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾:

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾: أليس هذا تكرار للآية الأولىٰ، والآية (٣) من نفس السّـورة يا أيّها النّبي اتق اللـه ولا تطع الكافرين والمنافقين الجواب: لا.

الآية الأولىٰ كانت في بداية الدّعوة والآية (٤٨) كانت في السّـنة الخامسة من الهجرة، نهي جديد لعدم الاستماع إلىٰ الكفار والمنافقين والاستمرار والثّبات علىٰ الدّعوة إلىٰ الله وعدم الرّكون إليهم.

﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾: تجاوز عنهم واصفح ولا تجازيهم علىٰ إساءتهم ولا تأبه بهم.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٨٩) للبيان.

[٤٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾:

نداء جديد إلىٰ الّذين آمنوا بتكليف أو حكم جديد يتعلّق بالنّكاح.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد الحتمية.

﴿نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾: النّكاح هنا المقصود به عقد النّكاح علىٰ النّساء المؤمنات، والسّؤال هنا لماذا خص المؤمنات؟ لأنّ في ذلك إشارة إلىٰ الحثّ والحضّ علىٰ الزّواج بالمؤمنات، كما قال رسول الله ﷺ اظفر بذات الدّين تربت يداك. رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن.

﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾: ثم: لتباين الصّفات أو الفضل بين النّكاح والطّلاق، وليس للترتيب الزّمني والتّراخي.

﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾: من قبل: الزّمن غير محدد، أن: تفيد التّعليل والتّوكيد، تمسوهن: أن تدخلوا بهن كناية عن الجماع أو الزّواج أو الوطء.

﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشّرط، ما النّافية، لكم: خاصة، من ابتدائية، عدة: ارجع إلىٰ سورة الطّلاق الآية (١) للبيان، تعتدونها: أيْ: تستوفون عددها، أيْ: تنتظرون انتهاء عدد أيّامها.

﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾: الفاء للتوكيد، متعوهن: ارجع إلىٰ سورة البقرة الآية (٢٣٦) لمعرفة معنىٰ المتعة، قيل: نزلت هذه الآية فيمن لم يُفرض لها مهر، والّتي فرض لها مهر نصف المهر المفروض، وبعض العلماء قالوا: نصف المفروض +

المتعة، والمتعة بشكل عام هو ما يعطيه الزّوج من مال أو كسوة أو حلي أو غيرها إلزاماً لها وتخفيفاً ورحمة.

وقولــه: فمتعوهن: قيل: تعنــي الوجوب، وقيل: تعنــي النّدب واختلف العلماء في ذلك، ومنهم من قال: مستحب.

﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: خلوا سبيلهنَّ من غير إضرار أو أذية ولا منع من إعطائهن المتعة.

[٥٠] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:

لفهم هذه الآية يجب أن نعلم أنّ هناك أربع فئات من النّساء اللاتي أباح الله لنبيِّه وحده بالزّواج منهن:

الأولى: الزّواج بالمهر:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾: ارجع إلى الآية (١) من مطلع سورة الأحزاب لبيان معنى يا أيها النبي.

﴿إِنَّا﴾: للجمع والتّعظيم.

﴿أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾: أحللنا: من الحلال هو المباح شــرعاً، أو ما نصَّ الشّارع على حلِّه، أحللنا مشتقة من الحل: أي: انحل من عقد التّحريم أو عقدة التّحريم، لك: اللام لام الاختصاص، أزواجك: بصيغة المذكر، ولــم يقل: زوجاتك؛ لأنّ الزّوج يطلق على الذّكر والأنثى والزّوج يعني الجنس،

اللاتي: اسم موصول للجمع المؤنث، أتيت أجورهن: أعطيت مهورهن وسمّى المهور: أجور ويعني إيتاء المهر كاملاً دون تأخير شيء منه، كما يحدث الآن.

والسّؤال: كيف يسمّى المهر أجراً: لأنّ الأجر يُعطى على منفعة موقوتة وأمّا النّكاح فليس موقوتاً إنما شروطه الدّوام، فالإجارة تتنافى مع عقد النّكاح، إذ الإجارة عقد مؤقت والنّكاح عقد دائم، النّكاح ليس عقد تمليك وإنما هو عقد استباحة، والمهر في النّكاح ليس عوضاً وإنما هو عطية أوجبها الله تعالى.

الفئة الثانية:

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾: وما: اسم موصول بمعنى الّتي، ملكت يمينك: أيْ: ما ملكتها يمينك عليك، مما أفاء الله عليك: الفيء هو ما أخذ بغير حرب أو قتال من السّبي والغنائم مثل صفية بنت حُيي بن أخطب من سبي خيبر، وجويرية بنت الحارث من سبي بني المصطلق.

الفئة الثّالثة:

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾: أمّا الّتي لم تهاجر فلا تحل له، ومن الملاحظ أنّ رسول الله ﷺ لم يتزوج من بنات عمه ولا بنات عماته ولا بنات خاله ولا بنات خالاته والعم والخال اسم جنس يطلق على المفرد والجمع.

انتبه: أفرد في العم والخال يراد به الجنس وجمع في العمات والخالات؛ أي: كل بنات العم، وبنات الخال، وبنات العمات، وبنات الخالات؛ فقد كان لرسول الله ﷺ عم واحد وخال واحد أمّا الخالات والعمات فقد كان لرسول الله ﷺ أكثر من خاله وعمه، ولذلك جاء القرآن يصدع بالحق.

الفئة الرابعة:

﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: وأحللنا لك امرأة مؤمنة؛ أي: شرط أن تكون مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي بدون مهر، وأراد النبي أن يتزوجها فلا بأس، وقوله وهبت نفسها للنبي: فهذه حالة خاصة (خاصة لك) دون المؤمنين فالمؤمن لو وهبت له امرأة نفسها بدون مهر وعقد وولي وشاهدان لم تحل له. وانظر كيف كتبت امرأة بالتاء المربوطة، ولم تكتب بالتاء المفتوحة (أو المبسوطة). ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (٣٠) لمعرفة السبب.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾: قد: للتحقيق والتّوكيد، علمنا ما فرضنا عليهم: ما تعني الّذي، فرضنا عليهم: علىٰ المؤمنين من أحكام وشروط في النّكاح مثل العدد والمهر والعقد وغيرها.

ولا يحل لكم الاقتداء برسول الله ﷺ فيما خصَّه الله به وحده تكريماً له أو لحكمة ما لا يعلمها إلا الله، فلا يحل لكم الزّواج المبني علىٰ الهبة.

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾: حكمها معطل الآن.

﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: حرج: أيْ: ضيق أو مشقة فيما يقوله أعداء الدّين.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: كان تشمل كلّ الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، غفوراً: صيغة مبالغة من الغفر أيْ: ستر ومحو الإثم ورفع الحرج والضّيق، رحيماً: بالتّوسعة علىٰ عباده وترك العقوبة.

❖❖❖

۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ
مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ
وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ
ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا
﴿٥٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن
يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ
فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ
ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا
يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن
وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ
لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ
مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن
تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

سورة الأحزاب [الآيات ٥١ - ٥٤]

[٥١] ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾:

بالإضافة إلى حِل الواهبة نفسها للرسول ﷺ من دون المؤمنين يفوض له الحرية والاختيار في الإيواء والإرجاء ليفعل ما يشاء بالنّسبة لأمر القسمة أو التّسوية بين أزواجه.

﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾: أيْ: تؤخِّر من تشاء من أزواجك عن ليلتها والإرجاء هو التّأخير.

﴿وَتُؤْوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾: تضم أو تبيت مع من تشاء.

﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾: ومن طلبت، أيْ: أردت ممن تجنَّبت (من العزلة) أيْ: ممن لا تريد على الإطلاق.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾: الجناح: الإثم، أيْ: لا إثم عليك. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٥٨) لبيان المعنى، ومعرفة الفرق بين لا جناح عليك، وليس عليك جناح.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد يشير إلى التّخيير الّذي أباحه الله سبحانه له.

﴿أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾: أقرب أن تقرَّ أعينهنَّ: أن حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد، تقر أعينهن: مشتقة من قرَّ بالمكان: أيْ: أقام وثبت به، أيْ: عدم دورانها وحيرتها، أيْ: تسكن أيْ: ترتاح أعينهنَّ وتسر (من السّرور) إذا علمن أنّ

هذا أمر من الله سبحانه، وكذلك قرَّ مشتقة من القرِّ: وهو البرد، أيْ: لا تحزن وتغضب كالعين السّاخنة الّتي تحزن وتغضب.

﴿وَلَا يَحْزَنَّ﴾: من الحَزَن: ارجع إلى سورة الأنعام الآية (٣٣) للبيان ومعرفة الفرق بين الحَزَن والحُزْن.

﴿وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾: الرّضاء ضده السّخط، الرّضا بما قسمه الله وقدره والرّضا بما حدث من إيواء وإرجاء وتقريب وتأخير، بما: الباء للإلصاق والدّوام، ما: الّذي، وأوسع شمولاً من الذي، آتيتهنَّ كلّهنَّ: (للتوكيد) آتيتهنَّ من الإيتاء، ويشمل النّواحي المادية والمعنوية معاً، يرضين بالقسمة والتّسوية والعدل بينهنَّ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾: من الميل إلى البعض دون البعض، والحب والنّوايا والرّضا والسّخط.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾: كان تستغرق كلّ الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، عليماً: صيغة مبالغة من علم كثير العلم عليماً بخلقه، وما تخفي ذوات الصّدور، من سرائر وعليم بحاجاتهم وميل قلوبهم، حليماً لا يعجل لهم العقوبة ويقبل التّوبة.

[٥٢] ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾:

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ﴾: لا النّاهية، يحل لك خاصة.

﴿ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾: هؤلاء التّسع اللاتي عندك، اللاتي اخترن الله ورسوله والدّار الآخرة أو من بعد الّذي أحللنا لك.

﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾: أيْ: لا يحل له أن

يتجاوز التسع وهو النصاب، ولا يحل له أن يستبدل بهؤلاء التسع أزواجاً أُخَرَ بكلهنَّ أو بعضهنَّ، كان ذلك كرامة لهنَّ من الله سبحانه.

أن للتعليل والتّوكيد، تبدل: حذف التّاء بدلاً من تتبدل لأنّ حكمها مقصور على رسول الله ﷺ وحده، ولو كان حكماً يشمل المسلمين لقال: تتبدل، ولو: الواو تفيد التّوكيد، لو: شرطية؛ أعجبك حسنهنَّ: الحسن: هو شدة الجمال والمنظر؛ أيْ: ولو أعجبك حسنهنَّ لا يحق أو يجوز لك أن تبدل.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾: إلا: أداة استثناء ما ملكت يمينك: من الإماء مثل مارية القبطية الّتي أنجبت إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، ومات في سن الرّضاعة.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾: كان تشمل أو تستغرق كلّ الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، على كلّ شيء: شيء نكرة كلّ شيء الصّغير والكبير ومهما كان نوعه وجنسه، والشّيء: هو كل ما يُعلم ويخبر عنه سواء أكان حسياً أم معنوياً هو أقل القليل، رقيباً: الّذي يراك والعالم بأحوالك فلا يخفى عليه فعلك.

[٥٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾:

أسباب النّزول: جمهور المفسرين قالوا: إنّ سبب نزول هذه الآية أنّ رسول الله ﷺ لما تزوج زينب بنت جحش الّتي طلقها زيد أراد أن يحتفل بذلك بإقامة وليمة (طعام) فدعا النّاس فأكلوا، ثمّ مكث فريق منهم يتحدثون ولم يخرجوا واستحيا رسول الله ﷺ منهم أن يقول لهم: اخرجوا فخرج وظلوا جالسين فعاد إلى مجلسه، ثم انصرفوا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾: نداء جديد إلى الّذين آمنوا بتكليف جديد هو عدم دخول بيوت النّبي، بيوت: جمع بيت وهو ما أُعد للمبيت، أي: الاستراحة والبيتوتة وبيوت النّبي غرف ضيقة ليست معدَّة للاستقبال.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾: لا بُدَّ من تحقق شرطين لدخول بيوت النّبي أوّلاً الدّعوة والإذن، ثانياً الطّعام فالإذن مقيَّد بالطّعام، والإذن يكون بالكلام أو الإشارة.

﴿غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾: أيْ: نضجه وإعداده واستواءَه.

﴿وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ﴾: لكن للاستدراك والتّوكيد، إذا: شرطية تفيد الحتمية، دعيتم: طلب منكم الدّخول فادخلوا، وإن لم تدعوا فلا تدخلوا حتّى يؤذن لكم، فادخلوا: الفاء للمباشرة، عندما يكون الطّعام جاهزاً.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، إذا: شرطية ظرفية تفيد الحتمية.

﴿طَعِمۡتُمۡ﴾: أيْ: إذا أكلتم الطّعام أو فرغتم من الطّعام.

﴿فَٱنتَشِرُواْ﴾: اخرجوا عائدين إلى بيوتكم أو أعمالكم ولا يبقَ أحد أبداً، الفاء: للمباشرة والتّوكيد.

﴿وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾: لا النّاهية، تكرار (لا) يفيد توكيد النّفي، مستأنسين لحديث: أيْ: لا تمكثوا بعد الطّعام، يحدث بعضكم بعضاً في بيوت النّبي.

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ﴾: إنّ للتوكيد، ذلكم: اسم إشارة يشير إلى عدة أمور مهمة، ولم يقل: إنّ ذلك يشير إلى أمر واحد منها المكث والجلوس والحديث بعد الطّعام كان يؤذي النّبي أو يشق عليه.

﴿فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: يستحيي أن يقول لكم: اخرجوا من عنده أو قوموا؛ لأنّ وقت النّبي ﷺ ضيق فهو يحتاج إلى الرّاحة والاستعداد للصلوات والوحي والذّكر وغيره من العبادات وشؤون بيته.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: والله لا يستحيي أن يقول الحق ويأمر به، أو يبيِّن ما هو الحق.

ثم تتحدَّث بقية الآية عن كيفية التّعامل مع زوجات النّبي ﷺ أمّهات المؤمنين.

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد الحتمية.

﴿سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا﴾: المتاع: يشمل أدوات المنزل أو الطّعام والشّراب، وما تحتاجونه من العلم والفتيا من رسوله ﷺ.

﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾: الفاء: للتوكيد، اسألوهنَّ من خلف ساتر أو جدار أو حاجز، ولم يقل: خلف حجاب؛ لأن وراء قد تكون المسافة من الحجاب قريبة أو بعيدة.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، وذلكم يفيد الجمع، ويعني الأمر المهم والتوكيد.

﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾: أوّلاً بدأ بالقول: لقلوبكم: اللام للتوكيد ولم يؤكد باللام بالقول: لقلوبهنَّ، وإنما قال: قلوبهنَّ؛ لأنّ قلوب أمّهات المؤمنين أطهر بكثير من قلوب بقية النّاس، أطهر: من خواطر السّوء والرّيبة والشّك، وهذه الآية وإن كانت تخص نساء النّبي فهي عامة تشمل نساء المؤمنين عامة والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السّبب.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾: ما النّافية، لكم خاصة، أيْ: لا يحق ولا يجوز لكم، وكان تعني: جميع الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾: أن حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد، تؤذوا رسول الله: بأي أذية مهما كانت قولاً أو فعلاً، أو تؤذوا أزواجه أو أهله بأي نوع من الأذىٰ.

﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾: تكرار (لا) يفيد التّوكيد توكيد النّفي، أن: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد، تنكحوا أزواجه ﷺ والعياذ بالله، من بعده أبداً: من بعد موته ﷺ، أبداً: تحريماً مؤبداً كحرمة أمّهاتكم عليكم مؤبداً.

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾: إنّ للتوكيد، ذلكم: للتوكيد وأهمية الأمر استعمل ذلكم بدلاً من ذلك، ذلكم: ذا اسم إشارة واللام للبعد والكاف للخطاب، ذلكم تدل علىٰ الجمع وتشمل:

أوّلاً: السّؤال من وراء حجاب.

ثانياً: إيذاء النّبي ﷺ.

ثالثاً: نكاح أزواجه من بعده ﷺ، ذلكم يعد إثماً وذنباً عظيماً، كان عند الله عظيماً: أيْ: ذلكم كان: تشمل كلّ الأزمنة عند الله: إثماً وذنباً عظيماً في شرعه ودينه أن تنكحوا أزواجه من بعده وعظيماً في الجزاء والحساب.

[٥٤] ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾:

﴿إِن﴾: شرطية تفيد النّدرة أو الاحتمال.

﴿تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾: تبدوا: أيْ: تظهروه أو تستروه أيَّ شيء حسياً أو معنوياً مهما كان صغيراً أو كبيراً، أو الشيء يشمل الكل كل شيء، أو أمر في نساء النبي ﷺ مثل إيذاء النّبي أو الرّغبة في الزّواج من نسائه أو إيذائهنَّ قولاً أو فعلاً. أو تخفوه: في أنفسكم بشأن أزواج النبي ﷺ وخاصة بعد موته ﷺ.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء للتوكيد، وإنّ لزيادة التّوكيد.

﴿ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ﴾: في الماضي والمستقبل والحاضر.

﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾: الباء للإلصاق، والدّوام، شيء مهما كان صغيراً أو كبيراً سراً أو جهراً قولاً أو فعلاً.

﴿عَلِيمًا﴾: عالماً به صيغة مبالغة متىٰ حدث وأين وعالم بباطنه وظاهره لا يخفىٰ علىٰ الله سبحانه شيئاً في الأرض ولا في السّماء.

لنقارن هذه الآية (٥٤) من سورة الأحزاب: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ مع الآية (١٤٩) من سورة النّساء: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾:

الاختلاف: في سورة الأحزاب قال: شيئاً، وفي النّساء قال: خيراً.

والشّيء: أعم من الخير؛ لأنّ الشّيء يشمل الخير والشّر وشيئاً نكرة يشمل أيضاً الصّغير والكبير والقول والفعل، والشيء: الأمر الحسي أو المعنوي.

فآية الأحزاب جاءت في الحديث عن نساء النّبي ودخول المنازل والسّؤال من وراء حجاب وعدم إيذاء النّبي ﷺ، فالآية تخاطب الجميع المؤمنين والكفار والمنافقين، ولذلك استعملت شيئاً الّتي تشمل الخير والشّر، وانتهت الآية إنّ الله كان بكلّ شيء عليماً للتحذير.

أمّا آية النّساء فتخاطب المؤمنين وحدهم فهي تتحدَّث عن جانب واحد وهو الخير، ولذلك استعمل كلمة إن تبدو خيراً، وانتهت بقوله: إنّ الله كان غفوراً رحيماً للمؤمنين.

❖❖❖

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ
إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُهُنَّ ۖ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا
﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ
عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ
فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ
بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ
أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

نصف الحزب ٤٣

سورة الأحزاب [الآيات ٥٥ - ٦٢]

[٥٥] ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۚ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾:

سبب النّزول: لما نزلت آية الحجاب اشتكى أقارب أمّهات المؤمنين فقالوا: أو نحن أيضاً لا نكلمهنَّ إلا من وراء الحجاب فنزلت لا جناح عليهنَّ كما قال ابن كثير.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾: أيْ: لا إثم ولا ذنب عليهنَّ؛ ارجع إلى الآية (٥) من نفس السورة، ولم يقل: ليس عليهنَّ جناح: لمعرفة الفرق ارجع إلى الآية (١٥٨) من سورة البقرة للبيان، لا حرج ولا إثم أن يدخل عليهنَّ ويكلمهنَّ من دون حجاب هؤلاء المذكورون في الآية: وهم الآباء والأبناء والإخوان وأبناء إخوانهنَّ وأبناء أخواتهنَّ.

﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾: اختلف الفقهاء في المراد بنسائهنَّ فقال بعضهم: المسلمات فقط، وهو قول أكثر الفقهاء ومنهم ابن عباس، وقال البعض: جميع النّساء المسلمة والكتابية والكافرة، وقوله: نسائهنَّ، ولم يقل: النّساء، تعني النّساء اللاتي هنَّ ملازمات لهنَّ مثل العاملات أو الخادمات. ارجع إلى كتب الفقه للاطلاع على المزيد من البيان والتّحقيق.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾: معطلة في عصرنا الحاضر، ولم يذكر الأعمام والأخوال (العم والخال) رغم أنّ منزلتهما كمنزلة الوالد، بعضهم قال: لا يجوز وبعضهم قال: يجوز. ارجع إلىٰ مصادر الفقه، والطّفل الّذين لم يظهروا علىٰ عورات النّساء، وتكرار لا يفيد التّوكيد وفصل كلّ قرابة عن الآخر.

﴿وَاتَّقِينَ اللَّهَ﴾: من التّقوىٰ وهي بامتثال وطاعة أوامر الله سبحانه وتجنُّب ما نهىٰ عنه، أي: اتقين سخط الله وغضبه وناره فيما أمر به من الحجاب والعفة والقول والنّظر والتّبرج.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إنّ للتوكيد.

﴿كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾: كان تشمل كلّ الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، شهيداً: صيغة مبالغة من شاهد وشهيداً تعني: الرّقيب والمطلع علىٰ كلّ شيء والمحيط علمه بعباده وما تخفي صدورهم وتفعل جوارحهم وكلّ سر ونجوىٰ وجهر.

أمّا الفرق بين إنّ الله كان بكلّ شيء عليماً، إنّ الله كان علىٰ كلّ شيء شهيداً:

فالشّهادة أخص من العلم، العلم = الشّهادة وزيادة.

فالعليم يعلم أكثر من الشّهيد والشّهادة علم يتناول الموجود والعلم يتناول الموجود والمعدوم، والمسموع الغائب والحاضر، وللمقارنة بالرّقيب. ارجع إلىٰ الآية (٥٢) من نفس السّورة.

[٥٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾: إنّ للتوكيد، الله وملائكته: جمع الله سبحانه بين صلاته وصلاة ملائكته على النّبي؛ لأنّه سبحانه هو وحده الّذي يحق له أن يجمع أو لا يجمع، وأمّا نحن فلا يحق لنا أن نجمع بين الله سبحانه وأحدٍ من خلقه، ويصلون الضّمير يعود على الله والملائكة معاً، الصّلاة من الله على النّبي تعني: الرّحمة العامة المطلقة ورضوانه وثناؤه، والصّلاة من الملائكة على النّبي تعني: الاستغفار والدّعاء له.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد هو الصّلاة على النّبي والتّسليم عليه، فكيف نصلّي على النّبي ﷺ نصلّي عليه ﷺ، كما علمنا حين سُئِلَ: كيف نصلّي عليك؟ فقال ﷺ: قولوا: اللهم صل على محمّد وعلى آل محمّد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنّك حميد مجيد (ارجع إلى كتب الفقه).

واختلف الفقهاء في حكم الصّلاة على النّبي، فمنهم من قال: فرض ولو كان مرة واحدة، ومنهم من قال: شرط أو واجبة أو مندوبة، والصّلاة على النّبي ﷺ والتّسليم يجب أن تكون مصاحبة لطّاعة الرّسول وامتثال أوامره وإلا فكيف تصلي عليه وتعصيه.

أمّا كيف يصلي رسول الله ﷺ على نفسه ويسلم؛ لأنّ الآية تنادي الّذين آمنوا ورسول الله ﷺ إمام المؤمنين؟

فالجواب: هو التّحيات حين يقول رسول الله ﷺ: اللهم صل على محمّد وعلى آل محمّد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، فالرّسول حين يقول ذلك يعتبر صلاةً على نفسه.

﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾: اتباع الفعل سلموا بالمصدر تسليماً يفيد التّوكيد. ارجع إلى مصادر الفقه الأخرى للمزيد عن الصّلاة على النّبي وفضلها والأحاديث الّتي جاءت في سياقها.

[٥٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: إنّ للتوكيد، الّذين اسم موصول يفيد الذّم.

﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: الإيذاء هو إيقاع الأذى، أي: الضرر بالقول أو الفعل بالمؤذَى، والإيذاء بحق الله ورسوله، أو أزواجه وأهله قد يعني: فعل ما يكرهه الله ورسوله من الكفر والمعاصي والتّكذيب، ومخالفة الشّريعة على سبيل المجاز، والإيذاء بحقِّ الله ورسوله له معنى خاص.

فالإيذاء الّذي يقع بحق الله تعالى لا يكون بالفعل فلا يستطيع أيُّ مخلوق من خلقه مهما كان شأنه في الأرض أو في السّماء أن يفكّر أن يؤذي الله سبحانه؛ لأنّه سبحانه العزيز القوي القهار الجبار، والإيذاء قد يكون بالقول فقط حين يقولون أو يفترون الكذب على الله عز وجل، مثل قولهم: إنّ الله فقير ونحن

أغنياء، أو إنّ الله هو المسيح ابن مريم، أو الملائكة بنات الله، أو يسبون الدّهر والله هو الدّهر، أو أن يجعلوا بينه وبين الجنة نسباً، والإلحاد في أسمائه وصفاته وذاته.

فقد روى البخاري في صحيحه قال: قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، أمّا إيذاء الرّسول ﷺ فقد يحصل بالقول والفعل حين قالوا: ساحر، أو كاهن أو مجنون أو شاعر، وبالفعل حين شجّوا وجهه الشّريف وكسروا رباعيته يوم أحد وغيرها، وكلمة يؤذون: جاءت بصيغة المضارع للدلالة على تجدُّد وتكرُّر إيذائهم، وأنّه لم يتوقف.

﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: أيْ: طردهم وأبعدهم الله تعالى عن رحمته، ومثال على ذلك المعيشة الضّنكة والعذاب في الحياة الدّنيا بشتى أنواعه.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾: أعد: هيّأ وجهّز، لهم: اللام لام الاستحقاق والاختصاص، عذاباً مهيناً: أي: مخزياً لكونه أمام الخلائق يوم القيامة وبِذلّة، والأليم.

[٥٨] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذّم.

﴿يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: يؤذون: ارجع إلى الآية السّابقة، ويؤذون بصيغة المضارع تدل على التّجدُّد والتّكرار، والإيذاء يكون بالقول والفعل، بالقذف والظّن السّيِّئ والغيبة والنّميمة والكذب والبهتان، وبالفعل

بالظّلم والعدوان والقتل والضّرب، وغيرها من وسائل الإيذاء والتّعذيب، وذكر المؤمنات بعد المؤمنين ذكر الخاص بعد العام؛ لأنّ المؤمنات يدخلن في كلمة المؤمنين، فقول والمؤمنات: تدل على التّوكيد على عدم إيذاء المؤمنات الغافلات.

﴿بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾: أيْ: بغير ذنب أو سبب أو جريمة أو سيئة، والباء للإلصاق والدّوام، ما: بمعنى الّذي أو مصدرية، اكتسبوا: على وزن افتعلوا ولم يقل: كسبوا: اكتسبوا تدل على تكرار الكسب، أيْ: لم يفعلوا أيَّ شيء أو سبب لإيذائهم لكي يرموهم بالباطل والكذب.

﴿فَقَدِ﴾: الفاء للتوكيد، قد للتحقيق والتّوكيد.

﴿احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾: البهتان هو الكذب المتعمَّد الّذي يبهت ويدهش السّامع: أيْ: يقع عليهم إثم ذلك البهتان، أي: الكذب، وإثماً مبيناً: أي: ظاهراً جلياً لا يخفى على أحد، ولا يحتاج إلى دليل أو برهان.

[٥٩] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

أسباب النّزول: كما أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت سودة زوجة النبي ﷺ بعدما ضُرب الحجاب لحاجتها فرآها عمر، فقال: يا سودة أما والله تخافين علينا فانظري كيف خرجت، قالت: فانكفأت فأخبرت رسول الله ﷺ بما قال عمر فنزلت هذه الآية.

وقيل: كان بعض المنافقين يتعرضون للنساء في الليل إذا خرجن لحاجتهنَّ،

فنزلت هذه الآية، والمهم هو عموم اللفظ وليس خصوص السّبب، وهذا ما يحدث في عصرنا الحاضر من تعرض نساء المؤمنين للإيذاء بالأقوال وبالأفعال من قبل ضعاف الإيمان وأولاد الشوارع.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾: نداء بياء النّداء، أيّها: الهاء للتنبيه، نداء تكريم وتشريف.

﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾: اللام لام الاختصاص، أزواجك: وكنَّ تسعة حين نزول هذه الآية، وهنَّ: عائشة وحفصة وأمّ حبيبة وأمّ سلمة وسودة بنت زمعة وميمونة وزينب وجويرية وصفية.

﴿وَبَنَاتِكَ﴾: وكن أربعة: فاطمة وزينب ورقية وأمّ كلثوم.

﴿وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: عامة وكلمة نساء جمع لا مفرد لها وليس مثل كلمة أزواج مفردها زوج، إذن كلمة نساء لا يعرف لها مفرد كما أنّ كلمة امرأة ليس لها جمع فلا تجمع على امرآت مثلاً، وأصل كلمة النّساء من النسيء: وهو التّأخير؛ لأنّ المرأة خلقت بعد خلق الرّجل كما قال البعض.

انتبه: إلى قوله: لأزواجك ولم يقل: ولبناتك ولنساء المؤمنين، وإنما قال: بناتك ونسائك، أكد باللام على أزواج النّبي؛ لأنّهن هن القدوة لكلّ النّساء وأمّهات المؤمنين، ولم يؤكد على بناته ونساء المؤمنين.

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾: الإدناء: هو الإرخاء والإسبال على الوجه والبدن أيْ: يسترن أجسامهنَّ من الرّأس إلى القدم، والإدناء أصله التّقريب، من جلابيبهنَّ: من ابتدائية، والجلباب هو ثوب يُلبس فوق الثّياب الدّاخلية وهو ثوب

يستر جميع الجسم والصّدر، وأمّا الخمار فهو غطاء الرّأس تحديداً، وأمّا الجيب: فهو فتحة الصّدر.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد يشير إلىٰ إدناء الجلابيب.

﴿أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾: أدنىٰ: أقرب أو أحرىٰ أن يعرفن: أن حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد، أيْ: لكي يعرفن أو أقرب أن يعرفن ويُتبيَّن أنّهنَّ من الحرائر.

﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾: الفاء للتوكيد، لا النّافيــة، ويؤذين مبني للمجهول، أيْ: من قبل السّفهاء وأهل الرّيبة بالتّعرض لهنَّ، فكأن لباس الجلباب فيه إشارة أو علامة علىٰ أنّ المرأة حرة من الحرائر، فالأولىٰ عدم التّعرض لها والإساءة لها.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: غفوراً لمن تركت منهنَّ السّتر قبل نزول هذه الآية، غفوراً: صيغة مبالغة كثير الغفر هو السّــتر ستر الذّنوب ومحوها والثّواب علىٰ العمل الصّالح، رحيماً: بعباده المؤمنين في الدّنيا والآخرة يرشــدهم إلىٰ ما فيه الخير والصّلاح والسّداد والصّواب، رحيماً صيغة مبالغة كثير الرّحمة وصفة الرّحمة ثابتة له.

[٦٠] ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿لَّئِن لَّمْ﴾: اللام لام التّوكيد، إن: شرطية تفيد النّدرة أو الاحتمال والشّك، لم: نافية.

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: جمع منافق وهو من يظهر خــلاف ما يبطن، أيْ: من أظهر

الإسلام وأضمر أو أبطن الكفر. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (١٣٨) لمزيد من البيان.

﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: الرّيبة والشّك والفجور وضعاف الإيمان والفسقة.

﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ﴾: من الإرجاف، جمع مرجف والمرجف الّذي يمشي بين النّاس لينشر الفتنة وأخبار السّوء والأكاذيب والأباطيل وزعزعة النّفوس؛ مما يؤدي إلىٰ اضطرابها وتحريكها، والإرجاف: مأخوذة من الرّجفة الّتي هي الزّلزلة الأرضية الشّديدة. وهذه الآية قد تكون تحذير ووعيد لمن يخفي أو يبدي شيئاً يؤذي رسول الله ﷺ، أو يطعن في أزواجه (أمهات المؤمنين).

وهناك من المفسرين مَن يرىٰ أن الصّفات الثّلاث لجنس واحد هم المنافقون، أيْ: هناك من المنافقين مرجفون، وقوم يشكّكون المسلمين، الواو هنا تعني عطف صفات مختلفة لشيء واحد، وجاءت الصّفات مستقلة؛ لأنّها أصبحت صفات واضحة غير مخفيَّة تكاد تكون مستقلة بذاتها.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: اللام للتوكيد، نغرينك بهم: من الإغراء وهو أن تحمل المخاطب ليفعل أمراً ما أو تُحبب إلىٰ شخص أمر ليفعله، أيْ: لنغرينك علىٰ مواجهتهم والتّصدي لهم وقتالهم وإجلائهم، أيْ: لنسلطنك عليهم، والنّون في نغرينك لزيادة التّوكيد.

﴿ثُمَّ﴾: عطف بها لتباين عظم الجلاء عن الأوطان، فهو أعظم عليهم من جميع ما أصيبوا به.

﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا﴾: أذلاء ملعونين أقلاء في المدينة، ولمدة قليلة من الزّمن، ثم يخرجون منها أو يهلكون، إلا تفيد الحصر.

﴿قَلِيلًا﴾: أيْ: زمناً قليلاً أو القلة منهم والباقي يرحل ويترك.

[٦١] ﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾:

﴿مَّلْعُونِينَ﴾: أيْ: لا يجاورونك إلا ملعونين، أيْ: مبعدين عن رحمة الله، أو مطرودين من المدينة بعد أن لعنهم الله سبحانه وفضحهم بسبب غدرهم ونفاقهم.

﴿أَيْنَمَا﴾: وردت في القرآن في أربع آيات هذه واحدة منهنَّ، ظرف مكان فيه معنىٰ العموم والشّمول والإبهام.

﴿ثُقِفُوٓا۟﴾: أيْ: وجدوا في أيِّ مكان وزمان علىٰ شرط أن تكونوا قادرين عليهم أو تربصوا لهم فإذا تمكَّنتم من أسرهم وقتلهم فافعلوا.

﴿أُخِذُوا۟﴾: أيْ: أسروا: أخذوا أسرىٰ.

﴿وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾: أي: اقتلوهم بعنف وشدة ولا تأخذكم بهم رحمة أو رأفة، قتلوا: فيها مبالغة، ولم يقل: وقتلوا بتشديد التّاء، وإتْباع الفعل بالمصدر يفيد التّوكيد علىٰ قتلهم.

[٦٢] ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾:

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾: هي الطّريقة الّتي يصرف الله سبحانه بها كونه أو خلقه بما يحقق مصلحة ذلك الكون أو الخلق ومصلحة الإنسان أن يسود الحق ويبطل الباطل. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٧٣) والنّساء آية (٢٦) لبيان معنىٰ سنة.

ولمقارنة السّـــنة مع العـــادة: فالعادة مأخوذة من العـــود والمعاودة بمعنىٰ التّكرار، وأمّا العرف: فما ألفه المجتمع واعتاده من قول أو فعل وعادة.

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ﴾: أيْ: أســـر المنافقيـــن ولعنهم في كلّ زمان، وقتلهم تقتيلاً وتســـليط المؤمنين عليهم وقهرهم هي سنة الله تعالىٰ، وطريقته الّتي أجراها منذ الأزل، والّتي جرت في الّذين خلوا من قبل أو مضوا أو جاؤوا من قبل هؤلاء من الأمم السّابقة.

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾: لـــن: لنفي القريب والبعيد، واللام في كلمة لسنة: لام الاختصاص، تجد لسنة الله تبديلاً: أيْ: لا تغيير ولا تبديل ولا تحويل ثابتة دائمة علىٰ أمثال هؤلاء إلىٰ قيام السّـــاعة. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٣) من سورة الفتح، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾: نجد أن آية الأحزاب جاءت في ســـياق المنافقين والذين في قلوبهم مرض والمرجفين، والسُّنة هي: ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾، وآية الفتح جاءت في سياق الذين كفروا، والسُّنة هي: ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾.

❖ ❖ ❖

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ
وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا
فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَـٰٓ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ
وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ
ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ
وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ
عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

سورة الأحزاب [الآيات ٦٣ - ٧٣]

[٦٣] ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾:

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾: يسـألك النّاس؛ أي: الكل يسـأل؛ إما سؤال إنكار من الّذين ينكرون السّاعة والبعث والحساب أو سؤال استعجال واستهزاء من المشـركين أو من اليهود على سـبيل الامتحان، أو من أهل العلم من الّذين يؤمنون بها للاستعداد لها.

﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾: أيْ: متى قيام السّـاعة، أيْ: عن وقت حدوثها والسّاعة هي بدء تهدم النّظام الكوني الحالي ونهايـة الحياة الدنيا، وهي أمر مهم وخطير يهم كلّ النّاس، ويسألك ولم يقل: يسـألونك، يسألك: يعني السّائل ليس بالضّرورة يقف أمامك ويسـألك، أمّا يسألونك: فالسّائل يقف أمامك ويسألك بنفسه وعن تفيد المجاوزة والمساعدة.

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد والحصر.

﴿عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: أيْ: قل لهم: لا يعلمها إلا الله أو استأثر الله بعلمها، فلم يطلع عليه ملكاً ولا رسولاً ولا نبياً، ثم بين سبحانه أنّها قريبة الوقوع.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾: وما: الواو عاطفة، ما للاستفهام.

يدريك ولم يقل: أدراك ما هو الفرق بين يدريك وأدراك يسـتعمل القرآن

الكريم يدريك في سياق الأمر أو الاستفهام الّذي لن يظهر أو يُعلم عليه حتّىٰ يوم القيامة.

وأمّا أدراك فيستعملها في سياق الأمر أو الاستفهام الّذي سيظهر علمه أو يبدو لك عن قريب.

﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾: لعل للتعليل، السّاعة تكون قريباً لم يقل: قريبة: قريباً بالتّذكير؛ لأنّ المراد بالسّاعة ليس السّاعة الآلة بعينها، وإنما وقت قيامها، أي: الظّرف أيْ: زمن قيام قريب، فكل ما ورد في إدراك فقد أداره به، وكل ما جاء في سياق يدريك لم يطلعه الله عليه.

[٦٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: طردهم وأبعدهم عن رحمته والكافرين بشكل عام والكافرين بالبعث والسّاعة خاصة.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾: أعد: هيّأ وجهز، لهم: اللام للاختصاص والاستحقاق.

﴿سَعِيرًا﴾: ناراً شديدة الاستعار والاتقاد أو مستعرة.

[٦٥] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾:

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾: الخلود يعني: البقاء الدّائم المستمر من دون انقطاع ويبدأ من زمن معيَّن هو دخولهم إياها وإلىٰ ما لا نهاية.

﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: ولم يقل: لا يجدون من دون الله ولياً ولا نصيراً؛ لأنّ سياق الآية في الآخرة ففي الآخرة انتهىٰ الأمر لا يوجد لله لا شريك

ولا ولي، كما كانوا يزعمون في الدّنيا، ولو كان السّياق في الدّنيا لذكر من دون الله.

ولياً: من الولاية والولي هو القريب الّذي يتولّىٰ أمرهم والمحب المخلص لهم، ولياً نكرة تعني أيَّ وليٍّ.

ولا نصيراً: النّاصر والمدافع القوي يخلصهم من العذاب. نصيراً: نكرة تعني أيَّ نصير. ارجع إلىٰ الآية (١٠٧) من سورة البقرة لمزيد من البيان؛ أي: لا يجد لا ولي لوحده، ولا نصير لوحده، ولا كلاهما معاً.

[٦٦] ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴾:

﴿ يَوْمَ ﴾: نكرة للتهويل والتّعظيم، أيْ: يوم القيامة.

﴿تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾: تعود علىٰ الكافرين، تقلب وجوههم: قد تعني مرة علىٰ الجانب الأيمن ومرة علىٰ الجانب الأيسر.

تقلب وجوههم مثل تلفح وجوههم النّار أو لا يكفون عن وجوههم النّار.

وخصَّ الوجه؛ لأنّه أشرف أعضاء الجسم وأهمها.

﴿ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ ﴾: يا النّداء نداء حسرة، ليت تستعمل لطلب الأشياء المستحيلة الحدوث أو غير الممكنة الحدوث، أو هم يتمنَّون المستحيل؛ لأنّ طاعة الله ورسوله انتهت والآخرة ليس فيها تكليف.

﴿أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴾: يا ليتنا أيْ: أطعنا الله سبحانه في الدنيا فيما أمر ونهىٰ وأطعنا الرّسول ﷺ فيما فصَّلَ وبيَّن ويا ليتنا لم نعصه، وتكرار أطعنا يفيد التّوكيد وفصل طاعة الله عن طاعة الرّسول أو كلاهما معاً.

﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾: فيها زيادة الألف الّتي تدل على طول الكلمة بدلاً من أطعنا الله والرّسول ولتدل على تمنٍّ ممزوج بصراخ وعويل طويل مرير من أهل النار.

[٦٧] ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾:

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ﴾: لم يقولوا: يا ربنا: حذفوا ياء النّداء للبعد؛ لأنّ الموقف في الآخرة والله سبحانه قريب منهم يسمعهم.

﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾: السّادة جمع سيد: وهو الّذي يتولّى تدبير القوم وعليهم طاعته؛ لأنّه ينظر في أمورهم فهو سيد القوم ورئيسهم.

﴿وَكُبَرَآءَنَا﴾: جمع للصفة كبير وهو الّذي يفضلهم في العلم أو السّن أو الشّرف.

فهم يلقون اللوم على السّادة والكبراء، لعلَّ الله يقبل اعتذارهم وسادتنا تدل على الكثرة، أيْ: أطعناهم فكانوا عوناً لنا على الشّرك والكفر والمعاصي. وهناك فرق بين كبراءنا، وأكابر؛ الأكابر: جمع أكبر، وهم أعظم أو أبلغ من كبراء.

﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾: أيْ: لم يهدوننا إلى الصّراط المستقيم وساروا بنا في طريق الضّلال.

وأضلونا السّبيلا: مد السّبيل فقال السّبيلا: لأنّ المقام مقام صراخ وعويل وبكاء، وعدم استقرار ولا سكون.

وإذا قارنا هذه الآية بالآية (٤) من نفس السّورة ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾: لم يمد السّبيل: لأنّ هذه السّبيل مليئة بالسّكون والطّمأنينة والاستقرار؛ لأنّه سبيل الله الحق يختلف عن سبيل السّادة والكبراء.

[٦٨] ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾:

﴿ رَبَّنَآ ﴾: ولم يقولوا: يا ربنا: ارجع إلى الآية السّابقة.

﴿ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾: قيل: عذاب مضاعف؛ لأنّهم أضلوا أنفسهم وأضلونا معهم، أيْ: ضلالهم لم يقتصر على أنفسهم، وإنّما تعدَّى إلى غيرهم، أي: اجعل عذابهم ضعفي عذابنا.

﴿ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾: طلبوا لهم اللعن، أيْ: طلبوا من الله أن يطردهم من رحمته، وأن يكون هذا اللعن لعناً كبيراً؛ لأنّهم ضلوا وأضلونا وليس لعناً عادياً.

[٦٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه الّذين آذوا الله وآذوا رسوله ﷺ، ثم الّذين آذوا المؤمنين، ثم ينادي الّذين آمنوا بنداء جديد بأن لا يكونوا كبني إسرائيل الّذين آذوا نبيهم موسى عليه السلام الّذي جاء لينقذهم من الاستعباد والعذاب.

وهم آذوه مرات عديدة مثال: حين اتهموه بقتل أخيه هارون، أو حين اتهموه بالبرص، وحين اتهموه بالعيب الخلقي، وهو الأدرة وهو انتفاخ بالصفن بسبب كيسة، وحين اتهموه بالزّنى بالمرأة البغي بعد أن حرضها قارون على اتهام موسى بالفاحشة.

﴿ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ﴾: أيْ: أطلعهم الله تعالى على أنّه بريء من البرص والعيب الخلقي، وأنه آدر، كما قال ابن عباس: خرج موسى ذات يوم ليغتسل فوضع ثيابه على حجر فجرف الماء الحجر وعليه ثوبه فركض موسى عرياناً يطلب ثيابه، فرآه بنو إسرائيل فقالوا: والله ما به من بأس فبرَّأه الله من ذلك وبرَّأه الله من الزّنى ومن قتل أخيه.

﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾: ذو جاهٍ، أيْ: قدر وقربة عند الله، أيْ: منزلة رفيعة.

[٧٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾:

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف أو أمر جديد.

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: التّقوىٰ أن تجعل بينك وبين الجبار العزيز القهار وقاية تقيك من غضبه وسخطه وناره، وذلك بامتثال أو طاعة أوامره وتجنُّب ما نهىٰ عنه الله.

﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾: السّداد هو القصد إلىٰ الحق، أي: القول الصّدق والعدل الّذي يفضي إلىٰ الحق القريب من الصواب، والصواب: هو الحق الذي لا يوجد غيره؛ أيْ: لا تخوضوا في أيِّ حديث غايته غير القصد في الوصول إلىٰ الحق مثل الخوض في حديث زينب وزيد، أو رجل له قلبان في جوفه أو زيد بن محمّد، أو أزواجكم أمهاتكم، وغير ذلك من الأقاويل الباطلة، أو تتهموا أحداً بالباطل (بالزّنىٰ أو العيوب الخلقية أو غيرها) أيْ: راقبوا الله في حفظ ألسنتكم ولا تقولوا إلا الحق أو الزموا الصّمت.

[٧١] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾:

أيْ: يعدكم إذا اتقيتم الله وحده وقلتم قولاً سديداً أن:

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾: أيْ: يزكيها ويقبلها أيْ: يقبل حسناتكم.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: (لكم خاصة) ذنوبكم، أيْ: جميع ذنوبكم ولم يقل: يغفر لكم من ذنوبكم.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: من شرطية، يطع الله ورسوله فيما أمرا به ونهيا عنه.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء جواب الشّرط، قد للتحقيق والتّوكيد.

﴿فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: الفوز: النّجاة من النّار ونيل ما يتمناه سعادة الدّارين والفوز العظيم ليس هناك فوز أعظم منه، عظيم صيغة مبالغة على وزن فعيل الفوز العظيم: هو أعظم من الفوز المبين أو الفوز الكبير. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٣) لمزيد من البيان في الفوز وأنواعه أو درجاته.

[٧٢] ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم تعود على الله سبحانه واجب الوجود.

﴿عَرَضْنَا﴾: من العرض يقال: عرضت على فلان الأمر يعني أطلعته عليه لأرى فيه رأيه يقبل أو لا يقبل والعرض يعني فيه تخيير لا إلزام، فله أن يطيع أو أن يعصي يؤمن أو يكفر.

﴿الْأَمَانَةَ﴾:

١ - أمانة الاختيار، وقيل: هي الفرائض الصّلاة والزّكاة وصيام رمضان وحج البيت والعدل في الميزان والمكيال.

٢ - أو سائر التّكاليف الشّرعية والّتي تضم افعل ولا تفعل؛ أي: الفرائض والإخلاص في العبادة والالتزام بشعائر الدين وسنته وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في الميزان والمكيال، وقيل أيضاً: غسل الجنابة وحفظ الفرج والإذن والعين واليد والوفاء بالعهود، وتشمل كلَّ ما ائتُمن عليه من مال أو وديعة أو غيرها مثل قضاء الدَّين، وقيل: الأمانة الطّاعة طاعة أوامر الله وتجنُّب نواهيه.

﴿عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾: على الأجرام العظيمة كالسّموات

والأرض والجبال فلا تظن السّموات والأرض والجبال جمادات أو أشياء خلقت عبثاً، بل هي تسبح بحمد ربها وتصلي وتسجد لخالقها.

﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾: امتنعت أن تقبل تحمل الأمانة وخافت منها (أن لا تؤدِّيها) واختارت أن تكون مسخَّرة لمشيئة الله وإرادته.

﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾: أيْ: بعد أن خير السّموات والأرض والجبال خير الله آدم فاختار أن يحملها وقبل آدم أبو البشر على حملها على الرغم من ضعف قوته مقارنة بتلك الأجرام العظام.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾: إنه: للتوكيد، كان ظلوماً: لنفسه لأنّه حَملَ نفسه شيئاً لم يعرف عواقبه (الأمانة) ولم يَفِ بها أو غدر بالعهد ونكث أو لم يلتزم بها، ولم يحملها كما أُمر، جهولاً: بما ستصنع به الأغيار أو جهولاً لما يرتكبه من الأخطاء أو حملها بسبب جهله، والجهل هو عدم العلم وكلمة (ظلوماً جهولاً) صيغة مبالغة لظلمه وجهله.

[٧٣] ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

﴿لِّيُعَذِّبَ﴾: اللام لام التّعليل يمكن أن تعود على عرضنا أو حملنا إذا عادت لام التّعليل إلى عرضنا: أيْ: عرضنا الأمانة على الإنسان ليظهر شرك المشرك ونفاق المنافق وإيمان المؤمن، ومن ثم يعذبهم على أعمالهم.

وإذا عادت لام التّعليل إلى حملنا: أيْ: حملنا المنافق والمشرك والعاصي الأمانة فلم يؤدِّها، فلذلك يعذَّب، وأما المؤمن المطيع فيثاب:

١ - وليس المقصود بتحميل الإنسان الأمانة والتّكليف بها هو تعذيبه أبداً، وإنما ليثاب على حملها.

٢ - ولـــم يعطف التّوبة على العذاب وفصل بينهما بتكرار الفاعل وهو الله للتوكيد، فقال: ليعذب الله ويتوب الله بدلاً ليعذب الله ويتوب على...إلخ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: كان وما زال وسيبقى غفوراً رحيماً، وكان الله غفوراً رحيماً.

غفوراً: مقابل كلمة الظّلوم فالله سبحانه غفور لمن ظلم، ثم بدل حسناً بعد سوء.

رحيماً: مقابل (جهولاً) أيْ: رحيماً بالجاهل إذا تاب أو أناب إلى ربه.

ومن الجدير بالذكر الانتباه كيف بدأت السّـــورة بقوله: فلا تطع الكافرين والمنافقين، وانتهت السّورة بقوله: ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ سَبَإٍ

ترتيبها ٣٤ — آياتها ٥٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ
وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ
ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ
قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ۖ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ
ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ
وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ
ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۙ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

سورة سبأ [الآيات ١ - ٧]

سورة سبأ هي السّورة رقم (٣٤) في ترتيب المصحف، أمّا في النزول فقد كانت السّورة (٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢) من سورة الفاتحة، وسورة الأنعام لبيان معنىٰ الحمد، وسورة سبأ هي إحدىٰ السور الخمسة التي افتتحت بالحمد لله: وهي الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر.

﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: الّذي: اسم موصول يفيد المفرد المذكر، والمجيء بالّذي هنا يفيد التّعظيم؛ لأنّ له ما في السّموات وما في الأرض، لم يقل الحمد لله من له، الّذي: أخص من (من)؛ أي: الذي أكثر تحديداً ووضوحاً، فالّذي تستعمل للأخص المعلوم، له ما في السّموات وما في الأرض: ارجع إلىٰ الآية (٢) من سورة إبراهيم.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾: تكرار وله الحمد يفيد التّوكيد والاستمرار، وأنّ حمده لا ينقطع في الدّنيا ولا في الآخرة، والحمد في الآخرة: أكبر وأعظم، يحمده أولياؤه أصحاب الجنان، أمثلة علىٰ ذلك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر:٧٤]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف:٤٣]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ

﴿عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤]، له ما في السّموات وما في الأرض؛ أي: له وحده، اللام لام الاختصاص والملكية.

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾: تقديم الجار والمجرور له يفيد الاختصاص والحصر؛ أي: له الحمد وحده عز وجل لا لغيره.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: مشتقة من الحكم فهو أحكم الحاكمين، ومن الحكمة فهو أحكم الحكماء في خلقه وشرعة وكونه. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: العليم ببواطن الأمور: مثل السّر والنّجوى وخائنة الأعين وما تخفي الصّدور، الخبير بأحوال كونه وعباده وخلقه.

[٢] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾:

في الآية السّابقة قال تعالى: «الخبير» ببواطن الأمور وكذلك يعلم:

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: يلج من الولوج: وهو الدّخول بصعوبة مثل دفن الموتى كقوله: ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً، فكلمة كفاتاً فيها معنى الولوج، إذن يعلم عدد من يدفن فيها وما يُخفى فيها تحت الأرض من الكنوز والمعادن والبترول والغازات والمواد النّووية والمواد المدمرة، وغيرها من الأشياء الّتي تلج في الأرض؛ أي تسقط: من السّماء كما هو الحال في إنزال الحديد من السماء وتشكيله لب الكرة الأرضية الصلبة والسائلة. في: تفيد الظّرفية.

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: من بترول وغازات وبخار ماء ومعادن وكنوز (بواسطة الاستخراج والكشف) وبراكين والمياه، والنّبات والزّرع، من: ابتدائية ظرفية، وتكرار ما يفيد التّوكيد، وفصل الولوج عن الخروج والنّزول عن العروج.

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: من مطر وبقايا الأجرام السّماوية المتفككة فقد أشارت وكالة الفضاء الأمريكية أن هناك (١٧٠ مليون) قطعة من بقايا الأجرام السماوية تدور حول الأرض عليها تتراوح أحجامها بين (١ ملم)، وبعضها يقدر بـ(٣٠ ألف) بحجم البرتقالة، وبعضها القليل بحجم الأقمار الاصطناعية، ومعظم هذه البقايا تسقط في البحار والمحيطات التي تشكل (٧٠٪) من حجم اليابسة، وهذا من رحمة الله تعالىٰ، ولو سقطت القطع الكبيرة لسببت الدمار والخراب في الأرض. ارجع إلىٰ سورة الشعراء آية (١٨٧) للبيان، أو ما ينزل من الملائكة وما ينزل من صواعق وبرق وبرد، وأشعة ضارة أو نافعة وغيرها.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾: العروج هو الصّعود بشكل مائل، ارجع إلىٰ الآية (١٤) من سورة الحجر؛ أي: الملائكة والمركبات الفضائية والطّائرات والصّواريخ، ورياح وسحب وبخار ماء.

﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾: هذه هي الآية الوحيدة في القرآن الّتي قدّم الرّحيم علىٰ الغفور وبقية الآيات كلّها قدّم الغفور علىٰ الرّحيم؛ قد يكون والله أعلم أن الرّحمة عامة تشمل المؤمن وغير المؤمن، ولم يتقدّم هذه الآية أيّ ذكر عن المؤمنين أو غيرهم، وإنما فيها ذكر صفات وأسماء الله، فقدم الرحيم (لعامة الناس) علىٰ الغفور؛ لأنّ الغفران لا يكون إلا (لخاصة الناس) فقدم العام علىٰ الخاص، ولأن الرحمة تسبق المغفرة.

الرّحيم: بكم يحفظكم من عواقب ما يحدث في الأرض من الولوج

والخروج، وما يحدث في السّماء من النّزول والعروج، الرّحيم: صيغة مبالغة من الرّحمة. فلو سقطت هذه القطع الكبيرة والتي تقدر بواحدة كل يوم على مدينة أو منطقة آهلة بالسكان لقتل الكثير، وسببت الحرائق والدمار في البنيان، أو حدثت البراكين والزلازل الكثيرة، وملئت السماء الغازات السامة لما عاش الكثير، ونحن نشاهد الصواعق التي تسبب الحرائق الهائلة في الأرض، وكذلك الفيضانات وغيرها من الظواهر الجوية والأعاصير المدمرة.

الغفور: صيغة مبالغة؛ أي: كثير الغفران؛ أي: يعفو ولا يعاقب ويثيبكم على أعمالكم الصّالحة، يعفو عن كثير (كثير من ذنوبكم وسيئاتكم وخطاياكم) فلا يعاقبكم. ارجع إلى سورة الحديد الآية (٤) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾: بالله ورسوله وأنكروا البعث والحساب والآخرة.

﴿لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾: لا النّافية، تأتينا السّاعة: أي ساعة تهدّم النّظام الكوني الحالي، وسمّي بالسّاعة: السّاعة جزء من (٢٤) جزءاً من النهار والليل، وقد يكون معناها إطلاق الجزء على الكلّ أو السّاعة هي آخر ساعة في الحياة الدّنيا وبعدها النّفخة الأولى ويبدأ تهدّم النّظام الكوني الحالي والفزع والصعق؛ أي: الّذين كفروا زعموا أنّه ليس هناك السّاعة ولا حساب ولا آخرة، ولا بعث، ولا جنة، ولا نار.

﴿قُلۡ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ؛ أي: أقسم لكم بربي لتأتينّكم.

﴿بَلَىٰ وَرَبِّي﴾: بلى: حرف جواب يفيد تقرير ما بعد النّفي، وما بعد النّفي إتيان السّاعة؛ أي ستأتينّ وربي: الواو واو القسم؛ أي: أداة القسم، والمقسم به ربي، والمقسم عليه لتأتينكم، والله سبحانه غني عن القسم، ولا يقسم إلا بشيء هام وعظيم، وهو قيام الساعة.

﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾: اللام والنّون في تأتينكم للتوكيد: توكيد القسم.

﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾: الغيب كلّ ما غاب عن عيون البشر في السّموات وفي الأرض، وعن كل المدركات كالسمع والبصر وغيرها من الحواس، وعالم السّر والنّجوى وما تخفي الصّدور، عالم الغيب هنا يعني الغيب المطلق، ومنه علم قيام الساعة وغيرها، وهناك الغيب النسبي الذي قد يظهره لمن ارتضى من رسله. ارجع إلى سورة الروم آية (١-٤).

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: لا يعزب: لا النّافية، يعزب من: عزب الشّيء؛ أي: غاب وبَعُد، أي لا يغيب عن علمه أيُّ شيء مهما دقَّ وصغر، وما كان نوعه وشكله وحجمه ولونه، ارجع إلى سورة يونس الآية (٦١) لبيان معنى ذرة.

وهذه الآية من سورة سبأ هي إحدى ثلاث آيات فقط في كلّ القرآن الّتي أمر الله سبحانه رسوله بأن يقسم بربه على مجيء السّاعة، وأمّا الآية الثّانية فهي الآية (٥٣) من سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ القسم في هذه الآية على مجيء العذاب، أمّا الآية الثّالثة فهي الآية (٧) من سورة التّغابن وهي قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ والقسم في هذه الآية على مجيء يوم البعث، إذن القسم كان على مجيء السّاعة والبعث والعذاب.

ولمقارنة هذه الآية (٣) من سورة سبأ: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ مع الآية (٦١) من سورة يونس: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ ارجع إلى سورة يونس الآية (٦١) للبيان.

[٤] ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾:

﴿لِيَجْزِيَ﴾: اللام لام التّعليل؛ أي: لتأتينكم ليجزي الّذين آمنوا وليجزي الّذين سعوا في آياتنا ويرى الّذين أوتوا العلم.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: الّذين: اسم موصول، آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وعملوا الصّالحات: الفرائض والنّوافل، وما أمرهم به ربهم أو نهاهم عنه.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: لهم: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، مغفرة لذنوبهم، والمغفرة تعني: ستر الذّنب وبالتّالي العفو وإسقاط العقاب وإيجاب الثّواب.

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: وصف الرّزق ذاته بالكريم، والكريم: هي صفة الرّزاق الّذي يرزق، فالرّزق كريم من الكريم ويشمل جنات الفردوس والخلد وعدن والنّعيم، كريم؛ لأنّه رزق في الجنة ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: [غافر: ٤٠]، ﴿مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، ﴿فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الصافات: ٤٢-٤٣]، ويشمل المأكل والمشرب والملبس والحور العين وكل ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزّخرف: ٧١].

[٥] ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ﴾:

﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ ﴾: والّذين: اسم موصول، سعوا في آياتنا: من السّعي: هو المشي الحثيث أو الجاد، عملوا جهدهم على صرف النّاس عن الاستماع لآياتنا والطّعن فيها وإبطالها، أو صد النّاس عنها باللغو والتّكذيب بها، معاجزين: جمع معاجز من: عاجزه وأعجزه؛ أي: غالبه وسبقه؛ أي: يحاولون أن يُعجزوا ويسبقوا من جاء بها أو يدعو إليها فيجعلونه عاجزاً عن تبليغها والكف عنها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ﴾: اسم إشارة واللام للبعد يفيد الذّم والتّحقير.

﴿لَهُمۡ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ﴾: الرّجز عذابٌ من السّماء (مثل الطّاعون أو البرق أو صاعقة) أليم لا ينجون منه، أو كثير الإيلام لا يطيقونه. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٩) للبيان المفصل في معنى رجز، والفرق بين رجز ورجس.

[٦] ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾:

مقابل الكفار الّذين سعوا في آياتنا معاجزين بالفساد والصّد عن سبيل الله.

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾: الذين أوتوا العلم؛ أي: المؤمنون بالله أتباع الرسول ﷺ، والّذين أوتوا العلم من أهل الكتاب وغيرهم أوتوا العلم؛ يعني: علم الدين.

يروا ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾: أي القرآن أو من الآيات.

﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾: هو ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر، الحق: الأمر الثّابت الّذي لا يتغير أو يتبدل، والذي ليس هناك غيره.

﴿وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾: صراط العزيز الّذي لا يُغلب ولا يُقهر، الحميد على نعمه الدّائمة الباطنة والظّاهرة وعلى ما يعطي من نعم، صراط العزيز الحميد: هو دين الإسلام دين الحق أو الدّين القيّم. ارجع إلى سورة الحج آية (٢٤) للمقارنة.

[٧] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: بعضهم لبعض، وبما أنّه لم يذكر لمن قالوا، فلا يهم والمهم هنا المقولة.

﴿هَلْ﴾: استفهام فيه تعجب وإنكار.

﴿نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾: أي محمّد ﷺ، رجل نكرة، ولم يذكروا اسمه ﷺ بل وصفوه بالنّكرة؛ للاستهزاء به والسّخرية والتّقليل من شأنه.

﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾: من النّبأ: وهو الخبر العظيم؛ أي: يخبركم خبراً عظيماً وهو إذا مزِّقتم كلّ ممزَّق إنّكم لفي خلق جديد.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد الحتمية.

وهناك فرق بين التّمزق والتّقطع، مزّقتم كلّ ممزّق؛ أي: مزقت أجسادكم بعد الموت وأصبحت عظاماً ورفاتاً أو في بطون السّباع أو البحار أو الطّير أو القبور، والتّمزق: تعريفه هو إتلاف الشّيء بحيث لا يمكن إصلاحه أو إعادته أو جمعه مرة أخرى، أمّا التّقطع: هو قطع الشّيء إلى كتل: وقطعناهم في الأرض

أممـــاً، في التّقطّع هنـــاك إمكانية الجمع وليس كما هو الحال في التّمزق لشـــدة إنكارهم للنشر والبعث.

﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: تعني تقطّعت أوصالكم فلم يبق عضو متصل بعضو آخر أو شيء متصل بشيء من أبدانكم، كما في قوله: ﴿ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة:١٠] أي: غبنا في متاهة الأرض أو تبعثرت ذرات أجسادكم واختلطت بتراب الأرض.

﴿إِنَّكُمْ لَفِي﴾: إنّكم للتوكيد، لفي: اللام للتوكيد، في: ظرفية.

﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: أي تخلقـــون من جديـــد؛ أي: يؤكد لكم أنّه ســـيتجدد خلقكم، وتخلقون مرة أخرىٰ.

❖❖❖

أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ
فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ
وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ
ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ
يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعۡمَلۡ
سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ
بَصِيرٞۖ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ
وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ
رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾
يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ
وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ
ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ
إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ
أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿١٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٣

سورة سبأ [الآيات ٨ - ١٤]

[٨] ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾:

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾: الهمزة والإنكار والتّعجب، وأفترىٰ: تعني تعمّد الكذب حين زعم أنّا سنبعث ولفي خلق جديد؛ أي: لا ندري أهو مفترٍ علىٰ الله أم به جنة (أي مجنون أو به جنون) قالوا ذلك عن الرّسول، وهم أنفسهم كانوا يصفون رسول الله بالصّادق الأمين، ثمّ يردّ الله سبحانه علىٰ هؤلاء فيقول بل: الّذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضّلال البعيد.

﴿بَلِ﴾: للإضراب الإبطالي؛ أي: ليس رسول الله هو الكاذب ولا المجنون البتة، بل هم الّذين لا يؤمنون بالآخرة وهم الكذَبة الجهَلة.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذّم والتّحقير.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾: لا النّافية، لا يؤمنون بالآخرة: لا يصدقون؛ أي: يجحدون بالبعث والحساب ويوم القيامة، بالآخرة: الباء للإلصاق والدّوام.

﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾: مقابل اتهامهم رسول الله ﷺ بالافتراء.

﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾: مقابل وصفهم لرسول الله ﷺ بالجنة؛ أي: الجنون،

أي: هم في الضّلال البعيد عن الحق أو البعيد في الدّنيا والّذي من الصّعب العودة منه إلىٰ طريق الهدىٰ، وليس هو ﷺ.

[٩] ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾:

﴿ أَفَلَمْ ﴾: الهمزة للاستفهام والتّوبيخ والتّقريع.

﴿يَرَوْا﴾: رؤية بصرية ورؤية قلبية فكرية، يروا: بصيغة المضارع تفيد التكرار المرة بعد الأخرىٰ أو يجددوا ويعيدوا النّظر؟ ارجع إلىٰ سورة السجدة آية (٢٦)، وسورة لقمان آية (٢٠) لمعرفة الفرق بين أفلم، أولم، ألم.

﴿إِلَىٰ مَا﴾: إلىٰ تفيد عموم الغاية، ما بمعنىٰ الّذي.

﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أي أمامهم من السّماء والأرض، فالسّماء والأرض محيطة بهم، أو السّماء المرفوعة بلا عمد أو الآيات الكونية في السّماء والأرض كالشّمس والقمر والجبال والبحار.

﴿وَمَا خَلْفَهُم﴾: أي وراءهم من السّماء والأرض.

﴿مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: ما فيهما من آيات كونية تدل علىٰ قدرة الخالق وعظمته ووحدانيته، من ابتدائية، السّماء تضم السّموات السبع.

﴿إِن نَّشَأْ﴾: إن شرطية تفيد النّدرة أو الاحتمال أو الشّك.

﴿نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾: نخسف بهم؛ أي: بالكفار المنكرين للبعث والّذين يستهزؤون برسول الله ﷺ ويكفرون به؛ أي: كما فعلنا بقارون، أي: الخسف.

﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: أو: للتخيير، نسقط عليهم كسفاً من السّماء: كسفاً جمع كسفة: أي قطعاً. ارجع إلى سورة الشعراء آية (١٨٧) للبيان.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: إنّ: للتوكيد، في ظرفية، ذلك: اسم إشارة واللام للبعد يشير إلى خسف الأرض أو إسقاط كسفٍ من السّماء.

﴿لَءَايَةً﴾: اللام للتوكيد، آية: كلّ من الخسف أو الإسقاط آية عظيمة تدل على قدرة الخالق على البعث والحساب، ويستفيد منها العبد المنيب في زيادة إيمانه ويقينه.

﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: لكلّ: اللام لام الاختصاص، كلّ تفيد التّوكيد، عبد منيب: عبد منيب كثير الإنابة، والإنابة: السّرعة في التّوبة والرّجوع إلى الله؛ أي: كلما أذنب أعقبها بالتّوبة والاستغفار.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق تحقق وحدث ما نذكره بشأن داود.

﴿ءَاتَيْنَا﴾: الإيتاء هو العطاء، ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة لمعرفة الفرق.

﴿دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾: داود بن ايشا بن عويد، يرجع نسبه إلى يهوذا بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وتقديم داود على المفعول للاهتمام، منا فضلاً: أي آتيناه النّبوة والزّبور والملك والصّوت الحسن، وصنع السّابغات والدّروع وتسخير الجبال والطّير وألنّا له الحديد، منّا: تقديمها يفيد القصر أو الاختصاص،

فضلاً: الشّيء الزائد على غيره من الأنبياء؛ أي: آتيناه الكثير من النّعم الّتي لم نعطها لكثير من الأنبياء.

﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾: التّأويب: التّسبيح، وأوّبي: رجعّي معه ما يقول (كما يحدث في انعكاس صدى الصوت من الجبال) أي: ردّدي معه ما يقرأ من الزّبور أو الذّكر.

﴿وَٱلطَّيْرَ﴾: منصوب بالعطف على يا جبال، أو مفعول به أو على النّداء والتّقدير: يا جبال أوّبي معه ويا طير أوّبي معه؛ أي: ردّدي معه؛ أي: يا جبال ويا طيور سبّحي مع داود.

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾: جعلناه ليّناً بدون حاجة إلى النّار أو إلى المطرقة، وهذه من المعجزات الأخرى لداود عليه السلام، فكان الحديد في يده مثل العجين أو الطّين الصّلصال.

[١١] ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾: أن تعليلية (مصدرية) أو التّقدير: ألنّا له الحديد لعمل السّابغات، أو أمرناه أن اعمل سابغات، أو لأن يعمل سابغات: صفة للدروع؛ أي: اعمل دروعاً سابغات فذكر الصّفة وحذف الموصوف؛ لأنّ الصّفة تدل على الموصوف، والسّابغات: هي الدّروع الواسعة الّتي تغطي كامل الجسم (تلبس في الحرب).

﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾: السّرد: النّسج، ويقال لصانع الدّروع: سَرَّاد؛ أي: انسج الدروع بحيث تكون متناسبة الحلق فلا ضيقة ولا واسعة؛ أي: متّسقة بحيث

تدخــل الحلق بعضها في بعض، ولها معنىٰ آخر: أي اعمل من السّــابغات علىٰ قدر ما تحتاج فقط.

أمّا ســبب تعليمه نسج السّــابغات الدّروع قيل: إنّ داود ﷺ كان يأكل من بيت المال وينفق علىٰ عياله، وانتبــه النّاس إلىٰ هذه الخصلة فعاب عليه النّاس، فشعر داود بالألم فسأل الله تعالىٰ أن يعلّمه صنعة ليعيش منها. ذكره الحافظ ابن عســاكر في ترجمة داود ﷺ عن طريق إسحاق بن بشر عن وهب عن ابن المنبه. وقيل: كان يبيع الدّرع فيأخذ من الأجر له ولعياله ويوزع الباقي علىٰ بني إسرائيل.

﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾: الخطاب موجّهٌ إلىٰ داود وآل داود (أولاده وأهله) أي: اشــكروا الله علىٰ منّته عليكم بأن علّمكم صنع السّــابغات ورزقكم من فضله واعملوا الفرائض والواجبات.

﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ إنّي: للتوكيد، بما: الباء للإلصاق والدّوام، ما: اسم موصــول بمعنىٰ الّذي تعملون أو مصدرية؛ أي: رقيــب ومطّلع علىٰ ما تعملون (من عمل السّابغات وبيعها والأمانة).

وفي ســورة الأنبياء الآية (٨٠) قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ﴾.

[١٢] ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾:

المناســبة: بعد ذكر فضل الله تعالىٰ علىٰ داود الأب يذكر فضله علىٰ ابنه سليمان بن داود.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾: ولسليمان: اللام لام الاختصاص؛ أي: سخرنا لسليمان الرّيح، غدوها: من غدا: السّير أوّل النّهار (من الصّباح إلى وقت الظّهر وقت الزّوال)، ورواحها: العودة آخر النّهار (من الظّهر إلى المغرب وقت الغروب)، ورواحها مصدر: راح يروح، غدوها شهر: أي جريها أو سيرها بالغداة مسيرة شهر، ورواحها شهر: أي جريها بالعشي مسيرة شهر؛ أي: سرعة جريان الرّيح يساوي مسيرة شهرين أو مسافة ما تقطعه الرّيح في (٢٤) ساعة يعادل مسيرة شهرين، وكلمة الرّيح في القرآن تحمل معنى الشّر وأمّا الرّياح فتحمل معنى الخير، وبما أنّها ريح قوية أعطت سليمان القوة والمنعة والغلبة فهي ريح خاصة به مغايرة لغيرها من الرّيح يتصرف بها كيف يشاء.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾: أي وسخرنا له عيناً تنبع بالنّحاس كما ينبع الماء من العين، النّحاس المذاب ويسمى: القِطر، كما ألنّا لأبيه الحديد، وقيل: استمر سيلانه ثلاثة أيّام.

﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾: من: بعضية؛ أي: بعض الجن وليس كلّ الجن، وهم الشّياطين كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الأنبياء:٨٣]، ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص:٣٧]، يعمل بين يديه بإذن ربه: أي بأمر ربه، بين يديه: أي: ما يطلبه منهم فقط، مثال: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ أي: أمرهم الله بطاعة سليمان وهناك قسم من الجن لم يُسخر له.

﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾: من: شرطية، يزغ منهم عن أمرنا: زاغ عن الأمر:

عدل عنه أو مال؛ أي: من يعدل من الجن عن أمرنا، أي ما يأمر سليمان بعمله مثل المحاريب والتّماثيل والغوص وغيـره من الأعمال، أي من يعصِ من الجن أمر سليمان كأنّه يعصي أمر الله تعالىٰ.

﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: منهم من قال: عذاب السّعير في الآخرة، ومنهم من قال: في الدّنيا كان يعذب من يزِغ بسوط من نار، كما روىٰ ابن عباس.

[١٣] ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾:

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ﴾: أي الجن يعملون لسليمان، له خاصة وليس لغيره، وتقديم له يدل علىٰ الحصر والاختصاص.

﴿مَا يَشَآءُ﴾: ما: اسـم موصول بمعنىٰ الّذي يشاء، و«ما» أوسع وأشمل من الّذي.

﴿مِن مَّحَٰرِيبَ﴾: مـن: ابتدائية بعضيـة ولبيان الجنـس، محاريب: جمع محراب يطلـق علىٰ المكان الّذي يتخذه النّاس للعبادة أو أبنية كالقصور الفخمة العالية المجاورة لأمكنة العبادة.

﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾: جمع تمثال وهو ما ينحت علىٰ هيئة أو صورة إنسـان (نبي أو عالم) أو حيوان من حجر أو خشب أو نحاس أو رخام أو غيره من المواد، وقيل: إن هذه التّماثيل كانت مباحة في الشّـرع القديم ولم تصنع بنية الشّرك أو العبادة، أو صُنعت علىٰ شرط أن لا تُعبد، ثمّ نسخت الإباحة بعد مجيء رسول الله ﷺ.

﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾: الجفان: جمع جَفْنة وهي القصعـة الكبيرة: الصّواني

الكبيرة يأكل منها العشرة من النّاس، كالجواب: الكاف كاف التّشبيه، والجواب: الحوض شَبَّه القصعة الكبيرة بالحوض في السّعة والضّخامة، وهذا كناية عن كرم سليمان وكثرة إطعامه الطّعام.

﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾: جمع قدر وهي للطبخ واسعة كبيرة صعب أن تحمل؛ أي: ثابتات لا تتحرك من أماكنها.

﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾: أي: أدوا الحقوق التي عليكم فيما أتاكم الله من النعم؛ أي: اعملوا الصّالحات شكراً لله تعالىٰ علىٰ ما آتاكم؛ أي: أطيعوا الله ربكم واشكروا الله علىٰ نعمه، أو اعملوا شاكرين، والشّكر لا يكون فقط باللسان بل بالعمل، ولا يكفي أن يكون باللسان بل بالطّاعة والعبادة والإحسان، والنفقة، وأن تؤدي حق الله تعالىٰ في المال والعلم والنعم.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾: أي: العدد قليل من عبادي الذين يشكرون الله وهذا العدد عدد الشاكرين من النّاس قليل أو الكمية؛ أي: كمية أو مقدار الشّكر الصّادر من النّاس قليل، وقد تعني كلا الأمرين.

[١٤] ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: عاطفة، لما: ظرفية زمانية بمعنىٰ حين متضمنة معنىٰ الشّرط.

﴿قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾: قضينا من القضاء وهو ما كتب في اللوح المحفوظ قبل أن يقع، وقيل: حكمنا، وأمّا القدر فهو: ما وقع تصديقاً لذلك القضاء؛ أي:

حكمنا على سليمان بالموت، فالموت قضاء كقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، فالموت لا مفر منه وسواء كان الموت بسبب أو بغير سبب أو موتاً عادياً بسبب الكبر أو الموت بمرض أو بكارثة أو كرب كلّه قضاء.

قضينا عليه الموت: على سليمان بأن تقبض روحه وهو قائم يصلي في المحراب ومتوكئٌ على منسأته (عصاه) ولم تعلم الجن بموته، وبقي الجن يعملون أعمالهم الّتي بدؤوها وكذلك الإنس لم يعلموا بموته، ولو علم الجن (الشّياطين) الغيب؛ أي: علموا بموت سليمان، ما لبثوا في العمل والتّعب طوال تلك المدة حتّى أكلت دابة الأرض منسأته فخرّ، وعندها تبيّنت الجن موته وتبيّن للجن أنّهم لا يعلمون الغيب، وتبيّن للإنس أيضاً أنّ الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يظنون خطأ. وموته بهذا الشكل كشف كثير من الحقائق للناس والجن عما افتروه على سليمان كما سنرى.

﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ﴾: ما: النّافية، دلّهم على موته: الضّمير يعود على الجنّ؛ أي: ما دلّ الجن على موت سليمان.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾: قيل: هي الحشرة الّتي تأكل الخشب وتسمى: الأرضة أو العتة.

﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾: أي تقرض منسأته؛ أي: تأكلها شيئاً فشيئاً، والمنسأة: هي العصا، وأمّا لماذا سميت مِنسأة: مشتقة من: نسأ؛ أي: أخّر وسميت منسأته وليس عصاه؛ لأنّها كانت سبباً لتأخير معرفة الجن بزمن موت سليمان، فقد كان

سليمان عليه السلام يعبد الله قائماً؛ أي: واقفاً حتّى يتعب فيراوح بين قدميه ويستعين بالعصا متكئاً عليها، وسميت العصا: منسأته؛ لأنّه يؤخّر بها الغنم أو الإبل؛ أي: تزجر بها أو تساق كي تغير طريقها أو مرعاها فهي آلة الزّجر. (تأخير) وسوق، ومنسأة سليمان كانت تسوق الجن للعمل لسليمان عليه السلام، وكذلك أخرت الجن من العلم بموت سليمان، ولذلك لبثوا في العذاب المهين مع أن سليمان كان ميتاً.

﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة: خرّ: سقط على الأرض بشكل غير عادي أو بلا ترتيب مثل الهبوط على ركبتيه والاستعانة بيديه، سقط بلا نظام.

﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾: انكشف وظهر كذب الجن أنّهم يعلمون الغيب، وكذلك تبيّنت الإنس أنّ الجن لا يعلمون الغيب.

﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ﴾: أن للتوكيد، لو: شرطية، يعلمون الغيب: كما زعموا باطلاً، لعلموا بزمن موته مباشرة.

﴿مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾: ما بقوا يعملون الأعمال الشّاقة الّتي فرضت عليهم من سليمان من قبل موته، وهم يظنونه حياً وكانوا يظنون أنّهم خير من الإنس، وكيف سخّروا لخدمة سليمان وهو أدنى منهم! فقد خلقوا من نار والإنس خلقت من طين، وأنّهم يعلمون الغيب والإنس لا يعلمون.

وقيل: أرادوا أن يعرفوا زمن موته فجاؤوا بعصا مشابهة. والأرضة (دابة الأرض) فقدّروا ما أكلت في زمن معيّن، فوجدوا أنّه قد مات منذ سنة ورغم هذا الملك العظيم مات سليمان عليه السلام وكان عمره (٥٣) سنة، وقيل: كان ملكاً وهو ابن

(١٣) عاماً وبقي في ملكه (٤٠) عاماً وبدأ إعادة بناء المسجد الأقصىٰ وهو ابن (٤٠) عاماً.

ولماذا حدث هذا الأمر العجيب: أن تقبض روح سليمان وهو قائم يصلي متكئاً علىٰ منسأته ولم يخرّ علىٰ الأرض بعد موته حتّىٰ تأكل دابة الأرض منسأته؟ قيل: كان النّاس يظنون أنّ الجن تعلم الغيب فأراد الله سبحانه أن يثبت للناس أنّ الجن ولا غيرهم من الإنس يعلمون الغيب وما يزعمونه من علم الغيب هو أمر باطل، فلو كانوا يعلمون الغيب؛ أي: موت سليمان، ما لبثوا في العذاب المهين.

وقيل: إنّ سليمان عليه السلام دعا ربه أن يعمّي علىٰ الجن موته فاستجاب له ربه؛ حتّىٰ ينكشف ويعلم النّاس أنّ الجن لا يعلمون الغيب ويظهر كذب الجن وما افتروا علىٰ سليمان ما جاء به السحر، ارجع إلىٰ الآية (١٠٢) من سورة البقرة لمزيد من البيان. وقيل: لأنّه بقي علىٰ عمارة بيت المقدس بقية؛ ولكي يتمّوا عمارة المسجد الأقصىٰ، والله أعلم.

❖ ❖ ❖

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ
كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ
﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ
﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً
وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾
فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُو مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ
اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

سورة سبأ [الآيات ١٥ - ٢٢]

[١٥] ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾:

المناسبة: بعد ذكر طرفٍ من قصة سليمان، يذكر طرفاً من قصة قوم سبأ الّذين بسبب كفرهم وعدم شكرهم أصابهم سيل العرم، وحلّ بهم العذاب ومزقهم كلّ ممزق.

﴿لَقَدْ﴾: اللام لام التّوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: قد تحقق وحدث لقوم سبأ ما سنذكره بعد قليل.

﴿كَانَ﴾: للماضي.

﴿لِسَبَإٍ﴾: اللام: لام الاختصاص أو الاستحقاق، سبأ: اسم جد، اسم ابن يشحب بن يعرب بن قحطان، تعدىٰ اسم الجد ليكون اسماً للقبيلة، ثمّ اسماً للمكان الّذي كانوا يسكنونه، إذن سبأ: يدل علىٰ اسم الجد، أو اسم القبيلة، أو اسم المكان الّذي كانوا يسكنونه.

﴿فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾: في مكان إقامتهم في سبأ أو مأرب، آية: أي شيء عجيب نادر، آية دالة علىٰ عظمة الله وقدرته.

﴿ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ﴾: أي الآية جنتان، لا يقصد بالآية الجنتين نفسيهما، وإنما قصتهما هي الآية.

﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾: عن يمين الوادي وعن شماله، يمين ويسار الوادي كلّها فواكه وخضر وكانت أخصب البلاد.

﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾: قيل لهم: كلوا من رزق ربكم واشكروا له؛ تذكيراً لهم: حيث كانت الثّمار تتساقط بكثرة وتمتاز بالجودة ومما يطيب أكله وطعمه، والخالية من الإصابة بالحشرات.

﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾: الأكل مع الشّكر؛ أي: لا تنسوا المنعم وتنشغلوا بالنّعمة، اشكروا له باللسان والعمل الصّالح والطّاعة، اشكروا له ليزيدكم من النّعم والفضل.

﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾: بمائها العذب وهوائها العليل، مطمئنة آمنة خالية من الأمراض والفيضانات والسّيول والكوارث الجوية.

﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾: غفور: صيغة مبالغة من غفر؛ أي: يعفو عن سيئاتكم ويثيبكم على أعمالكم الصّالحة ويمدكم بنعمه.

[١٦] ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾:

﴿فَأَعْرَضُوا﴾: الفاء للمباشرة والتّرتيب، أعرضوا: عن شكر المنعم وجحدوا بنعمه، وكفروا بالله، وقيل: بعث الله سبحانه لهم عدة أنبياء يدعونهم إلى عبادة الله تعالى ويذكرونهم بنعمه، فكذبوهم وأنكروا نعمه، والإعراض هو أن لا تستمع إلى المحدّث وتنصرف عنه ولا تؤمن بما يقوله، فماذا كانت النّتيجة:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، أرسلنا عليهم سيل العرم بعد أن انهار سد مأرب مما أدى إلى سيل العرم: فطافت الأرض والجنان والبيوت، وغرقت البساتين والثّمار بسبب سيل العرم الّذي لا يطاق؛ لشدته

والمندفع بقوة وغزارة، سيل: هو الماء الّذي يسيل على وجه الأرض بعد أن تشرب الأرض منه، العرم: السّيل المندفع بشدة لا يطاق لغزارته، يؤدي إلى الفيضان وإتلاف الحصاد والحب والثّمار والمنازل والأثاث، وغرق الكثير من النّاس.

﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾: بعد أن سبّب سيل العرم الدّمار والخراب وإهلاك الحرث، تحولت جنتاهم إلى جنتين ذواتي أُكلٍ خمطٍ مرٍّ الطّعم وحامض.

﴿وَأَثْلٍ﴾: شجر لا ثمر له كثير الأغصان.

﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾: شجر النّبق قليل الفائدة قليل الثّمار، شجر ذو أشواك. وسمّى الجنتين ذواتي الأُكل الخمط والأثل وشيء من سدر قليل: «جنتين» على سبيل التّوبيخ والتّهكّم وكان بإمكان الخالق أن يجعلهما جنتين خاويتين على عروشهما، ولكن يريد أن يذكّرهم ويريهم بأمّ أعينهم قدرته على إهلاك أشجارهم المثمرة وإبدالها بأشجار لا ثمار لها لتكون عليهم حسرة.

[١٧] ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد ويشير إلى السّيل العرم والتّبديل الّذي حدث للجنتين.

﴿جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾: أي جزاءً لهم، بما: الباء: باء السّببية، وما: اسم موصول أو مصدرية، كفروا؛ أي: بسبب كفرهم بأنعمِ الله، والإعراض والتّكذيب بالرّسل والإيمان بالله.

﴿وَهَلْ﴾: استفهامية تفيد التّقرير والتّوبيخ والنّفي؛ أي: وما نجازي إلا الكفور.

﴿نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾: الجزاء نوعان: عام وخاص، العام هو للكافر والمؤمن، والجزاء الخاص للكافر وحده، إلا: أداة حصر، الكفور: صيغة مبالغة: كثير الكفر، ولم يقل إلا الكافر، الكافر يعني: من يستر ويجحد بنعم الله تعالىٰ مرة أو مرتين، أمّا الكفور: فهو شديد الكفر المصرّ علىٰ رفض الشّكر والجحود وعدم الاعتراف بالمنعم علىٰ الدّوام.

[١٨] ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾:

ويعود سبحانه في هذه الآية ليذكرهم بالإضافة إلىٰ الجنتين عن يمين وشمال والبلدة الطّيبة الّتي كانوا يعيشون فيها.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ جعلنا بينهم: بين قوم سبأ وبين القرىٰ الّتي باركنا فيها بالخيرات والماء والثّمار وشجر الزّيتون؛ ويعني بلاد الشّام، القرىٰ: جمع قرية، والقرية اسم لمكان فيه مساكن ومقومات الحياة من طعام وشراب.

﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾: متقاربة متواصلة ظاهرة للعيان لا تبعد عن بعضها البعض كثيراً.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾: أي كان المسافر يعلم مقدار المسافات بين هذه القرية وتلك القرية، وكم يحتاج من زمن للوصول إلىٰ الأخرىٰ، وقدّرنا فيها السّير؛ أي: البعد أو المسافة والزّمن كم كيلو متراً أو كم ساعة.

﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾: سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنّهار آمنين لا تخافون من جوع أو خوف أو قطع طريق أو القتل والسّرقة، ليالي: جمع ليلة، وأيّاماً: اليوم يعني النّهار (من شروق الشّمس إلىٰ غروبها) وليس (٢٤)

ساعة، سيروا فيها عدة أيّام وليالي مرتاحين مطمئنين وهذا من فضل الله ورحمته بكم ونعمه الّتي لم تشكروه عليها.

[١٩] ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾:

لم يكتفوا بأن جحدوا بنعم الله سبحانه بل تمادوا في البطر وملّوا النّعم كما حدث لبني إسرائيل طلبوا البقل والقثّاء والفُوم والعدس والبصل بدلاً من المنّ والسّلوىٰ، فلم يشكروا نعمة الله علىٰ أن قارب بين قراهم، وكأنّهم تمنّوا وطلبوا من الله أن يباعد بين أسفارهم؛ أي: أن يباعد بين مسافات أسفارهم؛ أي: قراهم فلا يجعلها قريبة من بعضها حتّىٰ يحتكروا التّجارة لوحدهم فلا يخرج إليها الكثير؛ لبعد المسافات والمشقة وعدم الأمن.

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾: ولها معنًىٰ ثانٍ؛ أي: قالوا ربنا باعد بين أسفارنا؛ أي: جعلها بعيدة عن بعضها البعض رغم كونها قريبة من بعضها كأنّهم استبعدوا أسفارهم بطراً وتعنتاً، وهذا هو الأرجح.

﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بالكفر وجحود النّعمة والبطر وعدم التّوبة.

﴿فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة؛ أي: أهلكناهم وجعلناهم أحاديث لمن بعدهم؛ أي: قصة أو حكاية يتحدث بها النّاس يتعجبون بما فُعِل بهم، أحاديث تدل علىٰ كثرة الحديث عنهم فالكلّ يتحدث عنهم ويذكرهم.

﴿وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: مزقناهم في البلاد بحيث لا يمكن جمعهم مرة أخرىٰ. والتّمزيق يعني: يتناول كلّ الأجزاء؛ أي: مزقناهم في متاهات الأرض وقيل: لحقت الأوس والخزرج بيثرب (المدينة المنورة) وغسان وجذام ولخم

بالشّام، والأزد بعمان، وخزاعة بتهامة فكانت العرب تضرب بهم المثل في التّفرق والتّشرد فتقول: تفرقوا أيدي سبأ أو أيادي سبأ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾: إنّ: للتوكيد، في: ظرفية، أي فيما حدث لسبأ، ذلك: اسم إشارة واللام للبعد، وتشير إلى إسباغ النّعمة على سبأ وكفرهم بها وعدم شكر المنعم وبطرهم وظلمهم للفقراء ومحاولتهم احتكار النّعمة لأنفسهم وما فُعل بهم بعد ذلك، لآيات: اللام للتوكيد، آيات وليس آية؛ أي: عبراً كثيرة.

﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: لكلّ: اللام لام التّعليل، صبار: صيغة مبالغة: كثير الصّبر على ظلم الطغاة وتحمّل أذاهم، وكثير الصّبر على طاعة الله وعن المعاصي وعلى المصائب، أو مليء بالصّبر كماً وكيفاً، شكور: كثير الشّكر صيغة مبالغة من: شكر، شكور لنعم الله فلا يجحد بها مهما قلّت أو كثرت، أو كثير الشّكر لله أن جعله يصبر على الظالمين.

[٢٠] ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

لا زالت الآيات في سياق الحديث عن سبأ وما أصابهم.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، اللام للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي تحقق ما تتحدث عنه الآية وهو:

﴿صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾: صدَّق شدّد الدّال ولم يقل صَدَق: أي بذل إبليس قصارى جهده من الوسوسة والإغراء والتّزيين والإضلال لقوم سبأ حتّى تحقّق ظنه عليهم؛ أي: على سبأ، وعلى تفيد العلو والمشقة؛ أي: تغلب عليهم بإغوائه، والظّن: بمعنى الشّك الرّاجح، والشّك هو التّردد بين أمرين النّفي والإثبات، والظّن الّذي ترجح فيه كفة الإثبات، وظنه: غايته وهي: أي يتبعوه فاتّبعوه وكفروا بنعم الله وجحدوا بها وأعرضوا عن الإيمان وكان مصيرهم

التّمزق والهلاك وأصبحوا عبرة لغيرهم، وغاية الشّيطان أن يقود الإنسان ليكفر بنعم الله وينكرها ويكذب ويعرض عن الإيمان بربه مما يؤدي به إلى الهاوية، والله سبحانه حذر من ذلك وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].

﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾: ساروا وراء الشّيطان واتبعوا خطواته (في الوسوسة والتّزيين والإغواء) وحقق الشّيطان ظنه ونال غايته منهم إلا فريقاً من المؤمنين.

﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: إلا: أداة استثناء، فريقاً من المؤمنين: لم يستطع إبليس أن يغويهم ويحقق ظنه فيهم، آمنوا بالله واتبعوا الرّسل وشكروا الله على نعمه وصبروا على ما أصابهم في سبيله.

[٢١] ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾:

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ﴾: ما النّافية، كان لإبليس، له: اللام لام الاختصاص، والضمير يعود على الشّيطان.

﴿عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: عليهم: على سبأ، من: استغراقية؛ أي: سلطان مثل سلطان القهر والغلبة أو سلطان الحجة والبرهان؛ أي: لم يجبرهم بالقوة أو القهر أو الحجة والإقناع وإنما بالوسوسة والإغراء والتّزيين بالشّهوات والجشع.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾: لنعلم: اللام للتعليل؛ أي: ما تركنا، أو أذنّا لإبليس بإغوائهم وإغرائهم والتّزيين إلا فقط لنقيم عليهم الحجة في الآخرة؛ لأنّ الله سبحانه لا حاجة له بهذا العلم لأنّه يعلم منذ الأزل وقبل خلقهم ما سيعملونه؛ أي: ليعلموا هم أنفسهم ما عملوه في الدّنيا فتقام عليهم

الحجـة، فلا يدّعوا أنّ الله لم يبتليهم، من يؤمن بالآخرة: الباء للإلصاق والدّوام يؤمن: يصدق بالآخرة والبعث والحسـاب والجزاء والجنة والنّار، ممن هو في شك: هو تفيد التّوكيد، منها في شك: في تردد، والشّك: تساوي كفة النّفي وكفة الإثبات؛ أي: ممن يكذب بالآخرة ولا يصدق بها.

﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾: حفيـظ: صيغـة مبالغة مـن الحفظ، يحفظ أعمال العباد ليجازيهم عليها من خير أو شـر، يحفظ عبـاده وأولياءه من مكايد الشّيطان والوقوع في الذّنوب والمعاصي واتّباع الشّيطان والمهالك، يحفظ خلقه وكونه حتّىٰ تنقضي آجالهم.

[٢٢] ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾:

المناسـبة: بعد ذكر قصة داود وسـليمان وقصة قوم سـبأ يعود سـبحانه لمخاطبة مشركي قريش فيقول:

﴿قُلِ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ، قل للمشركين من قريش وغيرهم.

﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: ادعـوا: أي نـادوا علىٰ هـؤلاء الأصنام والآلهة أو غيرهم من الّذين زعمتم أنّهم شـركاء، الّذين: اسم موصول يفيد الذّم والتّحقيـر، الّذين: تفيد المعرفة؛ أي: ادعوا شـركاءكم الّذين زعمتم: من الزّعم وهو القول غير المسـتند إلىٰ دليل وأكثر ما يقع الزّعم في الباطل، من دون الله: مـن غير الله من الأصنام والآلهة، نادوهم ليكشـفوا عنكم الضّر أو ينفعوكم أو ادعوهم ليسـتجيبوا لكم فهم لا يضرون ولا ينفعـون، قل ادعوا: وهل دعوا كما قال لهم رسول الله ﷺ؟ طبعاً لا؛ لعلمهم أنّ هذه الأصنام أو الآلهة لا تسمع ولا تبصر ولا تجيب فهم لم يدعوا، ولنفرض أنّهم دعوا آلهتهم واسـتجابوا وسمعوا

فإنّهم لا يملكون مثقال ذرة في السّـــموات ولا في الأرض ليكونوا شركاء، ارجع إلىٰ سورة يونس الآية (٦١) لبيان معنىٰ ذرة.

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾: لا يملكون ذرة بشكل مســتقل (خاص) ولا يملكون ذرة بشكل شراكة مع الله، وتكرار لا: يفيد النّفي، وما لهم: تعود علىٰ الآلهة والأصنام وما يعبدون من دون الله، فيهما: في السّـــموات والأرض من شـــرك اسم بمعنىٰ المشارك أو الشّريك ولو بأدنىٰ نسبة كالذرة، وما له: أي لله تعالىٰ، له: اللام لام الاختصاص، منهم: من هؤلاء الشّركاء.

﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾: مـــن اســـتغراقية، ظهير: أي مُعين علىٰ أيّ شـــيء مهما كان، ظهير: مشـــتقة من الظّهر وهو أقوىٰ الأعضـــاء للحمل؛ أي: يحمل عنك: يُعينك في حمل الأثقال، من ظهير: معين يحتاج الله سبحانه إليه أو بحكم حاجة الرب إليه يدعوه يشفع.

إذن فلـــمَ تعبدونهم وهم لا يملكون ذرة في السّـــموات ولا في الأرض؟! وأيضاً ليسوا شركاء وليسوا شفعاء، ولا ينفعوكم ولا يضرون، ولو بمقدار ذرة في السّموات والأرض، فمسألة الشّركاء مسألة باطلة.

❖ ❖ ❖

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن
قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ
﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ
وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل
لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ
يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ
﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾
قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ
﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا
بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ
رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

سورة سبأ [الآيات ٢٣ - ٣١]

[٢٣] ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾:

المناسبة: في الآية السّابقة ذكر الآلهة وعدم ملكها ذرة في السّموات والأرض وليس لها شراكة فيهما.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾: هذه الآية ردٌّ على من يزعمون أن الآلهة تشفع لهم عند الله، الواو: عاطفة، لا: النّافية، الشّفاعة: ارجع إلى الآية (٨٥) من سورة النّساء للبيان. ولا تنفع أو تقبل الشّفاعة، يوم القيامة للنفس المشفوع لها (وهي النّفس الّتي تنفعها الشّفاعة) عنده: عنده تعالى، إلا: أداة حصر، لمن: اللام لام الاختصاص، من: اسم موصول بمعنى الّذي، أذن له: من الملائكة أو النّبيين أو الصّالحين من النّاس، فالإذن هذا هو الشّرط الأوّل من شروط قبول الشّفاعة، أن يأذن له الله سبحانه للشافع حتّى يشفع للمشفوع له كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، والشّرط الثّاني: أن يأذن للمشفوع له (أو النّفس المشفوع لها) بالشّفاعة، ومن شروط الإذن أن يكون أو تكون من أهل التّوحيد، إذن لا بدّ من إذن لمن أراد أن يشفع ولا بد من إذن لمن أريد الشّفاعة له، الشّرط الثّالث: هو لمن ارتضى: كما قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النّجم:٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، أي: ارتضى بمعنى: أن

يقبل الله هذه الشّفاعة حتّىٰ ولو كان الشافع والمشفوع له أهلاً للشفاعة، ويبقىٰ الحكم بالقبول لله تعالىٰ وهذا تأكيد لإبطال شفاعة هذه الآلهة عند الله.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾: حتّىٰ: حرف نهاية الغاية، إذا: شرطية تفيد الحتمية، فزِّع عن قلوبهم؛ أي: كشفَ وأزيل عن قلوبهم الفزع: الخوف الشّديد المفاجئ مع توقع مكروه، هذا الفزع يحدث حين انتظار الإذن لمن يشفع؛ أي: للشافع وللمشفوع له فالكلّ قلق أيؤذن للشافع أم ترد شفاعته ولا يشفع، وما نتيجة الشّفاعة تقبل أو لا تقبل، والمشفوع له هل هو أهل للشفاعة أم لا، والانتظار والتّربص كلّ ذلك يؤدي إلىٰ فزع الكلّ حتّىٰ تتم الشّفاعة وتقبل وعندها يزول الفزع عن قلوبهم يقول بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم في الشّفاعة؟

﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾: أي وهو الإذن بالشّفاعة لمن ارتضىٰ: أي اختار.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْعَلِىُّ﴾: فوق خلقه وقهره وجبروته. ارجع إلىٰ سورة الحج الآية (٦٢).

﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: ارجع إلىٰ سورة الرّعد الآية (٩).

وبعض المفسرين قالوا: إنّ الضّمير في قوله: «حتّىٰ إذا فزّع عن قلوبهم» (أي قلوب الملائكة) فقد روىٰ عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السّماء صلصلة كجرّ (أي سحب) السّلسلة علىٰ الصّفا فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتّىٰ يأتيهم جبريل، فإذا جاءهم فزّع عن قلوبهم؛ أي: زال الخوف عن قلوبهم، فيقولون: يا جبريل، ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق؛ أي: الصدق، فينادون: الحق الحق. رواه أبو داود والسيوطي والبيهقي وابن جرير.

وفي رواية أبي هريرة عن النّبـــي ﷺ أنّه قال: إذا قضىٰ الله عز وجل الأمر في السّـــماء ضربت الملائكة بأجنحتها خُضعاناً لقوله، كأنه سلسلة علىٰ صفوان (حجر أملس) فإذا فزّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: للذي قال الحق (الله) وهو العلي الكبير. رواه البخاري وأبو داود والترمذي.

[٢٤] ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾:

في الآية (٢٢) قـــال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الآلهة المزعومة الّتي لا تملك لكم الشّفاعة.

وفي هذه الآيـــة (٢٤) قال تعالىٰ: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: والآلهة المزعومة لا ترزقكم أيضاً.

﴿قُلِ﴾: قل يا رســـول الله ﷺ للمشـــركين من أهل مكـــة وغيرهم عبَدَة الأصنام والأوثان.

﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: من: للاســـتفهام والتّقرير، ومن: للعاقل وتشـــمل المفرد والجمع؛ يعني: من يرزقكم المطر والشّـــمس والطّاقة والرّياح، ومن الأرض: مثل النّبـــات والحب والأرز والمعادن والثّمار والبترول والغاز والذّهب والفضة وغيرها.

قل الله: أي إذا لم يجيبوا علىٰ سؤالك، قلِ: الله، وإذا أجابوك وقالوا: الله، أقيمت عليهم الحجة فقل لهم: فلمَ تعبدون سواه، ولا تؤمنون به وحده؟

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: انتبه هنا قدّم إنّا علىٰ إياكم وقدّم الهدىٰ علىٰ الضّلال، إنّا تناســـب الهدىٰ، وإنّا لعلىٰ هدىٰ أو إياكم وأنتم في

ضلال مبين، والهـدىٰ والضلال من المتناقضات والمتناقضان لا يجتمعان أبداً؛ أي: إن كان أحدنا علىٰ الهدىٰ فلا بُدَّ أن يكون الآخر في الضلال ولا ثالث لهما.

واسـتعمل لعلىٰ هدىٰ (علىٰ) تفيد الاستعلاء؛ لأنّ الّذي علىٰ الهدىٰ كأنّه راكب علىٰ مطية اسـمها الهدىٰ لكي توصله إلىٰ غايتـه، وهو متمكن منها علىٰ ظهرها لا يخاف السّـقوط أو الانحدار، ولم يقل أو علىٰ ضلال مبين وإنما قال: في ضلال مبين؛ لأنّ الضّلال هو انحدار وسقوط والضّال عادة يكون منغمساً في الظّلمات وليس بخارج منها.

والضّلال المبين: الضّـلال الظّاهر والواضح لكلّ فرد يريد أن يطّلع عليه، والمبين يعني: الواضح بنفسه لا يحتاج إلىٰ أحد حتّىٰ يظهره.

وهـذا من أدب الحوار مع غيـر المؤمنين لإقناعهم بخطئهـم حتّىٰ يقرّوا بأنفسهم ويعلموا الحق.

[٢٥] ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿قُل﴾: قل لهم يا رسول الله؛ أي: للمشركين من قريش.

﴿لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾: لا النّافيـة، تسـألون عما أجرمنـا: النّون في «تسألون» للتوكيد، عما أجرمنا: عن تفيد المجاوزة والمباعدة، ما بمعنىٰ الّذي أو مصدرية، أجرمنا: الإجرام: هو التمرد علىٰ أوامر الله ونواهيه، ورفض الخضوع إليهـا. ارجع إلىٰ الآية (٣٢) من نفس السـورة؛ أي أذنبنا، بصيغة الماضي؛ أي: كأن الإجـرام حدث أو وقع من قبلنـا، والفرق بين أجرمنـا وتجرمون: أجرمنا في الماضي ومرة واحـدة، تجرمون: ليس إجراماً واحداً بل هو إجرام مسـتمر يتجدد ويتكرر، كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [هود:٣٥] أي: أنتم لسـتم

مسؤولين عن إجرامنا؛ أي: إن كانت عبادتنا وطاعتنا لله تعالىٰ جريمة أو ذنباً فلستم مسؤولين عنها.

﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: لا النّافية، نُسأل عما تعملون ولم يقل عما تجرمون مع أنّهم هم المجرمون حقاً، وقال بدلاً عنها: عما تعملون بصيغة المضارع، وهذه الآية تدل علىٰ أعلىٰ درجات الارتقاء، والسّمو في الحوار والدّعوة إلىٰ الله والتّلطف بالآخر لعله يتوب إلىٰ الله وينوب إليه، ويستميل قلبه لقبول الحق والهداية، وإذا قارنا هذه الآية بآية (٣٥) من سورة هود، وهي قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ هذه الآية جاءت في سياق قول نوح لقومه إذا كنت أفتري علىٰ الله الكذب فعلي إجرامي، وإذا كنت بريء من ذلك، أو لست كذلك فأنتم مجرمون بحقي، بينما آية سبأ جاءت في سياق الدعوة إلىٰ الله.

[٢٦] ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا رسول الله.

﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾: يوم القيامة في أرض المحشر يوم الجمع.

﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾: أي الفصل والحكم بيننا بالحق: بالعدل، والباء للإلصاق واللزوم، فيثيب المطيع ويعاقب العاصي، يدخل المؤمنين الجنة ويدخل المجرمين النّار. ثمّ: ليست للترتيب والتّراخي هنا وإنما للترتيب الذّكري (التسلسلي) وسمىٰ الحكم فتحاً؛ لأنّه يفتح شيئاً عن شيء ويحدث بينهما فرج أو فصل حيث كانا ملتبسين فيفصل بين الحق والباطل والمؤمن والكافر. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٦٢) وسورة السجدة آية (٢٨) للبيان.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْفَتَّاحُ﴾: الحاكم بين الخلائق أو الّذي يفصل بين الخلائق ويخبر الحق من الباطل، والفاتح والفتاح صيغة مبالغة من فتح، والفتح قد يعني الكشف والتبين وهذه هي المرة الوحيدة الّتي ذكر هذا الاسم في القرآن الكريم.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بكلّ خلقه وكونه والعليم بما يقضي ويحكم على علم؛ لأنّه يعلم ما فعله كلّ مخلوق سواء كان في السر أو العلن.

ومعنى هذه الآية: لن نطيل معكم الحوار أو الجدال؛ لأننا إما على الحق أو على الباطل، وأنتم كذلك فالله سبحانه يفصل بيننا ويقضي يوم القيامة.

[٢٧] ﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

﴿قُلْ﴾: الخطاب إلى رسول الله ﷺ وأمته: قل للمشركين من قريش، قل لهم يا رسول الله.

﴿أَرُونِيَ﴾: الهمزة للاستفهام التّوبيخي والإنكار والتّبكيت، أروني: لا يقصد بها الرّؤية الحقيقية؛ لأنّ رسول الله ﷺ كان يرى ويعلم ما يعملون، والغاية من السّؤال ليريهم خطأهم في إلحاق الشّركاء بالله تعالى، والرّؤية هنا تعني قلبية فكرية؛ أي: فكروا بما تصفون.

﴿أَلْحَقْتُم بِهِۦ﴾: أي بالله، ألحقتم؛ أي: أضفتم إليه شركاء: جمع شريك.

﴿كَلَّا﴾: كلمة زجر وردع؛ أي: كفّوا عن إلحاق الشريك بالله وتوبوا إلى ربكم.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي إبطال ما قبلها وإثبات ما بعدها.

﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: هو: ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر، الله: الإله الحق الّذي يستحق أن يعبد ويحمد فهو واجب الوجود، العزيز: القوي الّذي يَقهر ولا يُقهر ويَغلب ولا يُغلب له العزة جميعاً وكمال القدرة، الحكيم: أحكم الحاكمين وأحكم الحكماء في تدبيره لخلقه وكونه. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٢٨] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

المناسبة: بعد إعلام المشركين بأنّ الله هو الرّزاق وأنّه هو الإله الحق ولا شريك له وأن محمّداً هو النّبي المبعوث إلىٰ الثّقلين بشيراً ونذيراً للناس كافة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾: الواو عاطفة، ما النّافية، أرسلناك: الخطاب موجّه إلىٰ رسول الله ﷺ، أرسلناك: ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة للبيان ومعرفة الفرق بين أرسلناك وبعثناك.

﴿إِلَّا﴾: للحصر.

﴿كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾: عامة لجميع النّاس (النّاس يعني الإنس والجن) لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [النّاس:٥-٦] وفي آية أخرىٰ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، للناس: الكافر والمؤمن والمطيع والعاصي، اللام لام الاختصاص خاص للناس، لكلّ زمان ولكلّ مكان.

﴿كَآفَّةً﴾: من كفّ، وكفّ الشّيء: منع أو كفّ بمعنىٰ جمع، واسم الفاعل كافٍ، وأصل كلمة كافة: كاففة فلما اجتمع حرفان متحركان سكن الأوّل

وأدغم في الثّاني، فصار كاف وزيدت تاء التّأنيث للمبالغة فأصبحت كافة؛ أي: لتكفّ النّاس عن الكفر والشّر والشّرك وتدعوهم إلى الإسلام، وإذا كانت بمعنى كفّ جمع أي: للناس جميعاً، وقدّم كافة على كلمة النّاس ولم يقل للناس كافة: للاختصاص والتّوكيد.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾: أي مبشراً للّذين آمنوا ومنذراً للذين كفروا، ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان المفصل، ولنعلم أنّ رسول الله ﷺ هو الرّسول (النّبي ﷺ) الّذي وصف بالبشير والنّذير.

للثقلين: الإنس والجن معاً.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لكن: حرف استدراك، أكثر النّاس لا يعلمون (لا النّافية) لا يعلمون أنّك أرسلت للناس كافة وأنّك البشير والنّذير وأنّك خاتم النّبيين، ولا يعلمون الوحدانية في الألوهية والرّبوبية والصّفات والأسماء، أكثر النّاس لا يعلمون وهناك القلة الّتي تعلم.

[٢٩] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

﴿وَيَقُولُونَ﴾: أي منكرو البعث من الكفار، ويقولون: بصيغة المضارع ولم يقل وقالوا: للدلالة على تجدد وتكرار هذا السّؤال.

﴿مَتَىٰ﴾: للاستفهام عن الزّمان (ظرف للزمان) وفيها معنى الإنكار والاستبعاد، أو الاستبطاء والتّعجب من كثرة هذا السّؤال.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب، ويشير إلى الوعد الّذي تعدنا به.

﴿ٱلْوَعْدُ﴾: البعث قيام السّاعة أو يوم القيامة أو الحساب أو العذاب،

والوعد في القرآن عادة يكون للخير والوعيد يكون بالشّر، يصفونه بالوعد؛ لأنّهم لا يصدقون به وغير مهتمين به بدلاً من قولهم: متىٰ هذا الوعيد.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: إن شرطية، تستعمل في سياق الشّك أو الاحتمال؛ أي: هم يشكّون في صدق الرّسول وفي الوعد، وهم الّذين قالوا عنه: الصّادق الأمين.

[٣٠] ﴿قُل لَّكُمْ مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾:

﴿قُل لَّكُمْ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ، لكم: اللام لام الاختصاص لكفار قريش ومن جاء من بعدهم.

﴿مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾: مشتقة من الوعد، زمن التّواعد أو مكان التّواعد، إذن ميعاد للزمان والمكان، والميعاد: مصدر ميمي وهو الوقت المحدد أو المعيّن لحدوث الشّيء، يوم: يوم موتكم أو بعثكم أو هلاككم أو يشمل الكلّ، ويوم: نكرة؛ للتهويل والتّعظيم.

﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً﴾: لا النّافية، تستأخرون عنه ساعة: إذا جاء لا يؤخّر ساعة ولا دقيقة، عن: تفيد المجاوزة والمباعدة.

﴿وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾: أي إذا لم يجيء: لا تستقدمون لا ساعة ولا دقيقة، تكرار لا يفيد توكيد النّفي، ارجع إلىٰ سورة يونس الآية (٤٩) والأعراف (٣٤) للبيان.

وردت هذه الآية (٤) مرات في القرآن: في هذه الآية ويونس الآية (٤٩) والأعراف الآية (٣٤) والنّحل الآية (٦١).

[٣١] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ

ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴾:

المناسبة: في الآية السّابقة ذكر أنّ ميعادهم واقع لا محالة، وفي هذه الآية يذكر حالهم في ذلك اليوم وما يحدث فيه من الحوار بين الرّؤساء الّذين استكبروا والأتباع الّذين استضعفوا.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾: من مشركي قريش قالوا لرسول الله ﷺ والمؤمنين وذلك أن المشركين سألوا بعض مؤمني أهل الكتاب عما ذكر بشأن محمّد ﷺ في كتبهم، فلما أخبرهم بما جاء في ذكر الرسول ﷺ في التوراة والإنجيل والبعث والجزاء قالوا عندها:

﴿لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾: لن: لنفي المستقبل القريب والبعيد، نؤمن بهذا القرآن: أي لن نصدّق بهذا القرآن، ولا النّافية (تكرار النّفي يفيد التّوكيد) بالّذي بين يديه من الكتب السّماوية مثل التّوراة والإنجيل والزّبور؛ أي: جاءت قبله.

﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾: هنا يبدأ بالحديث عن حالهم يوم القيامة، ولو ترىٰ: لو شرطية تحتاج إلىٰ جواب والجواب محذوف؛ للتهويل والتّنكير لما يصيبهم في ذلك اليوم من الخزي والهوان والمِراء واللوم والعتاب، ولو ترىٰ: في الآخرة، أو حين ينتظرون الفصل والحساب أو في النّار، إذ: ظرفية للزمن المستقبل، الظّالمون: المشركون الكافرون الظّالمون لأنفسهم وغيرهم.

﴿ مَوۡقُوفُونَ ﴾: محبوسون جمع موقوف من: وقف.

﴿عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾: بين يدي الله، ينتظرون حسابهم.

﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾: يرجع من المراجعة، والمراجعة تعني كلّ واحد يقول كلاماً والآخر يرد على كلامه وينكره، وتعني المراجعة: كلّ منهم يرمي باللائمة على الآخر، ويتهمه بأنه هو السبب في كل ما يحدث من العذاب.

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾: أي الأتباع استضعفوا في الدّنيا. استضعفوا: جمع مستضعف؛ أي: جرده من عناصر قوته، وأذله وعده ضعيفاً، والضعف: بفتح الضاد يكون في الجسم أو الرأي: والعقل أو ضمها ضد القوة (مختار الصحاح)؛ أي: ضعف في الجسم فقط.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: المتبوعين وهم القادة والرّؤساء والكبراء. استكبروا: طلبوا الكبر وليسوا أهله.

﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾: لولا: حرف شرط، لكنّا: اللام لام التّعليل أو الاختصاص، مؤمنين: مصدقين بالله والرّسول واليوم الآخر وما أمر به تعالى، مؤمنين: جملة اسمية تدل على الثّبات؛ أي: ذوي إيمان ثابت لا يتغير.

❖ ❖ ❖

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ
عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا
زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ
بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ
ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ
إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ
أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

سورة سبأ الآيات [٣٢-٣٩]

[٣٢] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟﴾: القادة والرّؤساء؛ أي: المتبوعون. ارجع إلى الآية السابقة (٣١).

﴿أَنَحْنُ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والنّفي والتّعجب.

﴿صَدَدْنَٰكُمْ﴾: أي منعناكم. والصد: هو المنع بقصد ونية، والمنع: قد يكون بقصد أو بغير قصد (نية).

﴿عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾: عن الإيمان بالله وبمحمّد وبالقرآن أو عن الإسلام.

﴿بَعْدَ﴾: ظرفية زمانية.

﴿إِذْ﴾: ظرفية بمعنى حين.

﴿جَآءَكُمْ﴾: حين جاءكم الهدى بواسطة محمّد ﷺ.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾: كثيري الإجرام والآثام والكفر والشّرك؛ جمع مجرم، وهو من تمرد على أوامر الله ونواهيه، ورفض الخضوع إليها، وجرم يعني: قطع؛ أي: قطع كل صلة بالله، وَجَرَمَ الرجل: أذنب، وارتكب ذنباً.

[٣٣] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: بل: للإضراب الانتقالي؛ أي: لم يكن إجرامنا الّذي صدّنا عن الإيمان، بل مكركم بنا في الليل والنّهار: والمكر يعني الخديعة والاحتيال، والمكر يعني: التّدبير الخفي لإيقاع المكروه بالممكور به من حيث لا يعلم، ارجع إلى سورة الرّعد الآية (٣٣) وسورة إبراهيم الآية (٤٦) للبيان.

﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾: أي مكركم بنا في الليل والنّهار ودعوتكم المستمرة لنا إلى الكفر بالله وما أنزل، وأن: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد، هو الّذي حملنا على الكفر وأن نجعل له أنداداً: جمع ندٍّ وهو النّظير والشّبيه. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٢) لمزيد من البيان.

﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾: الضّمير يعود على الجميع المستضعفين والمستكبرين، أسروا النّدامة. الندامة: التلهف على ما فات وعندما يشتد الندم يتحول إلى حسرة، فالحسرة هي أشد الندم؛ مصدر لفعل ندم؛ أخفوا النّدامة أضمر كلّ من الفريقين النّدامة على ما فعلوا من الكفر حتّى لا يشمت بهم الفريق الآخر.

﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾: حين انكشف لهم العذاب؛ أي: رأوا العذاب بأمّ

أعينهـــم، رأوا العذاب المعدَّ أو المهيّأ لهم بعد الجدال والخصام الّذي دار بينهم وعلموا أنّ جدالهم لن يجدي ثمّ يقول الله سبحانه:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ﴾: جمع غل؛ أي: قيد أو طوق من حديد يوضع في عنق المجرم ويشد إلى اليد.

﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: هل للاســتفهام يفيد النّفي، يجزون: من الجــزاء ويكون على العمل أي يجزون على أعمالهم في الدّنيا من الكفر والظّلم والعصيان، إلا: أداة حصر، ما كانوا: ما بمعنى الّذي أو مصدرية، كانوا في الدّنيا، يعملون: العمل يشــمل القول والفعل فما يحصــل لهم في الآخرة هو جزاء لهم على أعمالهم السّيئة في الدّنيا.

[٣٤] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾:

المناســبة: بعد ذكر ما قــال الّذين كفروا من كفار مكــة، ومن الذين أوتوا الكتاب أنّهم لــن يؤمنوا بهذا القرآن ولا بالّذي بين يديــه من التوراة والإنجيل؛ يخبر الله سبحانه نبيه محمّداً ﷺ أنّ إعراض قومه عنه ليس بالأمر الجديد، فكلّ قرية بعث الله إليها نبياً نذيراً كذّبه المترفون في تلك القرية أو الكافرون.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾: الواو استئنافية، أرسلنا: ارجع إلى الآية (٢٥١) للبيان.

﴿فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾: فــي ظرفية، قرية: أصغر من المدينة، من اســتغراقية، نذير؛ أي: نبي، والإنذار هو الإعلام والتّحذير.

﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾: إلا أداة حصــر، قال مترفوهــا: جمع مترف، وهو من

أهل المال والثّروة الّذي طغته فتنة المال ونسي شكر المنعم. ارجع إلىٰ سورة الزخرف آية (٢٣) لبيان معنىٰ الترف، والمترف.

﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾: إنّا للتوكيد، بما: الباء للإلصاق، ما بمعنىٰ الّذي، أرسلتم به: من التعاليم والآيات والأحكام والنذر كافرون جاحدون: تفيد الثبات علىٰ الكفر.

[٣٥] ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾:

﴿وَقَالُوا۟﴾: أي: المترفون لرسلهم.

﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾: من المؤمنين واغتروا بالمال والأولاد والمتاع، وظنوا أنّهم أعطوا المال والأولاد؛ لأنّهم مكرمون من ربهم في الدّنيا وما هم بمعذبين في الآخرة.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: أي لن يعذبنا ربنا في الآخرة، ما: النّافية، معذبين: جملة اسمية تفيد الثّبوت.

وقولهم: نحن أكثر أموالاً وأولاداً، حُجة عليهم لا لهم وبدلاً من أن يشكروا المنعم ويؤمنوا به قالوا لرسلهم: إنّا بما أرسلتم به كافرون! أي لسنا بحاجة إلىٰ وعظكم وإنذاركم.

وقدّم المال علىٰ الأولاد؛ لأنّ أكثر النّاس يملكون المال أكثر ممن عندهم الأولاد.

[٣٦] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي﴾: قل لهم يا رسول الله رداً على اغترارهم بكثرة الأموال والأولاد: إنّ ربي: إنّ: للتوكيد، ربي: أي الرّب فهو الرّازق والمغني والمدبر والمربي.

﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾: يوسع ويغني بكرمه من يشاء، اللام: للتوكيد، من: للابتداء، يشاء: يريد، والمشيئة قبل الإرادة، والرّزق لا يقتصر على المال والأولاد بل هو كلّ ما ينتفع به ويشمل العلم والأخلاق والصّحة والأمن والطّعام والشّراب واللباس.

﴿وَيَقْدِرُ﴾: ويضيق على من يشاء. ارجع إلى الآية (٣٩) من نفس السورة للمقارنة بينهما.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنّ بسط الرّزق ليس دليلاً على رضا الله تعالى، وأنّ الفقر وعدم بسط الرّزق ليس دليلاً على سخط الله أو عدم رضاه، وأنّ المال والأولاد فتنة والغنى والفقر فتنة وابتلاء من الله بالخير والشّر.

[٣٧] ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾:

هذه الآية ردٌّ على قولهم: نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم﴾: الواو: استئنافية، ما: النّافية، أموالكم ولا أولادكم: تكرار (لا) لتوكيد النّفي وفصل كلّ منهما «الأموال والأولاد» على حدة أو معاً؛ أي: لا هذه ولا تلك ولا كلاهما معاً، الكلام مخاطب به الكلّ.

﴿بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾: زلفىٰ؛ أي: قربىٰ إلىٰ الله. زلفىٰ: مصدر زُلف.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء منقطع.

﴿مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: من ابتدائية، آمن بالله وعمل صالحاً وأنفق من أمواله في سبيل الله وابتغاء مرضاته، فهذا الإنفاق من أعظم القربات، وكذلك الأولاد لا تقرب إلىٰ الله زلفىٰ ولكن إذا آمنوا وعملوا صالحاً وقالوا: ربنا ارحم واغفر لآبائنا وأمهاتنا، فذلك أيضاً من الّذي يقرب إلىٰ الله زلفىٰ.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الفاء للتوكيد، أولئك اسم إشارة واللام للبعد تفيد العلو، الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات.

﴿لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾: لهم: اللام لام الاستحقاق، جزاء الضّعف: المضاعف المكرر مرات ومرات حتّىٰ يبلغ (٧٠٠) ضعف، الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ (٧٠٠) ضعف أو أكثر.

﴿بِمَا عَمِلُوا۟﴾: الباء بدلية أو باء السّببية؛ أي: بسبب أو بدل ما عملوا في الدّنيا من الأعمال الصّالحة.

﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾: وهم: للتوكيد والحصر؛ أي: وكأنّهم وحدهم لا غيرهم في الغرفات آمنون، في: ظرفية، الغرفات: جمع غرفة، والغرفة: اسم جنس غرف الجنة، آمنون: من الموت ومن كلّ خوف وضر وسوء ومرض أو مكروه، آمنون جمع: آمن وآمنون: جملة اسمية تفيد الثّبوت. ارجع إلىٰ سورة الفرقان آية (٧٥) لمزيد من البيان.

[٣٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٥) من السّورة نفسها للبيان، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾، فالفرق بين الآيتين: سعوا: فعل ماض، سعوا وانتهىٰ الأمر، وربما تابوا أو لم يُغفر لهم فلهم عذاب من رجز أليم، أما الذين يسعون بصيغة المضارع التي تدل علىٰ التجدد والتكرار والاستمرار أولئك في العذاب مُحضرون.

﴿فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ ﴾: أي: بذلوا قصارىٰ جهدهم لصرف النّاس عن آيات ربهم (آيات القرآن) بالقول: لا تسمعوا لها والغو فيها، وبالتكذيب بها. معاجزين: جمع معاجز: من يحاول أن يعجز غيره، وأعجزه: جعله عاجزاً عن نيل مراده، وأفلت منه، فلم يقدر عليه؛ أي: يحاولون أن يعجزوا من يُبلغُها؛ أي: يجعلونه عاجزاً عن تبليغها والكفّ عنها.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ﴾: اسم إشارة يفيد الذم.

﴿عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾: عذاب أشد وأسوأ من العذاب الأليم، أمّا الآية (٣٨) يسعون: فعل مضارع يدل علىٰ تجدد وتكرار السعي في آياتنا معاجزين، كما شرحنا سابقاً. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٥٩) لبيان معنىٰ الرجز والرجس والفرق بينهما.

﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾: جمع محضر: اسم فاعل من: حضر يحضر؛ أي: حاضر ضد الغياب، أي يُحضر رغماً عن أنفه، تحضرهم الملائكة قسراً سواء رضوا أم لم يرضوا. وكلمة محضرون لا تأتي إلا في سياق العذاب في

كل القرآن. ومحضرون: لا يغيبون عنه فقوله: محضرون؛ أي: مقيمون في هذا العذاب الأليم.

[٣٩] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾:

المقصود في هذه الآية رجل يبسط الله له الرّزق يوسع عليه ويصبح غنياً ثمّ يضيّق عليه فيصبح فقيراً، أو بالعكس يكون فقيراً ثمّ يصبح غنياً؛ أي: هو نفسه يتحول من حال إلى حال.

الآية (٣٦) من سورة سبأ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: المقصود في هذه الآية رجل يُبسط له الرّزق؛ أي: يوسع عليه ويصبح غنياً طيلة حياته، ورجل آخر يضيق الله عليه الرّزق ويصبح فقيراً طيلة حياته.

أمّا في سورة القصص الآية (٨٢): ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ هذه الآية خاصة بقارون، فالله بسط له الرّزق ولم يقل يقدر له، وإنما خسف به وبداره الأرض.

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ﴾: وما: الواو استئنافية، ما: شرطية، أنفقتم: تصدقتم في سبيل الله سواء كان صدقة أو زكاة أو قرضاً حسناً، من شيء: من ابتدائية استغراقية، تشمل كلّ شيء من مال أو طعام أو زمن، وشيء: نكرة والشّيء أقل القليل.

﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾: الفاء للتوكيد، هو: لزيادة التّوكيد، ويعود إلى الله

سبحانه، يخلفه: يعوضه بالمال أو الثّواب أو بالصّحة أو طول العمر، يخلفه في الدّنيا أو في الآخرة.

﴿وَهُوَ﴾: تكرار هو للتوكيد.

﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: خير؛ أي: أفضلهم وأعلاهم؛ لأنّه سبحانه خلق الرّزق والمرزوق، فلا رازق إلا هو فهو الرّزاق الحقيقي وأمّا العباد فهم من تسخير الله سخّرهم ليقوموا بذلك، وأضفى عليهم من صفته وكرمه ووصفهم بأنّهم من الرّازقين. والرّزق يشمل المال والعلم والسلطان والأهل والصحة والأمن والحرية وغيرها.

❖❖❖

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ
ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ
وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا
جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ
يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن
تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم
مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾
قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

ربع الحزب ٤٤

سورة سبأ [الآيات ٤٠ - ٤٨]

[٤٠] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾:

بعد أن ذكر أنّ الأموال والأولاد لا تقربهم إلى الله زلفى، يذكر في هذه الآية وكذلك الملائكة لا تقربهم عند الله زلفى ولا تشفع لهم، فقد كانوا يزعمون أنّ الملائكة بنات الله ويمكن أن يشفعوا لهم.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾: يحشر المشركين يوم الحشر يوم القيامة والحساب، ونكّر اليوم؛ للتهويل والتعظيم.

﴿جَمِيعًا﴾: الأتباع والمتبوعين الرّؤساء والقادة (الّذين استكبروا) والّذين استضعفوا، المعبود والعابد، والملائكة وعيسى وعزير والأولياء والأصنام والأوثان، ثمّ يقول للملائكة: أهؤلاء إيّاكم كانوا يعبدون.

ثمّ: للترتيب الذكري (التسلسلي) وقد تعني الترتيب والتراخي في الزّمن.

ثم يسأل الله سبحانه الملائكة (ثمّ يقول للملائكة): أهؤلاء إيّاكم كانوا يعبدون؟ (أي في الدّنيا).

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾: أهؤلاء استفهام تقرير وتوبيخ للعابدين، هؤلاء: الهاء للتنبيه، أولاء: اسم إشارة للقرب ويفيد الذّم والتّحقير، يسأل الملائكة بعد أن أنكر الّذين أشركوا أنّهم كانوا يعبدونهم؛ ليقيم عليهم الحجة

وتشـــهد الملائكة عليهم أنّهم كانوا كاذبين، والله سبحانه يعلم منذ الأزل فيما إذا عبدوهم أم لا، والسّـــؤال ليس ليعلم الله سبحانه ذلك وإنما ليقيم عليهم الحجة والله سبحانه غني عن ســـؤالهم، وفي السّؤال تنزيه للملائكة من أن يسألوا أحداً أن يعبدهم.

[٤١] ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾:

﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ ﴾: أي جاء الرّد المباشر من الملائكة على السّؤال: أهؤلاء إيّاكم كانوا يعبدون؟ بقولهم: سبحانك؛ أي: ننزهك عن الشّريك وأن يُعبد سواك وننزهك من كلّ نقص وعيب في ذاتك وأسمائك وأفعالك وصفاتك.

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا ﴾: أنت للتوكيد، ولينا: وحدك؛ أي: لا ولي لنا سواك، والولي أي المتولي أمورنا ومدبّرها، لم نسألهم أن يعبدونا أو يطيعونا.

﴿مِن دُونِهِم ﴾: أي نتبرأ منهم لا نحـــن أولياؤهم ولا هم أولياؤنا، ونعتذر إليك ونسألك المغفرة.

﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ﴾: بـــل للإضـــراب الانتقالي، يعبـــدون الجن: أي شـــياطين الجن (إبليس وجنوده)، انتبه هنا لا تفهم من ظاهـــر هذه أنّ الملائكة تخبر الله أنّ المشركين كانوا يعبدون الجن، أليس الله سبحانه يعلم ذلك، وإنما المقصود بهذه الآية أنّ المشـــركين إن كانوا يعبدوننـــا، فهم كانوا في عبادتهم لنا يطيعون الجن (شياطين الجن إبليس وجنوده بالوسوسة والإغواء والتّزيين).

﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾: أي أكثر المشركين يؤمنون بالجن: أي يصدقون

الجن (شياطين الجن)، ويطيعونهم، وهذا ما ذكره الله سبحانه في الآية (١٢٨) من سورة الأنعام بقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، مؤمنون: جمع مؤمن؛ أي: مصدّق وجاء بصيغة الجملة الاسمية لتدل على الثّبوت، ثبوت الإيمان، ثبوت إيمانهم بالجن؛ لأنّ الجن كانوا يسترقون السّمع ثمّ يخبرون بها أولياءهم من الإنس، فيظن النّاس أنّ الجن تعلم الغيب. وكما بين الله سبحانه ذلك في قوله في سورة الجن الآية (٦): ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، وهناك القلة من الإنس الّذين كانوا لا يعبدون الجن كانوا يشركون بالله بدون تدخل الشّيطان.

[٤٢] ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾:

﴿فَالْيَوْمَ﴾: الفاء للتوكيد، اليوم: يوم الحساب أو القيامة.

﴿لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾: لا النّافية، يملك: بعضكم لبعض: المعبودون للعابدين أو المتبوعون للتابعين، لبعض: اللام لام الاختصاص.

﴿نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: جاءتا بصيغة النّكرة؛ لتشملا كلّ نفع أو كلّ ضر مهما كان نوعه وقدره، لا شفاعة ولا زلفى ولا نجاة ولا نصراً ولا شيئاً مهما قلّ وصغر أو كبر، وقدّم النّفع على الضّر؛ لأنّ سياق الآيات في القربى والزّلفى والشّفاعة الّتي تعني الفائدة منها والرزق والأموال والأولاد والإنفاق.

﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: نقول: للتعظيم، للذين: اللام لام الاختصاص،

الّذين ظلموا بالشّرك والمعاصي وظلموا أنفسهم بالخسران وظلموا الآخرين بإضلالهم.

﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: ارجع إلى الآية (١٤) من سورة السّجدة لبيان معنى: ذوقوا عذاب النّار.

ولا بد من مقارنة هذه الآية (٤٢) من سورة سبأ وهي قوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، والآية (٢٠) من سورة السّجدة وهي قوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾:

في آية سبأ: الّذين ظلموا يكذبون بوجود النّار أصلاً؛ أي: ينكرون ويجحدون بوجود النّار (أي يكفرون بها وبكلّ شيء يذكر عنها) فيقال لهم: ذوقوا عذاب النّار الّتي كنتم بها تكذبون.

أمّا في آية السّجدة: الّذين فسقوا يقال لهم: ذوقوا عذاب النّار الّذي كنتم به تكذبون؛ أي: هم يؤمنون بوجود النّار ولكنهم ينكرون أنّهم من أهلها وسيعذبون بها، فتكذيبهم ليس للنار بل للعذاب نفسه، ولذلك جاء باسم الموصول الّذي العائد إلى العذاب.

والظّلم أشد وأعظم ذنباً وإثماً من الفسق، فأعلى الدّرجات هي الكفر ثمّ الظّلم (الشّرك) ثمّ الفسق.

[٤٣] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ

ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾:

المناسبة: بعد قوله: ذوقوا عذاب النّار الّتي كنتم بها تكذبون، ولم تكذبوا بالنّار فقط بل كذبتم كذلك برسولنا محمّد ﷺ وكذبتم بالقرآن وآياته حين كانت تتلىٰ عليكم.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾: وإذا: الواو استئنافية، إذا: ظرفية شرطية تفيد الحتمية حتمية حدوث ما يذكر بعدها وهي التّلاوة، تتلىٰ: من التّلاوة: والتّلاوة تخص القرآن وآياته وهي: قراءة الآيات الآية تلو الأخرىٰ، وتتلىٰ بصيغة المضارع تدل علىٰ التّجدد والتّكرار، بينما «تليت عليهم آياته» تعني مرة واحدة، عليهم: علىٰ المشركين والكفار، آياتنا: آيات القرآن الحكيم، وقوله: «آياتنا» تفيد الشّرف شرف هذه الآيات وقدرها العظيم عند الله تعالىٰ ولم يقل وإذا تتلىٰ عليهم الآيات، بينات: واضحات الدّلالة وظاهرات المعنىٰ.

﴿قَالُوا۟ ﴾: أي الّذين كفروا وأشركوا.

﴿مَا هَٰذَآ ﴾: ما: للنفي، وغالباً ما تكون لنفي الحال وقد تنفي غيره وأقوىٰ في النّفي من ليس، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب وتعني النّبي رسول الله ﷺ وهم لا يقولون النّبي أو الرّسول وإنما: رجل.

﴿إِلَّا رَجُلٌ ﴾: إلا: أداة حصر، رجل: أي محمّد ﷺ، رجل: بصيغة النّكرة ينكرون نبوته؛ أي: هو رجل كأيّ رجل وليس له أيّ مزية خاصة، ونسوا أنّهم كانوا يلقبونه: الصّادق الأمين.

﴿يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ﴾: أن: حرف مصدري يفيد التّوكيد والتّعليل، يصدكم: من الصّد: أي المنع؛ أي يمنعكم أو يصرفكم، والصّد يعني: المنع مع النّية والقصد، والمنع قد يكون مع القصد أو بدون قصد.

﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾: عن تفيد المجاوزة والمباعدة، أي يبعدكم عن، ما: للعاقل وغير العاقل، وهي اسم موصول بمعنىٰ الّذي يعبد (أنزل الأصنام منزلة العقلاء) لأنّهم يعبدونها ويظنون أنها تشفع لهم، كان: للماضي والحاضر، آباؤكم: من الأصنام والأوثان والآلهة واللات والعزىٰ.

﴿وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾: ارجع إلىٰ مطلع الآية، إلا: أداة حصر، إفك مفترىٰ: أي القرآن ما هو إلا كذب متعمد مفترىٰ؛ أي: لا حقيقة له، أي مختلق، والإفك يعني في الأصل: قلب الحقيقة، وقد بيّن ذلك في آيات أخرىٰ كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان:٤]، ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف:١١].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾: للقرآن والرّسول أو لدين الإسلام، لما: ظرفية زمانية بمعنىٰ: حين جاءهم، للحق: اللام لام التّوكيد، والحق هو: الصدق والأمر الثّابت الّذي لا يتغير، والذي ليس هناك غيره.

﴿إِنْ هَٰذَآ﴾: إن نافية وأشد نفياً من ما وليس ولا.

﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: إلا أداة حصر؛ أي: القرآن أو الرّسول سحر لما رأوا تأثيره القوي في النّفوس والقلوب وكانوا يظنون أن كلّ شيء خارق للعادة سحر كما يؤثّر السّحر في الأنفس.

سحر مبين: سحر ظاهر بيّن لكلّ فرد لا يخفى على أحد، وسحر لا يحتاج إلى برهان لإثبات أنّه سحر، ولمعرفة تعريف السّحر ارجع إلى الآية (٥٨) من سورة طه للبيان، وتكرار «قالوا» وقال الّذين كفروا: يدل على ما في صدورهم من إنكار وإعراض شديد عن الرّسول ﷺ والقرآن والدّين.

[٤٤] ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾:

﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾: ما للنفي، آتيناهم من كتب يدرسونها: وما أنزلنا على هؤلاء الّذين كفروا كتباً سماوية، يدرسونها: من التّدريس؛ أي: التّعليم، أو يدرسونها تدل على كثرة الدّراسة وتكرارها والإمعان فيها وتدبّرها، يدرسونها: أي فيها برهان على الإقرار بالشّرك وإباحته وما آتيناهم من كتب قبل القرآن يدرسونها كما قال تعالى: ﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴾ [الرّوم:٣٥].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ ﴾: تكرار «ما» يفيد توكيد النّفي وفصل الكتب عن النّذير، أرسلنا إليهم قبلك من نذير، من: استغراقية أي نذير، دعاهم إلى الشّرك أو أباح لهم الشّرك أو ينذرهم بالعقاب إذا أشركوا بالله، أو أرسلنا إليهم قبل محمّد ﷺ رسولاً يدعوهم إلى الحق وينذرهم بالعذاب، ولم يقل وما أرسلنا إليهم من قبلك من نذير، حذف من وحذفها يدل على أننا لم نرسل إليهم من نذير منذ زمن بعيد.

[٤٥] ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾:

ثمّ يخبر الله سبحانه أنّ تكذيب كفار قريش ليس بالأمر الجديد فقد كذّب

الّذين من قبلهم من الأمم والقرون الماضية، وتكذيب هؤلاء كأنّه سنّةٌ متبعة في الأمم.

﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: ما النّافية، بلغوا: أي كفار مكة الّذين كذّبوا رسول الله ﷺ ما بلغوا معشار: أي العشر؛ أي: عشرة في المئة أو (١/ ١٠) مما أتينا الأمم السّابقة من القوة وطول العمر وكثرة المال والبنيان، فحين كذّبوا رسلي فكيف كان نكير؛ أي:

﴿فَكَيْفَ﴾: استفهام يحمل معنىٰ التّعجب والتّقرير.

﴿كَانَ نَكِيرِ﴾: من النّكر: ما يجهله الإنسان ويستغربه وينكره؛ لأنّه يظنه خطأً مع أنّه حقيقة وصواب، وأصلها: فكيف كان نكيري حذفت الياء، ونكير: اسم لشدة الإنكار، والإنكار يستلزم الجزاء علىٰ الفعل النُّكر بالعقاب فيصبح المعنىٰ: ثمّ أخذت الّذين كفروا بعذاب ملائم لإنكارهم، فكيف كان انتقامي منهم أو عقوبتي لهم أو أخذي لهم. ارجع إلىٰ سورة الكهف آية (٧٤) لمزيد من البيان، وبيان الفرق بين نكراً ونكير.

[٤٦] ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾:

بعد أن نبّه كفار قريش لما حدث لمن سبقهم من المكذبين من العقاب أو الهلاك، يعود ليخاطبهم عن طريق نبيهم:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ.

﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾: أي بموعظة واحدة، واستعمل (إنما) وهي

كافــة مكفوفة تفيد الحصر أو القصر؛ أي: لا أعظكــم إلا بواحدة فقط، وما هذه الموعظة؟

﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾: أن للتعليــل، تقومــوا لله؛ أي: تتجــرّدوا من كلّ هوىٰ وشهوة واستعلاء وتقوموا مخلصين لله؛ أي: تقوموا بالعدل والقسط، وعند ذلك تعلمون الحق وأنّه ليس به جِنَّة؛ أي: برسول الله ﷺ.

﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾: أي تقومــوا من عند رســول الله ﷺ مثنــىٰ أو فرادىٰ واحداً واحداً أو اثنين اثنين.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾: وليتفكر كلّ واحد منكم وحده، أو ليخلو بغيره اثنين اثنيــن فيتفكروا ليصلوا إلىٰ الحق، والقيام هنا قيــام تفكر، وتتفكروا بموضوعية وتجرّد من الهوىٰ فــي أمر محمّد ﷺ كيف كان فيكم وســيرته وأخلاقه، وهل علمتم كذباً عليه، وهل كان ساحراً أو كذاباً أو كاهناً أو فيه علامات من الجنون.

﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾: ما: النّافية قوله تعالىٰ: ما بصاحبكم، إشــارة إلىٰ أنّهم صاحبوه وعرفوا أحواله وعقله وأمانته بالصّحبة الطّويلة قبل أن يصبح رسولاً إليكم، من جنّة: من استغراقية، جنّة: أي ما به من أيّ علامة من علامات الجنون.

﴿إِنْ هُوَ﴾: إن نافية؛ أي: ما هو، هو ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿نَذِيرٌ لَّكُم﴾: نذيــر من الإنذار وهــو الإعلام والتّحذيــر؛ أي: منذر لكم محذّركم خاصة.

﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: عذاب قادم في الآخرة بين يدي: يدل على قرب العذاب، وقد يعني السّاعة أو يوم الحساب كقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:١].

[٤٧] ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾:

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ، ما: شرطية، سألتكم من أجر فهو لكم: أي إن كنت أخذت منكم أيَّ أجر على التّبليغ فسوف أعيده لكم، أو سيعود جزاؤه عليكم، أو قل لهم يا محمّد ﷺ: لا أسألكم على إنذاري لكم أيَّ أجر أو على تبليغي الرّسالة لكم.

﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾: والأجر: هو الجُعل أو الثّمن مقابل العمل، إن أجري: إن حرف نفي أشد نفياً من (ما) كقوله وما أجري.

﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾: إلا أداة حصر، على الله تعالى واجب الوجود الإله الحق المعبود الذي أرسلني إليكم.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: هو ضمير يفيد التّوكيد، على كلّ شيء شهيد: ارجع إلى الآية (١٣٣) من سورة البقرة للبيان، والآية (٦) من سورة المجادلة.

[٤٨] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾:

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: قل يا رسول الله ﷺ، إنّ: للتوكيد، إنّ ربي يقذف بالحق: يقذف يعني يُلقي، يتكلم بالحق مع رسله وأنبيائه أو يُلقي بالوحي أو بالقرآن أو يقذف بالحق على الباطل فيدمغه (الأنبياء الآية ١٨) ولماذا اختار سبحانه كلمة «يقذف» خاصة؛ لأنّها توحي بالقوة والعنف، هذا إذا جاءت من

البشـــر فكيف إذا كان القاذف هو الله سبحانه العزيز الحكيم، وأمّا المقذوف هو الحق، والحق: هو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغير، فالله سبحانه يقذف بالحق ليزيل الباطل، وكما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١]، والباء في بالحق: تدل علىٰ الإلصاق والدّوام.

﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾: أي يقذف بالحق فلا يخطئ في قذفه هدفاً أو شـــيئاً؛ لأنّه ســـبحانه علام الغيوب؛ أي: عالم بكلّ غيب، فوحيه لا يصل إلا لمن اختاره من عباده من الرّسل.

وعلام: صيغـــة مبالغة من علم؛ عالم؛ عليم؛ عـــلام الغيوب: جمع غيب، والغيب: هو ما غاب أو خفي عن العيـــون والآذان والحواس والمدركات؛ فهو سبحانه يعلم ما غاب عن أسماع خلقه وأبصارهم وحواسهم.

❖ ❖ ❖

قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ
فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن
مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن
مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ
بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ

ترتيبها ٣٥ | آياتها ٤٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ
أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ
وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

سورة سبأ [الآيات ٤٩ - ٥٤]

[٤٩] ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾:

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ: جاء الحق: دين الإسلام دين الحق والقرآن، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة:٣٣].

﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ﴾: الباطل: هو الظلم والكفر والشّرك والشّيطان. الباطل لغةً: هو الذاهب الزائل، أو الفاسد، وليس له وجود في الأصل، وما يبدئ الباطل: لا بداية أخرىٰ له.

﴿وَمَا يُعِيدُ﴾: لا عودة له مرة ثانية؛ أي: إذا جاء الحق زهق الباطل (الشّرك والكفر) أي: ذهب الباطل اضمحل وزال ولم يبق له أثر لا بداية جديدة ولا عودة.

يبدئ: ولم يقل بدأ؛ أي: بدأ لأول مرة، أمّا يُبدئ تعني: تكرار البداية الأولىٰ.

وما يعيد: تكرار الإعادة أو العودة.

أي: إذا زال الباطل واضمحل فليس له بداية جديدة أو عودة، وتكرار «ما» مرتين يفيد توكيد النّفي.

[٥٠] ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾:

﴿قُلْ إِن﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ، إن شرطية تفيد الافتراض علىٰ فرض؛ وهو احتمال غير وارد أو نادر.

﴿ضَلَلْتُ﴾: عن الحق والصّواب والصّراط المستقيم؛ أي: ابتعدت وأضعت

السّبيل فذلك بسبب نفسي وسيئاتي، أي: نسب الضّلال الّذي هو نتيجة للسيئات الّتي تقترفها النّفس.

﴿فَإِنَّمَآ﴾: الفاء للتوكيد، إنما كافة مكفوفة تفيد الحصر.

﴿أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾: أي إثم ضلالي أو وزر ضلالي يكون علىٰ نفسي. نسب الضلال إلىٰ النفس؛ لأن النفس التي تقترف السيئات، والضلال نتيجة السيئات.

﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والافتراض. اهتديت إلىٰ الحق والصواب، وبالنسبة للرسول ﷺ: الهداية تكون بالوحي، والإلهام، أما هداية الأمة: تكون بواسطة الرسول والكتاب.

﴿فَبِمَا﴾: الفاء للتوكيد، بما: الباء باء السّببية.

﴿يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾: من القرآن والوحي والحكمة والموعظة، نسب الهداية إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿سَمِيعٌ﴾: لكلّ ما يقال من قول ودعاء وصوت.

﴿قَرِيبٌ﴾: بعلمه من عبده فهو أقرب إليه من حبل الوريد.

[٥١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: الواو استئنافية، لو شرطية، جواب الشّرط محذوف والتّقدير: ولو ترىٰ يا رسول الله ﷺ.

﴿إِذْ﴾: ظرفية زمانية بمعنىٰ حين.

﴿فَزِعُوا۟﴾: من الفزع: وهو الخوف الشّديد حين القيام من القبور والبعث والحساب في أرض المحشر وعند الميزان (وقد تشمل ساعة الموت)، فزعوا؛

أي: الّذيــن لم يؤمنوا وكذبوا بالقرآن وبالرّســول ﷺ وبما جاء من الحق، وجاء بصيغة الماضي «فزعوا» والمراد به الاستقبال؛ أي: كأن الأمر حدث وانتهى.

﴿فَلَا فَوْتَ﴾: الفاء تعليليــة، لا النّافية، لا فوت: مصدر لفعل فات؛ أي: لا مهرب ولا نجاة لهم؛ لأنّ الإنســان قد يفزع: يخاف خوفاً شــديداً من أمر ما ويستطيع الهرب منه والنّجاة أو ينقذه أحد، أمّا هؤلاء فلا مفر ولا ملجأ.

﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: أخذوا إلى النّار ســيقوا إلى جهنم مباشــرة من مكان الحساب؛ أي: الحشر بدون تأخير. وحذف جواب الشّرط وتقديره: لرأيت الشّيء العجاب والأمر الهائل الّذي يحلّ بهؤلاء وليتصوّره كلّ فرد بما يتصوّره.

[٥٢] ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾:

﴿وَقَالُوٓا۟﴾: أي الكفار بعد «إذ فزعوا» ورأوا أن لا ملجأ لهم يومئذ وما لهم من نكير.

﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: به؛ أي بالله وبالبعث والحساب وبمحمّد وبالقرآن وبكلّ ما جاء من الحق، آلآن تؤمنوا ولم تؤمنوا في الدّنيا؟

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ﴾: أنــى لها أربع معــان: كيف تؤمنوا، ومن أيــن لهم الإيمان، والتّعجب، والسّعة في المعنى من كيف، لهم: اللام لام الاختصاص.

﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾: التّنــاول؛ أي: تناول الإيمان والتّوبة فــي الآخرة وقد فات الأوان؛ أي: زمن التّوبة والإيمان وبعدت دار الدّنيا دار التكليف.

التناوش: من: ناشه ينوشه نوشاً؛ أي: تناوله. ويقال: تناوش القوم بالرماح: تناول بعضهم بعضاً بالرماح فهم يريدون أن يتوبوا حينذاك ويؤمنوا (إيماناً سهلاً بدون جهد أو تكليف وفي الدّار الآخرة البعيدة عن الدّنيا).

فمثلكم كمثل الّذي رمى رمحــاً إلى أبعد ما يمكن ولم يعد يقدر الوصول إليه؛ ليســتعمله مرة أخرى، فلن ينفعهم إيمانهم أو توبتهم في الآخرة. وهناك من

قال: التناوش من: نأشت؛ أي: إذا أبطأت وتأخرت؛ أي: تأخر إيمانهم وتوبتهم فلم تعد تقبل.

﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾: أي في الآخرة البعيدة عن الدّنيا، ويعين على تفسير معنى المكان البعيد الآية التّالية وهي قوله: ويقذفون بالغيب من مكان بعيد، وهو الدّنيا.

[٥٣] ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾:

﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾: وقد: الواو للتوكيد (حالية)، قد: للتحقيق، قد تحقّق كفرهم به، كفروا به: (بالإيمان وبالله وبالبعث وبمحمّد وبالقرآن).

﴿مِن قَبْلُ﴾: أي في الدّنيا، حين عُرض عليهم، من: تدل على الزّمن القريب.

﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾: العرب تقول لكلّ من يتكلم بالظّن وفيما لا علم له به بأنّه: يقذف ويرجم بالغيب؛ أي: يقذفون بألسنتهم بالغيب: بالظّن أو بما لا علم لهم به، يرجمون ويقذفون الله تعالى بأنّ له الولد والشّريك والنّدّ والمثيل، وأنّ الملائكة بنات الله والعُزير والمسيح ابن الله! وأنّ هناك نسباً بين الله والجنّة! أو يقولون: لا بعث ولا حساب ولا آخرة ولا جنة ولا نار، أو يقولون: ساحر ومجنون وكاهن.

﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾: أي كانوا يقذفون بالغيب حين كانوا في مكان بعيد (أي الدّنيا) وهم الآن في الآخرة.

وإذا قارنّا هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ آية (٤٨) من السّورة نفسها، فالله يقذف بالحق (بالأمر الثّابت الّذي لا يوجد غيره ولا يتغيّر ولا يتبدّل). وهم يقذفون بالباطل.

والله سبحانه يقذف؛ لأنّه علام الغيوب فيحقّ له أن يقذف، أمّا هم يقذفون

بالغيب بدون علـــم، وإنما مجرد الافتراء والظّـــن والتّخمين، فقذفهم لا يصيب الهدف ويرجع قذفهم عليهم حسرات.

[٥٤] ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾:

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾: حيل: جعل بينهم وبين ما يشتهون حائلاً أو مانعاً أو ســداً يمنعهم من الوصول إلىٰ ما يشـــتهون، ما: بمعنىٰ الّذي، يشتهون: من الشّهوة شـــهوة النّفس، وماذا يشتهون؟ لم يُبيّن في هذه الآية ما يشتهون: مثل الإيمـــان الحقيقي المقبول والتّوبة، والنّجاة من النّـــار والفوز بالجنة، أو الرّجوع إلىٰ الدّنيا ليعملوا صالحاً ويتوبوا.

﴿كَمَا﴾: الكاف للتشبيه، ما أيضاً بمعنىٰ الّذي.

﴿فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾: الأشـــياع جمع: شـــيع، وشيع جمع: شـــيعة، وشيعة الرّجل: أنصـــاره وأتباعه أو الجماعـــة المجتمعة علىٰ نِحلة واحـــدة أو عقيدة، سواء كانوا علىٰ حق أو باطل، وأشـــياعهم تعني: أمثالهم من الكفار والمشركين والمكذبين أو من كان مذهبه مذهبهم (أي الكفر).

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل هؤلاء.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾: إنّهم للتوكيد؛ أي: مشركي وكفار قريش، وقد تعني غيرهم من الكفار كانوا في الدّنيا، شـــك مريب: في شك والشّك تساوي كفة النّفي والإثبات؛ أي: تردّد الذهن بين أمرين علىٰ حد سواء، مريب: من الرّيبة وهي التّهمة: في شك مريب في تردد وحيرة، واتهام الغير في أمر الدّين والوحدانية والرّسل والبعث والحســـاب، والجنة والنّار والعذاب ولقاء الله، مريب: في موقع ريب أو: ذي ريب أودىٰ بهم إلىٰ أن يموتوا علىٰ الكفر والشّرك، ثمّ إلىٰ العذاب والهلاك في نار جهنم.

❖ ❖ ❖

قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ
فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن
مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن
مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ
بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ

ترتيبها ٣٥ — آياتها ٤٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ
أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ
وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

سورة فاطر [الآيات ١ - ٣]

ترتيبها في القرآن (٣٥)، وترتيبها في النّزول (٤٢) نزلت بعد سورة الفرقان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الحمد أعم من الشكر، والحمد كالحمد على صفاته الذاتية كالعلم، والقدرة، والحمد على تفضله على العالمين حمداً مطلقاً دائماً وتاماً على نعمه الظّاهرة والباطنة وأهمها نعمة الإيمان والإسلام والقرآن، نِعمُه الّتي لا تعد ولا تحصى، وسورة فاطر إحدى السور الخمسة التي بدأها سبحانه وتعالى بالحمد، وهذه السور هي: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر. ارجع إلى سورة الفاتحة الآية (٢) وسورة الكهف الآية (١) لمزيد من البيان. لله: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، الله: الاسم الدّال على ذاته سبحانه الدّال على واجب الوجود، والجامع لجميع صفاته وأسمائه، والّذي تفرد به وحده واختصه لنفسه.

﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: بعد الافتتاح بالحمد يُذكر الله بعظمته وقدرته على فطر السّموات والأرض وخلق الملائكة بأجنحة مختلفة العدد، فاطر السّموات والأرض: أيْ: خالق السّموات والأرض ابتداءً أيْ: هو الّذي أوجدهما وأظهرهما، على غير مثال سابق وفاطر اسم فاعل من فعل فطر: أيْ: شق يقال:

تفطَّر الشّجر: إذا تشـقق بالورق، والفطر: الإبداع. ارجع إلىٰ سورة الأنعام الآية (١٠) لمزيد من البيان.

فكونه فاطر السّـموات والأرض فهو يسـتحق الحمد والعبادة، وكذلك تسخيرهما يعدُّ من أكبر النّعم الرّبانية.

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾: إلىٰ الأنبياء والرّسـل، ورسـلاً لتدبير أمور الخلق وتصريف الرّياح والسّحاب وكتابة أعمال الخلق ورعايتهم والدّعاء والاستغفار للمؤمنيـن، وقد خلقهم الله تعالىٰ من نور، فهـم مخلوقات نورانية لا تأكل ولا تشـرب ولا تنام ومطهرون من الشّـهوات لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

﴿أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾: ومن صفاتهم الخلقية الّتي يخبرنا الله بها أنّ لهـم أجنحة يتفاوتون في أعدادها، أولي: أيْ: أصحـاب أجنحة مثنىٰ، وثلاث، ورباع، ويعني: ذلك جماعة مـن الملائكة ذوو جناحيـن، وجماعة ذوو ثلاثة أجنحة، وجماعة ذوو أربعة أجنحة؛ أي: اثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة، ولا يعني: ملك واحد له جناحين، أو ثلاثة، أو أربعة أجنحة.

﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾: يزيد الله في الخلق ما يشـاء من أجنحة، يزيد في صور وأشكال خلقه من طول قامة وشعر، وألوان وحواس وقوة وصفات وراثية غير متشابهة.

فقـد أخرج البخاري ومسـلم عن عبد الله بن مسـعود رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ رأىٰ جبريل عليه السلام وله ستمئة جناح، والآية مطلقة تتناول كلّ زيادة في الخلق.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قدير: صيغة مبالغة على وزن فعيل، وأبلغ من قادر. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢٠) للبيان.

[٢] ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

﴿مَّا﴾: شرطية.

﴿يَفْتَحِ ٱللَّهُ﴾: حركت بالكسر لالتقاء السّاكنين، يفتح، أيْ: يمنع أو يعطي أو يؤتي.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام لام الاختصاص أو الاستحقاق، النّاس: الثقلين الإنس والجن، وكلمة النّاس مشتقة من النّوس، أيْ: كثرة الحركة.

﴿مِن رَّحْمَةٍ﴾: من: ابتدائية استغراقية، تستغرق كلّ رحمة مهما كان نوعها من السماء أو الأرض في الدّنيا أو في الآخرة، من رحمة: جاءت بصيغة النّكرة لتشمل كلّ رحمة مثل النّبوة والعلم والمطر والغنى والعافية والأمن، والمطر والطّعام والشّراب وإرسال الرّسل، وتدل على الكثرة وسواء كانت رحمة حسية أو معنوية، ورحمته سبحانه وصفها بأنّها واسعة ﴿ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ [الأنعام: ٤٧].

﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، لا نافية للجنس، فلا ممسك لها: فلا مانع لها أو حابس لها، أيْ: لا أحد من الخلق يستطيع أن يمنع وصولها إلى أصحابها.

﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾: أي: الله سبحانه ولم يحدِّد ما يمسك، وأطلق ما يمسك من

رحمــة أو عقوبة أو ضراء أو نعمة أو نقمة أو ســراء، بينما في قيد في الأولىٰ (ما يفتح من رحمة).

﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: أيْ: لا أحد قادر علىٰ إرســال وبعث أو إطلاق ما يمنع أو يمسك الله سبحانه.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: هــو: ضمير فصل يفيــد التّوكيد، العزيــز: عزة القوة والغلبة والقهر والامتنــاع، الحكيم: أحكم الحاكمين وأحكم الحكماء في تدبير خلقه وشرعه وكونه. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٢٩) للبيان.

[٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: نداء إلىٰ النّاس جميعاً (الإنس والجن) الثّقلين اســتعمل فيها ياء النّداء للبعد والهاء في أيّها للتنبيه.

﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: باللســان والطّاعة وتجنب المعاصي وغيرها من وسائل الذّكر أي: الشّكر، أي: اشكروا نعمة الله عليكم مثل نعمة الدّين والإسلام والأمن والعافية والعلم والأهل والرّزق وغيرها من النّعم.

﴿هَلْ﴾: اســتفهام يفيد التّقرير والنّفي والتّحــدي، ولم يأت بالآية بصيغة الخبر كقوله تعالىٰ: يا أيّها النّاس الله الّذي خلقكم ويرزقكم من السّماء والأرض وإنما اســتعمل هل للاستفهام؛ لكي يأتي الرّد أو الإجابة علىٰ السّؤال من السّامع نفسه، والإجابة تعني الإقرار، والإقرار يعني: إقامة الحُجَّة عليه وتعني النّفي أيْ: ما من خالق غير الله وتعني التّحدي، ومن: الاستغراقية.

إن كان لكم خالق غير الله فأين هو:

﴿مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: والجواب لا، فهو وحده الخالق والرّازق من السّماء والأرض، وبما أنّه لا يوجد غيره فهو سبحانه الّذي يستحق العبادة والشّكر.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلىٰ سورة البقرة الآية (٢٥٥) للبيان.

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: أنىٰ لها أربعة معان كيف تؤفكون، من أين تؤفكون، وللتعجب، والاستفهام أقوىٰ من كيف، تؤفكون: مشتقة من أفكه عن الشّيء، أيْ: صرفه عنه أو قلبه، أيْ: كيف تصرفون عن الإيمان بالله تعالىٰ وتوحيده وطاعته إلىٰ عباده وطاعة غيره بقصد وتعمد، أو كيف تصرفون عن الحق إلىٰ الباطل، تؤفكون من الإفك هو الكذب المتعمد، أو كيف تصرفون خلق الله ورزق الله وتجعلونه لغيره، ثمّ يحث رسول الله ﷺ بالصّبر والتّأسي بالرّسل الآخرين.

❖ ❖ ❖

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
(٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ
وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (٥) إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (٦) ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ
فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ
عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨) وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ
ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ (٩) مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ
إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ
يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ
(١٠) وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ
وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (١١)

سورة فاطر [الآيات ٤ - ١١]

[٤] ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾:

﴿وَإِن﴾: الواو استئنافية، إن شرطية تحمل معنى الاحتمال أو الافتراض أو النّدرة في أن يكذبوك.

﴿يُكَذِّبُوكَ﴾: جاءت بصيغة المضارع لتدل على التّجدُّد والاستمرار.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، قد للتحقيق (أيْ: قد حدث هذا لمن جاء قبلك من الرّسل وتحقق).

﴿كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾: كذبت جاء بتاء التّأنيث بدلاً من القول فقد كذب رسل من قبلك لتدل على كثرة الرّسل الّذين كذبوا.

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: وإلى الله تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر أيْ: لله وحده فقط ترجع الأمور، ترجع الأمور للفصل والحكم فيها والمجازاة عليها إن كانت خيراً يثاب عليها وإن كانت شراً يعاقب عليها.

وفي هذه الآية حثٌّ وحضٌّ للرّسول ﷺ بالصّبر على تكذيب قومه والتّأسي بمن جاء قبله من الرّسل.

ولمقارنة هذه الآية مع الآية (١٨٤) من سورة آل عمران: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾، والآية (٣٣) من سورة الأنعام: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٨٤) للبيان.

ولمعرفة الفرق بين ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾.

[٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾:

نداء جديد إلىٰ النّاس جميعاً بتبليغ جديد وتحذير يا أيّها النّاس. ارجع إلىٰ الآية (٣) للبيان.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: إن للتوكيد، وعد الله حق: بالبعث والحساب والجزاء بالثّواب أو العقاب وبالجنة أو النّار، وكل ما وعد الله حق، أيْ: صدق ثابت لا يتغيَّر أبداً.

والوعد يأخذ حقيقته من الواعد فالواعد هو الله وهو الحق بذاته، ولا يوصف أيُّ وعد بأنّه مؤكد إلا وعد الله؛ لأنّه سبحانه قادر علىٰ الوفاء بالوعد وهو الحي القيوم، أمّا وعد الإنسان فهو وعد غير مؤكد، وقد يكون باطلاً.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: الفاء فاء السّببية أيْ: تفيد الدّلالة علىٰ السّبب، تغرنكم: النّون في تغرنكم للتوكيد، تغرنكم من الغرور، وانتبه إلىٰ لفظ الغَرُور.

الغُرُور: بضم الغين وهو كلّ ما يغترُّ به الإنسان من متاع الدّنيا والشّهوات والمال والجاه والأنعام والحرث حتّىٰ ثناء النّاس عليه وغيرها، وهو نوع من الخداع، ناجم عن غفلة أو نقص في التدبر أو التفكير، وهو زائل وغير باقٍ أو دائم، مقارنة بمتاع الآخرة الدّائم الّذي لا ينفد.

والغَرُور بفتح الغين تعني: الشّيطان صيغة مبالغة علىٰ وزن مفعول، أيْ: كثير الغرور بالوسوسة والتّزيين والإغواء والإضلال والنزغ.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: بجمالها وزينتها ومتاعها وشهواتها الفانية.

ولا يغرنكم الشّيطان بالوسوسة والأوهام والتّزيين والهوىٰ وطول الأمل وحب الدّنيا.

وهناك فرق بين الغرور والخدع: فالغرور إيهام أو تصور يحمل الإنسان أو يجرُّه إلىٰ فعل شيء هو غافل عنه، مثال: يرىٰ السّراب فيظنه ماء، أو كما فعل إبليس بآدم فقال له: هل أدلك علىٰ شجرة الخلد ومُلك لا يبلىٰ، أمّا الخدع: فهو ستر الصّواب ليوقع بالآخر أمراً غير مستحبٍّ، مثال: يخدعه في البيع والشّراء أو يظهر له خلاف الحقيقة.

والغرور قد يسمَّىٰ خدعاً أو الخدع يسمَّىٰ غروراً علىٰ سبيل التّوسع في المعنىٰ، فالغرور له علاقة بالغفلة، والخداع له علاقة بستر الحقيقة.

[٦] ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾:

المناسبة: هذه الآية تتمة للآية السّابقة فقد قال: ولا يغرنكم بالله الغَرُور، أي: الشّيطان، إن الشّيطان لكم عدوٌّ.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: إن للتوكيد، الشّيطان: هو الكافر من الجن أو الإنس وكلمة الشّيطان مشتقة من شطن، أي: ابتعد عن الحق والخير وتمادىٰ في الشّر أو شاط: احترق والشّاطن يعني: الخبيث.

أمّا الشّيطان الرّجيم. فارجع إلىٰ الآية (٣٦) من سورة البقرة للبيان.

﴿لَكُمْ عَدُوٌّ﴾: قدم لكم للاهتمام.

﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾: الفاء فاء السّببية، اتخذوه: اجعلوه عدواً، بمخالفتكم وساوسه وخطواته؛ لأنه عدو مبين.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد الحصر.

﴿يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ﴾: أتباعَه وحزبَه جماعتَه أولياءَه، والحزب هم جماعة تعصَّبوا لفكرة ما، أو رأي أو مبادئ ويعملون من أجلها.

﴿لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾: اللام في ليكونوا لام التّعليل، من: ابتدائية بعضية، أصحاب السّعير: ارجع إلىٰ الآية (١٠) من سورة الملك للبيان، والرعد آية (١٨) لبيان معنىٰ السعير.

[٧] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾:

المناسبة: بعد التّحذير من اتباع الشّيطان وطاعته يُبيِّن في هذه الآية جزاء من أطاع الشّيطان وجزاء من أطاع الله تعالىٰ.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: الّذين اسم موصول يفيد الذّم والتّحقير، كفروا: جحدوا بوجود الخالق أو آياته أو رسله وكتبه واليوم الآخر.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: مقارنة بالعذاب الأليم والعذاب المهين والعذاب العظيم في الدّنيا والآخرة.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد العلو.

﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وعملوا الصّالحات: الفرائض والنّوافل وشعب الإيمان.

﴿لَهُم﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿مَّغْفِرَةٌ﴾: المغفرة تعني: محو الذّنوب وترك العقاب وإثابة صاحبها علىٰ ما فعله من الحسنات.

﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: الأجر يكون مقابل العمل والأجـر قد يوصف بالكبير أو الكريم أو العظيم أو غير الممنون أو الحسـن، أيْ: له درجات حسب درجات أعمالهم وإيمانهم وإحسـانهم والمغفرة والأجر الكبير قد يعني: الجنـة، ولو قارنا هذه الآية مع الآية (١٢) في سـورة المُلك، وهي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: نجد أن خشية الرب وهي صفة من صفات الذين آمنوا وعملوا الصالحات، اقترنـت بالمغفرة والأجر الكبير؛ مما يدل على أهمية خشـية الله تعالى بالغيب.

[٨] ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾:

المناسبة: في الآيات السّابقة بين الله سـبحانه أنّ الشّيطان هو العدو وفي هذه الآية يبيِّن ما يعمله الشّيطان هو التّزيين للوقوع في الشّرك والمعاصي.

﴿أَفَمَن﴾: الهمزة للاسـتفهام الإنكاري، الفاء لتوكيد زيادة الإنكار، من: اسم موصول بمعنى الّذي، ومن: للعاقل، وقد تنزل منزلة غير العاقل.

﴿زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾: أيْ: رأى عمله السّـيِّئ القبيح أو الباطل حسـناً، فهو يظن مثلاً أن الشّركاء يقرِّبونه عند الله زلفى، أو يشفعون له.

﴿فَرَآهُ حَسَنًا﴾: أي: مـن الأصنام والأوثان سـيقبله الله تعالى وله أجره وثوابه وخبره محذوف تقديره أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً كمن لم يُزيَّن له سوء عمله، والحق سبحانه لم يذكر الجواب؛ لأنّه معلوم، أيْ: لا يستويان.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾: أيْ: هذا الّذي زين له سـوء عمله فرآه حسـناً لا تظـن أو تعتقد أن الله سـبحانه أضلَّه، ولا تظن أنّ الّذي لم يُزيَّن له سـوء عمله

أنّ الله هداه؛ لأنّ الله سبحانه ترك لكلّ منهما حرية الاختيار، فالّذي اختلت عنده الموازين والرّؤية، وسار في طريق الضّلال واتّبع الشّيطان وضل عن طريق الهدىٰ وطاعة الله، فالله سبحانه يتركه وشأنّه، وإذا ابتعد كثيراً عن الحق واستمر في طريق الضّلال فإن الله عندها يختم علىٰ قلبه وسمعه وبصره، وأمّا من اختار طريق الهدىٰ وطاعة الله وطلب العون من الله فالله سبحانه سيكون له عوناً ويزيده هدىً.

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾: فلا: الفاء للتوكيد، لا: النّاهية، تذهب أو تهلك نفسك يا رسول الله ﷺ علىٰ أمثال من زيّن له سوء عمله فرآه حسناً بالحسرة عليهم؛ لأنّهم ضلوا وكفروا، ولم يؤمنوا، فقد كان ﷺ حريصاً علىٰ هداية قومه ويألم الألم الشّديد إذا ضل أحدهم حتّىٰ وصفه كأنّه باخع نفسه (قاتل نفسه) ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦].

حسرات: جمع حسرة: وهي غم ناشئ عن فوت فائدة، وتعني: فرط التحسر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾: إن الله: للتوكيد، عليم: صيغة مبالغة من عالم أيْ: كثير العلم، لا تخفىٰ عليه خافية عليم بظواهر أعمالهم وبواطنها.

بما: الباء للإلصاق، ما اسم موصول بمعنىٰ الّذي أو مصدرية.

يصنعون: من المنكرات والسّيئات والفساد والقتل، واختار يصنعون ولم يقل يعملون: العمل يضم القول والفعل، ويصنعون يعملون بجودة واجتهاد؛ أي: يجتهدون في الأعمال السيئة أو السوء؛ أيْ: أصبح ارتكابهم للسيئات

والمنكرات والشّـــرك والفساد صناعة من كثرة ممارستها والقيام بها والمهارة في إتقانها (شبهها بالصناعة).

[٩] ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾:

المناسبة: ثمّ يذكر الله سبحانه بعض الآيات الكونية الدّالة على نعمه على الخلق والدّالة على قدرته على البعث والنّشور.

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾: أرســـل فعل ماضي فتثير ســـحاباً فعل مضـــارع، المجيء بالفعل المضـــارع بدلاً من أثارت ســـحاباً، تدل على حكاية الحـــال أيْ: كأن الأمر يحـــدث أمّام عينيك الآن وأنت تـــراه للدلالة على قدرته الرّبانية، ولأن إثارة الســـحاب يحدث في المســـتقبل؛ أي: بعد إرســـال الرياح، وكذلك للدلالة على أنّ إرسال الرّياح فتثير سحاباً، أمر يتكرَّر ويتجدَّد باستمرار، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤٨) في سورة الروم، وهي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾: نجد أن يرسل: بصيغة المضارع، وليس بصيغة الماضي كما في الآية فاطر.

﴿فَسُقْنَٰهُ ﴾: الفاء تدل على التّعقيب والمباشرة.

ســـقناه: أيْ: ســـقنا السّـــحاب الّذي يحمل المطر إلى بلد ميت، ويعني: الســـحاب الركامي، وانظر كيف تحولت صيغة الغائب ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ ﴾ إلى صيغة المتكلم (سقناه) و(أحيينا) للدلالة على أهمية السوق والإحياء، وعبر بالفعلين الماضيين (سقناه وأحيينا) بعد المجيء بالفعل المضارع (تثير) للدلالة

على تحقق الفعل؛ لأنه سبحانه خالق الزمان والمكان فاستوى عنده الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾: إلى بلد مقارنة إلى بلدة؛ البلدة: جزء من البلد، والأرض أعم من البلدة، والبلدة وميِّت: بتشديد الياء؛ أيْ: لم يمت بعد، أيْ: لا نبات فيها ولا زرع. ارجع إلى الفرقان آية (٤٩) لمعرفة الفرق بين ميِّت بتشديد الياء وميْت بسكون الياء الذي يعني: مات وانتهى.

﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾: بالماء.

﴿ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: بالحب وبالنّبات والعشب والزّرع والثّمرات، ولم يقل من بعد موتها، حذف من: يدل على الزمن قد يطول أو يقصر بعد موتها قبل عودة إحيائها.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾: أيْ: كما أنّ الله سبحانه أنزل من السّماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها؛ كذلك يُحيي الموتى بعد موت طويل فيُنزل الله عز وجل ماءً من السّماء، فيختلط بتراب الأرض ويخترقها فيصل إلى عجب الذّنب المدفون في التراب، والحاوي على خلية، أو خلايا جذعية كاملة القدرات في حالة سبات (أو معطلة) تنتظر هذا الماء لتنمو من جديد بقدرة القادر المقتدر على أن يُعيد الخلق، وينبت الإنسان من جديد، كما ينبت البقل.

وكيف يتم ذلك؟ ارجع إلى سورة الروم آية (١٩)، ومع إضافة الماء تعود الرّوح إليه من جديد وتبدأ عملية نشز العظام وكسوها لحماً (كما بيَّن في الآية (٢٥٩) من سورة البقرة).

النّشور: عودة الحياة إلىٰ الأموات ومن ثمّ ظهورهم علىٰ الأرض، الحشر: هو السّوق والجمع إلىٰ أرض المحشر.

[١٠] ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾:

هذه الآية جاءت لتردَّ علىٰ المشركين الّذين ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴾ [مريم: ٨١].

ولتردَّ علىٰ المنافقين ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ [النساء:١٣٩].

﴿ مَن ﴾: شرطية، تشمل المفرد والمثنىٰ والجمع، ومن للعاقل.

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ ﴾: من: يطلب ويرجو العزة والشّرف، فليعلم أن لله العزة جميعاً والعزة لها أنواع عزة القوة وعزة المنعة وعزة الغلبة والقهر، فليطلبها أو يرجوها من الله سبحانه وحده، ولا يرجوها من صنم أو وثن أو طاغوت؛ لأنّ العزة الحقيقية كلها جميعاً له وحده والعزة الحقيقية هي الّتي لا تزول ولا تضعف ولا تتحوَّل.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾: تقديم الجار والمجرور، فلله: يفيد الحصر والتّوكيد أنّ العزة له وحده، جميعاً: للتوكيد.

وعزة العبد لا تنال إلا بطاعة الله والقرب منه، وليست بعبادة الآلهة والأصنام والتّقرب منها، وإذا كانت العزة لله جميعاً، فكيف نفسر قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨]؟ هذا من فيض الله عز وجل وكرمه علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين وصفهم بأن لهم عزة، وهي عزة مؤقتة عارضة

ومعرضة للأغيار. وهي نابعة من شرف الإيمان بالله والقرآن واتباع الرّسول ﷺ والتّوحيد والإخلاص.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾: تقديم إليه يفيد الحصر، أيْ: إليه وحده، يصعد: من الصّعود، ويختلف الصعود من الارتفاع؛ الصعود: لا يحتاج إلىٰ فاعل، أما الرفع: فيحتاج إلىٰ فاعل؛ أي: الكلم الطيب يصعد إليه سبحانه مرة واحدة من قائله دون الانتقال في منازل.

الكلم الطّيب: الكلم أوسع وأعم من الكلام، الكلم: قد تعني كلمة أو كلمتين أو ثلاث، أما الكلام: يعني الجمع (أكثر من ثلاث) ولا يشمل الكلمة، والكلمة والكلم قد تكون لا إله إلا الله محمّد رسول الله، والصّلاة وتوحيد الألوهية والرّبوبية والأسماء والصّفات، والذّكر والتّلاوة والدّعاء، وكل كلام فيه ثواب أيْ: يثاب عليه العبد من الله تعالىٰ، والكلم لا يشترط أن يكون له معنىٰ، أما الكلام: له معنىٰ، والكلم: جمع كثرة، وكلمات: جمع قلة.

﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ الواو: عاطفة، العمل الصّالح كأداء الفرائض والنّوافل، وذكر الله تعالىٰ والإحسان، واجتناب المحارم، وكل عمل يثاب عليه العبد كالإصلاح بين النّاس وإماطة الأذىٰ عن الطّريق.

والعمل الصّالح يرفعه: الهاء في يرفعه قد تعود إلىٰ العمل الصّالح أي: العمل الصّالح يرفع الكلم الطّيب؛ أي: إذا وافق القول الفعل قُبل العمل الصّالح، وإن خالف رُدَّ، أو الهاء في يرفعه تعود علىٰ الكلم الطّيب أيْ: لا عمل صالح يُقبل إلا من موحِّد، فالتّوحيد هو الأصل للقبول فالمشرك بالله لا يُقبل منه أيُّ عمل صالح حتّىٰ يتوب، ويرجع إلىٰ الله، أو الهاء تعود إلىٰ الله سبحانه أيْ: والعمل الصّالح يقبلُه الله.

فالإيمان يجب أن يقرن بالعمل الصّالح وبالعكس حتّىٰ يُقبل.

﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الّذين اسم موصول، يمكرون: من المكر: وهو التّدبير الخفي لإيقاع الضّرر بالغير من دون علمه، ويمكرون: بصيغة المضارع تدل علىٰ التجدد والتكرار والاستمرار، ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [النحل:٤٥] تدل علىٰ الماضي.

أيْ: يدبرون السّيئات: مثل الشّرك والمعاصي والفساد أو إيذاء رسول الله ﷺ والمؤمنين، والنّيل منهم، كما فعلوا في دار النّدوة مثلاً، وفي غيرها من اجتماعات أهل الكفر والنّفاق والشّرك للنيل من المؤمنين.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: اللام لام الاختصاص لهم خاصة. عذاب شديد: شديد الإيلام.

﴿وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾: أولئك اسم إشارة واللام للبعد، ويشير إلىٰ الكفار والمشركين والمنافقين والعصاة، هو: ضمير يفيد التّوكيد.

﴿وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾: من بائر باطل من البوار: الأرض البوار الّتي لا تنبت بالزّرع أو الثّمر ولا تنتج شيئاً، أيْ: مكر هؤلاء صناديد قريش الّذين حاولوا المكر برسول الله ﷺ ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه هو باطل، ولن يتحقق.

[١١] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾: أيْ: خلق أباكم آدم من تراب، لأنّكم من آدم وآدم من تراب، وكان خلقه علىٰ مراحل: طين، ثمّ طين لازب، ثمّ حمأ مسنون، ثمّ صلصال كالفخار، ثمّ نفخ فيه الرّوح.

من تراب: من ابتدائية وقد تكون بعضية وتعني تركيب جسم الإنسان، من تراب: فقد وجد أنّ هناك (١٦) معدناً من معادن الأرض موجودة في تركيب جسم الإنسان منها الكالسيوم والصوديوم والمغنزيوم والكلّوريد والنّحاس والزّنك والبوتاسيوم والحديد وغيرها. ارجع إلى سورة الروم آية (٢٠) لمزيد من البيان.

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: ثمّ للترتيب الذّكري العددي، أو التسلسلي، ثمّ خلقكم من نطفة آدم، ثمّ بالتّزاوج والتّكاثر.

﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾: أيْ: ذكراناً وإناثاً، الذّكر يطلق عليه زوج والأنثى يطلق عليها زوج.

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾: ما النّافية، تحمل من أنثى: من استغراقية، من ذكر أو أنثى أو توءَم أو أكثر من ذلك من الأجنَّة الكاملة الخلق أو غير الكاملة.

﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾: ولا تضع إلا بعلم الله سبحانه، لا: النّافية، إلا: للحصر، بعلمه: أيْ: يعلم زمن الوضع (الولادة) بالدّقيقة والثّانية، ومنذ الأزل، وكيفية الوضع والولادة وما يتعلّق بها من اختلاطات.

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾: ما النّافية، يعمر من معمر: المُعمَّر: الإنسان الّذي طعن في السّن أيْ: بلغ أقصى العمر أيْ: يعلم الله سبحانه ما تضع من أنثى ويعلم عمر كلّ معمَّر وكم سيعيش أو إلى متى سيطول عمره ومتى سيموت باليوم والدّقيقة والثّانية. وقيل ذلك موجود في المحفظة الوراثية في أحد الجينات أو الكروموزوم.

﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾: هـاء الضّمير في كلمة عمره، إما تعود علىٰ المعمر السّابق ذكره والّذي طال عمره أو تعود علىٰ أيِّ إنسان آخر.

وهذا النقص له معنيان:

الأول: ينقص من عمره فيموت وهو في سن مبكرة.

الثّاني: إنسـان مكتوب عمره إذا حج وكان واصلاً لرحمه ومحسناً فسوف يعيش (٩٠) سـنة، وإذا حج ولم يكن واصلاً لرحمه ولا محسـناً فسوف يعيش (٦٠) سنة، وهكذا.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿فِى كِتَٰبٍ﴾: أي: اللوح المحفوظ أو في شـفرته الوراثية عمر فلان (٩٠) سنة؛ لأنّه سـيكون واصلاً لرحمه ومحسـناً، فالزّيادة في عمره داخل في تقدير عمره بصفة نهائية، والطّول والقصر كله بقضاء الله سبحانه وحده.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: إن للتوكيد، ذلك اسم إشارة يشير إلىٰ الطّول والقصر في العمر والخلق والتّدبير.

﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: أيْ: هيِّن ولا يعني أنّ هناك أموراً أو أشياءَ عسيرة، أو صعبة علىٰ الله سـبحانه، وأمور سهلة، وإنما قوله: يسير فقط لتقريب قدرته إلىٰ أذهان البشر.

❖ ❖ ❖

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ
ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ۖ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ
﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾
وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن
تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ
إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ
وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

نصف الحزب ٤٤

سورة فاطر [الآيات ١٢ - ١٨]

[١٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

ومن مظاهر قدرة الله وعظمته الدّالة على أنّه الإله الحق الّذي يجب أن يُعبد وحدَه هو تسخير البحرين.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ﴾: الواو: عاطفة، وما: النّافية كثيراً ما تنفي الحال، بينما لا كثيراً ما تنفي الاستقبال، وتستعمل لا لنفي الأعمال وما يتعلق بها، بينما ما تنفي الاستواء في الحقائق والثوابت من الأمور، مثل: العمى، والبصير، والظلمات، والنور، والأحياء، والأموات، والفرات، والأجاج يستوي البحران: أيْ: سبحانه لم يسوِّ بينهما في كلّ الصّفات والخصائص لما تنطوي عليه مصلحة البشر والتّمكين من العيش؛ لأنّ الماء هو أصل كلّ شيء حيٍّ، وقد تعني التسوية أنّه لوحظ حين يلتقي الماء العذب بماء البحر نجد الماء العذب الحلو يطفو فوق الماء المالح؛ لأن الماء العذب أقل كثافة من الماء المالح، فيظل مفصولاً بينهما.

البحران: البحر هنا النّهر العذب الّذي يصبُّ في بحر مالح.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه وذا اسم إشارة للقرب.

﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾: عذب: أي: الحلو اللذيذ الطّعم، فرات: الفرات

المزيل للعطش. فرات لأنّه يفرت العطش أيْ: يزيله أو فرات للتوكيد، أيْ: هو عذب عذوبة بالغة.

سائغ شرابه: سهل الابتلاع (سهل المرور في الحلق والمري).

﴿وَهَٰذَا﴾: تكرار هذا يفيد التّوكيد.

﴿مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: أيْ: شديد الملوحة أو أجاج تعني: مرَّ الطّعم، أجَّ الماء اشتدت ملوحته وأجاج مشتقة من الأجيج النّار الملتهبة. وقيل: ملح أجاج: أيْ: شديد الملوحة ومُرُّ الطعم.

وسُمِّي بذلك؛ لأنّ شرب ماءه يزيد العطش ويصبح الإنسان يشعر كأنّ في بطنه ناراً مشتعلة يريد أن يشرب أكثر فأكثر

ولم يذكر في هذه الآية قدرته على أن جعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً وذكرها في سورة الفرقان آية (٥٣).ارجع إلى سورة الفرقان آية (٥٣) لمزيد من البيان.

﴿وَمِن﴾: ابتدائية.

﴿كُلٍّ﴾: للتوكيد.

﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: من البحر العذب والبحر المالح تأكلون لحماً طرياً: لحم السّمك بأنواعه المختلفة وغيره من الحيوانات البحرية الّتي تؤكل لحمها، لحماً: بصيغة النّكرة لتشمل كلّ أنواع اللحوم من الحيوانات المصطادة.

﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾: للتوكيد جاءت بالنّون ولم يقل: وتستخرجوا لتدلَّ على التّجدُّد والتّكرار.

﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾: لم يُبيِّن في هذه الآية نوع الحلية وبيَّنها في سورة الرحمن، فقال: ﴿اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، تلبسونها: أي: الرّجل والمرأة ومع أن الحلية تلبسها النّساء عادة وهي زينة المرأة من أجل زوجها، فكأن الرّجل هو أيضاً يستمتع بالحلية. واللؤلؤ والمرجان غير محرَّم على الرّجال كالذهب والحرير.

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾: الفلك تطلق على المفرد والجمع وتسمَّى السفن.

﴿فِيهِ﴾: في البحر ظرفية.

﴿مَوَاخِرَ﴾: مواخر من المخر: وهو الشق؛ أي: يقال: السّفينة تمخر البحر أيْ: تشق طريقها بصوت خاص مُميز، مواخر: شواق للمياه بصدورها، قدَّم كلمة فيه على مواخر بينما في سورة النّحل آية (١٤) قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ أخَّر كلمة (فيه) السّبب في تقديم (فيه) في سورة فاطر؛ لأنّ الحديث أو السّياق عن البحرين أي: البحار، فقدَّم فيه الّتي تعني البحر، وأمّا في سورة النّحل فكان السّياق عن وسائل النّقل والأنعام والخيل والبغال والحمير وليس عن البحر، فأخَّر كلمة (فيه).

﴿لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾: اللام لام التّعليل، من فضله: أيْ: من بعض فضل الله تعالى عليكم، والفضل يعني: الزّيادة عما تستحقون من الأجر، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٤) في سورة النحل وهي قوله تعالى: ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾: نجد زيادة الواو في آية النحل؛ لأن آية النحل تشير إلى منافع أخرى (لتبتغوا منافع أخرى) لم تذكرها الآية بينما الآية فاطر يقصد بها المنافع التي ذكرت في الآية فقط.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: الواو في ولعلكم تشير إلىٰ هذه المنافع المذكورة في الآية وغيرها من منافع أخرىٰ لم يذكرها الله سبحانه في هذه الآية، أمّا حين يقول: لعلكم تشكرون من دون الواو فتعني فقط النّعم المذكورة في الآية.

لعلكم: لعل تفيد التّعليل ولا تعني التّرجي؛ لأنّكم إن شكرتم شكرتم لأنفسكم، وإن لم تشكروا فإن الله غني عن العالمين.

تشكرون المنعم علىٰ نعمه باللسان والطّاعة والإنفاق في سبيله وغيرها من وسائل الشّكر. ارجع إلىٰ سورة الأعراف الآية (١٠) لمزيد من البيان.

[١٣] ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾:

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾: ارجع إلىٰ سورة لقمان آية (٢٩) لمزيد من البيان.

يولج: يدخل والولوج أصعب من الدّخول، فيه معنىٰ التماس والاختلاط أيْ: تعاقب الليل والنّهار الناتج عن كروية الأرض، وعن كونها تدور حول نفسها وحول الشّمس؛ مما يؤدّي إلىٰ تبادل الليل والنّهار، والنّهار والليل الضروري لاستقامة الحياة علىٰ هذه الأرض، وقدَّم الليل علىٰ النّهار؛ لأنّه هو الأصل أي: الظّلام.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: التّسخير، أي: التّذليل للانتفاع بها فالشّمس مصدر للطاقة والدفء، وتعطينا حزمة الطيف المرئي من أشعة الشّمس الّتي تضيء بامتزاجها بالطبقة الغازية المحيطة بالأرض لتعطينا ضوء النّهار وأشعة

الشّـــمس المهمة في كثير من الوظائف العضوية، وأمّا القمر فهو يعكس لنا ضوء الشّمس وهو يلعب دوراً مهماً في عملية المد والجزر المهمة في تفتيت الصخور وحركة الرياح ودوران الأرض حول محورها، ويســتفاد من الشّمس والقمر في معرفة الزّمن: السّنة والشّهر واليوم والسّاعة.

لذلك كلّ آيات التّسخير جاءت بصيغة الماضي في كلّ القرآن بينما الإيلاج يتجدَّد في كلّ يوم، والتّكوير هو تعاقب الليل والنّهار.

وفي هذه الآية حذف كلمة لكم ولم يقل: وســخر لكم؛ لأنّ السّياق ليس في ســياق تعداد النّعم، كما هو الحال في ســورة النّحل آية (١٢) السّياق هنا في تعداد الآيات الكونية الدّالة على عظمة الله تعالى وقدرته، وأنّه الإله الحق الّذي يستحق أن يعبد وحده.

﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: اللام تفيد الانتهــاء والاختصاص والتّعليل، أيْ: جريان الشّمس والقمر سوق يستمر حتّى يبلغا أجلهما المضروب لهما وهو يوم القيامة أو انتهاء زمن التّسخير.

أمّا قولــه تعالى: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ كما في ســورة لقمان آيــة (٢٩) أي: الشّمس والقمر تجريان الآن في طريقهما للوصول إلى المنتهى، أي: المستقر.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: ذلكم، ولــم يقل: ذلك؛ للتعظيم والإشــارة إلى فاعل كلّ تلك الأفعال من الخلق والتّسخير والإيلاج.

الله ربكم: الله المعبود واجب الوجود، ربكم: الخالق والمدبر والمسخر والمنعم، جمع الألوهية والرّبوبية معاً.

﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾: له الحكم وله الملك وتقديم لـه يفيد الحصر والقصر له وحده لا يشاركه أحد.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾: والّذين اسم موصول وتشمل الأصنام والأوثان والملائكة وعيسىٰ وعزير أو الآلهة المزعومة.

تدعون: تعبدون، من دونه: من غيره أو سواه.

﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾: ما النّافية، يملكون: شيئاً من السّموات والأرض، وشيئاً نكرة، أيْ: مهما كان صغيراً (والشّيء هو أصغر الأشياء).

من: ابتدائية لبيان الجنس.

قطمير: الغشاء الشّفاف الّذي يحيط بالنّواة نواة التّمر.

وفي آية أخرىٰ ذكر الفتيل، فقال سبحانه في سورة النّساء آية (٧٧) ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ والفتيل هو الخيط الّذي نجده في بطن النّواة.

وفي آية أخرىٰ ذكر النّقير: فقال سبحانه في سورة النّساء آية (١٢٤) ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾: والنّقير هو تجويف صغير أو نقرة في ظهر النّواة.

إذن هذه الثّلاث: القطمير والفتيل والنّقير تضرب للشيء اليسير المتناهي في القلة، وكلها نجدها في نواة التّمرة الّتي جعلها الله موضعاً للمثل والعبرة.

[١٤] ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾:

﴿إِن﴾: شرطية تدل على الافتراض.

﴿تَدْعُوهُمْ﴾: أيْ: تعبدوهم أو تتوسلوا إليهم، أي: الشّركاء أو الأوثان.

﴿لَا يَسْمَعُوا﴾: لا النّافية، لا يسمعوا؛ لأنّهم أوثان وأصنام أو جمادات وأحجار.

﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾: لو شرطية، سمعوا على سبيل الافتراض أنّهم كانوا ملائكة أو عيسى أو عزير.

﴿مَا﴾: النّافية.

﴿اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾: لعدم قدرتهم لعجزهم أو عدم السّماح لهم.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾: يجحدون وينكرون عبادتكم لهم ويتبرؤون منكم، ومن عبادتكم ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص:٦٣].

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾: لا: النّافية، ينبئك: من النّبأ وهو الخبر العظيم، والكاف للمخاطب وهو رسول الله ﷺ؛ أيْ: لا يخبرك يا رسول الله ﷺ مثل أو كما يُخبرك به الله عز وجل بما سيكون في المستقبل أو ينبئك ببعض الغيب أيُّ خبير.

﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: مثل الله تعالى الخبير العالم ببواطن الأمور وظواهرها وأجريت هذه الآية مجرى المثل.

[١٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾:

هذا هو النداء الثّالث في هذه السّورة إلىٰ النّاس. ارجع إلىٰ الآية (٣) لبيان معنىٰ يا أيّها النّاس.

﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾: أنتم تفيد التّوكيد، الفقراء جاء بأل التّعريف ليشمل الكل، كلّ النّاس، ولو قال: أنتم فقراء يعني: بعضكم فقراء إلىٰ الله وبعضكم غير فقراء.

وعرَّف الفقراء للمبالغة في فقرهم فهم شديدو الافتقار إلىٰ الله وسائر الخلائق.

أنتم الفقراء: أيْ: أنتم خاصة المفتقرون إلىٰ الله سبحانه، والله ليس بمفتقر لكم؛ لأنّه سبحانه غني عنكم وعمن في الأرض جميعاً.

أنتم الفقراء إلىٰ الله علىٰ الإطلاق، أي: المحتاجون إليه في جميع أمور الدِّين والدّنيا. فقراء إليه حتىٰ في تنفسكم الهواء (الأوكسجين)، وماءكم، وطعامكم، ونومكم، وبعثكم، وحياتكم، وإلىٰ شمسه وليله ونهاره وكل شيء.

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾: هو تفيد التّوكيد والحصر، واستعمال هو حتّىٰ لا يظن أحدٌ أنّه يشاركه في الغنىٰ.

الغني: لأنّ له ما في السّموات وما في الأرض، وإن من شيء إلا عنده خزائنه، ولا تنفد خزائنه، الغني عن خلقه وعن عبادتهم. ارجع إلىٰ سورة الحديد آية (٢٤) للبيان.

الحميد: أيْ: قرن غناه بكرمه وجوده والحميد، أي: الغني النّافع خلقه بغناه؛ فهو يحمد ؛ لأنّه سبحانه يعطي خلقه ويُغني بعضهم حتّىٰ ولو عصوه، والحميد من قبل أن يحمده خلقه، فهو المستحق الحمد من عباده لإحسانه إليهم.

[١٦] ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾:

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الافتراض أو الاحتمال.

﴿يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: يميتكم أو يسلط عليكم وباءً أو داءً فيقضي عليكم جميعاً.

﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: طائعين لا يعصونه، وهذه الطّاعة طاعة رضا واختيار، لا طاعة قهر وقسر وكراهية، وهذا يُعدُّ إنذاراً لمشركي قريش.

[١٧] ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما نافية.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة للبعد يشير إلى الذّهاب بكم، والإتيان بخلق جديد ما هو شيء عزيز، أيْ: ممتنع أو متعسِّر على الله عز وجل.

وقد ذُكرت هذه الآية، أيْ: (يشأ يذهبكم) في أربع آيات في القرآن النّساء آية (١٣٣)، والأنعام آية (١٣٣)، وفاطر آية (١٦)، وإبراهيم آية (١٩).

[١٨] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو عاطفة، لا النّافية.

﴿وَلَا تَزِرُ﴾: لا تتحمل أو تحمل.

﴿وَازِرَةٌ﴾: أيْ: نفس وازرة، أيْ: مذنبة أو آثمة.

﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: الوزر الحمل ويعني: إثماً أو ذنباً أو خطيئة أو جرمَ نفس

أخرىٰ، فكل إنسان مجزيٌّ بعمله سواء كان صالحاً أو سيئاً كقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

أيْ: لا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرىٰ، ويبدأ ذلك من زمن التّكليف (البلوغ) هذا إذا اقتصر ظلمه أو ضلاله علىٰ نفسه، أمّا إذا تعدَّىٰ إلىٰ غيره فعندها تنطبق عليه آية أخرىٰ، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، أيْ: تتحمل إثمها وإثم غيرها.

﴿وَإِن﴾: شرطية تفيد الافتراض والاحتمال.

﴿تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾: وإن تدع نفس مثقلة بذنوبها أحداً إلىٰ حملها؛ كي يحمل عنها، لا يحمل منه شيء ولو كان من تدعوه ذا قربىٰ، أيْ: صاحب قربىٰ.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾: أيْ: إنذارك يا محمّد ﷺ وتحذيرك لا ينتفع منه، أو لا يستفيد منه إلا الّذين آمنوا ويخشون ربهم بالغيب، والإنذار في القرآن يأتي في سياق الذين كفروا أو الذين آمنوا فهو ليس خاصاً للكفار والمنافقين دائماً؛ فهو إنذار قد يعم الكل أو إنذار خاص بفئة معينة.

الخشية: هي الخوف المقرون بالتّعظيم والمهابة والعلم بالله تعالىٰ، وتحمل معنىٰ الأمل، وبالغيب: الباء للإلصاق وتعني: الدّوام والغيب يعني: عندما يكونوا في منأىٰ عن النّاس ولوحدهم ومن يخشاه بالغيب يعني: يخشاه بالعلن ويخشاه بالغيب تعني يخشوا ربهم وما رأوه بأعينهم، وجاءت كلمة

يخشـــون بصيغة المضارع؛ لأن الخشية ليس لها وقت محدد، بل هي مستمرة أو دائمة.

أمّا الكافرون والجاحدون فإنهم لن يقبلوا أو ينتفعوا بإنذارك لهم.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: تعود على الّذين يخشون ربهم.

وأقاموا الصّلاة بشروطها وأركانها وسنتها ولوقتها من دون تأخير والمحافظة عليهـــا واختار الصّلاة من بين العبادات؛ لأنّها أهمهـــا، ولأنها العبادة الّتي تؤدّى خمس مـــرات باليوم.، وهي عماد الدين، وتمثل كل العبادات الأخرى، وجاءت ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: بصيغة الماضي؛ لأن لها أوقات محددة، وليس مســـتمرة كما هي الحال في الخشية.

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾: وهـــذه حقيقة أخـــرى بجانب ولا تزر وازرة وزر أخرى.

ومن: شـــرطية، يتزكى: تطهر من الدّنس والكفر والذّنوب بالتّوبة والإيمان والعمل الصّالح وبفعل الطّاعـــات وترك المعاصي، فإنما: الفاء للتوكيد (جواب الشّرط). إنما: لزيادة التّوكيد والقصر.

يتزكى لنفسه: يتطهر لنفسه حيث يعود الثّواب والأجر إليه.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: إلى اللـــه تقديم الجار والمجـــرور لفظ الجلالة يفيد الحصر، أيْ: إليه وحده المصير النّهاية، أي: الوقوف بين يديه للمحاســـبة أو إليه ينتهي كلّ أمر للنظر فيه؛ أي: الحكم والقضاء.

❖ ❖ ❖

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ
﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ
أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ
أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ
ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا
أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا
وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

سورة فاطر [الآيات ١٩ - ٣٠]

[١٩] ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما النّافية للجنس.

﴿ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: الأعمى الجاهل أو الكافر، أيْ: لا يستوي الكافر مع الكافر، أيْ: مع الّذي أشد منه كفراً فالكفر درجات.

والبصير: العالم أو المؤمن، أيْ: لا يستوي المؤمن مع المؤمن، أي: الّذي أشد منه إيماناً والإيمان درجات.

الاستواء هنا يقصد به الاستواء في الجنس، وقد يقصد به غير الجنس ناهيك عن عدم استواء الكافر والمؤمن، فهذا شيء مفهوم لا يحتاج إلى تبيان.

[٢٠] ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾:

﴿وَلَا﴾: النّافية لزيادة توكيد المعنى.

﴿ٱلظُّلُمَٰتُ﴾: جمع ظلمة مثل (ظلمة الكفر والشّرك والمعاصي)، أو الظّلمات بعضها أشد من بعض فهي لا تستوي أيضاً.

﴿وَلَا ٱلنُّورُ﴾: الإيمان أفرد النّور؛ لأنّه نور واحد منزل في كتابه أو النّور لا يستوي مع النّور الأشد منه.

[٢١] ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾:

وتكرار لا يفيد زيادة النّفي.

﴿ٱلظِّلُّ﴾: الجنة، الظّل: كناية عن ظل الجنة ﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]، فالجنة درجات قيل: مئة درجة.

﴿وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾: النّار أو جهنم. دركات قيل: هي سبع دركات.

[٢٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾:

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ﴾: ما: النّافية الأحياء: المؤمنون الّذين استجابوا لله ولرسوله حين دعاهم لما يحييهم كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ﴾ [الأنفال: ٢٤].

﴿وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾: الكفار الّذين لم يستجيبوا لله وللرسول وتولّوا وهم معرضون، وتكرار (لا) وما تؤكد عدم الاستواء كقوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦].

وإذا نظرنا إلىٰ الآية (١٩) قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ لم يضف لا كقوله: ولا البصير، لم يؤكد بحرف نفي.

وأمّا الآية (٢٠) قال تعالىٰ: ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ فأضاف لا.

والآية (٢١) قال تعالىٰ: ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾: أضاف لا.

والآية (٢٢) قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾: أضاف لا.

فقوله: وما يستوي الأعمىٰ والبصير، قد يكون الشّخص جاهلاً، ويتعلّم دينه أو كافراً فيؤمن فيطرأ عليه الوصفان؛ أي: كونه كان أعمىٰ ثم أبصر يجتمع فيه الوصفان.

وأمّا قوله: ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور، وما يستوي الأحياء والأموات، فهذه الثّلاث كلها متقابلات أو متناقضات لا تجتمع أبداً،

فلا بُدَّ أن يكون إما ظلمةً أو نوراً لا ثالث لهما، أو ظلاً (جنة) أو حروراً (جهنم لا ثالث لهما) أو حياً أو ميتاً لا ثالث لهما، فاستعمل لا للتوكيد على النّفي.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾: إن للتوكيد، الله يسمع من يشاء: أيْ: يُسمع من اهتدىٰ بنفسه واختار طريق الهداية، سماع هداية فيزيده هدىٰ وتقوىٰ.

﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾: وما النّافية، أنت يا محمّد ﷺ بمسمع من في القبور، أي: الكفار الأحياء الّذين هم كالأموات في نظر الله تعالىٰ. كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]، أيْ: أنت يا رسول الله لن تسمع هؤلاء الكفار سماع الهداية المؤدِّي إلىٰ عودتهم إلىٰ الإيمان.

وفي هذه الآية تهديد ووعيد للذين كفروا، وتبقىٰ مهمتك هي: إن أنت إلا نذير.

[٢٣] ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾:

﴿إِنْ﴾: نافية تعني: ما، أيْ: ما أنت إلا نذير.

﴿إِلَّا﴾: إلا حصراً وتوكيداً.

﴿نَذِيرٌ﴾: أيْ: منذر والإنذار يعني: الإعلام مع التّحذير، أمّا الهداية فلله وحده.

[٢٤] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾:

﴿إِنَّآ﴾: للتعظيم.

﴿أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق واللزوم، الحق: هو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغيَّر ولا يتبدل والحق دين الإسلام دين الحق، والحق هو القرآن الكريم وهو الهدىٰ أيضاً.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٨) من سورة سبأ للبيان.

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾: وإن نافية تعني: وما من أمة، من استغراقية، الأمة جماعة من النّاس تجمعها عقيدة أو مقومات بغض النّظر عن الحيز الجغرافي والعدد.

﴿إِلَّا﴾: تفيد الحصر والقصر.

﴿خَلَا﴾: مضىٰ أو أرسل إليها أو بعثنا فيها نذير.

﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

[٢٥] ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾:

﴿وَإِن﴾: الواو عاطفة، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض أو النّدرة.

﴿يُكَذِّبُوكَ﴾: يا محمّد ﷺ، يكذبوك كفار مكة وغيرهم، وجاءت بصيغة المضارع لتدل علىٰ التّجدُّد والتّكرار أو حكاية الحال، ولم يقل: وإن كذبوك تدل علىٰ الماضي وعلىٰ مرة واحدة، وقال: كذب الّذين من قبلهم، ولم يقل: كذبت.

كذب تدل علىٰ القلة (بصيغة التّذكير) وكذبت تدل علىٰ الكثرة (بصيغة التّأنيث). ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٨٤) للبيان، وسورة الأنعام آية (٣٣) للمقارنة.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، قد: حرف تحقيق، أيْ: قد كذب الّذين من قبلهم وحدث ذلك.

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم الماضية كذبوا برسلهم، وبما جاؤوا به من البينات وبالزّبر وبالكتاب المنير. من: تدل علىٰ الزمن القريب.

﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾: مقارنة بـ جاءهم رسلهم؛ جاءتهم: تدل علىٰ كثرة

الرسل الذين جاءوهم، وجاءهم: تدل على القلة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [آل عمران:١٨٣].

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزات والدّلائل على النّبوَّة (نبوَّة رسلهم).

﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾: جمع زبور، وهو كلّ كتاب ذي حكمة وموعظة وسُمِّي زبوراً؛ لأنّه يزجر عن الباطل وليس فيه أحكام شرعية. ارجع إلى سورة النّساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان.

﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾: الكتاب اسم جنس والكتاب المنير الواضح الحاوي على الأحكام مثل القرآن والتّوراة والإنجيل.

وتكرار الباء بالبينات وبالزّبر وبالكتاب المنير يفيد التّوكيد، ويدل على عظم مقاومة الأمم لرسلها، فالمقام مقام إنذار وتبليغ ودعوة، واستمرار الّذين من قبلهم في تكذيب رسلهم، فلذلك أضاف ثلاثة باءات، للدلالة على شدة الموقف والإنذار وكذلك الآيات الّتي وردت في السّياق، وهي قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ و﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ و﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾، وكذلك المجيء بالباء ثلاث مرات تدل على فصل كلٌ من البينات عن الزبر عن الكتاب المنير أو توزيع ما جاء الرسل من ربهم فمنهم من جاءُهم البينات (مثل: صالح وهود... وغيرهم)، ومنهم من جاءُهم الزبر (داود)، ومنهم من جاءُهم الكتب (محمد ﷺ، وموسى، وعيسى)، أما في قوله تعالى: ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ بدون تكرار الباء: تدل على أن هناك من الرسل من جاءوا بالأنواع الثلاث.

وإذا قارنا هذه الآية بالآية (١٨٤) من سورة آل عمران، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾

التّكذيب هنا بصيغة الماضي، ويدل على حادثة معينة وانتهى، ومقام التّبليغ والدّعوة في بدايته.

[٢٦] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّعقيب والتّراخي؛ لأنّه سبحانه حليم لا يعجل بالعقوبة، مقارنة بقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ [غافر:٥] الفاء: تدل على التعقيب والمباشرة.

﴿أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: والأخذ يدل على قوة الأخذ بالعذاب أو الانتقام، وكما قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٥) في سورة غافر، وهي قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾: نجد أن أخذت: أكثر ذماً وأكثر توبيخاً.

﴿فَكَيْفَ﴾: استفهام يحمل معنى التّعجُّب والتّقرير.

﴿كَانَ نَكِيرِ﴾: من النّكر ما يجهله الإنسان ويستغربه وينكره حين يراه أو يعلم به؛ لأنّه يظنه لا يمكن أن يكون بهذا الشكل أو الشدة والدمار، مع أنّه حقيقة وصواب، وأصلها: فكيف كان نكيري. حذفت الياء.

ونكير: اسم لشدة الإنكار، والإنكار يستلزم الجزاء بالعقاب على فعل إنكارهم، فيصبح المعنى: ثمّ أخذت الّذين كفروا بعذاب ملائم لإنكارهم، فكيف كان انتقامي منهم أو عقوبتي لهم أو أخذي لهم، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٥) في سورة فاغر، وهي قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ جاءت في سياق الأشد كفراً، مقارنة بـ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ فالعقاب أشد من الإنكار.

[٢٧] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾:

بعد أن ذكر الله سبحانه تكذيب كفار قريش لرسول الله ﷺ كما كذبت

الأمم السّابقة لرسلهم، رغم البينات والزّبر والكتاب المنير، يذكر الله سبحانه دليلاً آخر على عظمته وقدرته جلَّ وعلا ووحدانيَّته، وأنه هو الإله الحق الّذي يستحق أن يُعبد، وهو ما يشاهده النّاس من الثّمرات المختلف ألوانها وأجناسها وطعمها، وما يشاهدونه من الجبال الجدد بيض وحمر المختلف ألوانها، وما يشاهدونه من اختلاف ألوان النّاس والدّواب والأنعام.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الهمزة همزة استفهام تحمل معنى التّقرير والتّعجب، تَرَ: رؤية بصرية أو رؤية قلبية فكرية.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: أيْ: من السّحاب أو السّحب الركامية ماء (ماء المطر).

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾: الفاء للتعقيب، فأخرجنا به (بالماء).

﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾: النّخيل والأعناب والثّمرات الأخرى المختلف ألوانها وطعمها.

﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾: ومن: الواو عاطفة، من بعضية، من الجبال جدد: الجُدَد من الجبل القطعة منه.

والجُدّة من الشّيء الجزء منه يخالف لونه لون سائرة.

أيْ: من الجبال أجزاء ذات ألوان بيض وحمر أو مخططة بألوان مختلفة.

﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾: الغرابيب: وهو شديد السّواد الّذي يشبه لونه لون الغراب.

غرابيب سود وقيل: سود بدل من غرابيب وهي معطوفة على بيض فهناك سوداء (سُود) وشديدة السّواد (غرابيب) إذن نوعان من اللون الأسود، أسود وشديد السّواد.

[٢٨] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: الواو عاطفة، من ابتدائية، النّاس: (الإنس والجن).

﴿وَٱلدَّوَآبِّ﴾: جمع دابة؛ كلّ ما يدب على الأرض عدا النّاس.

﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾: البقر والغنم والإبل والماعز ومن كلّ زوجين.

﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾: أيْ: كاختلاف ألوان الثّمار والجبال.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد الحصر؛ أي: حصر الخشية بالعلماء (خاصة).

﴿يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾: أيْ: أن الذين يخشون الله (سبحانه) حق الخشية هم العلماء أو تعني: من المفروض أن يكون العلماء هم أخشى النّاس لله تعالى لما يرونه بأعينهم من الحقائق والاكتشافات العلمية والآيات الكونية، وقدَّم المفعول به (اللهَ) ليفيد الاختصاص.

﴿مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾: لا يقصد بهؤلاء العلماء الكفرة الملحدين الّذين لا يذكرون الله مهما شاهدوا من آيات كونية أو حقائق، فهؤلاء لا يُثني عليهم مهما وصلوا إليه من علوم ومعارف.

والمقصود بهؤلاء العلماء الّذين عرفوا الله سبحانه وملأت قلوبهم الخشية تعظيماً لما رأوا من قدرته وعظمته من آيات كونية تدل على أنّه الخالق والإله الحق، والخشية هي مزيج من الخوف والتّعظيم والعلم بالله وأسمائه وصفاته ووحدانيته، وقال تعالى: ﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ ولم يقل العالمون، العلماء: هم طلاب العلم عامة، أما العالمون: فهم أساتذة العلم، أو من يعلمون العلماء أو هم قمة العلم أو ليس هناك من هو أعلم منهم.

وهناك قراءة شاذة إنما يخشى الله من عباده العلماء، والخشية: هنا لا تعني

الخوف والتعظيم، وإنما تعني: إنما يمدح أو يُثني ويعظم الله عباده العلماء الّذين اكتشفوا بعض الأسرار والآيات الكونية، وكانوا سبباً لهداية غيرهم من الضالين.

ويؤيِّد ذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾: وبهذا يكون معنىٰ يخشىٰ يُعظم ويثني وليس يخاف.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾: تعليل لوجوب خشية، أيْ: خشوه لأنّه:

عزيز: قوي لا يُغلب ولا يُقهر وممتنع له العزة جميعاً والشّرف عزة القوة والمنعة والقهر والغلبة والقادر علىٰ عقوبة العصاة وقهرهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

غفور: لمن تاب وأناب إليه وغفور صيغة مبالغة كثير المغفرة، وتعني: محو الذّنوب وترك العقوبة، وغفور: تدل علىٰ دوام الغفران أو المغفرة، وغفار: تدل علىٰ التجدد والتكرر، وغفار وغفور: صيغ مبالغة تدل علىٰ كثرة الغفر أو المغفرة مع قدرته تعالىٰ علىٰ منحها أو منعها.

[٢٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾:

بعد ذكر الّذين يخشون الله من العلماء يذكر الّذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصّلاة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾: إن للتوكيد، الّذين اسم موصول.

يتلون كتاب الله: من التّلاوة أيْ: تلاوة القرآن أو الآيات والتّلاوة هي القراءة الخاصة بالكتاب ولها ثواب، ويتلون بصيغة المضارع تدلُّ علىٰ التّكرار والتّجدُّد والاستمرار في التّلاوة.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: بشروطها وأركانها ومواقيتها وخشوعها والدّوام عليها وأقاموا بصيغة الماضي؛ لأنّ إقامة الصّلاة لها أوقات محدَّدة، وهي عماد الدين، وأعظم العبادات وأجلها.

﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: أنفقوا سراً: بعيدين عن الرّياء وابتغاء وجه الله، وعلانية: أحياناً في الزّكاة المفروضة، كما ذكر بعض الأئمة ليشجع الآخرين على التّصدق والإنفاق في سبيل الله وأنفقوا بصيغة الماضي؛ لأنّ الإنفاق غير دائم مثلاً: الزكاة تدفع حين النصاب، وكثير من الآيات الأخرى جاءت في صيغة المضارع ينفقون لتدل على تجدُّد وتكرار الإنفاق والتّذكير به كالصدقات.

ولو نظرنا إلى الحكمة في الإنفاق على الفقير والمسكين كما يراها البعض، فالله سبحانه بين للناس أنّ المال ماله وما ينفقون هو مما جعلهم الله مستخلفين فيه، وكأنّ الغني ينفق على الفقير بدلاً من الله سبحانه، فالله يعطي الغني ويحثُّه ويحضُّه على أن ينفق على المحتاج بدلاً من الله تعالى كي تسود المحبة بين النّاس ويضمحل الحقد والحسد والكراهية، ولنعلم أنّ الله سبحانه قادر على أن يغني الفقير، ويجعل كلَّ الفقراء أغنياء، وعندها قد تقل روح التّعاطف والتّراحم.

﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: كما قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١].

﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً﴾: يرجون من الإنفاق في سبيل الله الربح الوافر الكثير، أي: الثّواب أو الأجر الكبير، يرجون: من الرّجاء وهو الأمل في الخير الّذي يعتري صاحبه الشّك.

﴿لَّن تَبُورَ﴾: لن: لنفي المستقبل القريب أو البعيد، لن يبطل ثوابها في المستقبل القريب ولا البعيد، أيْ: لن تبور في الدّنيا ولا في الآخرة، تبور: من

البوار الكساد أو الضّياع، أيْ: تجارة غير خاسرة، والبور أصلها: أرض بوار؛ أي: أرض لا تصلح للزراعة؛ أي: أرض لا خير فيها؛ فالمعنىٰ يكون ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً﴾ كثيرة الخير والربح.

[٣٠] ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾:

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، وتعود علىٰ الّذين يتلون الكتاب وأقاموا الصّلاة وأنفقوا. يوفيهم: من وفىٰ والتوفية أخذ الشّيء وافياً، أيْ: تامّاً، أيْ: يعطيهم أجورهم تامّة غير ناقصة.

﴿أُجُورَهُمْ﴾: الأجر يكون مقابل العمل أجورهم علىٰ أعمالهم، ويزيدهم أكثر من أجورهم من فضله والفضل هو ما يعطىٰ زيادة علىٰ الأجر، أي: الثواب.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿غَفُورٌ﴾: صيغة مبالغة لفعل غفر كثير الغفر، والغفر من الستر وهو العفو عن الذّنب وترك العقوبة والإثابة علىٰ الحسنات.

﴿شَكُورٌ﴾: صيغة مبالغة علىٰ وزن فعول من فعل شكر الثلاثي؛ كثير الثواب يثيب العبد علىٰ القليل من الطّاعة أو النّفقة الثّواب الكبير، أيْ: يجازيهم أوفىٰ الجزاء والعطاء، أيْ: يثيب عباده الصالحين نعيماً في الآخرة غير محدود.

ورد اسم الله الشّكور في أربع آيات في القرآن في سورة فاطر آية (٣٠-٣٤)، وفي سورة الشّورىٰ آية (٢٣)، وفي سورة التّغابن آية (١٧).

❖ ❖ ❖

وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ
يَدَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ
ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم
مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ
فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾
وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ
شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا
فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ
نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ
عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ
فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ
أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُمۡ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ
فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ
غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

سورة فاطر [الآيات ٣١ - ٣٨]

[٣١] ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾:

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ﴾: من الوحي في اللغة الإعلام بالخفاء والإسرار (الكلّام الخفي).

والوحي شرعاً هو ما يُلقي الله تعالىٰ إلىٰ رسله وأنبيائه من آيات وتكاليف وتعاليم. ارجع إلىٰ سورة النّساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان في معنىٰ الوحي.

﴿إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: إليك تقديمها يفيد الحصر، من استغراقية، الكتاب: القرآن أو اللوح المحفوظ أو الآيات.

﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾: هو ضمير فصل يفيد التّوكيد، الحق: الأمر الثّابت الّذي لا يتغير ولا يتبدل وليس هناك غيره.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾: شاهداً بصحة التّوراة والإنجيل ومقراً لما فيها من التعاليم والتكاليف إذا لم يصبها تحريف أو تغيير.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾: الباء: للإلصاق والمصاحبة؛ لخبير: اللام: للتوكيد؛ خبير: عليم ببواطن الأمور، والأمور المتناهية في الصفر، وبصير عليم بالمشاهدات أو المبصرات؛ أيْ: بظواهر الأمور المبصرة أو الظاهرة؛ أيْ:

أنّ الله محيط بأحوال عباده يعلم بواطن أمورهم وظواهرها، فيشرع لهم من الأحكام الّتي تناسب أحوالهم في كلّ زمان ومكان فينزل الوحي على رسله بما اقتضت حكمته، وتقديم الخبير على البصير؛ لأن الخبير أعم وأشمل؛ أي: الخبير هو أيضاً بصير، وإضافة اللام للخبير للإشارة إلى أهمية الأعمال الباطنة مقارنة بالأعمال الظاهرة، وفي سورة الشورى الآية (٢٧)، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾ بدون اللام المؤكدة في خبير؛ لأن الآية في سياق الرزق فقط.

[٣٢] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التّرتيب والتّراخي في الزّمن.

﴿أَوْرَثْنَا﴾: التوريث عطاء لمن يستحق من غير كدٍّ أو تعب، شبه إعطاء الكتاب (القرآن) بتوريث الوارث، أورثنا: بصيغة الجمع: للتعظيم؛ أي: عظم المورث وعظم الموروث، فالمورِّث هو الله سبحانه، الورثة: الّذين اصطفينا، والموروث هو القرآن الكريم.

وقدم الكتاب (القرآن) على الذين اصطفينا للأهمية، ولأن سياق الآيات على الكتاب مقارنة بقوله تعالى في سورة غافر آية (٥٣) ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فقد قدم بني إسرائيل؛ لأن السياق في بني إسرائيل؛ أي: موسى وهارون ومن حملوا الرسالة إلى بني إسرائيل.

﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾: أي: اختيروا من عبادنا من أفراد أمة محمد ﷺ، وأمة محمد اختيرت من بين الأمم فهذا يُعد اصطفاء من أهل الإيمان والتّوحيد، ومن قال: لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله فهو يعتبر مصطفى.

عبادنا: إضافة عباده إليه تشـــريف لهم وتكريم وقدَّم الكتاب (القرآن) وهو الأهم على حملة الكتاب (الّذين اصطفينا).

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾: اختلف المفســـرون في تعريف الظّالم لنفســـه والمقتصد، فمنهم: الفاء للتفصيل.

الظّالم لنفســـه: الظّالم لنفســـه بالتّقصير في حق الكتاب (القرآن)، وقيل: الظالم لنفسه: من رجحت سيئاته على حسناته أو المسيء الظالم لنفسه.

﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: تكـــرار منهم للتوكيـــد، المقتصد: الّـــذي يقرأ القرآن ويحفظ شـــيئاً منه، وقيل: هو من اســـتوت حسناته وســـيئاته أو من اعترف بذنبه وخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وقيل: هم بين الخوف والرجاء.

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾: ســـابق نكرة هناك درجات مختلفة في السّبق الحافظ والمتدبر والعامل به والّذي يُعلمه، وهناك الحافظ للقرآن فقط والحافظ للقرآن والذي يتدبَّـــره أو الحافظ والعامل به، أو الحافظ والّذي يعلمه للآخرين، وهناك من يقوم بكلّ تلك الأعمال، وقيل: هو الّذي رجحت حسناته على سيئاته أو المخلص المجتهد.

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بإرادة اللـــه وبتوفيقه، وبإذن الله: في القـــرآن تأتي غالباً في سياق العمل الذي ليس لنا تدخل أو يد فيه؛ أي: هو بتدبير خارج عن إرادة العبد.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾: ذلك: ذا اسم إشارة واللام للبعد ويشير إلى السّبق بالخيرات أو يعود على توريث الكتاب أو توفيقه للسبق.

هو: للتوكيد.

﴿ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾: جنات عدن يدخلونها يحلَّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير، وهذا الترتيب: تقديم الظالم، ثمّ المقتصد، ثمّ السابق: ترتيب من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ أجراً أو حسب المقام أو ترتيب من الأكثر عدداً إلىٰ الأقل عدداً فالظّالمون كثرة والسابقون قلَّة. وقيل: الكلّ في الجنة في نهاية الأمر.

[٣٣] ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾:

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: جمع جَنَّة، وليست جَنَّة واحدة للذين اصطفينا من عبادنا.

عدن: يعني: إقامة دائمة لا تنتهي، عدن الإنسان في المقام، أيْ: أقام فيه واستقر ولم يتركه أو يسافر.

﴿يَدْخُلُونَهَا﴾: تقديم جنات علىٰ يدخلونها: للإخبار مباشرة إلىٰ أين ذاهب حتىٰ يطمئن قلبه، ويؤكد له الوصول إلىٰ جنات عدن، وإعادة ذكرها بهاء الضمير يدخلونها تفيد أيضاً التوكيد.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾: يلبسون فيها، من الحلية والتّحلية في الآخرة تكون من الذّهب والفضة، ومن الحرير، ويحلون: تدل علىٰ التّجدُّد والتّكرار في المستقبل، أي: عندما يدخلونها بينما قوله تعالىٰ: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١] الآية جاءت في سياق كونهم في الجنة تدل علىٰ مرَّة أو القلَّة.

﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾: من ليست للتبعيض هنا، وإنما لبيان الجنس، والأفضل والكثرة.

﴿مِن ذَهَبٍ﴾: أي: نوع الحلية.

أساور: جمع كثرة، بينما أسورة جمع قلة. كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٥٣].

﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ اللؤلؤ: حلية من البحر، وهذا يدل علىٰ الأجر والثّواب أعلىٰ وأعظم من قوله: ﴿وَحُلُّوٓا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]. ارجع إلىٰ سورة الرحمن الآية (٢٢) لمزيد من البيان.

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾: بنوعية السّندس والإستبرق، وذكر لونها فقال تعالىٰ: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١].

[٣٤] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: تعود علىٰ الّذين اصطفينا من عباده والذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصّلاة.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾: وقبل ذلك قالوا: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤] عندما دخلوا الجنة.

وقالوا كذلك: الحمد لله ﴿الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ [الأعراف: ٤٣] والآن يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾.

وهل في الجنة حمد وتسبيح وسلام نعم، وليس تكليفاً، وإنما من وسائل

متاعهم في الجنة كما يتمتعون بنعيمها والخلود فيها يتمتعون بذكر الله العظيم وحمده على كلّ هذه النّعم والرّضوان.

والحمد لله: على إحسانه وفضله وكرمه.

الّذي: اسم إشارة يفيد التّعظيم.

أذهب عنا الحزن: أزال وكشف عنا الحَزَنَ بكلّ أنواعه وأسبابه.

الحَزَنَ: الألم النّفسي النّاتج عن ضيق في الصّدر فإذا كان دائماً لا ينتهي حتّى يموت الإنسان سُمِّي الحَزَن بفتح الحاء، أمّا إذا كان مؤقتاً (في الدّنيا) ومحدَّداً بزمن وينتهي، سُمِّي الحُزن بضم الحاء، وسماه الحَزَن؛ لأنّه استمر حتّى دخلوا الجنة سواء كان في الدّنيا أو في مقام أرض المحشر، فقد طال، وقد يعني أذهب عنا الخوف والحزن النّاتج عن ارتكاب الذّنوب والتّقصير في العمل للآخرة.

﴿إِنَّ رَبَّنَا﴾: إنّ للتوكيد، ربنا: لأنّ السّياق ليس في ذكر النّعم قالوا: ربنا.

﴿لَغَفُورٌ﴾: اللام للتوكيد، غفور صيغة مبالغة من غفر، أيْ: ستر ذنوبنا ولم يفضحنا أمام الخلائق، وستر لنا تقصيرنا في العبادة والطّاعة.

﴿شَكُورٌ﴾: لأنّه يثيبنا على طاعتنا ويضاعف لنا حسناتنا ويدخلنا بفضله وإحسانه الجنة، ويعني: الثّواب الجزيل على العمل القليل، وشكور صيغة مبالغة، أيْ: كثير الشّكر، كثير الثّواب والإحسان والفضل. ارجع إلى الآية (٣٠) من نفس السّورة.

[٣٥] ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾:

﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم ويعود على الله تعالى.

﴿أَحَلَّنَا﴾: أنزلنا من النُّزل: المكان المعد والمهيأ لإكرام الضّيف.

﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾: الجنة وسميت دار المقامة الدّائمة، (المقامة مصدر من أقام والتّاء زائدة للمبالغة).

أمّا الدّنيا: فدار إقامة مؤقتة وممر إلى الآخرة.

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: أيْ: دخول الجنة، ليس بسبب أعمالنا في الدّنيا وإنما من فضله وكرمه وإحسانه ورحمته.

﴿لَا يَمَسُّنَا﴾: لا النّافية، يمسنا: والمس وهو أخف أو أدنى اللمس.

﴿فِيهَا﴾: في الجنة جنات عدن.

﴿نَصَبٌ﴾: التّعب البدني.

﴿وَلَا يَمَسُّنَا﴾: تكرار لا يسمنا لزيادة التّوكيد في عدم مسهم اللغوب وفصل النّصب عن اللغوب أو كلاهما معاً.

﴿فِيهَا لُغُوبٌ﴾: قيل: هو الإعياء أو الفتور النّاتج عن التّعب البدني النّاتج عن كثرة الحركة والعمل بالأيدي أو الأرجل، وقيل: هو التّعب النّفسي.

وعادة يحدث النّصب أولاً، ثمّ اللغوب ثانياً.

أيْ: لا يمسنا لا لغوب ولا نصب ولا كلاهما؛ لأنّ ليس في الجنة حاجة لكسب الرّزق والسّعي ورائه والجد والكد والتّعب.

[٣٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾:

بعد ذكر الّذين يتلون كتاب اللـه وأقاموا الصّلاة وذكر الّذين اصطفينا وما هو جزاؤهم يذكر بالمقابل الّذين كفروا وجزاؤهم.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾: الّذين يحمل معنىٰ الذّم كفروا بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر.

﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾: اللام في لهم للاختصاص والاستحقاق، نار جهنم: جهنم. ارجع إلىٰ سورة الرّعد آية (١٨).

﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: لا النّافية، يقضىٰ عليهم: يُحكم عليهم أو تعني القضاء بمعنىٰ الانتهاء (قضىٰ: انتهىٰ).

﴿فَيَمُوتُواْ﴾: أيْ: موت ثانٍ بعد الموت الأول الّذي تلىٰ الحياة الدّنيا، فيموتوا: فيتوقف عذابهم في جهنم، فالموت لهم آنذاك يُعد راحة.

﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم﴾: ولا: لا تكرارها يفيد توكيد النّفي بالموت أو التّخفيف.

﴿مِّنْ عَذَابِهَا﴾: من ابتدائية، عذابها: عذاب نار جهنم، وقد ذكر أنّ هناك أكثر من (٦٤) نوعاً من العذاب وردت في القرآن والأحاديث الشّريفة، وبهذا يخبر الله سبحانه أنّ عذابها دائم ومستمر بلا فتور ولا انقطاع.

وهذا التّمني ورد بشكل آخر، وهو النّداء علىٰ مالك (خازن النّار)، ونادوا: يا مالك ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزّخرف: ٦٧].

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾: كذلك، أيْ: مثل ذلك الجزاء يُجزىٰ كلّ كفور، وجاءت كلٌّ بالنّصب وليس بالرّفع ليشمل كلّ كفور، ولو جاءت كلّ بالرّفع لكان يعني ذلك بعض الكافرين، وليس الكلّ وكفور صيغة مبالغة من كفر، أيْ: كثير الكفر أو دائم الكفر لا يتوب ولا ينوب إلىٰ ربه ويمت وهو كافر. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٦) لبيان معنىٰ الكفر.

[٣٧] ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾:

﴿وَهُمْ﴾: تفيد التّوكيد وتعود علىٰ الّذين كفروا.

﴿يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾: أيْ: يصرخون بشدة وبجهد أشد الصّراخ المألوف، يصرخون مستغيثين طالبين الغوث من شدة العذاب، فيها: تعود علىٰ نار جهنم، ظرفية زمانية.

﴿رَبَّنَا﴾: يدعون ربنا: ولم يقولوا: يا ربنا (ياء النّداء للبعد) لأنّهم أدركوا الحقيقة بأنّه سميع قريب.

﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾: أخرجنا من النّار وردنا إلىٰ الدّنيا لكي نعمل صالحاً من الفرائض والنّوافل وكل ما أمرتنا.

﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾: من الشّرك والكفر والمعاصي وغيرها من الأعمال السّيئة، واستعمل الّذي: اسم موصول يدل علىٰ شيء محدد بعكس (ما)، ولم يقل غير ما كنا نعمل؛ لأنّه يشير إلىٰ الكفر والشّرك.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾: كان هذا رد ربهم على سؤالهم السّابق.

أولم: الهمزة للاستفهام والتّوبيخ والتّقريع، الواو لشدة الإنكار والتّوبيخ.

نعمركم: ألم نُمد في أعماركم بما يكفي للتذكر والاعتبار.

﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾: أي: الرّسول ينذركم، والإنذار هو الإعلام والتّحذير يحذركم من عاقبة غيكم وضلالكم، النّذير: بأل التّعريف، أيْ: رسول الله ﷺ أو الرّسل والأنبياء الآخرين فأعرضتم وأصررتم على شرككم ومعاصيكم.

﴿فَذُوقُوا﴾: أي: العذاب والفاء للتعقيب والتّرتيب، ذوقوا العذاب. ارجع إلى الآية (١٤) من سورة السّجدة للبيان.

﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾: فما الفاء للتوكيد، ما النّافية، من استغراقية، للظالمين: للمشركين أو الظّالمين لأنفسهم بالكفر وبالمعاصي والذّنوب.

نصير: مقارنة بالقول من ناصر، جمع ناصر: ناصرين وجمع نصير أنصار، فهذه الآية تنفي النصرة عن الظالمين؛ أي: ليس لهم يوم القيامة من يدافع عنهم وينصرهم أو يدفع عنهم العذاب أو يخففه.

[٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾:

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: عالم تدل على أنّ علمه صفة ثابتة لذاته بينما إنّ الله يعلم غيب السّموات والأرض، يعلم يدل على أنّ علمه يتجدَّد ويتكرَّر، أيْ: مستمر، فهو سبحانه عالم ويعلم.

غيب هــو كلّ ما غاب: الغيب ما غاب في السّــموات والأرض عن عيون البشر وحواسهم والغيب مصدر غاب يغيب إذا لم يظهر لعيون البشر وحواسهم، وكل مــا أُخبر به الرّســول ﷺ عن طريق الوحــي مثل الجنة والنّــار والصّراط والميزان وأشراط السّــاعة، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٧٨) في سورة التوبة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ علام: صيغة مبالغة من فعل علم علىٰ وزن فعال، والتــدرج يكون من عالم، عليم، علام، فهو علام الغيوب؛ لأنه ســبحانه خالقها فلا يعلمها إلا هو، وهو كذلك عالم الغيب والشــهادة. ارجع إلىٰ ســورة التوبة الآية (١٠٥) لمزيد من البيان.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١١٩) من سورة آل عمران للبيان.

فالله ســبحانه يعلم كلّ ما غاب في السّموات والأرض عن أعين النّاس ويعلــم ما في ذوات الصّدور مــن المعتقدات والأحاســيس والخواطر الّتي تعيش في قلب الإنسان أو الملازمة لصدره ويعلم سبحانه لو ردهم إلىٰ الدّنيا مرة أخــرىٰ لعادوا لما نهوا عنه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

❖❖❖

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۗ وَلَا
يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ
كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ
بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن
جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ
مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ
وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ
ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا
﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٤

سورة فاطر [الآيات ٣٩ - ٤٤]

[٣٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يعود على الله عالم غيب السّموات والأرض.

﴿ٱلَّذِى﴾: يفيد التّعظيم.

﴿جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: خلائف: جمع خليفة، وقيل خلائف جمع خلف، وكذلك: خلفاء: جمع خليفة أو خليف، والخليفة أصله خليف (بغير هاء)؛ لأنّه بمعنى الفاعل دخلته الهاء خليفة للمبالغة ليكون وصفاً لرجل بذاته.

وتعريف الخليفة: كلٌّ يخلفُ الآخر بالزّمان والمكان.

وخلائف في الأرض: مطلقة تشمل كلّ البشر كلّ فرد يخلف الآخر أو خلائف قد تعني الأمم في الأرض. ارجع إلى سورة الأنعام آية (١٦٥) للبيان ومعرفة الفرق بين خلائف في الأرض، وخلفاء الأرض.

ثم بيَّن عاقبة من يكفر بالنّعمة ويسترها أو يكفر بالمنعم ولا يؤدِّي حق الله تعالى.

﴿فَمَن كَفَرَ﴾: الفاء استئنافية، من شرطية، كفر بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾: أيْ: عاقبة أو وبال أو جزاء كفره راجعٌ عليه وحده.

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾: أيْ: من استمر على كفره وازداد في كفره، استحق مقت الله والمقت هو أشد البغض والكراهية.

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾: وتكرار ولا يزيد الكافرين لتدل على التّوكيد.

إلا: أداة حصراً وقصراً.

خساراً: هلاك في الدنيا والآخرة بالإضافة إلى المقت في الدّنيا والآخرة إلا إذا تابوا وأنابوا إلى ربهم.

[٤٠] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾:

بعد بيان جزاء المؤمنين والكافرين، وذكر أنّ الظّالمين (المشركين ما لهم من نصير) وهدَّد الكافرين بالمقت والخسارة يبين للمشركين أن ما يدعون من دون الله لن ينفعهم إلا غروراً والله سبحانه الإله الحق خالق السّموات والأرض وحده من غير شريك.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ:

أرأيتم: الهمزة همزة استفهام إنكاري والرّؤية رؤية قلبية فكرية، أيْ: أخبروني بعلم عن حال شركائكم.

﴿ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أيْ: تعبدون من غير الله من الأصنام والآلهة وكونوا أنتم أنفسكم حكماً في هذه المسألة.

﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: الهمزة في أروني استفهام إنكاري وتقرير، أيْ: أروني كيف استحقوا أن يكونوا شركاء.

ماذا: استفهام إنكاري وتقرير أقوى من الاستفهام (بما) فقط.

خلقوا مـــن الأرض: من اســـتغراقية، أيْ: ما هو الشّـــيء الّذي خلقوه من الأرض.

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: أم للإضراب الانتقالي، والهمزة همزة للاستفهام التّقريري والإنكار والتّوبيخ.

لهم: اللام لام الملكية والاختصاص، شـــرك في السّـــموات، أيْ: شراكة حقيقية، أيْ: يملكون جزءاً منها.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا﴾: أم للإضراب الانتقالي نفس السّابقة.

آتيناهم كتاباً: يُبيح لهم الشّرك أو يكون حُجة لهم أن يشركوا أو هم شركاء في السّموات.

﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾: أيْ: لهم مع الله شـــراكة ذكرها في إحدىٰ كتبه، أو في بينة (بيان).

﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾: بل للإضراب الانتقالي.

إن يعـــد: إن نافية، أقوىٰ نفياً من ما، وتعني وما يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً.

الظّالمين: المشركين والعاصين والكافرين.

بعضهم بعضاً إلا: أداة حصر.

غروراً: خداع وباطل. ارجع إلىٰ الآية (٥) من نفس السّورة للبيان.

أيْ: ما يعد الظّالمون بعضهم بعضاً من شـــفاعة الآلهـــة أو أنّهم يقربونهم عند الله زلفـــىٰ أو نصرتهم إلا باطلاً أو غروراً: الغرور هو إيهام أو تصور خاطئ يحمل الإنســـان أو يجره إلىٰ فعل شيئاً هو غافل عنه والإيهام أو التّصور الخاطئ هنا أنّ الأصنام تشفع لهم أو تقربهم عند الله زلفىٰ، أو تنفعهم أو تضرهم.

[٤١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾:

هذه الآية تتمة للآية السّابقة إذا كان هناك شركاء وهم لا يشاركون في خلق السّموات والأرض، ولم يخلقوا شيئاً نطلب منهم أقل من ذلك، فهل يستطيعون أن يمسكوا السّموات والأرض أن تزولا؟ وهذا نوع من التحدي للمشركين وللآلهة التي يعبدونها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾: يمسك، أيْ: يمنع السّموات والأرض من الزّوال أو الاضطراب، وذلك بالمحافظة على القوى الأربع القوة النّووية الشّديدة والضّعيفة والقوة الكهربائية والمغناطيسية وقوة الجاذبية وغيرها، يبقيها ثابتة متوازنة.

أن: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾: الواو عاطفة، لئن: اللام للتوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض.

﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾: إن نافية بمعنى ما، أمسكهما في مدارهما من أحد: من لتوكيد النّفي، من بعده، أي: الله سبحانه.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾: إنّه للتوكيد، كان تشمل كلّ الأزمنة كان وما زال وسيظل حليماً غفوراً.

حليماً: لا يعجل العقوبة لعباده العصاة، وإنما يؤخّرها لعلهم يتوبون ويرجعون إلى ربهم وحليماً؛ لأنّه كان وسيظل يمسك السّموات والأرض من الزّوال والاهتزاز.

﴿غَفُورًا﴾: صيغة مبالغة، كثير الغفر لمن تاب وأناب إلىٰ ربه يمحو الذّنوب ويثيب علىٰ الأعمال الصّالحة. يغفر الذّنوب مهما عظمت أو كثرت.

[٤٢] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾: أيْ: كفار مكة. قبل مجيء الرّسول ﷺ أو بعثته ﷺ.

والقسم يختلف عن الحلف، القسم في القرآن: يأتي في سياق الّذي يقسم وهو صادق النّية أو يظن أن قسمه حق وهو علىٰ غير حق أو هو مخطئ، أمّا الحلف فيأتي في سياق النّية غير الصادقة أو الحلف بالباطل.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: أقسموا بالله بأغلظ الأيمان، أيْ: أكدوا القسم وشدّدوا عليها بأقصىٰ وسعهم، الجهد: الوُسْع، أيْ: أغلظ الأيمان.

﴿لَئِن﴾: اللام للتوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض.

﴿جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: رسول أو نبي منذر، والإنذار هو الإعلام مع التّحذير.

﴿لَّيَكُونُنَّ﴾: اللام للتوكيد، والنّون (نون التوكيد الثقيلة: وهي عبارة عن نونين) لزيادة التوكيد علىٰ القسم.

﴿أَهْدَىٰ﴾: علىٰ وزن أفعل، أيْ: أكثر هداية.

﴿مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾: تعني: أهدىٰ من أيِّ أمة سابقة، أهدىٰ من إحدىٰ الأمم المفضلة مثل اليهود، أهدىٰ من اليهود والنّصارىٰ.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: الفاء جواب للشرط، لما: ظرفية بمعنىٰ حين.

جاءهم نذير: هو رسول الله ﷺ محمّد منذر لهم ولغيرهم.

﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾: ما النّافية، زادهم مجيء رسول الله ﷺ، إلا أداة

حصر، نفوراً: زيادة في الضّلال والبغي والبعد عن الحق ونفر عن الشّيء: تجافىٰ عنه وابتعد، أيْ: جافوا وابتعدوا عن رسول الله ﷺ.

[٤٣] ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾:

فلما جاءهم نذير كما تمنَّوا وهو رسول الله ﷺ ما زادهم إلا نفوراً (بُعداً عن الدِّين والحقِّ).

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ازدادوا نفوراً بسبب استكبارهم ولم يقبلوه ورفضوا اتباعه والتّصديق به. والألف والسين والتّاء في استكباراً تفيد الطلب أو تظاهروا بالكبر وعظم شأنهم فوق ما يستحقون.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧].

﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾: هذا هو السّبب الثّاني، الأول: كان الاستكبار في الأرض، والمكر: هو التّدبير الخفي لإيقاع الضّرر بالغير من غير أن يعلم الممكور به. وهنا يعني إيقاع الأذىٰ برسول الله ﷺ ومن آمن معه ليردُّوهم عن دينهم والتآمر عليهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ومكر السيِّئ: يدل علىٰ تكرار المكر السّيِّئ (أيْ: ماكرين) جملة اسمية تدل علىٰ الثّبوت.

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾: يحيق: يحيط إلا بهم أو تنزل عاقبة المكر السّيِّئ عليهم، كما بيَّن ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣].

لا: النّافية، يحيق: من حاق، أيْ: أحاط، إلا: أداة حصر، بأهله: بمن يقومون به.

﴿فَهَلْ﴾: الفاء للتوكيد، هل للاستفهام، وتحمل معنىٰ النّفي.

﴿يَنظُرُونَ﴾: النّـون للتوكيد، بدلاً من فهل ينظروا: وينظرون نظرة فكرية قلبية (تبصرية من البصيرة).

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: السّـنة في اللغة: الطّريقة المعتادة المحافظ عليها، أيْ: يتكرر الفعل بموجبها، فهناك السّـنن الكونية وسنن الله في خلقه وسنن الأنبياء والصّالحين والسّـنن غايتها لتحقيق مصالح النّاس، كمـا أرادها الله له، ولكي يسود الحق والثّبات في الكون.

سـنت الأولين: وهي إهلاك وتدميـر وإنزال العذاب علـىٰ الّذين كذبوا برسلهم من الأمم السّابقة بعد إنذارهم وإمهالهم وإصرارهم علىٰ الضّلال والغي والكفر والفسوق. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٣٧) وسورة النّساء آية (٢٦) لمزيد من البيان.

﴿فَلَن﴾: الفاء للتوكيد، لن: حرف نفي لنفي الحاضر والمسـتقبل القريب والبعيد.

﴿تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾: تبديل السّـنة (أي: العقوبة أو العذاب) بغيرها أو بعذاب آخر، أو يبدل الهلاك بالعفو والمغفرة.

والإبدال جعل الشّيء مكان الشّيء؛ أي: تغيُّر العقوبة بعقوبة أخرىٰ.

ولن تجد لسـنت الله تحويلاً: تكرار لن تجد تفيد التّوكيد وفصل كلاً من التّبديل والتّحويل أو كلاهما معاً.

والتّحويل غيـر التبديل؛ فالتحويـل: هو أن يحول العـذاب من قوم إلىٰ

قوم آخرين؛ أي: يحول العذاب من الظالمين إلى غيرهم أو المكذبين إلى غير المكذبين، فسنن الله تعالى لا تُبدَّل ولا تُغيَّر ولا تتحوَّل.

[٤٤] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتّعجب، الواو في أولم تشير إلى جملة أخبار مثل فهل ينظرون، أولم يسيروا في الأرض فينظروا.

ولم يقل: أفلم: يأتي بالفاء، إذا كان ما قبلها هو سبب لما بعدها فيقول: أفلم يسيروا بدلاً من: أولم يسيروا، وكذلك يأتي بالفاء للأمور الأشد توكيداً أو تهديداً أو توبيخاً، والخبر في أفلم واحد.

﴿يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: جاء بصيغة المضارع الدّالة على التّجدُّد والتّكرار، أيْ: فيها حثٌّ وحضٌّ على تكرار السّير أو زيارة تلك الأمكنة الّتي شهدت مهلك الّذين كذبوا رسلهم، وكيف دمَّر الله عليهم.

قال: في الأرض ولم يقل: على الأرض، في ظرفية؛ لأنّ الطّبقة الغازية المحيطة بالأرض تعود على الأرض فهي غلاف الأرض.

﴿فَيَنظُرُوا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، ينظروا: أيْ: نظرة عينية بصرية، على دمار وإهلاك الظّالمين من قبلهم مثل قوم عاد وثمود ولوط وفرعون.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام الإنكاري.

﴿كَانَ عَاقِبَةُ﴾: تذكير العاقبة بالقول كان عاقبة تدل على العذاب (من خصائص القرآن) وتأنيث العاقبة كما لو قال: كانت عاقبة لدلَّت على الجنة أو الحسنى.

﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: الّذين اسم موصول من قبلهم: من تدل على الزّمن القريب، أيْ: من أهلك من قبلهم من زمن أو عهد قريب.

﴿وَكَانُوٓاْ﴾: الواو للتوكيد، كانوا في الماضي.

﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: أشد من قريش قوة، أيْ: أكثر عدداً وعُدة.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ﴾: وما الواو استئنافية، ما النّافية.

الله ليعجزه: اللام فـي ليعجزه للتعليل والتّوكيد، ليعجزه: أيْ: لا يفوته أو يسبقه شيء أو يفلتوا من عقابه.

من شيء: من استغراقية شيء نكرة تعني: أيَّ شيء مهما كان صغره أو كبره أو حاله، والشّيء: هو أقل القليل، يفلت من عقابه.

﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: تكرار لا، يفيد التّوكيد، لا في السّموات ولا في الأرض ولا في كلاهما.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾: إنـه للتوكيد، كان يشـمل كلّ الأزمنة الماضي الحاضر والمستقبل، كان ولا زال وسيظل سبحانه عليماً قديراً.

وما كان الله ليعجزه من شـيء في السّموات والأرض؛ لأنّه سبحانه عليم قدير، فهو قد جمع العلم والقدرة.

(عليماً) صيغة مبالغة من عالم بحال عباده ومخلوقاته وكونه وما يعملون.

لا تخفىٰ عليه خافية، يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا يعلمه.

(قديراً): علىٰ الانتقام، والأخذ ولا يعجزه شيءٌ في السّموات ولا في الأرض.

❖ ❖ ❖

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ
ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يسٓ

ترتيبها ٣٦ | آياتها ٨٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ
أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

سورة فاطر [الآية ٤٥]

[٤٥] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾:

تدل هذه الآية على أنّه سبحانه رحيم بعباده حتّى الكافرين والعاصين لأوامره؛ لأنّه سبحانه هو ربهم وخالقهم، ويعلم سبحانه أنّ عبادهُ ضعفاء أمام شهوات أنفسهم وأهوائهم وأمام شياطينهم.

﴿وَلَوْ﴾: الواو استئنافية أو عاطفة لو شرطية.

﴿يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ﴾: أيْ: يعاقب ويجازي النّاس (الإنس والجن).

﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾: الباء للإلصاق باء السّببية أو البدلية.

ما: اسم موصول بمعنى الّذي، وهي أشمل وأوسع من كلمة الّذي.

كسبوا: أيْ: عملوا وبما أن السّياق في التّجارة والخسارة كقوله: ليوفيهم أجورهم وقوله: ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً.

استعمل كلمة كسبوا بدلاً من عملوا: كسبوا ولم يقل: اكتسبوا، كسبوا تستعمل في كسب الخير، بينما اكتسبوا في أفعال الشر أو السيئات، وهذا من خصائص القرآن. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٨٦) لمزيد من البيان.

﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾: أيْ: لو يعاقب الله سبحانه النّاس

جميعاً على ذنوبهم لأهلك أهل الأرض وما ترك على ظهر الأرض من دابة، أيْ: أهلكهم ودوابهم أيضاً لسوء معاصيهم.

من دابة: من: استغراقية تستغرق كلّ دابة، وهو ما يدب على الأرض، تشمل الإنس والجن والدّواب وكل شيء يمشي في الأرض.

﴿وَلَٰكِن﴾: حرف استدراك.

﴿يُؤَخِّرُهُمْ﴾: يمهلهم أو يؤجل عقابهم.

﴿إِلَىٰ﴾: حرف غاية.

﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو إما انقضاء أجلهم أو يوم القيامة أو مجيء عذابهم في الدّنيا كما حدث في غزوة بدر.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب إذا ظرفية زمانية شرطية تفيد الحتمية حتمية الحدوث.

﴿جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾: الأجل هو: هو الوقت المضروب لانقضاء الشّيء وأجل الإنسان هو الوقت المضروب لانقضاء عمره، والأجل إمّا الموت أو يوم القيامة أو العذاب.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: الفاء للتوكيد وإن لزيادة التّوكيد.

﴿كَانَ﴾: تشمل كلّ الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾: بصيراً من البصر وهو أقوى وسائل العلم والإدراك ويأتي بعد حاسة السمع، وحاسة البصر أقوى من السمع، فالبصر يرى على مسافات شاسعة وما تراه يكون حقاً، أمّا السمع فيكون أقل مسافة وغير متأكد مما تسمع، فالله سبحانه يرى عباده ويرى أعمالهم ولا تخفى عليه خافية.

وقد يسأل سائل ما ذنب الدّواب المسخرة، أي: المذلّلة للإنسان؛ لأن هلاك وموت الدّواب الّتي هي مصدر غذاء الإنسان وقوته يعني: سلب الإنسان نعمة كبيرة تخلُّ براحته حين يبحث عنها فلا يجدها متوافرة.

ولنقارن هذه الآية (٤٥) من سورة فاطر: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾.

مع الآية (٦١) من سورة النّحل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

في آية فاطر: بما كسبوا، وفي آية النّحل: بظلمهم.

الكسب أعم وأشمل من الظلم، والظلم جزء من الكسب.

في آية فاطر: ما ترك على ظهرها، وفي آية النّحل: عليها.

على ظهرها يشمل كلّ ظهر الأرض عليها قد يعني: جزءاً من الأرض.

في آية فاطر: فإن الله كان بعباده بصيراً، وفي آية النّحل: لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

الإنذار والوعيد أشد في آية فاطر مقارنة بآية النّحل.

❖❖❖

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ
ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يٰسٓ

ترتيبها ٣٦ آياتها ٨٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يٰسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ
أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

سورة يس [الآيات ١ - ١٢]

ترتيبها في القرآن السّورة (٣٦)، وترتيبها في النّزول السّورة (٤٠).

سورة يس يتردد فيها ذكر الموت والإحياء والبعث ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾، ﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾، ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾، ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾، ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾، ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ﴾.

وفيها تذكير بوحدانية الله وقدرته في تسخير الشمس والقمر، وتسيير الفلك، وتذليل الأنعام وفائدتها، وعدم اتخاذ الأصنام آلهة، وتذكير بيوم القيامة والبعث.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿يسٓ﴾.

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

ومن معاني يس الأخرى: يا إنسان، رواه عكرمة عن ابن عباس.

أو: يا رجل، هذا ما رجحه الطبري.

أو: يس اسم للسورة.

أو: معناها يشبه معاني الحروف المقطعة في افتتاح السور.

[٢] ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾:

الواو: واو القسم (الواو حرف من أحرف القسم وهي: الواو والباء والتاء واللام)، والمقسم به: هو القرآن الحكيم، فالقسم يؤكد على أهمية المقسم به وجواب القسم ؛ أي: أقسم الله سبحانه وتعالى بالقرآن الحكيم وسبحانه هو غني عن القسم، وجواب القسم: إنك لمن المرسلين.

﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾: مصدر قرأ قراءة، وسمي بالقرآن؛ لأنّه مقروء في السّطور، ومقروء في الصدور، ومقروء من اللوح المحفوظ، ويسمى الكتاب؛ لأنّه مكتوب في السّطور وفي اللوح المحفوظ. والتّعريف بأل للدلالة على الكمال. فالكتابة والقراءة كلاهما ضروري لحفظ القرآن من النسيان والتغير والتبدل؛ لأن الإنسان الحافظ للقرآن عرضة للنسيان، والخطأ أو الغفلة، فلا بد من مرجع آخر وهو الكتاب.

﴿ٱلْحَكِيمِ ﴾: صفة مشتقة من: حكم يحكم، أو مشتقة من الحكمة:

١ - من حكم: أي هو القرآن الحاكم؛ أي: المهيمن على غيره من الكتب السّماوية يصدقها أو يكذبها، يعلو على جميع الأحكام.

٢ - والحكيم يعني: محكم: أحكمت آياته فهو محكم: لا تناقض فيه فهو محكم (لا يتناقض بعضه مع بعض، أو آية مع آية، أو حكم مع حكم).

٣ - والحكيم يعني: ذو حكمة: لأنّه منزل من الله الحكيم: أحكم الحكماء وأحكم الحاكمين، حكيم في حروفه وكلماته ومعانيه وترتيله، ومن الحكمة الّتي تكبح جماح الأهواء؛ لكي لا تشرد أو تميل عن الحق؛ لأنّه يميز بين الحق والباطل. ارجع إلى سورة هود آية (١) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

جواب القسم.

بما أن كفار مكة كانوا يشكون في كون الرّسول ﷺ رسولاً من الرّسل، لذلك جاء الرّد من الله على ذلك بالتّوكيد فقال:

﴿إِنَّكَ﴾: إن للتوكيد، والكاف للخطاب.

﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: اللام في (لمن) لزيادة التّوكيد، إذن أكد بإن واللام؛ ليناسب مقدار إنكار كفار مكة لنبوة رسول الله ﷺ أو غيرهم.

﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: الأنبياء والرّسل المرسلون من الله تعالى إلى أممهم أو أقوامهم.

[٤] ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

﴿عَلَىٰ﴾: تفيد العلو.

﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: الصّراط: السّبيل أو الطّريق الموصل إلى الغاية، الواسع وبأقرب مسافة وأيسرها، مستقيم: أقرب الطّرق وأقصرها لا التواء فيه ولا اعوجاج، وتنكير الصراط؛ للتعظيم.

والصّراط المستقيم: هو دين الإسلام، صراط الّذين أنعم الله عليهم من الأنبياء والرّسل والصّديقين والشّهداء والصّالحين.

[٥] ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

﴿تَنزِيلَ﴾: أي القرآن تنزيل أو مُنزل من العزيز الرحيم ومن جهة العلو.

﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: القوي الّذي لا يُغلب ولا يُقهر، والممتنع الّذي لا يضرهُ أحد ولا يُنال بأذىٰ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠]. وهذا الاسم يدل علىٰ الرهبة والخشية.

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: ذو الرحمة مشتقة من الرّحمة، علىٰ وزن: فعيل، تدل علىٰ ثبوت الرّحمة كصفة لذاته، فرحمته دائمة لا تنقطع رحيم بعباده المؤمنين. واختيار العزيز الرحيم ليجمع بين الترهيب والترغيب؛ العزة والرحمة في آن واحد مما يبعث علىٰ الأمل في الأنفس.

[٦] ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾:

﴿لِتُنذِرَ﴾: اللام لام التّعليل، تنذر: من الإنذار وهو الإعلام مع التّحذير.

﴿قَوْمًا﴾: أي قريش.

﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾: ما: لها ثلاث احتمالات: إما نافية، أو اسم موصول، أو مصدرية؛ إما نافية؛ أي: لم يأتهم (قريش أو أهل مكة وما حولها) نذير أو رسول من قبلك، و(ما): قد تكون اسم موصول بمعنىٰ الّذي، وما: أوسع شمولاً من الذي؛ أي: لتنذر قوماً بالّذي أنذر به آباؤهم؛ أي: (إبراهيم وإسماعيل) أو لتنذر قوماً كما أنذر آباؤهم إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤٤) في سورة سبأ هي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾، وقوله تعالىٰ في الآية (٢٤) في سورة فاطر: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾: نجد آية سبأ تؤكد ما جاء في آية ياسين، وأما آية فاطر فهي تعني مطلق الأمم من آدم إلىٰ بعثة رسول الله ﷺ فقد أرسل الله سبحانه نذيراً إلىٰ كل أمة، والأمة تعريفها: جماعة من الناس بغض النظر عن العدد أو الحيز الجغرافي.

﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾: هم تفيد التّوكيد، غافلون: جمع غافل؛ أي: صفة الغفلة

ثابتة عندهم غفلتهم دائمة ومستمرة، والغفلة: عبارة عن عدم حضور الشّيء في البال مع بقاء الصّورة أو المعنىٰ في الخيال، غافلون عن التّوحيد والبعث وغافلون عن الشّرائع والأحكام وعاقبة ما هم عليه من الشّرك والمعاصي. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٧٤) لمزيد من البيان في معنىٰ الغفلة.

[٧] ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾:

﴿ لَقَدْ ﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: حق القول علىٰ أكثرهم.

﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ ﴾: حق: وجب وثبت، القول: العذاب.

وجب وثبت وقوع العذاب عليهم ولكنه لم يقع بعد (سيقع في المستقبل) أي: هم استحقوا وقوع العذاب عليهم بما قدموه أو كسبت أيديهم، ولو قال سبحانه: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ [النمل:٨٥]، أي: وقع العذاب، تم وقوعه وانتهىٰ، وقيل: القول قيام السّاعة، وقيل: هو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة:١٣]، والقول قد يشمل كلّ تلك المعاني معاً.

ولا بد من مقارنة هذه الآية مع الآية (٢٥) من سورة فصلت وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾: نجد أنه في آية ياسين قدم القول علىٰ أكثرهم (الجار والمجرور)، وفي آية فصلت قدم الجار والمجرور عليهم علىٰ القول، والتقديم والتأخير يحمل معنىٰ الاهتمام؛ أي: من الأهم، ففي آية ياسين الاهتمام علىٰ العذاب (القول) فقدمه، وفي آية فصلت قدم (عليهم)؛ أي: أعداء الله تعالىٰ والخاسرين.

﴿عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ ﴾: علىٰ أكثر أهل مكة وغيرهم وليس عليهم جميعاً دليلاً علىٰ أنّ منهم من سيؤمن. وإذا نظرنا في هذه الآية نجد أنه قدم القول علىٰ الجار

والمجرور أكثرهم، ولم يقل لقد حق على أكثرهم القول للأهمية أهمية القول؛ أي: العذاب أو الساعة، أو لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين، أو لأن السياق في العذاب.

﴿فَهُمْ﴾: الفاء تعليلية، هم ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: لأنّ الله سبحانه علم من الأزل أنّهم سيصرون ويستمرون على كفرهم ويموتون وهم كفار، فأخبر الله تعالى عنهم فقال: لا يؤمنون.

[٨] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾:

في الآية السّابقة قال تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: سيموتون وهم كفار. وفي هذه الآية يصف لنا الله سبحانه ما سيحدث لهم يوم القيامة وفي النّار.

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم والتّهويل.

﴿جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾: في أعناق الّذين ماتوا وهم كفار، أغلالاً: جمع غل؛ وهو سلسلة من الحديد تشد به اليد إلى العنق.

﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾: بعد شد الغلّ تحت الذّقن يرتفع الرّأس، وبالتّالي يرتفع النّظر فلا يكاد يرى طريقه أو يهتدي إلى موضع قدميه، ولا يستطيع أن يلتفت يمنة أو يسرى فيمشي على حيرة وتردد. ولم تذكر الأيدي؛ لأنّه مفهوم أن الغل يقيد اليد والعنق.

﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾: الفاء للتعليل، مقمحون؛ أي: رافعو رؤوسهم لا يستطيعون خفضها من شدة الغل، ورفع الذّقن، مأخوذة من: إبل قماح؛ أي: حين ترفع رأسها عن حوض الماء ولا تشرب.

وقيل: هذا تنكيل بهم؛ لأنّهم لم يؤمنوا بالله تعالىٰ ولم يصدقوا برسوله ﷺ، واستكبارهم ورفع رؤوسهم في الدّنيا وعدم السّماع للرسول وآيات الله تعالىٰ والحق.

[٩] ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾: أي من أمامهم سداً ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾: ولم يقل من بعدهم؛ لأن بعدهم قد تعني الزمان والمكان، وخلفهم تعني فقط المكان؛ سداً: السّد: الحاجز أو المانع، واستعمال (من) هنا تفيد القرب أو الالتصاق بالسّد من الأمام فهم يقفون مباشرة وراء السّد الّذي أمامهم فلا يوجد أيّ مسافة فاصلة، لزيادة عذابهم، وكذلك من ورائهم مباشرة سدٌّ آخر لا فاصل بينهم وبينه لا في الأمام ولا في الخلف؛ كي لا يسمح لهم بالحركة وعدم رؤية أي شيء. وإذا سألك سائل ما هو الفرق بين (ومن خلفهم، أو من بعدهم؟) الجواب: هو أن خلفهم: تستعمل في سياق المكان في الأصل، وبعدهم: تستعمل في سياق الزمان علىٰ الغالب وبعد نقيضها قبل.

وتكرار (سداً) للتوكيد.

﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ ﴾: الفاء السّببية، أغشيناهم: بالإضافة إلىٰ السّد من بين أيديهم ومن خلفهم سداً، أغشيناهم؛ أي: جعلنا علىٰ أبصارهم غشاوة؛ أي: جعلناهم كالعُمي، أو أغشيناهم بالسد الذين بين أيديهم وخلفهم لكونه عالياً أو كلاهما.

﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾: فهم الفاء السّببية، هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد، لا يبصرون شيئاً أمامهم ولا خلفهم ولا عن اليمين ولا عن الشمال، وكما قال تعالىٰ: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾ [طه:١٢٥]. والسؤال هنا: إذا كانوا لا

يبصرون فهل يسمعون كما بين ذلك في الآية (١٠٠) من سورة الأنبياء وسواء كان ذلك بسبب السد أو الختم على سمعهم المهم لا يبصرون ولا يسمعون، وفي هذا إنذار ووعيد لهم.

وهذا تنكيل بهم ومن أشد أنواع العذاب؛ لأنّهم كانوا لا يرون الحق والهدى من أمامهم، وأعرضوا، وجعلوا بينهم وبين الإيمان بالله سداً، وبما أنّهم ازدادوا كفراً زدناهم غشاوة جزاء بما كانوا يعملون.

[١٠] ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾:

﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ﴾: أي استوى عندهم، والاستواء من: السّي وهو المثل كأن بعضه سي بعض؛ أي: مثله، ونقيضه التّفاوت؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (٦) لمقارنة وسواء عليهم، سواء عليهم. وفي هذه الآية قال تعالى: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ﴾: أضاف الواو إلى سواء، بينما في سورة البقرة آية (٦) قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ بدون الواو، وذلك لأن آية ياسين آية مستقلة عن الآية التي سبقتها، وهي معطوفة على ما قبلها بالواو، وآية البقرة هي خبر (إن) لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾.

﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾: الهمزة همزة التّسوية، والإنذار هو الإعلام المصحوب بالتّحذير والتّخويف.

﴿أَمْ ﴾: المتصلة للإضراب الانتقالي، تفيد الاستفهام المصحوب بالإنكار والتّوبيخ.

﴿لَمْ ﴾: حرف نفي يفيد استمرار النّفي؛ يعني: لن يؤمنوا وسيستمرون على عدم الإيمان.

﴿تُنذِرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي إنذارك لهم أو عدمه سيان عندهم؛ لأنّهم اختاروا الكفر على الإيمان وأصروا عليه، فطبع على قلوبهم فهم لا يؤمنون.

﴿لَا﴾: النّافية تنفي كلّ الأزمنة.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: لا يصدقون بالله تعالى وبما أنزل ولا برسوله ﷺ، لا يؤمنون: تدل على التّجدد والاستمرار.

ورغم ذلك فإنذارك لهم لإقامة الحجة عليهم، وإنذارك ينتفع منه من اتبع الذّكر وخشي الرّحمن بالغيب.

[١١] ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾: الذكر: القرآن. ارجع إلى سورة (ص) آية (١) للبيان.

﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾: خشي الرّحمن: الخشية تعني: الخوف المصحوب بالتّعظيم والمحبة لمن تخشاه وكذلك العلم؛ أي: إنذارك ينتفع به من يذكر الله ويخافه ويؤمن به وبقدرته وعظمته ويتبع القرآن ويخشى الرّحمن.

﴿بِالْغَيْبِ﴾: أي ساعة يكون غائباً عن أعين النّاس؛ أي: في السّر، ومن يخشاه بالسّر حين يخلو مع نفسه يخشاه بالعلن؛ أي: (أمام أعين النّاس)، أو يخشاه بالخفاء وفي الظّهور، وأما من يخشاه في العلن قد لا يخشاه في السر.

﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾: تعني أيضاً من خشي الرّحمن ولم يشاهده؛ أي: آمن به ولم يشاهده أو يراه، وخشي الرّحمن: خشي عقابه وعذابه يوم القيامة وفي

البرزخ وفي الدّنيا، واختيار اسم الرّحمن (المشتق من الرّحمة) هنا والرّحمن على وزن: فعلان، يرحم الكافر والمؤمن، ومع ذلك لا تظن أن الرّحمن المتصف بالرحمة لا يعاقب ولا تغتر برحمته، أو تتكلوا عليها فلا بد من العمل الصّالح، وإياك أن تفعل المنكر بقصد أيِّ نية وتقول: سيغفر لي، فمن أطلعك على أنه سبحانه وتعالى سيغفر لك؟

وخشية الرّحمن يجب أن تكون مطلقة في كلّ الأحوال وعامة (أي بالحضور والغيب)، كما ورد في سورة الرعد آية (٢١): ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾؛ أي: خشية مطلقة في السر والعلن، وفي أي حال وشأن.

﴿فَبَشِّرْهُ﴾: الفاء للتوكيد، بشِّره من البشارة وهي الإخبار بما يسرّ به المخبر به ولأول مرة. ارجع إلى سورة النّحل آية (٨٩) لمزيد من البيان في البشارة.

﴿بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾: الباء للإلصاق والدّوام، المغفرة تعني: محو الذّنب وترك العقوبة والإثابة على العمل الصّالح.

﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾: نوع من أنواع الأجور فهناك أجر عظيم وأجر كبير وأجر غير ممنون وأجر حسن وأجر بغير حساب، والأجر يكون مقابل العمل الصّالح، أجر كريم من معطي الأجر وهو الله الكريم، فالأجر الكريم يتناسب مع كرم الكريم، فيا له من أجر وهو الجنة وما فيها من النّعيم، وقيل: المغفرة هي جزاء الإيمان بالله وعدم الشّرك به وعدم معصيته.

وقدّم المغفرة على الأجر؛ لأنّ المغفرة لا بدّ أن تكون أولاً ثمّ الأجر والثّواب ثانياً.

ولنقارن هذه الآية ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ والآية (٢١) من سورة الرّعد ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾.

خشية الله تعالىٰ في آية ياسين مقيدة بالغيب، أمّا الخشية في آية الرّعد مطلقة في السر والعلن.

[١٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿إِنَّا﴾: بصيغة الجمع؛ للتعظيم.

﴿نَحْنُ﴾: ضمير فصل يفيد القصر والتّوكيد والتّعظيم، يعني: لا شريك له سبحانه في شأن الموت والحياة والكتابة والإحصاء.

فهذا الضّمير (نحن) يدل علىٰ أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ ففيه معنىٰ العظمة المتكاملة؛ لأنّ كلّ فعل من أفعال الله وفضل من أفضاله يحتاج إلىٰ علم كامل وحكمة وقدرة كاملة لا يملكها إلا هو سبحانه.

﴿نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾: نحي الموتىٰ: مرتين كما قال تعالىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨].

نحي الموتىٰ: ابتداء وإعادة، ابتداءً لتحيوا الحياة الدّنيا وللابتلاء والكتابة أولاً والإعادة للحياة الأخرىٰ والحساب والجزاء.

والثّواب أخيراً، وكيف يتم هذا الإحياء (البعث)؟ ارجع إلىٰ سورة الروم آية (١٩).

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾: كتابة يقوم بها الكرام الكاتبين: الّذين يقومون

بتدوين كلّ ما ينطقه اللسان ويعمله العبد، ووصفهم الله تعالىٰ: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١١-١٢].

ونكتب بصيغة الجمع للتعظيم والأهمية، والكتابة لإقامة الحجة عليهم، وجمع الحسنات والسّيئات للحساب والجزاء.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنىٰ الّذي.

﴿قَدَّمُوا﴾: في الدّنيا من الأعمال، الّتي تشمل الأقوال والأفعال.

﴿وَءَاثَارَهُمْ﴾: جمع أثر؛ أي: ما خلّفوه وراءهم أو ما تركوه من بعد موتهم من آثار الخير مثل علم يُنتفع به أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له، أو آثار الشّر من بدعة أو فساد في الأرض أو ضلال.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: وكل شيء: كلّ بالنّصب بالفتحة ولم يقل وكلُّ شيء بالرفع بالضم؛ النصب بالفتحة: يدل علىٰ كلّ شيء مهما كان نوعه وشكله وصغره وكبره بلا استثناء أحصيناه. وشيء: نكرة يشمل كلّ شيء. أحصيناه: أي لم نتركه بدون عد وكتابة وحفظ وبالتّالي إحصاء، ولو جاءت بالرّفع بالضمة لدلّت أنّ هناك أشياء أحصاها وأشياء لم يحصها.

﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾: من الإحصاء، والإحصاء يختلف عن العد، الإحصاء هو العد والجمع والحفظ معاً، فالكتابة لا تكفي فلا بد من الإحصاء لحفظ الكتابة وجمعها في إمام مبين لمعرفة النتائج، ولماذا العد والإحصاء والكتابة ما دام ربنا يعلمها منذ الأزل، ويعلم ما عملنا وما سنعمل وما لم نعمل؛ لإقامة الحجة علىٰ الشّخص فليس الله بحاجة إلىٰ شيء من الكتابة أو الإحصاء وليقرأ كلٌّ صحيفته.

﴿فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: في ظرفية، إمام مبين: قيل: اللوح المحفوظ، والإمام

هو ما يؤتـــم به وكما قال تعالىٰ: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ [القمر:٥٢-٥٣] أي: مسطور مكتوب.

﴿مُّبِينٍ ﴾: أي مـــا كتب فيـــه بيّن واضح لـــكلّ ملك يقرأه بيـــن الأحكام والشرائع، ومبين ليس بحاجة إلىٰ من يوضحه بيّن بنفسه.

لنقارن هذه الآية (١٢) من سورة يس: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ مع الآية (٢٢) من ســـورة الحجر ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾.

الفـــرق: في آية الحجر أضـــاف اللام في كلمة لنحـــن: وزيادتها تدل علىٰ زيادة التّوكيد، وذلك لأنّ آية الحجر مطلقة يحي ويميت الإنس والجن والحيوان أو الأرض أو غيرها، وأما آية يس محدودة بإحياء الموتىٰ فقط وليســـت مطلقة، ولذلك زاد اللام لزيادة التّوكيد.

❖ ❖ ❖

وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ
إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ
ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ
إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۡۚ
بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ
يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن
لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن
يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا
يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي
يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾

سورة يس [الآيات ١٣ - ٢٧]

[١٣] ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾:

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾: ضرب المثل: أسلوب لتوضيح أمر ما أو مسألة ما حتّىٰ تتبين الحقيقة؛ أي: بين لهم واذكر لهم، والمخاطب رسول الله ﷺ؛ لهم مثلاً: لكفار مكة، اضرب: لهؤلاء الّذين كذبوك وكفروا بالله وتطيّروا بك وكذبوك أنّهم مثل أصحاب القرية، قل لهم: مثلكم مثل أصحاب القرية، وصِف لهم ما حدث لأصحاب القرية.

﴿ٱلۡقَرۡيَةِ﴾: تعني أهل القرية والدّيار معاً ورغم أنّ القرية جاءت معرّفة بأل التّعريف، لم يبين الله سبحانه اسم القرية والزّمن ومن هم المرسلون، فكل ذلك لا يهم والمهم ما حدث بين أصحاب القرية والرّسل الثّلاثة.

مع العلم أن بعض كتب التّفسير ذكرت أنّ القرية كانت أنطاكية وبعد زمن عيسىٰ عليه السلام ورفعه إلىٰ السّماء وذكرت أسماء المرسلين.

﴿إِذۡ جَآءَهَا﴾: ولم يقل أتاها المجيء فيه بعض المشقة والصّعوبة؛ لأنّ أهلها معاندون ومكذبون، إذ: ظرفية بمعنىٰ حين.

﴿جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾: ولم يقل جاءهم المرسلون، جاءها تعني جاء إلىٰ القرية، المرسلون: يظهر أنّهم ليسوا من أصحاب القرية، ويظهر أنّها قرية كبيرة؛ لإرسال ثلاثة رسل وليس هناك دليل قاطع علىٰ أنّها أنطاكية، وقيل: كانت هذه القصة قبل مجيء أو في زمن عيسىٰ ابن مريم.

جاءها المرسلون ليدعوا أهلها إلى عبادة الله وحده (إلى التّوحيد والإخلاص وترك الشّرك).

[١٤] ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾:

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾: إذ: حين أرسلنا إليهم اثنين ولم يقل إذ أرسلنا إليها؛ لأنّ الرّسالة تخص أهل القرية فقال: إليهم، وليس إليها.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب (المباشرة) كذبوهما: وهذا يدل على أنّهم أبلغوا أهل القرية ما أرسلوا به، ودعوهم إلى التّوحيد فأعرضوا وكذبوا؛ أي: لم يؤمنوا مباشرة.

﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، عززنا أسند التعزيز إلى نفسه سبحانه وتعالى فقال عززنا من عز يعز؛ أي: قوى يقوي؛ أي: التقوية في الدعوية والإبلاغ والنصرة بثالث: وأرسلنا برسول ثالث بالرّسالة نفسها ؛ أي: الدّعوة إلى توحيد الله والإيمان به.

﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾: فقالوا؛ أي: الثّلاثة بعد تكذيب الاثنين، ولم يقل إنا إليكم مرسلون؛ قدم الجار والمجرور للحصر والاهتمام؛ أي: خاصة لكم؛ لتدل على خاصة الإرسال إلى أصحاب القرية، مرسلون: جمع مرسل؛ أي: تدل على ثبوت الإرسال إليهم، مرسلون: من الرّحمن؛ لأنّهم قالوا: ما أنزل الرّحمن من شيء.

[١٥] ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾:

﴿قَالُواْ﴾: أي أصحاب القرية قالوا للمرسلين.

﴿مَآ أَنتُمْ﴾: ما النّافية.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: بشر مشتقة من البشـــارة: وهي حسن الهيئة، ولفظ البشر يعني الظّهور؛ أي: ما أنتم إلا بشر مثلنا، فما الّذي فضلكم أو جعلكم أفضل منا أو خصكم من دوننا؛ نأكل مما تأكلون ونشرب مما تشربون.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ﴾: وما: ما النّافية وتكرارها يفيد توكيد النّفي، أنزل الرّحمن من شـــيء: من استغراقية، شيء نكرة أيّ شـــيء لم ينزل كتاباً ولم ينزل وحياً؛ أي: ما أنزل الرّحمن من شيء مطلقاً لا الآن ولا سابقاً، يدعونا إلىٰ الإيمان بالله وحده، واختاروا اســـم الرحمن بدلاً من الله أو غيره من الأسماء؛ لاستبعاد تنزيل شيئاً رغم كونه الرحمن ذو الرحمة، أو الرحمة الكاملة.

﴿إِنْ﴾: نافية تعني: ما، وهي أشد نفياً من ما.

﴿أَنتُمْ إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿تَكْذِبُونَ﴾ أنكم مرسلون. تكذبون بصيغة المضارع التي تدل علىٰ التّجدد والتّكرر فهم ينكرون نبوة رسلهم وينكرون رسالاتهم.

[١٦] ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾:

﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا﴾: أي قـــال الرّســـل لأصحـــاب القريـــة: ربنا يعلـــم إنّا إليكم لمرسلون، يدل علىٰ أن الرّسل استمروا في التّبليغ ولم ييئسوا من إيمان أصحاب القرية وتكذيبهم وعنادهم، ربنا: اختاروا كلمة الرّب؛ لأنّه هو المربي، والرّســـالة من سمات الرّبوبية.

﴿يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ﴾: تقديم (إليكم) أي خاصة إليكم وحدكم.

﴿لَمُرْسَلُونَ﴾: اللام للتوكيد، لما شـــاهدوا إنكارهم وتكذيبهم لهم، قالوا:

إنّا مرسلون في بداية الأمر أو الدّعوة، وقالوا: إنّا إليكم لمرسلون، أضاف اللام للتوكيد في نهاية الدعوة ورداً على إنكار أصحاب القرية، وتكذيبهم ورفض الاستجابة لهم؛ أي: لما ازداد أصحاب القرية تكذيباً ازداد الرسل توكيداً.

[١٧] ﴿ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾:

﴿ وَمَا ﴾: الواو عاطفة، ما النّافية.

﴿عَلَيْنَآ إِلَّا ﴾: للحصر.

﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾: البلاغ: التّبليغ؛ أي إيصال الرّسالة واضحة كاملة شاملة بدون أيّ نقص وإلى كلّ أصحاب القرية بدون استثناء.

[١٨] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾:

لم تعد أمام أصحاب القرية من حيلة أو حجة لمواجهة رسلهم إلا اللجوء إلى اتهام رسلهم بالتّطيّر، والتّهديد والوعيد.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾: تشاءمنا بكم، التّطير: التشاؤم، مثل قولهم: انقطع المطر عنا بسببكم، وتغيّرت أو ساءت حالتنا بسببكم، أو ما يصيبنا من شر هو بسببكم أنتم.

﴿لَئِن ﴾: اللام للتوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض.

﴿لَّمْ تَنتَهُواْ ﴾: لم النّافية، تنتهوا: أي تكفّوا عن الدّعوة إلى وحدانية الله والإيمان وتبليغ الرّسالة.

﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾: اللام والنون (نون التوكيد الثقيلة) في (نرجمنكم) للتوكيد، وهناك من قال إنها لام القسم، والرّجم يكون بالحجارة؛ أي: نقتلكم، أو بالقول والشّتم.

﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: واللام والنّون (نون التوكيد الثقيلة) في ليمسنكم للتوكيد، وقيل: لام القسم؛ وقالوا: (لنرجمنكم وليمسنكم) ولم يقولوا لنرجمنكم أو ليمسنكم؛ أي: سيحصل لكم أو سيصبكم الأمران معاً الرّجم والمس وليس أحدهما، ولو قالوا: أو؛ أي أحدهما يكفي، وهذا يدل على مدى غيظهم وتصميمهم على الرّجم وإلحاق العذاب بهم.

وقولهم: أو ليمسنكم منا: منا نحن وليس من الآلهة والأصنام؛ لأنّ الآلهة والأصنام غير قادرة على الضّر أو النّفع، عذاب أليم: عذاب شديد الإيلام.

لنقارن هذه الآية من سورة يس: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾، مع الآية (٤٧) من سورة النّمل: ﴿قَالُواْ اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾.

في سورة النّمل (اطيرنا) فيها تضعيفان ياء مشددة والطّاء المشددة، أصل اطير: تطير على وزن :تفعّل، أبدلت التّاء طاء وحدث إدغام في الطّائين.

في سورة ياسين تطير فيها تضعيف واحد، واطّيّرنا بكم في سورة النّمل تضعيفان؛ أشد من تطيرنا بكم في سورة ياسين.

والتّضعيف يفيد المبالغة والتّنكير، ولو قارنّا الآيتين في النّمل: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾، إذن في النّمل هناك قتل نبي وأهله كلهم، لذلك هو أشد من التّهديد بالرّجم والعذاب في يس.

[١٩] ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾:

﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾: قال المرسلون لأصحاب القرية، طائركم معكم: شؤمكم معكم؛ أي: سبب شؤمكم معكم مصاحب لكم فما يحصل لكم من شر

أو فتنة فإنّه منكم ومن أعمالكم (أي: بما عملت أيديكم من الكفر والتّكذيب) ملازم لكم وأمّا نحن فليس سبب شؤمكم.

﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾: الهمزة للاستفهام والتّوبيخ؛ أي: أئن وعظناكم وأنذرناكم ودعوناكم لعباده الله وحده، زعمتم أننا سبب شؤمكم وما أصابكم من ضر، أو أئن ذكرتم تطيرتم.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿أَنتُمْ﴾: للتوكيد.

﴿قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: أي متجاوزون الحد في الكفر والشّرك، أو العدوان أو التّطير، لم يحدد نوع الإسراف؛ ليشمل كلّ الأنواع، مسرفون: جمع مسرف، مسرفون جملة اسمية تدل على الثّبوت، ثبوت صفة الإسراف عندهم.

والسؤال هنا: ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:١٣١]، وقوله تعالى: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس:١٩] ؟ آية الأعراف تدل على أن ما يحصل لهم من مصائب هو ابتلاء من عند الله، وآية يس تبين سبب ما يحصل لهم من شؤم وتطير هو منهم؛ أي هم السّبب لما قدر الله عز وجل.

[٢٠] ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿وَجَآءَ﴾ ولم يقل وأتى، المجيء فيه معنى المشقة والصّعوبة فالرّجل جاء بمشقة وصعوبة.

﴿مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾: من ابتدائية؛ أي جاء من أبعد مكان في المدينة؛ أي كان موجوداً في أقصى المدينة؛ أي خرج من بيته الّذي كان في أقصى المدينة، قيل: هي أنطاكية، وفي الآية (١٣) سماها القرية وفي هذه الآية سماها المدينة، كيف نفسر ذلك؟ لا تعارض بين الآيتين؛ فقد يكون خبر أصحاب القرية التي جاءها

المرسلون قد انتشر، ووصل إلىٰ المدينة التي كان يسكن فيها الرجل الصالح الذي جاء يسعىٰ، فالقرية المذكورة في الآية (١٣) ليست هي نفس المدينة التي ذكرت في الآية (٢٠). من أقصىٰ: قدم الجار والمجرور (من أقصىٰ) علىٰ الفاعل (رجل). قيل: أن الرجل كان يسكن في أقصا المدينة، وجاء من المدينة إلىٰ القرية التي جاءها المرسلون؛ أي: هناك اختلاف بين المدينة والقرية، أو أراد الله سبحانه أن يبين للسامع أن القرية كانت متسعة وكبيرة، وأطلق عليها المدينة.

﴿رَجُلٌ﴾: نكرة: والنكرة لتعظيم شأنه؛ أي رجل كامل الرّجولة، رجل من الرّجال لا يعرفه أهل المدينة ولا يعلمون شيئاً عن إيمانه حتّىٰ لا يقال إنّهم تواطؤوا معه، قيل: هو حبيب بن النّجار.

﴿يَسْعَىٰ﴾: يسرع في مشيه لبعد مكان إقامته واهتمامه علىٰ نصرة الحق والجهر بالدّعوة إلىٰ الله وتبليغ النّاس وإعلان إيمانه بدون خوف وليؤيد الرّسل ومخاطراً بنفسه.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾: يا قوم: يا النّداء نداء ينبئ عن إشفاقه علىٰ قومه، ودعاهم قومه.

﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: في دعوتهم إلىٰ توحيد الله وعبادته فهذه هي الغاية، ثمّ بيّن الأسباب الأخرىٰ الدّاعية إلىٰ اتباع المرسلين كما سيأتي في الآيات (٢١-٢٣).

لنقارن هذه الآية (٢٠) من سورة يس: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، مع الآية (٢٠) من سورة القصص: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾:

أولاً: آيــة يس قدّم (من أقصىٰ المدينة) علىٰ (رجل)؛ أي هو رجل جاء من أقصىٰ المدينة؛ لأنّه يســكن في أقصىٰ المدينة (خرج من بيته الّذي هو في أقصىٰ المدينة) وجاء يســعىٰ، أمّا في آية القصص قدّم (رجــل) علىٰ (أقصىٰ المدينة): هو رجل كان في أقصىٰ المدينة حينذاك ولم يكن يسكن في أقصىٰ المدينة وإنما صدفة كان موجوداً في أقصىٰ المدينة فجاء يسعىٰ.

ثانيــاً: مهمة الرّجل في آية يس أهم وأخطر بكثيــر من مهمة الرّجل في آية القصــص، في يس جاء لينصر الحق ويجهر بالدّعوة إلىٰ الله ويعلن إيمانه ويؤيد الرّســل، أمّا في القصص جاء الرّجل ليحذّر موسىٰ لكي يخرج من المدينة ولم يكن مهدداً بالخطــر، كما هو الحال في آية يس. ارجع إلىٰ ســورة القصص آية (٢٠) لمزيد من البيان والمقارنة.

[٢١] ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾:

هذا هو السّبب الثّاني لاتباع المرسلين.

﴿ ٱتَّبِعُواْ ﴾: تكرار للآية اتبعوا المرســلين، والتّكــرار للتوكيد علىٰ اتباع المرسلين.

﴿مَن﴾: للعاقــل وتشــمل الواحد والاثنين والجمع، وجــاء بمن لكونهم ثلاثة أنبياء أو رسل، وقد تعني الّذي، ولكن الّذي يدل علىٰ واحد؛ أي: اتبعوا أي واحد، أو أي رسول يدعوكم إلىٰ الله، ولا يسئلكم أجراً، أو استعمل من التي تدل علىٰ المفرد أو المثنىٰ أو الجمع.

والرّســل كانوا أكثر من واحد وقد يكون هناك غيرهم من الداعين إلىٰ الله تعالىٰ الّذين يجب اتباعهم أيضاً ولذلك استعمل (من).

﴿لَّا﴾: النّافية.

﴿يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾: أي هو مخلص لله لا مصلحة له أو لا منفعة كهؤلاء الرّسل الثّلاثة. أجراً: على إبلاغكم الدّعوة إلى الله وهدايتكم إلى الطريق المستقيم.

﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد، وهم: تعني الرّسل الثّلاثة، مهتدون: هذا هو السّبب الثّالث لاتباع المرسلين أو الأمر الآخر الدّاعي إلى اتباعهم، مهتدون؛ لأنّهم رسل من الله تعالى، هم مهتدون في أنفسهم وهادون لغيرهم ولذلك اختارهم الله من بين النّاس، مهتدون صفة الهداية ثابتة عندهم.

[٢٢] ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿وَمَا لِيَ﴾: الواو عاطفة، ما استفهامية تحمل معنى الالتزام.

﴿لَآ﴾: النّافية.

﴿أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ أعبد: من العبادة، ارجع إلى سورة النّحل آية (٧٣) للبيان. الّذي فطرني: وهو الله بصيغة المفرد ويدل على وحدانيته، فطرني من الفطر: ويعني الخلق والإيجاد، ارجع لمزيد من البيان عن فطرني إلى سورة الأنعام الآية (١٤).

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: قدّم (إليه) للحصر؛ أي: إليه وحده حصراً، تُرجعون: بضم التاء، رغماً وقسراً يوم القيامة للحساب والجزاء، وترجعون فيها تحذير وتهديد، ولم يقل وإليه ترجعون بفتح التاء الّتي تدل على الرجوع برغبة وإرادة.

ولم يقل وإليه نرجع؛ لأنّه استثنى نفسه فهو يريد الرجوع إلى ربه برغبة وهم لا يريدون إلا بالقسر والإكراه.

[٢٣] ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾:

﴿ ءَأَتَّخِذُ ﴾: الهمزة للاستفهام والتّعجب والإنكار والتّقرير، ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾؛ أي: أتخذ معبوداً غيره فهو ينكر كيف يتخذون من دون الله آلهة وهو الّذي خلقهم وخلقها، وهي في الحقيقة ليست آلهة ولا تستحق الذكر، وتفيد التّقرير يريد من السّامع أن يقرّر حتّىٰ تقام عليه الحجة.

﴿مِن دُونِهِۦٓ ﴾: من ابتدائية: من غيره ولا معه ولا واسطة (أو وسيط) لأنّ شفاعتهم لا تغني شيئاً ولا تضر ولا تنفع.

﴿ءَالِهَةً ﴾: مثل الأصنام والأوثان، والملائكة وغيرهم.

﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض، يردن: فعل مضارع، وجاء بعد إن الشّرطية فهذا يدل علىٰ التّجدد والتّكرار؛ أي: يردن مرة بعد المرة؛ أي: باستمرار، ولم يقل إن أرادني: فعل ماض يعني مرة واحدة، ومجيئه بعد إن الشّرطية يفيد الاستقبال وعدم التّكرار، وحذف ياء المتكلم من يردن ولم يقل يردني؛ للدلالة علىٰ أنّ الإرادة ولو كانت بضر خفيف أو قليل لا تغني شفاعتهم شيئاً (أي لا عن الكثير ولا عن القليل الضئيل) وتعني: إن يردن (أنا أو غيري) تشمل الكل وهو يعني: مستمر.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ ﴾: بضُر: بضم الضاد؛ البـاء: للإلصاق، وتدخل علىٰ مدار الاهتمام، وهناك فرق بين الضُّر والضَّر، فالضُّر: ما يصيب الفرد من سوء الحال والمرض والفقر، والضَّر: بفتح الضاد هو ضد النفع؛ لماذا اختار اسم الرّحمن مع احتمال إرادة الضّر؟ لأنّ الرّحمن مشتق من الرّحمة، والضّر عكس الرّحمة فكيف نجمع بينهما: التّفسير الأوّل: نقول قد يظن الإنسان حسب موازينه أنّ ما

يحصل له الآن من ضر بعد أسابيع أو أشهر يجد أنّ ما حدث له وظنه ضراً إذا به نفعٌ، والأمر قد يكون في الظّاهر ضراً وفي الباطن رحمة، فلا يعلم الغيب إلا الله، وكلّ ما يجري الرّحمن من الأقدار هي من منطلق الرّحمة.

التّفسير الثّاني: جاء باسم الرّحمن؛ للتذكير باللجوء إلىٰ الرّحمن عند الإصابة بالضّر ليكشفه، ولم يقل إن يردن الرّحمن بضر أو رحمة، حذف ذكر الرّحمة؛ لأنّ الرّحمة مصدرها معروف من الرّحمن، والرّحمن هو رحمة بذاته ومن صفاته الثّابتة الرّحمة.

﴿لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾: لا النّافية، لا تغن عني شفاعتهم: علىٰ افتراض أنّ الآلهة قادرة علىٰ الشّفاعة فشفاعتها لن تجدي ولن تقبل، وهي أصلاً لا تسمع ولا تبصر ولا تغني شيئاً، فلا تسمع من يدعوها، شيئاً: نكرة أيّ شيء مهما كان، والشّيء هو أقل القليل، شيئاً: توكيد ويدل علىٰ المقدار؛ لا تغن: حذف الياء، ولم يقل: لا تغني؛ لأنها لا تغني ولو الشيء القليل؛ أي: لا تغن شيئاً مهما كانت.

﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾: لا النّافية، ينقذون: لا يستطيعون إنقاذي، ولا ينقذون، وقدم الشفاعة علىٰ الإنقاذ؛ لأن الإنقاذ يلجأ إليه بعد عدم نفع الشفاعة؛ مما أرادني به الرّحمن من ضر. ولا ينقذون حذف الياء تعني: حتّىٰ من أدنىٰ الإنقاذ أو من الأمر القليل (ولم يقل ينقذوني) أو تعني ينقذون أنا أو غيري تشمل الكل ولو قال ينقذوني تعني: لا ينقذوني أنا وحدي وينقذون غيري وهو نفي مستمر.

[٢٤] ﴿إِنِّيٓ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿إِنِّيٓ﴾: للتوكيد

﴿إِذًا﴾: حرف جواب؛ أي: إنّي إذا اتخذت من دونه آلهة وعبدتها وطلبت شفاعتها.

﴿لَّفِى﴾: اللام للتوكيد، في: ظرفية؛ أي: ضلال يحيط بي من كلّ جانب ولا أستطيع الخروج منه.

﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: ضلال واضح بيّن لكلّ من يطّلع عليه؛ أي كلّ فرد، وضلال بيّن لا يحتاج إلىٰ برهان أو دليل.

[٢٥] ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾:

﴿إِنِّىٓ﴾: للتوكيد.

﴿ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ﴾: آمنت بالّذي خلقكم. قيل: إنّه خاطب الرّسل بهذا ليشهدوا له ويشجعهم علىٰ الاستمرار في الدّعوة لمّا همَّ قومُهُ علىٰ قتله، أو خطاب إلىٰ قومه، أو قال: بربكم لإقامة الحجة عليهم، قال: ربكم لأنّ ربه وربهم واحد ولم يقل بربي وربكم؛ لكي لا يظنوا أنّ هناك أرباباً متعددة.

﴿فَٱسْمَعُونِ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، اسمعون: النّون للتوكيد، (اسمعون) في بلاغي ودعوتي لكم بالإيمان والتّوحيد وتصديق الرّسل أو صدقوني أو (اسمعون) فيما أقوله لكم حذف ياء المتكلم؛ أي: ولو شيئاً قليلاً، ولم يقل فاسمعوني: التي تدل علىٰ السمع الكثير والطاعة أو تعني فاسمعون أنتم وغيركم؛ أي: الكل ولو قال فاستمعوني تعني: أنتم وحدكم بل أراد أن يشمل هم وغيرهم.

[٢٦] ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ﴾:

﴿قِيلَ﴾: مبني للمجهول قد تكون الملائكة الّتي قالت ذلك، أو يحكي الله

تعالىٰ عن الرجل الـــذي جاء من أقصىٰ المدينة (حبيب النجـــار) ما قاله بعد أن استشهد في سبيل الله وفاضت روحه.

﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾: بعد أن استشهد، ولم يذكر الله سبحانه ما حدث له وكيف قُتل فلما دخلها:

﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾: ليـــت للتمني وتســـتعمل للتمني المســـتحيل الحدوث أو الأمور الصّعبـــة، يعلمون: بمغفرة ربي لي وبالنّعيم الّذي أنا فيه؛ أي بمكرمته لي.

[٢٧] ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾:

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق، ما اسم موصول بمعنىٰ الّذي أو حرف مصدري؛ أي: بغفران الله لي أو بالّذي غفر لي به ربي، فيؤمنون كما آمنت وسبقت المغفرة دخول الجنة؛ أي: التّطهير من الذّنوب أوّلاً ثمّ دخول الجنة، والغفران يعني محو الذّنب وترك العقوبة، والإثابة علىٰ الحسنات؛ أي: الأعمال الصّالحة.

﴿مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾: من: ابتدائيـــة. المكرمين: جمع مكرم مـــن كرم، وتفيد الدوام علىٰ التكريم والمبالغة فيه؛ أي: زمرة المقربين لله؛ أي: الشهداء.

❖ ❖ ❖

۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ
﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ
﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا
فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ
وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ
وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ
وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ
ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ
ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

سورة يس [الآيات ٢٨ - ٤٠]

[٢٨] ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾:

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: الواو استئنافية، ما: النّافية أقوىٰ نفياً من لم. من: ابتدائية، بعده: من بعد قتله، أي لم ننزل علىٰ قومه (قوم حبيب النّجار) من بعد قتله جنداً من السّماء للقضاء عليهم وإهلاكهم، ونسب الإنزال إلىٰ ذاته للتعظيم؛ لأنّ الأمر هيّن لا يحتاج إلىٰ إنزال ملائكة، من بعده: من تفيد القرب، أي من بعد قتله مباشرة لم ننزل جنداً ولكن أهلكناهم مباشرة بالصّيحة.

﴿مِن جُندٍ﴾: من استغراقية أي لم ننزل واحداً ولا اثنين ولا أكثر، جند: اسم جنس، جند: جمع جندي، وتجمع علىٰ جنود أيضاً، وجند: تشمل واحداً أو اثنين أو أكثر، أمّا جنود: لا تشمل واحداً أو اثنين إنما هي لأكثر من اثنين، إذاً لنفي إنزال جندي واحد أو اثنين أو ثلاثة أو أكثر أتىٰ بكلمة جند، وجند تعني: من جنس واحد وهدفهم واحد، أمّا جنود قد تكون أهدافهم شتىٰ، أو من أجناس مختلفة؛ مثل: الصيحة، أو الريح، أو النار، أو الرجز، أو الصواعق، أو غيرها من الآيات.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: من: ابتدائية، وما أنزلنا علىٰ قومه من جند من السّماء (ملائكة) كما أنزلنا يوم بدر؛ السماء: تعني: السموات السبع، وكل ما يعلو الإنسان يسمىٰ سماء.

﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾: في الماضي وعلىٰ الأمم السّابقة ولا يعني في المستقبل؛ لأنّه أنزل في معركة بدر.

[٢٩] ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾:

﴿إِن﴾: نافية، أقوىٰ في النّفي من ما؛ أي: ما كانت.

﴿كَانَتْ إِلَّا﴾: حصراً.

﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: صيحة واحدة للتأكيد؛ حلت أو نزلت بأهل القرية التي جاءها المرسلون، أو قوم الرجل الصالح (حبيب النجار)، أهلكوا بالصّيحة. كما أهلك أصحاب الحجر وغيرهم، ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٧٨) لبيان معنىٰ الصيحة، وهذه الصيحة لا علاقة لها بنفخة الفزع والصعق؛ النفخة الأولىٰ أو النفخة الثانية تعني البعث والقيام.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، إذا فجائية تشير إلىٰ السرعة سرعة خمودهم.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿خَامِدُونَ﴾: شبههم بالنّار المشتعلة المتأججة تحمساً لعدم الإيمان برسلهم وتكذيبهم، الّتي أخمدها الله بسرعة؛ أي: انطفأت، فكلمة (خامدون): تعني: زهقت أرواحهم وانقطعت أصواتهم وحركتهم.

[٣٠] ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾:

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾: يا النّداء للبعد، أسلوب نداء يراد به التعجب. والمنادي: هو الله سبحانه أو الملائكة، أو كلّ مؤمن يتحسر علىٰ الّذين كذبوا بالرّسل.

﴿يَا حَسْرَةً﴾: يا النّداء الحسرة أشد الندم مع الشعور بالحزن علىٰ نفع قد فات؛ أي يا حسرة احضري هذا زمانك أو أقبلي.

﴿عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾: العبـاد جمع: عابد، وهم الّذين اختاروا الإيمان على الكفر أمّا عبيد تشـمل الكافر والمؤمن؛ أي: يتحسـر المؤمن علـى من لم يؤمن؛ لأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾: ما: النافية؛ يأتيهم: من أتى، والإتيان معناه: المجيء بسهولة؛ من استغراقية، تستغرق كلّ رسول؛ أي كلّ رسول استهزأ به قومُه.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: قدّم (به) تكريماً للرسـول، ومن يسـتهزأ برسـول فقد استهزأ بكل الرّسل، يسـتهزؤون من الاستهزاء بصيغة المضارع؛ لتدل على استمرار الاستهزاء وتجدده ولم ينقطع حتّى يومنا الحاضر. وتعريف الاستهزاء: هو تصغير قدر الآخر أو الشّـيء، والتّحقير أو الاسـتخفاف بـه أو العيب بدون سبب، بينما السخرية تتميز بوجود سبب، ولا يقتضي وجود سبب للاستهزاء كما هو الحال في السـخرية التي يسـبقها فعل من المسحور منه، والاستهزاء عام قد يكون مثلاً بالله أو آياته أو رسله أو بشيء ما.

[٣١] ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاسـتفهام والتّوبيخ، قال: ألم ولم يقل أولم، (ألم) تدل على شـيء غير مرئي وتنكره وقد تعني القلة، و(أولم) تدل على تدل على شيء مرئي وتنكره وقد تعني كثرة الّذين أهلكنا.

﴿يَرَوْا۟﴾: رؤية بصرية، يروا: مساكن وآثار هؤلاء المكذبين لرسلهم، يروا بيوتهم الخاوية على عروشها، ورؤية قلبية فكرية (رؤية علمية) ألم يعلموا (الرّؤية العلمية) ألم يأتهم أنباء الّذين أهلكناهم؟

﴿كَمْ﴾: الخبرية تفيد الكثرة.

﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ﴾: أهلكنا، نسب الهلاك إليه سبحانه؛ ليدل على شدة الهلاك وعظمته ويعني الموت والفناء، وتقديم الظّرف يدل على التّهديد والوعيد الشّديد. ارجع إلى سورة الأعراف الآية (٤) لمزيد من البيان في معنى الهلاك.

لنقارن هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

مع الآية (١٣) من سورة يونس: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾.

في آية يس قدّم الظّرف قبلهم فقال: قبلهم من القرون.

في سورة يونس أخّر الظّرف فقال: القرون من قبلكم.

في آية يس وكل آية أخرى في القرآن يقدّم فيها الظّرف قبلهم أو قبلكم على القرون فيها تهديد أكبر ووعيد أشد وتحذير.

وفي آية يونس وسورة الإسراء فقط أخّر الظّرف؛ لأنّهما ليس فيهما تهديد ووعيد مثال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:١٧].

﴿قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ﴾: ولم يقل من قبلهم من القرون، مجيء من يدل على القرب.

قبلهم من القرون: تعني القرون الماضية غير القريبة الّتي جاءت قبلهم؛ أي ينظروا في مصير تلك القرون.

من ابتدائية، القرون: جمع قرن والقرن يقدر بـ (١٠٠ سنة) أو يعني جماعة أو قوماً عاشوا معاً في زمن واحد معين يقدر بقرن (١٠٠ سنة).

﴿أَنَّهُمْ﴾: تفيد التّوكيد.

﴿إِلَيْهِمْ﴾: تقديمها يفيد الحصر؛ أي إليهم حصراً.

﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾: لا النّافية، يرجعون: يرجعون إلىٰ كفار مكة، فيكونون هادين لهم أو ناصحين واعظين حتّىٰ يؤمنوا بالله فينجوا من العذاب فهذا لن يحدث.

لا يَرجعون: ولم يقل لا يُرجَعون؛ أي يَرجعون بإرادتهم وليس قسراً وبإكراه، ولو أردنا هذا لفعلناه وعندها يستعمل يُرجعون.

لا يَرجعون: الفاعل يعود علىٰ القرون المهلكة، قيل: لا يرجعون إلىٰ الدّنيا ليعظوا هؤلاء: كفار مكة أو غيرهم من الأقوام، وبذلك يتجنبون العذاب.

[٣٢] ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾

﴿وَإِن﴾: الواو استئنافية، إن: (المخففة) تفيد التّوكيد.

﴿كُلٌّ﴾: تفيد العموم وتدل علىٰ كلّ فرد؛ أي: تعم الأفراد أو الأشياء علىٰ انفراد أمّا جميع تدل علىٰ كلّ الأفراد أو الأشياء في حالة اجتماع كلّ من القرون الهالكة والقرون الحية والقرون القادمة، كلّ إليه محضرون يوم القيامة كقوله تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣].

﴿لَّمَّا﴾: للاستثناء، تعني: إلا.

﴿جَمِيعٌ﴾: أي مجموعون في مكان واحد ومجتمعون؛ أي: في أرض المحشر للحساب والجزاء، المسلم وغير المسلم الصّالح والطّالح المؤمن والكافر وتفيد التّوكيد والكثرة.

﴿لَّدَيْنَا﴾: تفيد الحصر، لدينا حصراً، وتفيد القرب مقارنة بقوله: عندنا.

﴿مُحْضَرُونَ﴾: ولم يقل حاضرون، محضرون بغير إرادتهم (جمع مُحضر) محضرون قسراً وقهراً، أحضر أي: أجبر على الحضور، بينما حاضرون؛ أي بإرادتهم واختيارهم محضرون؛ أي مجموعون ومحشرون. وكلمة محضرون: لا تأتي إلا في سياق العذاب في كل القرآن. ولدينا محضرون: تفيد التهديد والوعيد.

[٣٣] ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾:

ثمّ يذكر الله سبحانه أدلة على قدرته على البعث وإحياء الموتى ويبدأ بآية الأرض الميتة.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾: آية كونية؛ لهم: اللام: لام الاختصاص والملكية لهم خاصة، وليس لغيرهم؛ لهم: تعني لكل الناس، وليست لقوم دون قوم مقارنة بقوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف:٧٣]؛ أي: هذه آية خاصة لكم لا لغيركم. الأرض الميتة: بسكون الياء التي تدل على أن الأرض قد ماتت فعلاً، بينما تشديد الياء: يدل أنها لا زالت على قيد الحياة وستموت إذا لم يصلها الماء؛ أي: الأرض القاحلة الجرداء لا نبات فيها ولا زرع. وبدأ بالأرض؛ لأنها أقرب إليهم ويعيشون فيها.

﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾: بماء المطر، الّذي يتكون من تبخر ماء البحار والمحيطات الّذي يصعد في السّماء فيرسل الله الرّياح الّتي تحمل هذا البخار على شكل سحب وهذه السّحب لا تنزل أيّ مطر حتّى يرسل الله سبحانه ريحاً تحمل هباءات الغبار لتلقح ذرات بخار الماء فيتكثف ويشكل السّحب الرّكامية الّتي تنزل المطر. ودورة الماء على الأرض تقدر بـ(٦٠٠ ألف كم٣) من الماء سنوياً

تأتي من تبخر مياه البحار والمحيطات وهناك (١٠٠ ألف كم٣) تأتي من تبخر مياه اليابسة ثم تنزل هذه بزيادة (٦٥ ألف كم٣) فيصبح ما ينزل على اليابسة (١٦٥ ألف كم٣) وهذه الزيادة تؤخذ من مياه البحار والمحيطات وما يزيد أو يطفو على الأرض يعود إلى البحار والمحيطات.

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾: بدأ بالحب؛ لأنّه أصل القوت، وأهم أنواع الحب: القمح والشّعير والرّز والذّرة، والحب: هو من أهم مقومات القوت على الأرض يصنع منه الخبز.

﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾: قدّم الجار والمجرور ليدل على الاهتمام؛ لأنّه الغذاء الرّئيسي وكأن الأغذية بدون الحب، ليست غذاء، يأكلون: بصيغة المضارع لتدل على التّجدد والتّكرار والاستمرار على وجه الدّوام، وقدّم الحب على الفاكهة في الآية (٣٤) لأنّ الحب هو الأهم، أهم من الفاكهة (النّخيل والأعناب).

[٣٤] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾:

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ﴾: في الأرض، جنات: بساتين كثيفة الشّجر.

﴿مِّن نَّخِيلٍ﴾: من لبيان الجنس، من نخيل: أي شجر التّمر وهو من أهم الفواكه، وقدّم شجرة النّخيل الّتي هي مصدر التّمر على شجرة العنب.

﴿وَأَعْنَابٍ﴾: جمع عنب، وذكر النّخيل والأعناب إشارة إلى تفضيل هذه الثّمار على غيرها أو تفضيل بعضها على بعض في الفائدة الصحية.

﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾: فجرنا: تفيد الكثرة، فيها: في الأرض، ظرفية، من العيون: من ابتدائية بعضية، العيون: عيون الماء هي المياه الجوفية في باطن الأرض، وأمّا أعين تعني: الّتي نبصر بها، فبعض ماء المطر يخزن في الأرض بشكل عيون وذلك بفضل الصخور المسامية والعالية النفوذية كالصخور الرّملية

الّتي تخزن هذه المياه خاصة في الأراضي الخالية من الأنهار والبحيرات، والّتي تحتاج إلىٰ ماء فيخرجه ربنا علىٰ شكل عيون الماء.

[٣٥] ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾:

﴿لِيَأْكُلُوا﴾: اللام لام التّعليل، الأكل هنا من الفاكهة، وأكل الفاكهة ليس دائماً متواصلاً كأكل الحب المتواصل الدّائم الّذي قال عنه: فمنه يأكلون؛ لأننا نحتاج إلىٰ الحب بشكل دائم، أمّا أكل الفاكهة الّتي تؤكل أحياناً قال: ليأكلوا.

﴿مِن ثَمَرِهِ﴾: أي ثمر النّخيل والأعناب.

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾: ما: نافية أو اسم موصول، أي: ما عملته أيديهم ولكن القدرة الإلهية هي الّتي أخرجته لهم، أو لم تعمله أيديهم بل أيدينا، أو ليأكلوا من ثمره والّذي عملته أيديهم؛ أي: هم الّذين قاموا برعايته والعناية به، فالله سبحانه يعطي الإنسان حقه ودوره مهما كان يسيراً، والاحتمالات كلّها واردة وكلها صحيحة.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري علىٰ عدم شكرهم، وتوبيخ وتعجب علىٰ ترك الشّكر، وألا: أداة حث وحض وتحمل معنىٰ الأمر علىٰ شكر المنعم.

وإذا قارنّا أفلا يشكرون مع ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة:٧٠]:

في الواقعة فلولا تشكرون فيها حث وحض علىٰ الشّكر أشد وأقوىٰ من أفلا يشكرون التي فيها تحذير وتهديد أقوىٰ وأشد من أفلا تشكرون. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد من البيان في معنىٰ الشكر.

[٣٦] ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾:

﴿ سُبْحَانَ ﴾: تنزيه لذات الله وصفاته وأفعاله من كلّ نقص وعيب وشريك وولد. ارجع إلى سورة الإسراء الآية (١) وسورة الحديد آية (١) للبيان.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾: الأزواج: الأصناف: والزّوج يعني الشّيء الواحد ومعه مثله، فالله سبحانه خلق كلّ المخلوقات من نبات وحيوان وإنس وجن والجمادات واللبنات الأولية للمواد في زوجية كاملة مثل الذرّة المكونة من الكترون السالب وبروتون (الموجب)، وينطوي تحت هذه المادة وأضداد المادة والطاقة وأضداد المادة، فكل شيء خلقه الله سبحانه خلقه في زوجية كاملة حتّى يبقى سبحانه متفرداً بالوحدانية المطلقة.

﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾: من بعض (بعضية)؛ ما: اسم موصول أوسع شمولاً من الذي؛ أصناف (أزواج) الحب والجنات والزّروع.

﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: ومن: الواو عاطفة؛ من: للعاقل الزّوج الذّكر والأنثى.

﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾: مما: من لبيان الجنس، لا: النّافية، يعلمون: من أزواج الذّكورة والأنوثة، والسالب والموجب والمادة وأضداد المادة والطاقة التي قد يعلمها علماء النبات فقط، وهناك أزواج ستبقى مخفية لا يعلمها إلا الله قد يصبح بعضها معلوماً في المستقبل.

[٣٧] ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾:

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ﴾: الواو: استئنافية، وآية أخرى كونية تدل على عظمة الله وقدرته وتدل على الزوجية وهي الليل نسلخ منه النّهار، الليل آية والنّهار آية.

﴿ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾: نحن نعلم أنّ هنـاك طبقة غازية محيطة بالأرض تبلغ (١٠٠-٢٠٠كم) تسمىٰ الطبقة المضيئة حينما تقع عليها أشعة الشّمس (في نصف الأرض المقابل للشـمس) تضيء وتعطينا ضـوء النّهار، والكون كلّه في ظلام والنّصف الآخر من الأرض الغير مقابل للشمس يكون في ليل.

فالطبقة الغازية هي النّهار شـبهها بجلد الذبيحة وأما جسم الذبيحة يتمثل بالظلام أو الأرض، فعندما تدور الأرض وتبدأ الشّـمس تتحول شـيئاً فشيئاً إلىٰ القسـم الآخر من الأرض؛ أي: تغيب عن جزء من الأرض؛ أي: تنسلخ عن ذلك الجزء، وتشـرق علىٰ جزء آخر، فالليل هو الأصل؛ أي: الظّلام وشـبهه بالشاة، والنّهار هو الطّبقة المضيئة الغازية المحيطة بالأرض تشـبه الجلد، فالله سبحانه وحده القادر علىٰ سـلخ النّهار من الليل (أي محـو النّهار أو إزالة الطّبقة الغازية المضيئة عن الليل فإذا هم مظلمون).

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، إذا للفجأة.

﴿مُّظۡلِمُونَ﴾: أي دخلوا في الظّلام، فهذه الآية تدل علىٰ نعمة الله من أكبر نعم عليهم؛ لكي يسكنوا فيه؛ أي: في الليل ثمّ يأتي ضوء النّهار في الصّباح فيستر ظلمة الليل، وهذا يدل علىٰ كروية الأرض أيضاً.

[٣٨] ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾:

﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾: تجري: (مشـتقة مـن جري الحصان) تجـري كجري الأمواج صعـوداً وهبوطاً؛ أي: بشـكل متعـرج وتذبذب يميناً وشمالاً، تجري لمستقر لها: فسره العلماء قديماً: تحت عرش الرّحمن، والتّفسير العلمي تجري بزاوية تميل (١٠) درجات جنوب غرب نجم النّسـر، والشّـمس والمجموعة الشّمسـية تجري باتجاه نقطة محددة تسمىٰ مستقر الشّمس (صولر

ايبكس) وتجري أيضاً حول مركز المجرة وتستغرق دورتها (٢٥٠) مليون سنة وتجري باتجاه مستقرها الّذي هو (صولر ايبكس). كلمة تجري: تدل على سرعة الجري، تجري بسرعة تقدر (٢١٧) كم في الثّانية.

وتجري لأجلٍ مسمىً، الأجل: هو يوم القيامة؛ أي: ستبقى تجري وتجري حتى يأتي يوم القيامة، اللام لام النّهاية عندها تكون قد استنفدت وقودها وتخمد وتنطفئ ويذهب نورها كما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير:١].

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾: ذلك ما سبق من حركة وجريان يحتاج إلى علم وحساب وتقدير دقيق لا يستطيع القيام به إلا العزيز العليم، العزيز: الّذي لا يُغلب ولا يُقهر الّذي سنّ القوانين وكلها خاضعة لعظمته، العليم: بكونه وخلقه وجريان الشّمس والقمر والنّجوم والكواكب والمجرّات، والعليم بكلّ حركة وجري في كونه إلى أين ومتى.

[٣٩] ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾:

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾: قدّرنا: من التّقدير والحساب الدقيق، قدّرنا مسيره (٢٨) منزلاً ينزل القمر كلّ ليلة في واحد منها لا يتخطّاه ولا يتقاصر عنه ويغيب أو يستتر إذا زاد الشّهر عن (٢٨) ليلة (أي ليلتين) ومنازل القمر: مواقع تحركه في مداره حول الأرض ومواقعه بين الشّمس والأرض، وتبعاً لتغير هذه المواقع تتغير صورته، فالقمر حجمه ثابت والّذي يتغير هو ظل الشّمس عليه؛ أي: مساحة النّور على سطح القمر، فيَكبر ويَصغر بأشكال مختلفة تسمى منازل القمر وهي الهلال المتزايد وقرناه إلى الأعلى، والتّربيع الأوّل، والأحدب المتزايد، والبدر، والأحدب المتناقص، والربيع الثاني، والهلال المتناقص قرناه إلى الأسفل، والمحاق، ومنازل القمر قد تعني وقوع القمر في الأبراج الّتي هي تجمعات

نجمية محددة نستطيع أن نحدد منها الشهر، والأقرب إلى الصحة هي مساحة النور على سطح القمر؛ لقوله تعالى: (حتّى عاد كالعرجون القديم).

فإذا كبر وبلغ (١٥) ليلة يصبح بدراً ثمّ يعود ظل الشّمس ينحني ويدق وينحني ويدق حتّى يصبح شكله شكل العرجون القديم يشبه الهلال.

والعرجون: هو غصن النّخلة بعد زوال الأوراق ومع الأيّام يجف وإذا جف اعوجّ، والعرجون مائل فإذا جفّ ونشف زاد اعوجاجاً ودقة، ففي الأيّام الأخيرة يدق القمر وينحني حتّى يأخذ شكل العرجون القديم.

[٤٠] ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾:

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾: لا النّافية، لا ينبغي: لا يمكن أو يصلح لها، أن تدرك: أن مصدرية تعليلية، تدرك القمر؛ لأنّ الشّمس لها مدار فلك يختلف عن مدار القمر، فهما لا يجريان في المدار نفسه (الفلك) حتّى تدرك الشّمس القمر أو القمر يدرك الشّمس ولكلّ كوكب أو نجم فلكه أو مداره الخاص به. وهذه المدارات ليست في مستوى أفقي فهي حلزونية؛ أي: تجري في هيئة حلزونية حتّى تبقى المسافات والعلاقات بينها ثابتة تجري إلى أجل لا يعلمه إلا الله سبحانه.

﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾: لأنّ الليل والنّهار تابع لدوران الأرض حول نفسها وحول الشّمس، فلا الشّمس تدرك القمر ولا القمر يدرك الشّمس، ولا الليل سابق النّهار، الأصل في الكون الظلام فالليل سابق النّهار وقوله تعالى: (ولا الليل سابق النّهار) يدل على كروية الأرض وكونها تجري حول نفسها وحول

الشّمس فخاطب الله تعالىٰ العرب في زمن نزول القرآن بلغتهم ولم يقل الأرض تجري؛ لأنّهم لا يشعرون بجريها وهذا ما أثبته العلم في السنين الأخيرة.

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: الواو تدل علىٰ وجود أشياء أخرىٰ لها فَلَك مثل الكواكب الأخرىٰ والمجرات الأخرىٰ ولو أراد فقط الشّمس والقمر لقال كلٌّ في فلك يسبحان وحذف الواو (واو الجمع) واختار كلمة السّباحة الّتي تضم كلّ الأجرام السماوية كلّ جرم يسبح في فلك خاص به؛ أي: مدار خاص به والسّباحة يقوم بها الإنسان العاقل.

وكأنّه شبه الفلك كأن لها عقلاً؛ لكونها لا يتغير مدارها ولا تصطدم ببعضها.

﴿فِي فَلَكٍ﴾: في ظرفية، فلك: المدار وجمعه أفلاك. يسبحون: تفيد العموم فالأرض والشّمس والقمر والنّجوم والكواكب والمجرات والغبار والغازات وكل ذرة جميعها تتحرك حركة اهتزازية مركبة، أشبه ما يكون بجسم يطفو علىٰ سطح الماء، وهذه الأمواج تتحرك في فلكها حركة اهتزازية تعرجية كأنّها تسبح علىٰ موجة صعوداً وهبوطاً ولذلك لا يستعمل القرآن كلمة تدور وإنّما كلمة (يسبحون) ولذلك يشعر رواد الفضاء حين يخرجون عن نطاق الجاذبية الأرضية كأنّهم يسبحون في الفضاء أو يطفون علىٰ سطح الماء، وهذا الإحساس حقيقي وليس وهمياً؛ لأنّهم ليسوا في فراغ كما قد يظن البعض بل في وسط مادي بكثافة منخفضة.

❖❖❖

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ
﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ
وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

سورة يس [الآيات ٤١ - ٥٤]

[٤١] ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾:

﴿وَءَايَةٌ﴾: الواو: استئنافية، وآية أخرىٰ لهم.

﴿لَّهُمْ﴾: الـلام: لام الاختصاص؛ أي: لهم خاصة لأهل مكة ولكل النّاس دالة علىٰ قدرة الله وعظمته ورحمته وتدعو إلىٰ الإيمان به.

﴿أَنَّا﴾: للتعظيم.

﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: ذرية نوح: أولاده سـام وحام ويافث. يعتبر نوح وأولاده والّذين نجوا معه هم الأصل الثاني للبشرية، وآدم وحواء هما أصل البشرية الأوّل. والذّريـة: الابن وابن الابن وتعني ليس فقط أنتم وإنما كذلك أبناءكم والّذين في أصلابكم، ويقصد بذلك الشـفرة الوراثية الّتـي انتقلت من نوح وذريته إلىٰ أهل مكة والّذين سيأتون من بعدهم إلىٰ يوم القيامة.

ذريتهـم: تعود علىٰ أولاد نوح، الذرية: النسـل؛ أي: الأبنـاء ذرية للآباء والآباء ذرية للأبناء وهذا من الأضداد، وفي هذه الآية جعل الآباء ذرية للأبناء.

﴿فِي ٱلْفُلْكِ﴾: في ظرفية، الفلك: تطلق علىٰ المفرد والجمع؛ تعني: السّفينة والفلك كلمة عامة (مطلقة) أمّا السّفينة خاصة أي: لها أصحاب مثال: (أمّا السّفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر).

﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: المملوءة بالركّاب والأمتعة.

[٤٢] ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾:

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم﴾: للناس، من: ابتدائية.

﴿مِّثْلِهِۦ﴾: مثل سفينة نوح، مثل الفلك وتعني: القطارات والسّيارات والطّائرات والمراكب والزّوارق والسّفن وغيرها من وسائل المواصلات.

﴿مَا﴾: للإطلاق.

﴿يَرْكَبُونَ﴾: فعل مضارع تفيد التّجدد والتّكرار والاستمرار.

[٤٣] ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾:

﴿وَإِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال والافتراض.

﴿نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾: الكلام عن كفار مكة وغيرهم من الناس.

﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾: الفاء جواب شرط، لا: النّافية، صريخ لهم: فلا يستطيعون الصّراخ أصلاً حتّى يصرخوا؛ لأنّ الغريق يحاول أن يصرخ (والصّريخ الصّوت المرتفع العالي) ولا أحد ينقذهم ولا يغيثهم بأي وسيلة.

﴿وَلَا هُمْ﴾: تكرار (لا) يفيد التّوكيد، هم: تفيد زيادة التّوكيد.

﴿يُنقَذُونَ﴾: من غرقهم؛ أي: ينجون من الموت.

وقد يقول قائل: أهل مكة بعيدون عن البحر ولا يعرفون البحر فالمعنى: الله سبحانه يستطيع أن يغرقهم وهم في مكة، كأن ينزل عليهم ماء منهمر يسبب الطوفان فيصيبهم كما أصاب قوم نوح.

[٤٤] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾: أي لرحمة منا فلا نغرقهم، وقوله: (رحمة منا)؛ أي: رحمة

عامة تشمل الكل، ولو قال: رحمة من لدنا، أو رحمة من عندنا؛ لكانت رحمة خاصة تعني المقربين والمؤمنين.

﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾: أي: نتركهم أحياء إلىٰ أن يحل أجلهم، والمتاع والتّمتع هو كلّ ما يُنتفع به ويُتمتع به من أثاث وأداة ومال وطعام حتّىٰ ينقضي أجلهم.

﴿إِلَىٰ﴾: تفيد عموم الغايات.

﴿حِينٍ﴾: الحين هو الزمن غير المعلوم قد يطول أو يقصر.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث، لا بد من وقوع الأمر الّذي جاء في سياقها.

﴿قِيلَ لَهُمُ﴾: للكفار وغيرهم، القائل مبني للمجهول، ولا يهم، المهم هي المقولة؛ أي: ننظر إلىٰ المقولة، وقيل لهم تدل علىٰ أن هذه المقولة قيلت لهم مراراً وتكراراً؛ أي طلب منهم.

﴿ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: اتقوا: التقوىٰ: هي طاعة أوامر الله، وتجنب نواهيه للوقاية من عذاب الله (عذاب النار)؛ ما: بمعنىٰ الّذي، أو مصدرية، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: أي اتقوا الدّنيا؛ أي: عذابها ونوازلها وآفاتها، والوقاية تكون بامتثال أوامر الله تعالىٰ ورسوله ﷺ.

﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: وهي الآخرة؛ أي: عذابها؛ أي: اجعلوا بينكم وبينها وقاية أو حاجزاً.

وما بين أيديكم: قد تعني أمامكم؛ أي: الآخرة وما خلفكم الدّنيا، علىٰ الحالتين اتقاء ما تقدم وما تأخر.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لعل: تفيد التّعليل؛ أي: لعلكم ترحمون الآن أو في المستقبل أو الماضي؛ أي لعلكم ترحمون مطلقاً في أيّ زمان.

لعلكم ترحمون: إذا اتخذتم الأسباب مع رجاء الرّحمة معاً واتخاذ الأسباب لا يكفي فلا بد من دعوة الله ورجائه.

وترحمون بصيغة المضارع تفيد التّجدد والتّكرار، وحذف جواب إذا للتفخيم والتّعظيم، ليشمل كلّ الاحتمالات.

ولمعرفة الفرق بين (لعلكم ترحمون) و(عسىٰ ربكم أن يرحمكم) ارجع إلىٰ الآية (٨) من سورة الإسراء للبيان.

[٤٦] ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما: نافية تفيد نفي الحال؛ أي الآن مقارنة باستعمال (لا) تنفي كلّ الأزمنة وخاصة المستقبل.

﴿تَأْتِيهِم﴾: أي كفار مكة أو غيرهم من الكفار، تأتيهم: فعل مضارع يدل علىٰ التّجدد والتّكرار والاستمرار والدّوام علىٰ الإعراض عن آيات الله وهي عادة مستمرة عندهم وفي كلّ زمان.

﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾: من استغراقية، آية: قرآنية أو كونية أو معجزات دالة علىٰ صدق النّبوة أو غيرها من الآيات.

﴿مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: إضافة (ربهم) إلىٰ الآيات تدل علىٰ أهمية وخطورة هذه الآيات وشدة عاقبة الإعراض عنها وأهمية الأخذ بها مقارنة بقوله: من الآيات بدون ذكر كلمة: ربهم، لكان الأمر أقل خطورة.

﴿إِلَّا﴾: حصراً.

﴿كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: جمع معرض: اسم فاعل يفيد الثّبوت علىٰ إعراضهم

الدّائم فهم كانوا قبل إتيان الآيات وبعد الإتيان على الحال نفسها من الإعراض عنها، ولو قال أعرضوا؛ أي فعل ماض، لدلّ على أنّه شيء حدث وانتهى؛ أي شيء عارض وزال.

﴿عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: تقديم (عنها) للقصر؛ أي الإعراض خاص بآيات الله ومقصور عليها، أمّا غيرها من الأمور فكانوا غير معرضين عنها.

[٤٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٤٥).

﴿أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: أي أمروا أو حضّوا على الإنفاق في سبيل الله من مال أو طعام أو غيره، مما: من وما، من ابتدائية بعضية، وما تعني الّذي اسم موصول، وأوسع شمولاً من الذي.

﴿رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: أي أنفقوا شيئاً وليس كلّ ما رزقكم الله؛ أي جزءاً بسيطاً مما رزقكم الله أو مما جعلكم مستخلفين فيه.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ﴾: الهمزة للاستفهام والإنكار والتّعجب.

﴿مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾: أي كيف نطعم هؤلاء الّذين امتنع الله عن رزقهم؟ فلو شاء الله هو أطعمهم ورزقهم، فلو فعلنا ما تأمروننا لكنّا مخالفين لأمر الله ومشيئته، وقالوا: أطعمه، ولم يقولوا لأطعمه، لم يأتوا بلام التّوكيد؛ لأنّ الطّعام ميسور ومتوفر لديهم فلا يحتاج إلى توكيد، كما هو الحال مثلاً في أمر الهداية الذي يحتاج إلى توكيد فقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل:٩].

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: إن نافية أقوى نفياً من ما؛ أي: ما أنتم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصراً.

﴿فِي﴾: ظرفية ولم يقل على ضلال؛ لأنّ (في) تعني: ساقطين في الضّلال أو في ضلال يحيط بهم من كلّ جانب أو مستمرّين في ظلمات الضّلال وما هم بخارجين منها.

﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾: في ضلال: في بُعد عن الحق وفساد وعصيان، مبين: ظاهر جليّ غير خفيّ على أحد، ولا يحتاج إلى دليل أنّه ضلال واضح بيّن.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾:

﴿وَيَقُولُونَ﴾: تعود على كفار مكة أو غيرهم من الكفار، (يقولون) تدل على الاستمرار وعدم الانقطاع والتّجدد والتّكرار في سؤالهم: متى هذا الوعد؟

﴿مَتَىٰ﴾: استفهام إنكاري واستبعاد؛ أي: هم ينكرون البعث والحساب والجزاء والجنة والنّار.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقريب.

﴿ٱلۡوَعۡدُ﴾: يوم القيامة أو العذاب والحساب والجزاء، والوعد عادة يدل على البشارة بالخير، بينما الوعيد يدل على الإنذار والتّخويف، فبدلاً من القول: متى هذا الوعيد؟ قالوا: متى هذا الوعد؛ لأنّهم لا يصدّقون به سواء كان عذاباً أو يوم القيامة.

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: إن شرطية تفيد الشّك والافتراض والاحتمال وأنّكم من الصّادقين؛ أي: إن كنتم من الصّادقين ائتوا بيوم القيامة أو بالعذاب؟

[٤٩] ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ﴾:

﴿مَا﴾: النّافية.

﴿يَنظُرُونَ﴾: من النّظر وهو: وقوع الشّيء من غير ترقّب له؛ أي: فجأة من

غير توقع حدوثه وبسرعة بعكس ما ينتظرون: أن يكون هناك زمن للاستعداد له أو الهروب أو النجاة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾: الصّيحة: نفخة إسرافيل الأولى في الصور، نفخة الصعق والموت تأخذهم بغتة وبشدة.

﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾: هم ضمير فصل يفيد التّوكيد؛ أي: تفاجئهم الصّيحة وهم يتخاصمون في معاملاتهم، أو يجادل بعضهم بعضاً في أمور الدّنيا وفي أموالهم وشرابهم وطعامهم وبيعهم وشرائهم، يخصّمون: أصلها يختصمون، على وزن يفتعلون، بكسر الخاء، ففي هذه الآية إنذار للغافلين عن الموت والبعث والحساب.

[٥٠] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، لا النّافية.

﴿يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾: لا يستطيعون أن يوصي بعضهم إلى بعض بما له من أملاك وما عليه من ديون أو يوصي بالوصية أو الميراث، أو حتّى يكلمهم أو يخبرهم بأيّ وسيلة.

﴿وَلَآ﴾: الواو استئنافية، لا النّافية، وتكرار (لا) يفيد التّوكيد، توكيد النّفي.

﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي ولا يستطيعون الرّجوع إلى منازلهم وإلى أهلهم فلا يستطيعون التّوصية ولا يستطيعون الرّجوع ولا كلاهما؛ أي: لا يرجعون من أماكن عملهم أو مصانعهم أو مزارعهم أو دوائر أعمالهم، من سياراتهم ومن الشّوارع والأسواق إذا كان يمشون فيها.

وبعد نفخة الفزع ونفخة الصعق لا يبق على ظهرها من دابة، ويحدث

الانهيار الكوني، وقيام الساعة، وتموت الخلائق، وتتبدل الأرض والسماء، وهكذا حتىٰ تحدث النفخة الثانية نفخة البعث والقيام.

[٥١] ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾:

فقد روىٰ أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما بين النّفختين أربعون) قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أَبَيْتُ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيتُ (ثمّ يُنزل الله من السّماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل) قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلىٰ، إلا عظماً واحداً وهو عَجْب الذّنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة. متفق عليه، واللفظ لمسلم، ومعنىٰ قول أبي هريرة: (أبَيْت) امتنعت عن الجواب لأنّي لا أدري ما هو الصّواب، (وعجب الذّنب) هو العظم الّذي في أسفل العمود الفقري، وهو رأس العُصعص، ويقال له: (عجم) بالميم، وهو أول ما يخلق من الآدمي، وهو الّذي يبقىٰ من الإنسان ليعاد تركيب الخلق منه يوم البعث كما بينت الأحاديث النبوية الصحيحة.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: النّفخة الثّانية نفخة البعث أو القيام، والنّفخة الأولىٰ كانت نفخة الفزع والصعق، والنّفخة علامة للحدث؛ وهو الإحياء والبعث والقيام للحساب والجزاء.

﴿فَإِذَا هُم﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، إذا: ظرفية تفيد الفجأة، هم الثّقلين الإنس والجن.

﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: من ابتدائية، الأجداث: جمع جدث وهو القبر ساعة خروج الميت منه وما يحدث فيه من حركة سريعة تحدث أصوات وضجة بعد أن كان ساكناً هامداً منقطع الحركة.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد القصر فقط إلىٰ ربهم.

﴿يَنسِلُونَ﴾: يسرعون إلى أرض المحشر، من النّسل، وهو مقاربة الخطوات مع الإسراع، يقال: نسل في مشيته؛ أي: أسرع، أو الثوب ينسل؛ أي: تخرج بعض الخيوط من أماكنها أو تنفلت.

[٥٢] ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾:

﴿قَالُوا۟﴾: وهم يخرجون من الأجداث؛ أي الكفار قالوا لأنفسهم يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا، وهم يساقون إلى أرض المحشر.

﴿يَٰوَيْلَنَا﴾: ويدعون على أنفسهم يا هلاكنا؛ أي: أقبل أو يا حسرتنا أو يا مصيبتنا.

﴿مَنۢ﴾: استفهامية تحمل معنى الدّهشة والتّعجب.

﴿بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾: البعث: هو الإيقاظ بإزعاج والإثارة والحث على الخروج بسرعة، من مرقدنا: ولم يقولوا من قبورنا؛ لأنّهم كانوا يظنون أنّهم كانوا نائمين وما زالوا في دار الدّنيا، وقيل: لأنّ الله رفع عنهم العذاب ما بين النّفختين، من: ابتدائية، مرقدنا: مكان نومنا والمصدر هو: الرّقاد، والبعث يكون من الأرض الجديدة.

﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب ويشير إلى البعث والحشر وأهوال يوم القيامة.

ما وعد الرّحمن: ما اسم موصول بمعنى: الّذي وعد الرّحمن، أو مصدرية أي: هذا وعد الرّحمن.

هذا ما وعد الرّحمن: أي هذا يوم البعث هذا هو الجواب على سؤالهم: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين.

واختار اسم الرّحمن: المشتق من الرّحمة الّتي بحاجة إليها المؤمن وغير المؤمن والحديث عن دار الآخرة والاستعداد لها رحمةً من الله.

وصدق المرسلون: حين أخبرونا، عن البعث والحشر والحساب ويوم القيامة.

[٥٣] ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾:

﴿إِن﴾: نافية أقوىٰ في النّفي من ما، أو إن المخففة تفيد التّوكيد.

﴿كَانَتْ إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: واحدة للتأكيد وهي نفخة البعث (النّفخة الثّانية) النّفخ في الصور وهي علامة علىٰ البعث.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، إذا الفجائية.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿جَمِيعٌ﴾: تعني الكلّ مجموعون في مكان واحد ومجتمعون تحت سقف السماء الجديدة، وجميع: تدل علىٰ الكثرة مقارنة بكلمة الجم الّتي تدل علىٰ القلة، جميع: توكيد ولم يقل كلٌّ؛ لأنّ الكلّ تعني مجموعون فقط بينما جميع تعني مجموعون ومجتمعين.

﴿لَّدَيْنَا﴾: تدل علىٰ القرب وتدل علىٰ الحصر والقصر.

﴿مُحْضَرُونَ﴾: جمع مُحضر؛ أي أُجبر علىٰ الحضور أو أُكره، حاضرون في مكان واحد ومجتمعون في أرض المحشر، للمثول بين يدي الله سبحانه وتعالىٰ، ويؤيد ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:٩٣-٩٥].

[٥٤] ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾:

﴿ فَٱلْيَوْمَ ﴾: الفاء للتوكيد، اليوم: بأل التّعريف؛ أي يوم القيامة.

﴿لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾: لا النّافية، تظلم نفس: ينقص من أجرها شيئاً ولو كان مثقال ذرة أو حسنة، ولا تظلم بزيادة سيئة إلىٰ سيئاتها، والظّلم هو نقصان حق الغير، نفسٌ: نكرة تعني: أيّ نفس مؤمنة أو غير مؤمنة، شيئاً: نكرة تعني: شيئاً من الظّلم أو شيئاً من الأشياء مهما كان نوعه وصغره مادياً أو غير مادي، والشّيء هو أقل القليل.

﴿وَلَا تُجْزَوْنَ ﴾: الواو عاطفة، لا النّافية، تجزون: النّون للتوكيد، تجزون: من الجزاء، والجزاء بمقدار العمل؛ أي: بمقدار ما كنت تعمل تجزىٰ والجزاء من جنس العمل إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر، هذا بالنّسبة للكافر أمّا المؤمن يجزىٰ أضعافاً مضاعفة ويجزىٰ بأحسن ما كانوا يعملون.

﴿إِلَّا ﴾: أداة حصر.

﴿مَا كُنتُمْ ﴾: ما بمعنىٰ الّذي كنتم: في الدّنيا.

﴿تَعْمَلُونَ ﴾: العمل يشمل القول والفعل؛ أي: ما كنتم تقولون وتفعلون.

❖❖❖

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ
فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم
مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ
أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا
تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ
أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ
عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟
ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ
﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

ربع الحزب ٤٥

سورة يس [الآيات ٥٥ - ٧٠]

[٥٥] ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾:

بعد ذكر الآيات الدّالة على البعث، يبين الله ما أعده لأصحاب الجنة وما أعده للمجرمين فقال تعالى:

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾: إنّ للتوكيد، أصحاب الجنة: سكانها وأهلها بما قدموا من العمل الصّالح والإيمان، وأصحاب من الصّحبة: تعني عدم المفارقة، فالجنة صاحبة لهم وهم أصحاب لها لا يفارقونها وهي لا تفارقهم في صحبة دائمة لا تنقطع.

﴿ٱلْيَوْمَ﴾: أي يوم القيامة.

﴿فِى شُغُلٍ﴾: في ظرفية، شغل: مشغولون؛ أي: ليس عندهم وقت فراغ، فهم مشغولون بالنّعيم الدّائم، لا يحدث لهم ملل من الفراغ بل هم في شغل متعة ولذة لا تعب ولا نصب وإعياء.

﴿فَٰكِهُونَ﴾: من الفكاهة: وهي طيب العيش والنّشاط وقد تعني: فرِحون مسرورون ناعمون. فاكهون غير فكِهون: من الفَكِه والفاكهة، فاكهون: أوسع وأعم ومطلقة في كلّ الأوقات وغير مقيدة كما هو الحال في فكهين. ارجع إلى سورة الطّور الآية (١٨) لمزيد من البيان.

[٥٦] ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾:

﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾: هم للتوكيد، وأزواجهم: نساؤهم (من أهل الدّنيا) وحين يذكر الأزواج في القرآن لا يذكر معها الحور العين.

﴿فِي ظِلَالٍ﴾: جمع ظل، في ظلال لا شمس في الجنة ولا حر ولا برد، بل ظلال، والظل من أحدىٰ نعم الله تعالىٰ علىٰ الناس، وفي سورة آية (٥٧) قال ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ والمكان الظليل؛ أي: ذو ظل وظل ظليل؛ أي: دائم الظل، والظل المكان الذي لا تصله أشعة الشمس بسبب حاجز أو مانع، وبالتحديد يكون في الغداة أول النهار، والفيء يكون عادة في العشي (الأصال)؛ فالظل يتحرك أو ينتقل من جهة الغرب إلىٰ جهة الشرق ويتمدد وينقبض. ارجع إلىٰ سورة الفرقان آية (٤٥-٤٦)، والظل له أنواع كما ورد في آيات القرآن منها الغمام البقرة آية (٢١٠) ﴿ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [النساء:٥٧] ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة:٣٠]، ﴿ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات:٣٠] وغيرها...، والظل: قد يطلق علىٰ الظل النافع أو العذاب (الضار) حسب سياق الآيات. ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: جمع أريكة: وهو السّرير؛ أي: أسرَّة للجلوس عليها؛ أي: المقاعد المريحة بكل أنواعها وأشكالها.

﴿مُتَّكِئُونَ﴾: اتكأ: اضطجع والاتكاء يدل علىٰ تمام الرّاحة والدوام والثبات.

[٥٧] ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾:

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، لهم وحدهم فقط.

﴿فِيهَا﴾: في الجنة ظرفية.

﴿فَاكِهَةٌ﴾: اسم جنس تشمل كلّ أنواع الفاكهة، فهي أعم وأشمل من فواكه وتشمل الواحدة أو الاثنتين أو الجمع بينما فواكه تقال للأنواع.

﴿وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾: تكرار لهم يدل على التّوكيد، يَدَّعون: مشتقة من: الدّعاء؛ أي: كلّ ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم؛ أي: ما يتمنون، يرغبون، يطلبون، يشتهون.

وإذا قارنّا ما يدّعون في هذه الآية ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت:٣١].

في سورة فصلت: أطلق ما تدّعون على كلّ ما تشتهيه أنفسهم سواء طلبوه أم لم يطلبوه فأحياناً يشتهى ولا يطلب.

في سورة يس: حدد بالطلب؛ وذلك لأنّ صنف أهل الجنة في سورة فصلت أعلى درجة ومنزلة من صنف أهل الجنة في سورة يس.

[٥٨] ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾:

﴿سَلَٰمٌ﴾: مطلق غير محدد، سلام: نكرة وتنكيره للتعظيم ولم يقل السّلام: سلام يشتمل على ثلاثة أنواع: سلام تحية وسلام أمن واطمئنان وسلام من كلّ الآفات والأضرار والمكروهات.

﴿قَوْلًا مِّن رَّبٍّ﴾: من ابتدائية، رب رحيم: سلام من رب رحيم: أي الله سبحانه يسلم عليهم بواسطة الملائكة الّذين ينقلون سلامه، وسلام من الملائكة عندما يدخلون عليهم، وسلام بعضهم لبعض، سلام خالص لا شوب فيه.

ولو قال السّلام، لحدّد السّلام بنوع واحد وهو سلام التّحية، وقولاً: توكيد، ويعني: سلام يقال لهم قولاً، وهو مُرسَلٌ أو آتٍ من رب رحيم. وتنوين (رب) يفيد التّعظيم.

[٥٩] ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾:

بعد الحديث عن أصحاب الجنة ينتقل إلى الحديث عن المجرمين.

﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ﴾: يوم القيامة انفردوا تميّزوا عن المؤمنين.

﴿أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: نداء إلىٰ المجرمين الكافرين والمشركين والظّالمين، والهاء في أيّها للتنبيه، يقال للمجرمين: ابتعدوا عن المؤمنين. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنىٰ المجرمون.

[٦٠] ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام.

﴿أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾: أي أوصيكم أو آمركم، والعهد: قد يكون تكليف أو وصية أو أمر، وعهد إليه إذا وصّاه.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾: يا النّداء للبعد، بني آدم: ولم يقل يا أيّها النّاس.

ينادي علىٰ النّاس ببني آدم في سياق مقام التّكريم، أو حين يريد أن يذكرهم بعداوة الشّيطان لآدم، ولبني آدم.

﴿أَن﴾: مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿لَا﴾: النّاهية.

﴿تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: كلّ خروج عن الشّرع أو المنهج الرّباني هو طاعة للشيطان؛ أي: عبادة له، وعبادة الشّيطان تعني طاعته واتباع خطواته ووسوسته ونزغاته وتزيينه، وعبادته تعني الخضوع له والاستسلام بالأقوال والأفعال.

﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ﴾: إنّه للتوكيد، لكم: اللام لام الاختصاص؛ أي: لكم خاصة أو خاص بكم؛ أي وظيفته عداوتكم.

﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهرة العداوة؛ لأنّ العداوة قسمان: قسم ظاهر وقسم خفي (باطن) لا تنسوه بالإضافة إلىٰ القسم الظّاهر.

فعدو مبين؛ أي: عداوته ظاهرة وجلية لكلّ فرد وعداوته غير خفية لا تحتاج إلىٰ برهان أو دليل.

[٦١] ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾:

﴿وَأَنِ﴾: مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿ٱعْبُدُونِى﴾: من العبادة وهي: طاعة العابد للمعبود في أيّ أمر وفيما نهىٰ عنه: افعل أو لا تفعل، والعبادة لها منهج ولها جزاء ولا تكون إلا للخالق وحده. ارجع إلىٰ سورة النّحل آية (٧٣) لمزيد من البيان في معنىٰ العبادة.

وأن اعبدوني: لم يحذف ياء المتكلم في هذه كما هي الحال في آية الأنبياء (٢٥ أو ٩٢)؛ أي أطيعوني ووحّدوني؛ لأن السياق في آية ياسين في مقام التوحيد وعدم الشرك وتجنب الشيطان والإخلاص لله تعالىٰ فقد أكبر علىٰ عبادة الله وحده مقارنة بعبادة الأصنام والأوثان التي لا تفيد ولا تضر.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب؛ ويعني الصّراط المستقيم.

﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾: الصّراط: هو أوسع السّبل المستقيم الموصل للغاية بأقصر مسافة وزمن والخالي من العوائق أو المصاعب، والصّراط المستقيم يقصد به الدّين الحق دين الإسلام؛ أي: عبادة الله وحده.

وقدّم النّهي عن عبادة الشّيطان علىٰ الأمر بعبادة الله وحده؛ لأنّ عبادة الشّيطان تفسد عبادة الله ولا تنفع معها؛ أي: عبادة أو طاعة لله تعالىٰ لذلك بدأ بالنّهي عن عبادة الشّيطان.

[٦٢] ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾:

﴿ وَلَقَدْ ﴾: الواو: عاطفة، لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق؛ أي: قد أضل منكم جِبِلّاً كثيراً.

﴿أَضَلَّ مِنكُمْ﴾: ولقد أخرج الكثير منكم عن الصّراط المستقيم وأضلهم؛ أي: أغواهم وأبعدهم من الحق وزيّن لهم الباطل والشّرك ومعصية الله، أضل منكم الكثير بالوسوسة والتّزيين والإغراء والنّزغ.

﴿مِنكُمْ﴾: خاصة.

﴿ جِبِلًّا ﴾: خلقاً، وجبلاً مشتقة من كلمة الجبَل: الّذي يتميز بشدته وصلابته وعلوّه منهم كانوا كالجبال قوة وشدة.

﴿كَثِيرًا﴾: خلقاً أو أقواماً كثيرين كانوا أشداء وأقوياء، وكانوا أقوىٰ منكم فأصبحوا جُنداً للشيطان وأتباعه.

واختار كلمة جبلاً؛ لأنّها تعني الكثرة والشّدة والغلظة.

﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾: أفلم استفهام للتوبيخ والإنكار، والفاء: للتوكيد أي: لمَ لا تفكرون بعاقبة أمركم من اتباع الشّيطان؟

أو: لو عقلتم لتوصلتم إلىٰ الحق وتُبتم وأنبتم إلىٰ ربكم ولما اتبعتم الشّيطان. أو: كيف ضللتم واتبعتم الشّيطان بعد أن حذرناكم منه وقلنا لكم: إنّه لكم عدو مبين. ولمعرفة الفرق بين أفلم، أولم، ألم: ارجع إلىٰ سورة السجدة آية (٢٦)، وارجع إلىٰ الآية (٣١) من نفس السورة.

[٦٣] ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾:

تقــول لهم خزنة جهنم: هذه النّار الّتي كنتم توعدون، أو ينادي منادٍ أو الله سبحانه بعد أن يقفوا أمامها وعلىٰ شفيرها.

﴿ هَٰذِهِۦ ﴾: الهاء للتنبيه، ذه: اسم إشارة للتأنيث والقرب.

﴿جَهَنَّمُ ﴾: اســم من أســماء النّار أو دركة من دركاتها. ارجع إلىٰ ســورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان في معنىٰ جهنم.

﴿ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾: كنتم توعدون بها في الدّنيا علىٰ ألسنة الرّسل، ونحن قد حذرناكم منها ومن شرها في آيات القرآن الحكيم.

﴿تُوعَدُونَ﴾: مــن الوعد، والوعد يأتي في ســياق الخير عادة واســتعمل هنا للاســتهزاء بهم والتّوبيخ، توعدون: فعل مضارع يدل علىٰ التّجدد والتّكرار والاستمرار.

[٦٤] ﴿ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾:

﴿ ٱصْلَوْهَا ﴾: اصطلوا بها أو احترقوا بها أو ادخلوها وقاســوا حرّها، جواباً للوعد الّذي سألتم عنه مراراً وتكراراً: متىٰ هذا الوعد؟

﴿ٱلْيَوْمَ ﴾: ادخلوها في هذا اليوم (يوم القيامة).

﴿بِمَا ﴾: الباء للإلصاق باء البدلية أو السّببية.

﴿كُنتُمْ ﴾: في الدّنيا

﴿تَكْفُرُونَ ﴾: ولم يقل: بما كفرتم؛ تكفرون: بصيغة المضارع لتدل علىٰ تجدد كفرهم، وكأنه مستمر دائم، وأنهم ماتوا وهم كفار؛ أي: تجحدون بالله ولا

تؤمنون به، وتجحدون بنعمه: تكفرون من الكفر والكفر نقيض الإيمان، والكفر نقيض الشّكر، والكفر: لغةً هو السـتر. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٦) لمزيد من البيان في معنىٰ الكفر.

[٦٥] ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾:

﴿ٱلْيَوْمَ﴾: يوم القيامة.

﴿نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: نختـم: بصيغة الجمع: للتعظيـم؛ أي: يختم الله سبحانه علىٰ أفواههم في يوم القيامة، كما ختم علىٰ قلوبهم في الدّنيا فلا يدخلها إيمان، ولا يخرج منها كفر؛ أي: يمنعهم من الكلام حتّىٰ لا يعتذروا ولا يَستعتبوا، فالمقام مقام حساب فلا جدوىٰ من الاستغفار والاعتذار فقد انتهىٰ زمن التكليف وزمن الكلام وحان زمن الختم علىٰ الأفواه، فلم يعد للسـان دور، وتقيّد الألسن لتنطق الجوارح.

﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾: تكلمنا أيديهم تطوعاً لا أمراً ولا إكراهاً.

﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾: تتطـوع الجوارح بالشّـهادة مثل الأرجل والسّـمع والأبصار والجلود والأيدي ومع أنّها هي الجوارح نفسـها الّتي فعلت المعاصي والذّنوب في الدّنيا فهي لا تشـهد علىٰ ذاتها؛ أي الأيدي لا تشـهد علىٰ الأيدي نفسها أو الأرجل علىٰ الأرجل إنما تشـهد علىٰ النّفس الّتي أخضعت الجوارح وأمرتها أن تسير حسب هواها وشهواتها، فالجوارح والأعضاء في الآخرة تتحرر من تبعيتهـا للنفس وتصبح تابعة لله سـبحانه وحينذاك الأيدي تتكلم وتشـهد الأرجل، ولكن لماذا نسـب الكلام إلىٰ الأيدي والشّـهادة للأرجل؟ لأنّ معظم

الأعمال تقوم بهـا الأيدي وما دامت أنّ الأيدي أصبحـت المدّعية في محكمة الحق سبحانه فالأيدي تحتاج إلىٰ شاهد فتتطوع الأرجل فتشهد؛ فقد روىٰ مسلم والنسـائي عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قـال: «يقول العبد يوم القيامة: لا أجيز علي إلا شاهداً من نفسي فيقول: كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيباً، وبالكرام الكاتبين شـهوداً، فيختم علىٰ فيه، ويقال لأركانه انطقي، فتنطق بعمله، ثم يُخلىٰ بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لكنَّ وسـحقاً، فعنكـن كنت أناضل». واختار في هذه الآية الأيدي والأرجل، وفي سـورة النور آيـة (٢٤) قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أضاف الألسـنة، وفي سورة فصلت آية (٢٠) قـال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أضاف السمع والأبصار والجلود، وإذا جمعنا الشهود نجدهم أصبحوا (٦) شهداء، وإذا أضفنا إلىٰ هؤلاء الستة الملائكة الكتبة عن اليمين وعن الشمال والأرض التي يمشي عليها والسماء التي يمشي تحتها يصبح عدد الشهداء (١٠) شهداء، والرسول ﷺ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:٤٣] سبحان الله ألا يكفي ذلك؟!

أمّا كيف تنطق الأيدي؟! فلو نظرت إلىٰ اللسـان والأيدي الكل يتركب من عضلات ودم وأعصاب فمن أنطق اللسـان يمكن أن ينطق الأيدي، والأمر ليس صعباً علىٰ الله تعالىٰ.

﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: الباء للإلصاق، وما بمعنـىٰ الّذي أو مصدرية: بما كسـبتم، والكسـب: هو الفعل العائد علىٰ فاعله بنفع أو ضر، و الكسب يحتاج إلىٰ تدريب وتكرار، والكسب تقوم به الجوارح والجوارح تسمىٰ كواسب وحين يعمل الإنسان المعصية أو السّيئة ويفرح بها ويتحدث بها يعتبرها كسباً، ولم يقل

بما كانوا يعملون؛ لأنّ الكسب يحتاج إلىٰ العلم بما يكسب أو يعمل، والعمل: لا يحتاج إلىٰ العلم بما يعمل.

[٦٦] ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾:

﴿وَلَوْ نَشَآءُ﴾: الواو حرف عطف، لو شرطية.

﴿لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾: اللام للتوكيد، طمسنا علىٰ أعينهم: الطّمس إزالة العين كاملة والجفن والشّق والمكان، فلا يكون هناك أي أثر يدل علىٰ أنه كانت هناك عينٌ، ولنعلم أنّ الطّمس هو المحو والإزالة وهو علىٰ نوعين:

١ - الطّمس علىٰ الأعين كما ورد في هذه الآية؛ يعني إزالة الأصل والأثر والعين كاملاً، فلا حاجب ولا جفن ولا أي أثر للعين.

٢ - والنّوع الثّاني: هو طمس العين كما ورد في سورة القمر آية (٣٧) ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ بدون كلمة علىٰ، فهذا الطّمس يعني العمىٰ المؤقت (رغم وجود العين وما حولها) كما حدث لقوم لوط عليه السلام: ولو نشاء لطمسنا علىٰ أعينهم في الدّنيا فأصبحوا بدون أعين. فالطّمس في سورة يس أشد وأعظم تهديداً ووعيداً مما في سورة القمر.

﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾: الفاء جواب الشّرط، استبقوا الصراط؛ أي: بادروا إلىٰ الإسراع؛ ليسيروا ويتسابقوا للوصول وللسير في شوارعهم وطرقهم المألوفة لهم والسّهلة الواسعة لما استطاعوا، ناهيك عن الطرق الضّيقة والفرعية.

ولكن لم نفعل ذلك، رحمة بهم لعلهم يتوبون ويرجعون.

﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾: الفاء للتوكيد، أنىٰ تعني: كيف ومن أين؟ وللتعجب والاستفهام المؤكد، أنىٰ يبصرون: أمامهم أو العودة إلىٰ منازلهم، فيقفون في

أماكنهم لا إلىٰ الأمام ولا الخلف، وهذا تهديد لكفار مكة وتهديد لكلّ كافر بالطمس علىٰ أعينهم حتّىٰ يخاف الله سبحانه. ولها معانٍ أخرىٰ منها: ولو نشاء لأعميناهم وأضللناهم عن الهدىٰ؛ أي: عمىٰ البصيرة؛ فأنىٰ يبصرون الحق ولكننا لم نفعل رحمة منا لعلهم يرجعون.

[٦٧] ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾:

وهناك أشد من الطّمس علىٰ الأعين وهو المسخ.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ﴾: الواو عاطفة، لو: شرطية.

﴿لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾: اللام للتوكيد، مسخناهم: من المسخ والمسخ تعريفاً: هو تحويل صورة إلىٰ صورة أبشع أو أقبح منها إهانة وإذلالاً.

﴿مَكَانَتِهِمْ﴾: في أماكنهم، والمكانة قد تعني علىٰ حالتهم؛ أي: يجمدهم فلا يستطيعون أيّ حراك، أو تحويلهم إلىٰ حجارة أو غيرها من الحيوانات الكريهة المنظر.

﴿فَمَا﴾: الفاء جواب الشّرط، ما: النّافية.

﴿ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا﴾: المضيّ هو الابتعاد عن مكان الإقامة أو الذهاب إلىٰ مكان آخر، والمضيّ هنا مطلق لم يحدّد؛ أي: أرادوا المضيّ إلىٰ أيّ شيء فلا يستطيعون الذّهاب إليه سواء أرادوا أم لم يريدوا، ففي كلا الحالتين لا يستطيعون؛ لكونهم تجمّدوا في مكانهم ولا يستطيعون الحركة.

﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾: لا لتوكيد النّفي، لا يرجعون: لم يحدّد نوع الرجوع إلىٰ أين لا إلىٰ أهلهم ولا إلىٰ غير أهلهم ولا إلىٰ ما كانوا عليه سابقاً، كما ورد في

الآية (٥٠) السّابقة وحينما يقول: (ولا إلىٰ أهلهم يرجعون) أسهل وأهون عليهم من القول ولا يرجعون (لأنّه لم يحدد الرّجوع إلىٰ أيّ شيء) وهذا تهديد أشد من التّهديد الأوّل لكفار مكة وغيرهم من الكفار.

[٦٨] ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾:

المناسبة: ثمّ يحذر الله سبحانه من إضاعة مرحلة الشّباب والفتوة وما قد يحدث له في المستقبل إذا بقي حياً.

﴿ وَمَن ﴾: الواو استئنافية، من بمعنىٰ الّذي، ومن تعني: العاقل، وتشمل المفرد والجمع.

﴿ نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾: نعمّره: أي نمدّ له أو نطيل له في عمره، نعمّره تدل علىٰ الحاضر حالة مستمرة إلىٰ الآن، ننكّسه في الخلق: نقلبه إلىٰ الأسفل، وقيل: الانتكاس العودة إلىٰ الوراء والرّجوع إلىٰ ما كان عليه أولاً؛ أي: ننكّس خلقه فنجعل مكان القوة ضعفاً وبدل الشّباب الشّيخوخة فكأنّ طول العمر يعود بالإنسان إلىٰ طفولته فيصبح الإنسان هرماً لا يستطيع الحراك بسهولة، وتضعف ذاكرته وأجهزته وقدرته علىٰ المشي.

﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾: الهمزة همزة إنكارية علىٰ عدم العقل وتوبيخ علىٰ أفعالهم، وألا: أداة حض وتنبيه وتحمل معنىٰ الأمر والتّقرير علىٰ استعمال العقل، والفاء: تفيد التّوكيد والتّعقيب؛ أي: بعد كلّ هذا البيان لا يعقلون؛ أي: لا يدركون الحقيقة أنه لا إله إلا الله، وأنه المعبود الذي يجب أن يعبد ويطاع.

ولها معانٍ أخرىٰ منها أفلا يعقلون: لا حاجة لإطالة عمر الإنسان أكثر مما قدّر الله له؛ لأنّه كلما طال ازداد ضعفاً وخرفاً، ومن الأفضل له أن يرحل إلىٰ

الآخرة. وقولــه أفلا يعقلون؛ أي: يكفي العقل هنا ولا يحتاج إلىٰ ســواه ليدرك الحقيقة.

وقد تعني أفلا يعقلون: أي هؤلاء المكذبون بالآخرة والبعث والحساب أنّ مــن يفعل هذا التّنكيس قادر علىٰ أن يبعثهم من قبورهم ليجازيهم علىٰ ما عملوا فــي الدّنيا، أفلا يعقلون أن نعمة الصّحة والعافية هي أكبر نعم الله علىٰ عبده بعد نعمة الإسلام والإيمان والتّوحيد، فلا يضيعوا شبابهم.

لنقارن (أفلا يعقلون) وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ [يس:٦٢].

أفلا يعقلون: هم ما زالوا علىٰ قيد الحياة.

أفلــم تكونوا تعقلون: هذا السّــؤال يوجه إليهم في الآخــرة: أفلم تكونوا تعقلون حينما كنتم علىٰ قيد الحياة؟!

[٦٩] ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾: الواو اســتئنافية، ما النّافية لجميــع الأزمنة؛ أي: ما علمناه الشّعر في الماضي ولا الحاضر ولن يتعلمه في المستقبل، وما علّمناه نحن ولا غيرنا، وهاء الضّمير تعود علىٰ رسول الله محمّد ﷺ، وما علّمناه الشّعر: عن طريق الوحي ولا إرسال معلم بشر.

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾: لا يصلح له الشعر ولا يصحّ له ولا يستقيم أن يكون شاعراً ولا يليق به.

﴿إِنْ﴾: نافية، وأقوىٰ في النّفي من ما النّافية؛ أي: ما هو.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد يعود علىٰ القرآن.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، ذكر: سماه ذكراً وقرآناً مبيناً والقرآن الحكيم.

﴿ذِكْرٌ﴾: ذكر نوع من التذكير يذكر قارئه بخالقه وبأوامره ونواهيه، وبما يحتاجه العبد في دنياه وآخرته، وتبياناً لكل شيء، وليس شعراً وسحراً كما يدّعي الكافرون. ارجع إلىٰ سورة (ص) آية (١) لمزيد من البيان.

﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾: قرآن بيّن واضح لكلّ قارئ يقرأ القرآن أنّه ليس من قول البشر أو شعراً، وهو واضح أنّه تنزيل العزيز الرّحيم.

وقد وردت أربع آيات في القرآن تقول: إن هو إلا ذكر للعالمين؛ يوسف (١٠٤)، يس (٦٩)، ص (٨٦)، التّكوير (٥)، ووردت آية واحدة: (وما هو إلا ذكر للعالمين) القلم (٥٢)، إن أقوىٰ نفياً وتوكيداً من ما، ووردت آية واحدة في كلّ القرآن تقول: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٩٠]. ارجع إلىٰ سورة الأنعام لمعرفة الفرق بين ذكر، وذكرىٰ، وللبيان. ثمّ يذكر الله سبحانه مهمة هذا الذّكر وهذا القرآن المبين في الآية (٧٠).

[٧٠] ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

﴿لِّيُنذِرَ﴾: اللام للتوكيد، ينذر: من الإنذار وهو الإعلام (التّبليغ) مع التّحذير والتّخويف، لينذر هذا الذّكر أو القرآن.

﴿مَن﴾: ابتدائية استغراقية بمعنىٰ الّذي، ومن: تشمل المفرد، والجمع، وللعاقل.

﴿كَانَ حَيًّا﴾: حياً: مؤمناً؛ لأنّ الإيمان حياة والكفر موت؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام:٣٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]، وكما قال تعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [يس:١١]، وكما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٦]، لينذر من كان حياً؛ أي: من كان عاقلاً، وقد تعني: كلّ من هو حي فيه روح من إنس وجان (المؤمن والكافر والعاصي والطّائع).

﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: يحق: يوجب، والقول يعني: العذاب أو الحُجة؛ أي: يوجب الحجة أو العذاب على الكافرين.

ولو جمعنا آيات الإنذار في هذه السّورة نجدها عدة منها:

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الآية:٦].

﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الآية:١٠].

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [الآية:١١].

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الآية:٧٠].

❖❖❖

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا
مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا
خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

ترتيبها ٣٧ | آياتها ١٨٢

سورة يس [الآيات ٧١ - ٨٣]

[٧١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾:

المناسبة: يتابع الله سبحانه ذكر الآيات الدّالة على قدرته وعظمته ووحدانيته.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: الهمزة للاستفهام، أولم: تستعمل لما هو مشاهدٌ بكثرة، بينما (ألم) تستعمل لما هو مشاهدٌ بقلّة، الواو تدل على الكثرة (عدة أمور) لم: نافية، يروا: رؤية بصرية، أو أولم يتفكروا أو يعلموا. ارجع إلى سورة السجدة آية (٢٦) لمزيد من البيان.

﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾: أنّا للتعظيم، خلقنا لهم؛ أي: ابتداءً، ولو قال: أنا جعلنا؛ الجعل: يتم بعد الخلق، وقد لوحظ أنّه في مقام أو سياق التّذكير بقدرة الله تعالى وآياته يستعمل لهم (بصيغة الغائب) بينما في سياق تعداد النعم وسياق الشكر يستعمل لكم (صيغة المخاطب).

لهم: اللام لام الاختصاص والملكية؛ أي: للناس.

﴿مِّمَّا﴾: من بعضية، ما: اسم موصول بمعنى الّذي، أو مصدرية، وهي أوسع شمولاً من الذي؛ أي: من عمل أيدينا وتشمل الاثنتين؛ أي: من الّذي عملته أيدينا أو من عمل أيدينا.

﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾: الأنعام ثمانية أزواج من البقر والغنم والإبل

والماعز، أيدينا: جمع يد، واليد فيها معنىٰ القوة والقدرة، أنعاماً: ذكر الأنعام هنا خاصة؛ لأنّها أعزّ الأشياء عند العرب لأنّها تستخدم في السّفر والأكل واللبن والزّينة والانتفاع بها والتّجارة، فهي أهم ما يملكون في القديم.

﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾: الفاء للتوكيد، هم: للتوكيد، لها: تقديم لها للاهتمام بالأنعام، مالكون: اسم فاعل يدل علىٰ الثّبوت، ثبوت الملك لهم، ولم يقل فهم لها يملكون، تدل علىٰ التّجدد والتّكرار.

وإذا قارنّا هذه الآية من سورة يس: ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ وقوله في سورة النّحل الآية (٥): ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾: نجد السّياق في سورة يس سياق تكريم أكثر مقارنة بسورة النّحل الّتي هي تعداد للنعم.

[٧٢] ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾:

في الآية السّابقة قال تعالىٰ: الأنعام خلقها لهم وملكها لهم، وفي هذه الآية يذكر أنه ذلّلها لهم، إذن من قدرته تعالىٰ أنّه خلق وملّك وذلّل الأنعام.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لاختصاص النّاس لخدمة النّاس.

التّذليل: يُحتاج إليه لتصبح الأنعام سهلة يقودها الصّغير والكبير، والتّذليل يفيد الرّكوب، ولولا التّذليل لكان من الصّعب الانتفاع منها.

﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾: الفاء: استئنافية للتفصيل، ومن: للتبعيض؛ أي: من الأنعام ما يُركب ومنها ما لا يُركب.

﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾: منها (من) بعضية، من بعضها تأكلون؛ أي: لا تأكلون كلّ أجزائها، فالجلد والعظام لا تأكلونه، أو: لا تأكلون كلّ الأنعام وإنما قسماً منها،

فمثلاً كثير من النّاس لا يأكلون لحم الجمل، (يأكلون) تدل على التّجدد والتّكرار والاستمرار.

[٧٣] ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾:

﴿وَلَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿فِيهَا مَنَافِعُ﴾: مثل الجلود والأوبار والأشعار الّتي تستعمل في صناعة الفُرش أو الحرث.

﴿وَمَشَارِبُ﴾: مشارب: تعني: الشراب مثل: اللبن والحليب، ومشارب: قد تعني مما نصنع من جلودها أحياناً أواني (كالقِرب) لحفظ الماء، وقدّم الأكل على الشّرب؛ لأنّ الأكل أعم وأهم من الانتفاع من شرابها، وفي كلّ القرآن يقدّم الأكل على الشّراب؛ لأنّ الشّراب منها محدّد بزمن معين عند الولادة والإرضاع، ولأنّ الحصول على الطّعام أعسر وأصعب.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ لعدم الشّكر، والفاء: هي فاء السببية؛ و(ألا) تفيد الحض والحث على الشّكر، شكر المنعم باللسان والعمل الصّالح وتحمل معنى الأمر.

وبدلاً من أن يشكروا الله على نعمه أشركوا به فاتّخذوا من دونه آلهة فقال:

[٧٤] ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾:

فرغم كل تلك النعم: خلق الأنعام، وإحياء الأرض والجنات، والنخيل والأعناب، والشمس والقمر، والفلك وحمل ذريتهم... وغيرها من النعم التي تدل على الخالق، وتوجب عبادته وحده عبدوا غيره واتخذوا من دونه آلهة.

﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾: أي: وعبدوا؛ أي: المشركون من أهل مكة وغيرهم.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله؛ أي: لم يعبدوا معه آلهةً، أو اتّخذوا الآلهة وسيطاً أو شفيعاً لهم؛ أي: هم لا يعبدون الله وحده، وإنما يعبدون غيره وليس معه، وهنا أسوء؛ أي: بدلاً من أن يشكروه على نعمه عبدوا غيره.

﴿ءَالِهَةً﴾: الأصنام وغيرها.

﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾: لعل: للتعليل؛ ينصرون: أي: تدفع عنهم العذاب أو تحميهم من عذاب الله، أو تشفع لهم عند الله بأن لا يعذبهم، أو يخفف عنهم العذاب.

[٧٥] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾:

﴿لَا﴾: النّافية لكلّ الأزمنة.

﴿يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾: أي هذه الآلهة عاجزة أصلاً عن نصرة نفسها وبالتّالي هي عاجزة عن نصرتهم، ولنفرض أنّها قادرة على النّصر، فالله سبحانه لا يسمح لها؛ لأنّ الشّفاعة لا تحصل إلا بإذنه ولمن رضي له قولاً، وهي عاجزة وغير قادرة على نصر أحد، ولو أرادت ذلك على سبيل الفرض.

﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد وتعود على الكفار والمشركين أو الّذين اتّخذوا من دون الله آلهة (عبَدَة الأصنام)، لهم: للأصنام، جند محضرون: أي هم يدافعون عن الآلهة (الأصنام) فهم كمثابة جنود لها.

لأن الأصنام لا تستطيع أن تدافع عن نفسها إذا اعتدى عليها أحد فهم الّذين

يدافعــون عنها، فهم يعتبرون جند للآلهة (الأصنام) في الدّنيا يدافعون عنها وهم محضَرون لها في النّار يوم القيامة.

أو عبَدَة الآلهة يحضِرون الآلهة الّتي كانــوا يعبدونها في الدّنيا يوم القيامة معهم إلــى النّار، فالعابد والمعبــود محضَرون في جهنم قســراً وكَرهاً، وكلمة محضرون في كل القرآن جاءت في سياق الشر.

[٧٦] ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء للتوكيد، لا النّاهية.

﴿يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾: الخطاب إلى رسول الله ﷺ فلا يُحزنك قولهم: أنك شاعر أو مجنون أو كاهن أو ساحر، والحُزن: الغمّ النّفسي المؤقت بعكس الحَزَن: الدّائم المستمر حتّى يأتي الأجل، فالله سبحانه ينهى القول أن يُحزن رسوله ﷺ وكأنّه يقول: يا أيّها القول، لا تُحزِن رســولي، أو لا تحزن يا رسول الله ﷺ لما يقولونه.

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾: ما اســم موصول بمعنــى الّــذي أو مصدرية، نعلم إسرارهم أو ما أسرّوه وما أعلنوه، وتدل على التّجدد والتّكرار.

ما يسرّون من القول والفعل، يسرّون: من السّر، وهو القول الخفي الّذي لا يعلمه إلا صاحبه.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: وما يعلنون مــن القول والفعل، وتكرار (مــا) يفيد توكيد القول والفعل من العلن: وهو الإظهار والجهر.

والسّـــر مقدّم على العلن؛ لأنّ كلّ قول أو فعل يُسرّ أوّلاً ثمّ يُعلن ثانياً فمن حيث التّرتيب السّر أسبق من العلن، ما يسرون من النّفاق أو العقائد الفاسدة والبدع والفواحش والمحرمات، وما يعلنون من الإيمان أو الكفر، والله يعلم منذ الأزل ما يسـرّون وما يعلنون، وذكر أنّه يعلم ما يســرون وما يعلنون للتهديد والإنذار؛ للتهديد والتّحذير وإقامة الحجة عليهم، وفي هذه الآية تطمينٌ لرســول الله ﷺ أنّ اللــه يعصمه من مكر وكيد الّذين كفــروا. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٦٥) في سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ ﴾: نجد أن آية ياســين نزلت أولاً وآية يونس نزلت بعد ذلك فيكون الجمع بينهما لا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرك وما يعلنون وأن العزة لله جميعاً.

[٧٧] ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾:

﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾: الخطــاب إلــى كلّ إنســان ينكر البعث والحســاب والجزاء، وهو أعم وأشــمل من قوله: أولم يــروا أنّا خلقنا لهم مما علمت أيدينا أنعاماً، أولم: الهمزة للاســتفهام، الواو تدل على الكثرة والجمع، وشدة الإنكار إنكار شــيء مرئي؛ لم: النّافية، يرَ: الإنســان رؤية قلبية علمية؛ أي: يتفكر كيف خلقناه.

﴿أَنَّا﴾: للتعظيم.

﴿خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ﴾: نطفــة الرّجل وهــي الحيوان المنــويّ ونطفة المرأة البويضة.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب والمباشــرة؛ أي: مجرد ما أصبح في سن البلوغ أصبح خصيماً؛ أي: تفيد الإسراع في الخصومة، أو تدل على السّببية؛ أي:

فإنّ خلقه كان سبباً للخصومة، أو تدل على البدلية بدلاً من أن يكون شاكراً لربه أصبح خصماً له، إذا: ظرفية تفيد الفجأة.

﴿خَصِيمٌ﴾: خصيم شديد الخصومة أو شديد الخصام لله ولرسوله ﷺ، الخصيم: الّذي يجادل وينكر الآيات والبعث والحساب والجزاء، والمبالغ في إظهار خصومته وعداوته.

﴿مُّبِينٌ﴾: بيّنُ الخصومة لخالقه، خصومته لا تخفى على أحد وظاهرةٌ، قد يكون الإنسان أحياناً خصماً لإنسان آخر، أما أن يكون خصماً أو خصيماً لخالقه العزيز الجبار القهار، هذا شيء لا يتصوره أيّ ذي عقل، خلقه من نطفة ومن ماء مهين فيصبح خصيماً مبيناً!

[٧٨] ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾:

سبب النّزول كما رواه الطبري والواحدي والبيهقي وغيرهم. قيل: إنّ أُبيّ ابن خلف أخذ عظماً قد بلي وراح يفتته أمام رسول الله ﷺ ويقول: أتزعم يا محمّد أنّ ربك سيُحي هذا؟ فردّ عليه رسول الله ﷺ قال: نعم، يميتك ثمّ يبعثك ثمّ يحشرك إلى النّار. قالها في وجهه، فنزلت هذه الآيات. وقيل: نزلت في العاص ابن وائل، وعبد الله بن سلول، أو أبي جهل، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السّبب، وهذه الآية جوابٌ لكلّ مكذّب بالبعث.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾: المثل هو العظم البالي الّذي فتته بيده هذا الكافر ثمّ ذرّاه في الهواء.

﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾: ونسي هذا الإنسان كيف خُلق؛ أي: لو تذكّر خلقه (أو كيف خُلق) وتأمّل في ذاته، لما ضرب هذا المثل أو سأل هذا السّؤال.

﴿قَالَ﴾: أُبي بن خلف أو غيره.

﴿مَن﴾: استفهام مشوبٌ بالتّعجب والاستبعاد.

﴿يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ﴾: يُعيدها حية.

﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾: هي للتوكيد، رميم: بالية هشّة ميتة، يقال: رمّ العظم إذ بلي.

[٧٩] ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ.

﴿يُحْيِيهَا﴾: يُعيدها حية مرة ثانية.

﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم والمدح.

﴿أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: الإنشاء هو إيجاد الشّيء بعد أن لم يكن، والإنشاء فيه معنى النّمو والتّطور.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد يعود على الله سبحانه.

﴿بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾: عليم صيغة مبالغة، وعليم مطلقة؛ أي: عليم بكلّ شيء وبكلّ خلق، مقارنة بعالم الّتي هي خاصة بعالم الغيب والشّهادة، وعلّام خاصة بالغيوب: علّام الغيوب، والباء للإلصاق والدّوام.

[٨٠] ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿جَعَلَ لَكُم﴾: أي: صير لكم خاصة.

﴿مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾: هذا دليل آخر على قدرته سبحانه على البعث فإن كنتم تكذّبون بالبعث وإحياء الموتى والعظام وهي رميم، انظروا كيف جعل لكم من الشّجر الأخضر ناراً، فقد كانوا في الزّمن القديم يأخذون غصناً من شجر المَرْخ وغصناً من شجر العَفار، ويقدح أحدهما بالآخر فتخرج منهما شرارة من النّار، وأصل النّبات ماء كما نعلم فكيف يخرج منه نار (شرر) ونحن نطفئ النّار بالماء.

معنى آخر: خلق الشّجر من ماء ثمّ بعد نموه وتطوره يقطع ويجف ويصبح حطباً توقد به النّار، وكذلك هذا الشّجر قد يرسب في قعر البحار أو باطن الأرض ويتحول إلى بترول وغاز أو يتحول إلى فحم حجري، وكلها تستعمل كمصدر للطاقة.

﴿فَإِذَآ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، إذا: ظرفية فجائية.

﴿أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾: توقدون النّار من الشّجر الأخضر (الحطب) توقدون: بصيغة المضارع الّتي تدل على التّجدد والتّكرار عند الحاجة.

[٨١] ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

ثمّ يذكر الله سبحانه ما هو أعظم من خلق الإنسان وهو خلق السّموات والأرض.

﴿أَوَلَيْسَ﴾: الهمزة للاستفهام والتّقرير.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾: أي مَن قدر على خلق السّموات والأرض هذا الخلق العظيم، والّذي هو أعظم بكثير من خلق الإنسان، أغير قادر على أن يخلق بشراً مثلهم أو يعيدهم! ارجع إلى سورة البقرة الآيات (٢٢-٢٩) والأنبياء آية (٣٠) والأعراف آية (٥٤) للبيان.

﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب لا يقع إلا بعد النّفي؛ لكي تنقض هذا النّفي.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْخَلَّٰقُ﴾: صيغة مبالغة من: خالق، وتشير إلى كمال القدرة على الخلق وأنّه كثير الخلق.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بخلقه وكونه وملكوت السّموات والأرض، العليم بكلّ شيء.

[٨٢] ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾:

يذكر الله سبحانه في هذه الآية قدرته على خلق أيّ شيء بكلمة: كن فيكون.

﴿إِنَّمَآ﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿كُن﴾: فعل أمر.

﴿فَيَكُونُ﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب فيكون مخلوقاً موجوداً، وهو سبحانه لا يحتاج في خلق أيّ شيء أن يقول له: كن فيكون، وإنما ذلك القول ليقرّبه إلى عقولنا. ارجع إلى سورة النّحل الآية (٤٠) للبيان.

[٨٣] ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿فَسُبْحَٰنَ﴾: الفاء للتوكيد، سبحان: تنزيهاً له أن يشبهه أحدٌ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، تنزيهاً له عن الولد والشّريك والمثيل، تنزيهاً له من كلّ عيب ونقص، سبحانه لما أولاه من النّعم الّتي ذكرها. ارجع إلىٰ سورة الحديد الآية (١) لمزيد من البيان، وسورة الإسراء آية (١)، وسورة النحل آية (٤).

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿بِيَدِهِۦ﴾: حصراً؛ أي: المتصرف في ملكه كما يشاء.

﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾: ملكوت صيغة مبالغة في الملك مع العزة والعظمة والسّلطان؛ أي ملك كلّ شيء، وزيدت التّاء للمبالغة في كبر الملك وعظمته، وملكوت تشمل عالم الغيب؛ أي: كلّ ما لا يدرك أو غير ظاهر؛ أي: الملك المستور الغير مشاهد أو المرئي، والملكوت أعظم من الملك.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: يوم القيامة إليه حصراً فقط، ترجعون: أي ترجعون قسراً وكرهاً للحساب والجزاء؛ لأنكم لم تخلقوا عبثاً.

وإذا نظرنا إلىٰ هذه الآية العظيمة نجدها جمعت التّوحيد والحشر والتّنزيه، (فسبحان) تعني التّنزيه، (بيده ملكوت كلّ شيء) تعني التّوحيد، (وإليه ترجعون) تعني الحشر والبعث والحساب.

❖ ❖ ❖

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ
مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ
الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
أَم مَّنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ
﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا
أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ
﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا
يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ
اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾

نصف الحزب ٤٥

سورة الصّافات [الآيات ١- ٢٤]

ترتيبها في القرآن (٣٧)، وترتيبها في النّزول (٥٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾:

الواو: واو القسم، وأحرف القسم هي الواو والباء والتاء واللام، والمقسم به هو الصّافات صفاً، والقسم يؤكد على أهمية المقسم به وهم الملائكة والله سبحانه غني عن القسم.

يقسم سبحانه بالصّافات وهم الملائكة الصّافون في السّماء في صفوفهم للصلاة، أو الملائكة الصّافة أجنحتها في الهواء تنتظر أن يأمرها الله سبحانه، أو الملائكة في الصّفوف من حول العرش، والقسم يفيد التّوكيد.

والصّف: يعني: الجميع في انسجام وانضباط ومتراصين ويتمُّون الصّف الأوّل فالأوّل، والصّافون حسب مراتبهم في الفضيلة، كما روى مسلم وغيره عن جابر بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ألا تصفون كما يصف الملائكة عند ربهم، قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال ﷺ: يتمُّون الصّف الأوّل ويتراصون في الصّف».

وروى مسلم عن حذيفة بن اليمان أنه ﷺ قال: فضلنا على النّاس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلّها مسجداً وجعل لنا ترابها طهوراً إذا لم نجد الماء.

[٢] ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾:

الفاء: عاطفة، والصفات المعطوفة بالفاء تكون لموصوف واحد ولو عطف بالواو، كما لو قال: والزاجرات زجراً بدلاً من فالزاجرات زجراً؛ لدل على تغاير الذات (الصفات) كما ذكر الألوسي.

فالزّاجرات زجراً: من زجر. وتعني:

١ - المنع والنّهي.

٢ - السوق والحثُّ.

الملائكة الّتي تزجر السّحاب كما قال ابن عباس والجمهور؛ أيْ: تسوقه حيث يشاء الله، وتزجر الشّياطين (أيْ: تمنع الشّياطين) عن استراق السّمع.

زجر الدّابة: صاح بها ليحثها على السّير أو يمنعها عن الحركة أيْ: يوقفها فالزّجر له معنيان متضادان السوق والحثُّ والمنع والنّهي.

[٣] ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾:

﴿فَالتَّالِيَاتِ﴾: الفاء: عاطفة؛ ارجع إلى الآية السابقة؛ الملائكة التّالية: من التّلاوة أي: القراءة القارئة؛ أي: التالية للوحي على الرسل أو لكتاب الله كما قال ابن مسعود والجمهور، أو التالية لذكر الله، أي: المسبحون والحامدون والمكبِّرون وغيرها من الذّكر.

﴿ذِكْرًا﴾: كتاب الله (القرآن).

والتاليات: قد تشمل الرّسل والبشر التالية لكتاب الله تعالى والذاكرون المسبحون.

[٤] ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾:

هذا هو جواب القسم، يقسم الله بالصّافات والزّاجرات والتّاليات إنّ إلهكم لواحد، وقد أكد جواب القسم بإنّ واللام في قوله: لواحد.

﴿لَوَٰحِدٌ﴾: الواحد: الذي لا يكون معه آخر، لا يتجزأ، ولا يتفرق (غير مركب)؛ أي: الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، واحد لا شريك له، لا معبود إلا هو، المتصف بوحدانية الإلوهية والربوبية والأسماء والصفات.

وهناك فرق بين الواحد والأحد: وأما الأحد: يعني ليس له مثيل، ليس له ثان مثله، المتفرد بصفات الكمال، فلا نظير له، ولا ند، ولفظ أحد وصف خاص بالله وحده لا يوصف به غيره على الإطلاق. وأحد: أعم في النفي من واحد؛ فهو نفي للجنس؛ أي: لا أحد، ولا اثنان، ولا ثلاثة، ولا أكثر، وحين تقول لا واحد يجوز أن يكون هناك اثنان أو ثلاثة أو أكثر؛ فالله سبحانه أحد واحد في صفاته وأفعاله وأسمائه وعظمته وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته وسمعه وبصره.

وهذه الآية تمثل توحيد الألوهية الموجبة للعبودية والكاف للمخاطب وخاصة المشركون الّذين تعجّبوا من كون الآلهة إلهاً واحداً، وقالوا: إنّ هذا لشيء عجاب.

[٥] ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾:

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: إنّ إلهكم لواحد رب السّموات والأرض أيْ: إنّ إلهكم لواحد هو خالق السّموات والأرض وما بينهما ومالك السّموات والأرض وما بينهما من المخلوقات، والرّب هو المدبر، والمحيي والمميت، والرازق، وما بينهما: ارجع إلى سورة الفرقان آية (٥٩) للبيان.

﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾: مشارق الشّمس فللشمس كلّ يوم مشرق ومغرب بعدد

أيّام السّنة، أيْ: تشرق كلّ يوم بزاوية محددة، وكلّ يوم تغرب في زاوية معينة، ولم يذكر المغارب واقتصر على المشارق؛ لأنّ المشارق تدل على المغارب فحين تشرق لا بُدَّ لها من أن تغرب، لذلك هذا بيِّن وواضح، فلا داعي لذكر ذلك.

وفي آية أخرى يقول: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن:١٧] ارجع إلى سورة الرّحمن الآية (١٧) للبيان.

وآية أخرى يقول: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [المزمل:٩].

[٦] ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم؛ لأنّ تزيين السّماء بالكواكب يحتاج إلى علم وقدرة وحكمة.

﴿زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾: السّماء الدّنيا هي أقرب السّموات إلى الأرض.

﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾: الزينة: ما يُتزين به من الحلي (الذهب والفضة)، والنبات، والزهور، والنجوم... وغيرها من مواد الزينة، وفي هذه الآية زينا السماء الدنيا بضوء الكواكب؛ أيْ: بالكواكب المضيئة والكوكب هو جسم بارد مستمد حرارته من الشّمس والنّجوم ويضاء لسقوط الضّوء عليه، أيْ: يعكس الضّوء كالقمر مثلاً، وهو ليس مضيء بنفسه (كالنّجم)، والكواكب والنّجوم كلها تُزين السّماء الدّنيا، وكذلك بعض هذه النجوم تتحول إلى شهاب ثاقب لقذف الشياطين والقضاء عليهم.

[٧] ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾:

بالإضافة إلى تزيين السّماء بالكوكب حفظناها من كلّ شيطان مارد.

حفظناها بالشّهب الثّاقبة أو الشّهب المبينة كقوله: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ

فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [الصافات:١٠]، وكقوله: ﴿ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [الحجر:١٨].

﴿مِّن﴾: استغراقية تشمل كلّ شيطان.

﴿كُلِّ شَيْطَانٍ﴾: (الكافر من الجن)، واسم الشّيطان مشتق من شطن. ارجع إلىٰ الآية (٣٦) من سورة البقرة للبيان.

﴿مَّارِدٍ﴾: عاق خارج عن طاعة الله (متمرِّد علىٰ طاعة الله) البالغ الغاية في الشّر والفساد، وأمرد: أيْ: يعني: قد مرد في الشّر أو متجرِّد عن الخير أو شره ظاهر، وأمرد: أملس، كقوله صرح ممرَّد: أيْ: أملس يعني: سريع الانفلات لا تقوىٰ علىٰ الإمساك به.

[٨] ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴾:

﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ ﴾: لا: النّافية، يسمعون: أي: الشّياطين، وهناك فرق بين سمع ويسمع: سمع بقصد أو بغير قصد أو نية، أمّا يسَّمَّع: فيعني: بقصد وتكليف وجهد وسواء سمع أو لم يسمع شيئاً أيْ: يحاول هؤلاء الشّياطين أن يسمعون إلىٰ الملأ الأعلىٰ: الملائكة.

﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾: بالشّهب الثّاقبة أو المبينة ويقذفون تدل علىٰ التّجدد والتّكرار، والقذف: الرّجم بالشّهب، والقذف فيه معنىٰ البعد والقوة أي: الرّجم بقوة ومن بعيد، من كلّ جانب: من استغراقية، كلّ جانب: من الجهات السّتة اليمين والشّمال والأمام والوراء والأعلىٰ والأسفل.

[٩] ﴿ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾:

﴿ دُحُورًا ﴾: الدّحور الطّرد والإبعاد، طرداً وإبعاداً، دَحَره: أبعده، مطرودين مبعدين عن السّماء الدّنيا.

﴿وَلَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾: أيْ: عذاب دائم وصب الشّيء: دام وثبت، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ [النحل:٥٢]، أي: الطّاعة دائماً.

[١٠] ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية.

﴿خَطِفَ﴾: الخطف: أخذ الشّيء بسرعة وخفة (اختلاس) وعلىٰ غفلة من صاحبه، ومن دون حق، بل أخذها اعتداءً وظلماً.

﴿ٱلْخَطْفَةَ﴾: علىٰ وزن مرة، لا يسمعون (الشّياطين) إلا للذي سلب أو خطف الخطفة بخفة وسرعة وعلىٰ غفلة من كلام الملائكة، ويتحدثون عما سيحدث في الأرض قبل أن يعلمه أهل الأرض.

﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة يلحق به.

﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾: نجم مُحرق يخترق وينفذ الأجواء حتّىٰ يصل إلىٰ هدفه بأسرع وقت، أيْ: يصل إلىٰ هذا الشّيطان فيقضي عليه قبل أن يوصل الخبر إلىٰ أوليائه وتارة يخبر بها قبل أن يدركه الشّهاب ويكذبون معها مئة كذبة، ولا يعني أن النّجم بكامله يلحق بالشّيطان ليقضي عليه، وإنما تنطلق من النّجم بعض الأشعة أو ألسنة النّار لتحرق الشّيطان المارد الّذي يحاول الاستماع إلىٰ الملأ الأعلىٰ. ارجع إلىٰ سورة الحجر آية (١٨) لمزيد من البيان.

[١١] ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾:

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾: الفاء للتوكيد، استفتهم: الألف والسّين والتّاء للطلب أيْ:

سلهم واطلب منهم الفتوىٰ، أيْ: يُفتوا لك أو يجيبوا هم بأنفسهم ويقروا والإقرار سيد الأدلة، اسأل هؤلاء الكفار المنكرين للبعث أهم أشد خلقاً.

﴿أَهُمْ﴾: الهمزة للاستفهام ويحمل معنىٰ التّوبيخ والتّقرير.

﴿أَشَدُّ خَلْقًا﴾: أعظم خلقاً.

﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾: أي: السّموات والأرض لقوله: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر:٥٧].

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم تدل علىٰ القدرة والعلم والحكمة.

﴿خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾: طين لازب: تراب + ماء، طين لين، لازب أيْ: يلتصق باليد والطّين اللازب غير موصوف بالصّلابة والقوة كالإسمنت أو الحديد، فهو يدل علىٰ الضّعف البنية مقارنة بخلق السّموات والأرض فالإنسان يتغذىٰ من النّباتات الّتي تتغذّىٰ من تربة الأرض أو يأكل لحم الحيوانات وألبانها، وهي تتغذّىٰ من النّباتات وكل الخضار والفواكه مستمدة من الأرض أو عناصر أو معادن الأرض كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢]، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة:٧]، وقد وجد أن جسم الإنسان يتركّب من أكثر (١٧) عنصراً أو معدناً من العناصر أو المعادن الّتي تتركّب منها تربة الأرض، وإذا عرف الإنسان أصله من تراب أو من ماء مهين عليه أن يتواضع ولا يتكبر.

[١٢] ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي، الانتقال من كلام إلىٰ كلام آخر.

﴿عَجِبْتَ﴾: يا رسول الله ﷺ من تكذيبهم إيّاك وإنكارهم وحدانية الله

والبعـــث، أو عجبت من كفرهم وإنكارهم لقدرة الله تعالىٰ رغم وجود كلّ تلك الأدلة.

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾: السّخرية هي التقليل من حق من يسخر منه والتقليل من قيمته وذلته. ارجع إلىٰ الآية (٧٩) من سورة التّوبة للبيان، يسخرون مما تقوله عن البعث والحشر والجزاء والحساب ويسخرون من دعوتك للإيمان بالله أو من دعوتهم للإيمان بيوم القيامة والبعث، ومن القرآن (أو الآيات القرآنية)، ويسخرون: تدل علىٰ التّجدُّد والتّكرار، أيْ: ما زالوا يسخرون.

[١٣] ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: شرطية ظرفية تحتمل حتمية الحدوث.

﴿ذُكِّرُوا۟﴾: وعظوا لا يتعظـــون، أيْ: لا ينتفعون بالموعظة أو الذّكرىٰ أو إذا ذكر لهم شـــيءٌ مما عرفوه في الماضي لا يبالون، ويستمرون علىٰ ما هم عليه من العمىٰ والجهل والعناد.

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿يَذْكُرُونَ﴾: يتعظون أو يأخذون به أو إليه.

[١٤] ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: شرطية ظرفية تفيد الحتمية.

﴿رَأَوْا۟﴾: رؤيـــة عينية أو قلبية كونية بأعينهـــم أو معجزة دالة علىٰ قدرة الله سبحانه وعظمته.

﴿ءَايَةً﴾: نكرة تعني: دليلاً أو آية قرآنيـــة أو كونية أو معجزة علىٰ البعث أو التّوحيد أو الإيمان أو النّبوة.

﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾: للمبالغة في السّخرية وتعريف السّخرية. ارجع إلىٰ الآية السّابقة (١٢) من نفس السّورة. ارجع إلىٰ الآية (٧٩) من سورة التّوبة للبيان، ويستسخرون: يبالغون في السّخرية يستدعي بعضهم بعضاً ليسخر منها أو يحثون غيرهم للسخرية منها، أو يبالغون في السّخرية منها عناداً واستكباراً.

[١٥] ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿وَقَالُوٓاْ﴾: أي: الكفار والمشركون.

﴿إِنْ﴾: حرف نفي أشد نفياً من (ما) أيْ: ما هذا.

﴿هَٰذَآ﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلىٰ الآية أو البعث أو التّوحيد أو الإيمان أو القرآن.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: أيْ: سحر صنعه محمّد ليسحرنا به اتهموه بالسّحر ؛ لأنّهم رأوا تأثيره القوي في النّفوس وكونه خارقاً للعادة، وسحر مبين: واضح بين لكلِّ من اطلع عليه ونظر إليه، مبين: لا يحتاج إلىٰ دليل أو برهان يُبيِّن أنّه سحر. ولتعريف السّحر ارجع إلىٰ سورة طه آية (٥٨).

[١٦] ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾:

﴿أَءِذَا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّعجب والاستبعاد.

﴿مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾: تحولت أجسامنا إلىٰ تراب وعظام.

﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّعجب كالسّابقة، لمبعوثون: اللام للتوكيد، مبعوثون: من البعث: العودة إلىٰ الحياة بعد الموت والخروج من القبور لنحشر ونحاسب.

[١٧] ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾:

﴿أَوَءَابَآؤُنَا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والاستبعاد.

﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾: أيْ: أيبعثُ آباؤنا الأولون أيضاً، أي: الّذين ماتوا منذ زمن طويل، فهذا الأمر لا يصدق.

[١٨] ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾:

﴿قُلْ نَعَمْ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ: نعم، أنتم وآباؤكم تبعثون وأنتم داخرون.

﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾: داخرون: من دَخرَ، يدخر: صَغُرَ وذل، منقادون صاغرون أذلاء، وداخرون: صفة ثابتة عندهم، أي: الصّغار والذّل.

[١٩] ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾:

أي: البعث أمر سهل جدّاً مجرد نفخة في الصّور يأمر بها الله فإذا الكلّ من الأجداث ينسلون.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء جواب الشّرط أإذا، إنما: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿هِىَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾: صيحة واحدة، واحدة: توكيد ويقال: زجر البعير، أيْ: صاح عليه، زجرة: صيحة للحث على البعث والقيام من القبور، وسُمِّيت زجرة لأنّها تسوقهم إلى أرض المحشر. ارجع إلى الآية (٢) من نفس السّورة.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، إذا: الفجائية.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿يَنظُرُونَ﴾: هنا وهناك على وجه السّاهرة (وجه الأرض) ينظرون إلى الأرض الجديدة غير الّتي كانوا عليها، منظر جديد لم يروه من قبل، ينظرون ما سيفعل بهم أو أين سيذهبون.

[٢٠] ﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾:

﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا﴾: يا هلاكنا يا عذابنا، يا: أداة نداء للبعد يا هلاكنا أقبل أو احضر.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب.

﴿يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾: يوم الحساب والجزاء، أي: اليوم الّذي نُدان فيه، أيْ: نجازى على أعمالنا أو لم نكن نصدِّق به.

[٢١] ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾:

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾: قيل: هذا كلام الملائكة أو تتمة لكلّام الكفار بعضهم لبعض، هذا: الهاء للتنبيه وذا اسم إشارة للقرب يشير إلى يوم الفصل، يوم الفصل: يوم الفصل بين الرّسل وأقوامهم المكذبين أو يوم القصاص، والفصل بين الحق والباطل والمؤمن والكافر والمحسن والمسيء، وفريق في الجنة وفريق في السّعير.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد المعرفة.

﴿كُنتُم بِهِۦ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الاهتمام، أيْ: به خاصة تكذبون لا بغيره.

﴿تُكَذِّبُونَ﴾: لا تصدِّقون أو لا تؤمنون به.

[٢٢] ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾:

﴿احْشُرُوا﴾: خطاب إلى الملائكة، والحشر هو الجمع أي: اجمعوا في أرض المحشر، والحشر له غاية لكي يروا أين آلهتهم الّتي كانوا يعبدونها.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أشركوا وكفروا وضلوا وظلموا أنفسهم وغيرهم في الدّنيا.

﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾: لها معانٍ متعدِّدة منها: احشروا الكافر مع الكافر أو الزّاني مع الزّاني والسّارق مع السّارق.

أو احشروا الّذين ظلموا مع نسائهم أزواجهم الكافرات.

أو احشروا معهم قرناءَهم من الشّياطين.

عابد الصّنم مع عبدة الأصنام.

أو التّابع والمتبوع أو الرّؤساء والقادة مع التّابعين من الّذين استضعفوا.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾: إذن أصبحوا ثلاثة، احشروا: الّذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون في الدّنيا ويعبدون من الأصنام والشّياطين والطّواغيت، أمّا عيسى وعزير والملائكة فهؤلاء سبقت لهم الحسنى وهم استثناء من هذه الآية. ارجع إلى سورة الأنبياء آية (١٠١).

يعبدون: بصيغة المضارع تدل على الاستمرار على عبادة غير الله حتّى ماتوا وهم كفار.

[٢٣] ﴿مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾:

﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله أو سواه أو معه أو أيِّ وسيط.

﴿فَاهْدُوهُمْ﴾: الفاء تدل على المباشرة والتّعقيب، فاهدوهم: الهداية لا

تكون إلا إلىٰ الصّراط المستقيم والنّجاة فاستعمل كلمة فاهدوهم للسخرية والتّهكم منهم، أيْ: دلُّوهم علىٰ طريق جهنم.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾: الصّراط: الطّريق الواسع السّهل المؤدي إلىٰ جهنم أو الجحيم أو النّار، الجحيم: النّار والجحيم اسم للنار مشتق من التّأجج والاضطراب فلا تخمد أبداً، وقيل: هي دركة من دركات النّار، فهناك صراط الجحيم وسواء الجحيم وأصل الجحيم، أمّا سواء الجحيم: فهو وسط الجحيم (النّار) وسُمِّي السّواء وسطاً لاستواء المسافة منه إلىٰ الجانب، أمّا أصل الجحيم: فهو قعرها، وصراط الجحيم: الطّريق إليها. ارجع إلىٰ سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

[٢٤] ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾:

أي: احبسوهم للسؤال وللحساب (في الموقف أو عند الصّراط) وتعني: كلّ هؤلاء الكفرة سيسألون والسؤال ليس سؤال استفهام إنما سؤال توبيخ وتقريع وسؤال تقرير؛ لأنّه سبحانه عالم بكل أعمالهم.

﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾: عن جميع أعمالهم (الأقوال والأفعال والعقائد) إنهم يسألون عما كانوا يعبدون، وعن لا إله إلا الله، كما روي عن ابن عبّاس.

إنّهم مسؤولون: لقوله سبحانه: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٦]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣].

وأمّا في آية المؤمنون (١٠١): ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ فالتّوفيق بين هذه الآية والآيات الأخرىٰ أنّ هناك في يوم القيامة مواطنَ لا يُسألون فيها، ومواطنَ في يوم القيامة يسألون فيها عما كانوا يعملون.

❖❖❖

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾
قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ
بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾
فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا
لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ
لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾
فَوَاكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ
﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ
﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ
الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

سورة الصّافات [الآيات ٢٥- ٥١]

[٢٥] ﴿مَالَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾:

﴿مَا﴾: للاستفهام والتّوبيخ والتّقريع.

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿لَا تَنَاصَرُونَ﴾: الخطاب إلى المشركين لماذا لا ينصر بعضكم بعضاً اليوم للنجاة من العذاب، كما كنتم تناصرون في الحياة الدّنيا، أو تخفيف العذاب ولو يوماً واحداً.

[٢٦] ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿هُمُ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿الْيَوْمَ﴾: يوم القيامة يوم الفصل أو يوم الدّين.

﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾: منقادون ذليلون لا حيلة لهم يخذل بعضهم بعضاً، جملة اسمية تدل على الثّبوت، أيْ: صفة الاستسلام ثابتة.

[٢٧] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾:

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: الواو استئنافية، أقبل بعضهم على بعض، أي: الْتقى الأتباع والرّؤساء والقادة أو التّابع والمتبوع العابد والمعبود.

﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾: يسأل بعضهم بعضاً، أيْ: يتلاومون كلٌّ يُلقي المسؤولية على غيره، كما سيأتي في الآيات التالية.

[٢٨] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ﴾:

﴿قَالُوٓاْ﴾: الأتباع للقادة والرّؤساء أو الأتباع للمتبوعين.

﴿إِنَّكُمۡ﴾: إنّ للتوكيد.

﴿كُنتُمۡ﴾: في الدّنيا.

﴿تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ﴾: لها عدة تفسيرات: عن اليمين: مشتقة من اليد اليمنى كناية عن القوة والقهر، أيْ: تأتوننا بالقوة والجبروت والتّرويع لكي نشرك بالله ونكفر به.

أو تعني تأتوننا بالأيمان الكاذبة (اليمين: الحلف أو القسم) أيْ: عن طريق حلف الأيمان الكاذبة واتخاذ الأحزاب والأحلاف.

أو تأتوننا عن طريق الدّين وتقولون لنا أنّ دين محمّد باطل وتقليد الآباء أفضل وتخدعوننا.

أو عن جهة اليمين: جهة الخير (من التّيمن) البدء باليمين، أيْ: تأتوننا عن طريق الحق لتصرفونا عنه إلى اتباع الباطل.

وعن اليمين: قد تعني كلّ ذلك معاً.

[٢٩] ﴿قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾:

﴿قَالُواْ﴾: أي: القادة والرّؤساء أو المتبوعين للأتباع.

﴿بَل﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾: لم: نافيـة، تكونوا مؤمنيـن: أيْ: كنتم أصلاً كافرين وغير مصدقين بدين محمّد أو بمحمّد، فلم نضلكم أصلاً، أيْ: لم نخرجكم من الإيمان إلى الكفر، مؤمنين: لم تكن صفة الإيمان موجودة عندكم أصلاً، أو على إيمان ثابت راسخ.

[٣٠] ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾:

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ﴾: الواو عاطفة، ما النّافية، كان: تشـمل كلّ الأزمنة، لنا: اللام لام الملكية، عليكم: خاصة.

﴿مِّن سُلْطَانٍ﴾: من استغراقية، سلطان: أيْ: سلطان سواء كان سلطان القوة والقهر أو سلطان الحُجَّة والإقناع لكي تتبعونا وتسمعوا لنا.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾: طغـاةً ظلمـةً متجاوزيـن الحـدَّ في الشّـرك والظّلم والإسراف.

[٣١] ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾:

هذا تتمة لقول الرّؤساء أو المتبوعين للأتباع.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾: وجب، ولكنه لـم يقع بعد أو لم يبدأ بعد. قول ربنا: العذاب.

علينا: جميعـاً التّابع والمتبـوع، أيْ: نحن وإيّاكم، وقيـل: قول ربنا هو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣].

﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾: إنا: للتوكيد، لذائقون: الـلام للتعليل والنّون في (ذائقون)

للتوكيد، ولم يقل: لذائقو العذاب الأليم، ذائقون: تدل على الإذاقة الدّائمة المستمرة و(لذائقو) تدل على الإذاقة المؤقتة.

[٣٢] ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾:

﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، أغويناكم: من أغوى يغوي. ارجع إلى الآية (٤٢) من سورة الحجر للبيان، أيْ: أضللناكم عن طريق الحق والهداية أو أفسدنا عقولكم؛ لأننا نحن أصلاً: غاوون.

﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾: ضالين في الدّنيا أو فاسدين فأردنا أن تضلوا معنا وتكونوا شركاء لنا في الغواية والفساد، غاوين: جمع غاوٍ، أيْ: صفة الغواية ثابتة عندهم.

[٣٣] ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾:

في هذه الآية يُنهي الله سبحانه هذه المواجهة بين الأتباع والمتبوعين فيقول:

﴿فَإِنَّهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، ولم يخاطبهم مباشرة؛ لأنّهم لا يستحقون، إنّ للتوكيد.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم الفصل يوم الدِّين.

﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾: الأتباع والمتبوعون كلاهما سيذوقان العذاب، ولن ينجو أحدهما منه، ولن يُغني بعضهم عن بعض شيئاً.

[٣٤] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أيْ: كما عذبنا التّابعين والمتبوعين كذلك نعذِّب المجرمين.

﴿نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾: الباء للإلصاق والدّوام والاستمرار، المجرمين:

جمع مجرم، والمجرم هو مرتكب الجريمة، وهي الذّنب الّذي يوجب العذاب، والمجرم: هو الكافر والمشـــرك والعاصي الّذي لا يؤمن بالله وحده؛ ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لمزيد من البيان في المجرمين، ثمّ بيَّن العلَّة في الآية التّالية، والسّبب في تعذيبهم وهو الشّرك بالله.

[٣٥] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾:

﴿إِنَّهُمْ﴾: الضّمير يعود علىٰ المجرمين وإنّ للتعليل.

﴿كَانُوٓاْ﴾: في الدّنيا.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تدل علىٰ الحتمية.

﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: مبني للمجهول سواء كان القائل الله سبحانه أو رسول الله أو أيُّ مؤمـــن والمهم هنا المقولة، لهم: اللام لام الاختصاص لهم خاصة، أيْ: قيل لهم: قولوا: لا إله إلا الله. ارجع إلىٰ الآية (٢٥٥) من سورة البقرة للبيان.

قولوا كلمة التّوحيد، أو آمنوا بالله وحده.

﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: يتكبـــرون بغير حقٍّ، أيْ: يشـــعروا بعظم شـــأنهم فوق ما يستحقون، يستكبرون عن الإيمان بالله وحده والقول لا إله إلا الله محمّد رسول الله. يستكبرون: يطلبون الكبر، ولا يملكون مؤهلاته.

[٣٦] ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾:

﴿وَيَقُولُونَ﴾: بصيغة المضارع لتدل علىٰ الاستمرار والتّجديد.

﴿أَئِنَّا﴾: الهمزة للاستفهام والإنكار إنا تعود علىٰ المجرمين.

﴿لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا﴾: اللام للتعليل تاركو عبادة آلهتنا.

﴿لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾: بسبب ما يقوله محمّد الشّاعر المجنون، واللام لام الاختصاص، لكي نتبع عبادة الله وحده.

[٣٧] ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي، أيْ: دعك عن قولهم الباطل هذا، أو أضرب عن قولهم شاعر ومجنون، ما قاله محمّد ﷺ هو الحق وما جاء به.

﴿جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾: جاء بالحق: وهو الأمر الثّابت الّذي لا يتغيَّر أو يتبدَّل، جاء بالقرآن الكريم وبالدِّين القيِّم ولا إله إلا الله أيْ: بالتّوحيد، والباء للإلصاق والدّوام.

﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: أيْ: محمّد ﷺ صدق الرّسل الّذين جاؤوا قبله بكلمة لا إله إلا الله والإسلام فهو ليس بدعاً من الرّسل.

[٣٨] ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾:

﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾: هذه الآية توكيد للآية السّابقة (٣١) إنا لذائقون، ويبيِّن ما نوع العذاب وشدته وتبدلت فيها الصّيغة من صيغة الغائب (إنهم) إلى صيغة المخاطب (إنّكم) لزيادة الانتباه والتّهديد والتّحذير لكلّ مجرم ومذنب وعاصٍ.

﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾: شديد الإيلام لن تطيقوه أو تقدروا على تحمُّله، ثمّ يُبيِّن أنّ هذا العذاب ليس ظلماً أو عدواناً إنما هو جزاء ما قدَّموه من الأعمال فقال:

[٣٩] ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما النّافية.

﴿تُجْزَوْنَ﴾: من الجزاء، والجزاء يكون للخير أو للشر.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿مَا كُنتُمْ﴾: في الدّنيا. ما: اسم موصول بمعنىٰ الذي، وأوسع شمولاً من الذي.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: الأعمال تضم الأقوال والأفعال ما تعملون من خير وشر ما كنتم تعملون من الشّرك والتّكذيب والمعاصي، وبعد ذكر ما أعده الله سبحانه للمجرمين المكذبين يذكر بعدها ما أعدَّه الله سبحانه لعباده المؤمنين.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء من قوله: إنكم لذائقوا العذاب الأليم إلا عباد الله المخلصين فإنّهم لن يذوقوا العذاب الأليم.

﴿عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: المخلَصين بفتح اللام اسم مفعول يعني: الّذين أخلصهم الله واصطفاهم لعبادته وطاعته بعد أن أخلَصوا أنفسهم أوّلاً.

إذن هناك فرق بين المخلِصين بكسر اللام الّذين يخلصون أنفسهم لله والمخلَصين بفتح اللام هؤلاء أعلىٰ درجة في الإخلاص.

[٤١] ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد يفيد بعد منزلتهم عند الله تعالىٰ وجزاءَهم.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾: الرّزق تعريفه: كلّ ما يُنتفع به، ويشمل الرّزق الطّيب الحلال ويشمل الطّعام والشّراب والعلم والجاه والمنزلة، هذا في الدنيا، أما في الجنة: فقد وصف هذا الرزق بالطعام والشراب في جنات النعيم، والسرر والكأس

المعين، والحور العين وغيره. ووصفه بالمعلوم؛ أي: الجنة، وأما رزق الدنيا فهو ليس معلوماً لا بد من السعي من أجله، أما في الآخرة فهو معلوم رزق خاص بهم.

[٤٢] ﴿فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾:

﴿فَوَٰكِهُ﴾: بالضّم بدل من رزق، فسر الرّزق بالفواكه وغيرها، وهناك فرق بين فواكه وفاكهة، فواكه جمع لا تشمل الواحدة والاثنتين، ولا تشمل على كلّ أنواع الفاكهة، أمّا فاكهة فاسم جنس يشمل الواحدة والاثنتين والجمع ثلاثة أو أكثر، فكلمة فاكهة أعم من فواكه والفاكهة تطلق على النّوع الواحد أو الأنواع.

﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾: وهم: ضمير فصل يفيد التّوكيد، مكرمون: وإذا قارنا هذه الآية فواكه وهم مكرمون في الجنة برضوان الله تعالى، وبكلّ أنواع التّكريم والسّلام والنّعيم الّذي لهم مع الآية (٢٠) من سورة الواقعة ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾.

نجد أنّ آية الواقعة تخاطب السّابقين السّابقين، أمّا آية الصّافات فتخاطب أصحاب اليمين؛ أيْ: فاكهة تُقدَّم إلى المقربين وهم السّابقون السّابقون وفواكه تقدَّم إلى أصحاب اليمين.

[٤٣] ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾:

﴿فِى﴾: ظرفية.

﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: جنات النّعيم مثل جنات الفردوس جنات عدن، أو تشمل كلّ الجنات.

[٤٤] ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾:

﴿سُرُرٍ﴾: جمع سرير، أسرة للجلوس عليها.

﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: تعني: إذا أردت زيارة أخاً لك تجده أمامك لا تحتاج إلى الانتقال والسير إليه، أو إلى منزله والركوب في طائرة أو سيارة أو غيرها.

[٤٥] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾:

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ﴾: على كلّ منهم، بكأس: الباء للإلصاق والدّوام، الكأس: يراد به القدح الّذي يوضع به الخمر.

﴿مِّن مَّعِينٍ﴾: من الخمر الّذي يجري على وجه الأرض في أنهار، أو معين شيء تراه بعينك أي: ظاهر، من: ابتدائية لبيان الجنس، ثمّ يصف الخمر في الآية (٤٦-٤٧).

[٤٦] ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾:

﴿بَيْضَآءَ﴾: شديدة البياض والبيضاء قيل: هي أصفى أنواع الخمر عند العرب طيبة الرّائحة.

﴿لَذَّةٍ﴾: فيها مبالغة من لذيذة لذة مصدر للمبالغة، أيْ: ذات لذة مثل لذة الطعم، أو لذة النظر... وغيرها، واللذة: تختص بالمحسوسات التي تظهر آثارها على البدن، بعكس الشهوة التي تختص بالآراء والأفكار والعقائد، وقد تكون مذمومة أو محمودة.

﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ اللام لام الاختصاص والاستحقاق، الشّاربين: جمع شارب بينما خمر الدّنيا كريهة الطّعم وكريهة الرّائحة.

[٤٧] ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾:

انتبه إلى يُنْزَفُون بفتح الزاي في هذه الآية، وإلى كلمة يُنزِفون بكسر الزاي في سورة الواقعة آية (١٩) كما سنرى.

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿فِيهَا غَوْلٌ﴾: أيْ: لا تحتوي علىٰ غول وهو المادة المسكرة المذهبة للعقل.

﴿وَلَا هُمْ﴾: تكرار لا لتوكيد النّفي، هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾: بفتح الزاي عن تفيد المباعدة والمجاوزة، أيْ: لا تذهب بعقولهم، أو يُنزفون: من النزف: وهو نزف الدم من المعدة، أو المري الحاصل بسبب شرب الخمر في الدنيا الذي يؤدي إلىٰ تشمع الكبد، والّذي قد يؤدِّي إلىٰ نزيف حادٍّ وغير مميت أو قاتل، بينما ويُنزِفُون: بكسر الزاي: يدل علىٰ النزف المميت القاتل الحاصل بسبب شرب الخمر الذي لا يتوقف حتىٰ بالمعالجة، والله أعلم. ارجع إلىٰ سورة الواقعة لمزيد من البيان.

[٤٨] ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾:

وصف لنساء الجنة.

﴿وَعِندَهُمْ﴾: في جنات النّعيم.

﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾: الحور العين أو نساؤهم في الدّنيا، قاصرات الطّرف: يدلُّ ذلك علىٰ العفاف ـ لا تنظر إلىٰ غير زوجها ـ وأصل القصر الحبس، الطّرف: النّظر.

﴿عِينٌ﴾: حسان العيون مع وسعها، جمع عيناء وهي المرأة الحسناء الواسعة العين.

[٤٩] ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾:

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ﴾: أمّا لون البشرة أو الوجه فهو البياض المخلوط بشيء من الصّفرة (اللون الأصفر) والعرب تشبه النّساء بالبيض لصفاء بياضهن، وهذا

يسمَّى تشبيه مرسل، قيل: كبيض النّعام (أبيض مشرب باللون الأصفر) وهو أحسن الألوان على الإطلاق مقارنة بالأبيض كلون اللبن اللون الغير مستساغ كلون للبشرة.

﴿مَكْنُونٌ﴾: مستور لا يصله غبار ولا تلوُّث.

[٥٠] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾:

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب، أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، هذه الآية جاءت في سياق إقبال أهل الجنة بعضهم على بعض يتساءلون بينما الآية السّابقة (٢٧) جاءت في سياق الأتباع والمتبوعين من المجرمين.

وكما دار حوار وتساؤل بين المجرمين يدور تساؤل وحوار بين أهل الجنة مختلف عن السّابق، وتبين لنا الآيات القادمة نوع التّساؤل.

[٥١] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾:

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾: أي: من أصحاب جنات النّعيم.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ لِي﴾: في الدّنيا.

﴿قَرِينٌ﴾: وسمَّاه قريناً، ولم يسمِّه صاحباً. والقرين: هو رفيق السّوء (يضر ولا ينفع) وأيضاً تطلق على الشّيطان القرين.

أمّا الصّاحب: فهو الرفيق الّذي ينتفع منه ويحفظ مصالح صاحبه ولا يفرط بها.

❖ ❖ ❖

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى
لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ
ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ
تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ
﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم
مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾
إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ
ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

سورة الصّافات [الآيات ٥٢- ٧٦]

[٥٢] ﴿يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾:

﴿يَقُولُ﴾: أيْ: كان يقول القرين لي في الدّنيا يقول:

﴿أَإِنَّكَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّعجب والاستبعاد.

﴿لَمِنَ﴾: اللام للتوكيد، من ابتدائية.

﴿الْمُصَدِّقِينَ﴾: أيْ: أأنت لمن المؤمنين بالبعث والحساب، أيْ: يُنكر عليَّ ويتعجَّب من كوني مؤمناً بالبعث والحساب.

[٥٣] ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾:

وكان هذا القرين يسألني أيضاً:

﴿أَإِذَا﴾: الهمزة أيضاً للاستفهام الإنكاري والاستبعاد والتّعجُّب، إذا: ظرفية للاستقبال تفيد حتمية الحدوث.

﴿مِتْنَا﴾: مِتنا بكسر الميم يدل على الموت الطّبيعي، ولو قال: أإذا مُتنا بضم الميم فتدل على الموت بأسباب أخرى مثل الموت في سبيل الله (في الجهاد). ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥٧-١٥٨) للبيان والفرق بين مِت ومُت.

﴿وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾: أيْ: تحولت أجسامنا إلى تراب وعظام.

﴿أَءِنَّا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والاستبعاد، أيْ: يسألني مستنكراً حين أخبره أنا لمدينون.

﴿لَمَدِينُونَ﴾: اللام للتوكيد، مدينون: من دان ودِنْتُهُ على ما صنع: أيْ: جازيته على ما صنع. أيْ: أنحن مجازون على ما نعمل أو محاسبون أو مسؤولون.

والسّؤال لماذا استعمل لمدينون ولم يقل: أإنا لمبعوثون: لأنّ السّياق هو في الآخرة ويسأل عن قرينه بعد أن دخل الجنة فالبعث مضى وانقضى والموقف موقف بعد الحساب والجزاء، وأإنا لمبعوثون: تأتي في سياق السؤال في الدنيا عن البعث.

[٥٤] ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾:

﴿قَالَ هَلْ﴾: هل: للاستفهام الحقيقي.

﴿أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾: معي للبحث عن ذلك القرين لننظر ما حلَّ به.

[٥٥] ﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ﴾:

﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ﴾: الفاء للمباشرة، فاطلع المؤمن كشف له الحجاب فرأى قرينه في سواء الجحيم، أيْ: في وسط النّار.

﴿فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ﴾: في ظرفية، سواء الجحيم: وسط النّار وسُمِّي الوسط: لاستواء تساوي المسافة إلى الجوانب.

[٥٦] ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾:

﴿قَالَ﴾: قال المؤمن الّذي في الجنة وكأنّه يتحدث مع قرينه مباشرة.

﴿تَٱللَّهِ﴾: التّاء تاء القسم، أي: أقسم بالله، والقسم للتوكيد، وفيه معنىٰ التّعجُّب والتّفخيم، والتّاء أقوىٰ أدوات القسم، أقوىٰ من الواو والباء واللام.

﴿إِن﴾: للتوكيد.

﴿كِدتَّ﴾: من أفعال المقاربة، أي: أوشكت.

﴿لَتُرْدِينِ﴾: اللام لزيادة التّوكيد، ترديـن: أيْ: لتهلكني معك أو تؤدِّي إلىٰ هلاكي بصدك إيّاي عن الإيمان بالله وبالبعث، يقال: أرديت فلاناً: أيْ: أهلكته وقضيت عليه، مشتقة من الرَّدىٰ: وهو الهلاك وأردىٰ فلان: أيْ: أهلكه، وقوله تعالىٰ: لتردين وليس لترديني: لأن المحاولة التي قام بها قرينه كانت مؤقتة ولم تستمر طويلاً.

[٥٧] ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾:

﴿وَلَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود.

﴿نِعْمَةُ رَبِّي﴾: عليَّ بالإسلام والإيمان والهداية والتّوفيق.

﴿لَكُنتُ﴾: اللام للتوكيد، كنت: أيْ: أصبحت.

﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾: من ابتدائية، المحضرين للعذاب أو المحضرين معك في النّار، ومحضرين جمع محضر: والمحضر هو الّذي أرغم علىٰ الحضور أيْ: من دون إرادته تُحضرهم الملائكة فتدخلهم النّار. محضرون: لا تأتي إلا في سياق العذاب في كل آيات القرآن.

[٥٨] ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾:

﴿أَفَمَا﴾: الهمزة للاستفهام المشوب بالنّفي والتّعجب والتّقرير، والفاء للتوكيد، ما: النّافية.

﴿نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾: أيْ: ما نحن بميتين مرة أخرىٰ إلا:

[٥٩] ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ﴾: الّتي تلت الحياة الدّنيا فقط.

﴿وَمَا﴾: لتوكيد النّفي.

﴿نَحْنُ﴾: تفيد التّوكيد.

﴿بِمُعَذَّبِينَ﴾: الباء للإلصاق، معذبين في النّار. أو بأيِّ نوع من أنواع العذاب الأخرىٰ.

[٦٠] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

هذا: يمكن أن يكون قول الله تعالىٰ أو الملائكة أو الرّجل المؤمن الّذي دخل الجنة.

إنّ واللام في لهو يفيدان التّوكيد.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يفيد القرب، ويشير إلىٰ النّجاة من العذاب، ولن يكون هناك موت ثانٍ.

﴿لَهُوَ﴾: اللام لزيادة التّوكيد.

﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: الفوز: النّجاة من النّار وبلوغ الغاية وهي نيل الجنة.

فالفرق بين الفوز والنّجاة: الفوز = النّجاة + الوصول إلىٰ المحبوب (المطلوب).

أمّا النّجاة = فهي الخلاص من المكروه فقط.

والفوز العظيم: ليس هناك فوز أفضل منه أو أعلىٰ منه، فهو أفضل من الفوز الكبير أو الفوز المبين. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٧٣) لمزيد من البيان.

[٦١] ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾:

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾: اللام في كلمة لمثل: لام التّعليل والتّوكيد.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه وذا اسم إشارة يشير إلىٰ الفوز العظيم.

﴿فَلْيَعْمَلِ﴾: الفاء للمباشرة، أيْ: لا يتأخرون عن العمل العظيم واللام في ليعمل لزيادة التّوكيد.

﴿ٱلْعَٰمِلُونَ﴾: في الدّنيا من الأعمال الصّالحة، والعمل يضم الأقوال والأفعال معاً. عاملون جملة اسمية تفيد الدوام والثبات علىٰ القيام بالأعمال الصّالحة.

[٦٢] ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾:

﴿أَذَٰلِكَ﴾: الهمزة للاستفهام التّقريري والتّهكم بالكفرة، ذلك: اسم إشارة للبعد يشير إلىٰ جنات النّعيم.

﴿خَيْرٌ﴾: أفضل.

﴿نُزُلًا﴾: مكانة نُـزلاً من النُّزل مـا يُعدُّ للضيف من المأكل والمشـرب والمسكن وحسن الضّيافة والتّرحيب.

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام المصحوب بالتّوبيخ، أم للإضراب الانتقالي.

﴿شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾: شجرة خبيثة مرة الطّعم مُنتنة لا يوجد لها مثيل في الدّنيا، وتسمَّىٰ الشجّرة الملعونة في القرآن. الإسراء آية (٦٠).

وقد ورد ذكرها في ثلاث آيات:

سـورة الصّافات: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصّافات: ٦٣-٦٥].

وفي سـورة الدخان: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦].

وفي سـورة الواقعة: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ [الواقعة: ٥١- ٥٣].

[٦٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿جَعَلْنَٰهَا﴾: أي: شجرة الزّقوم.

﴿فِتْنَةً﴾: تعني: للابتلاء: الاختبـار في الدّنيا، لمن يصدِّق بها أو يكذِّبها، وفي الآخرة نوع من أنواع العذاب للظالمين المشركين.

﴿لِّلظَّٰلِمِينَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٥٤) لبيان معنىٰ الظالمين.

[٦٤] ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾:

﴿تَخْرُجُ﴾: تنبت.

﴿فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾: في قعر الجحيم، كما قال الحسن، وأغصانها وفروعها تمتد في دركات النّار السّبع. ارجع إلىٰ سورة الرعد آية (١٨) للبيان المفصل.

[٦٥] ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾:

﴿طَلْعُهَا﴾: قيل: هو ثمرها كأنّه رؤوس الشّياطين وسُمِّي طلعاً، أو طلعها ما ينمو أو ينبت من أوراقها وأغصانها أو حملها، له صورة رؤوس الشّياطين. والعرب تشبِّه كلّ شيء قبيح برأس الشّيطان.

وهل رأىٰ أحدٌ رؤوس الشّياطين؟

وما دام المخبر هو الله سبحانه فقوله الحق، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النّساء:١٢٢].

[٦٦] ﴿فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾:

﴿فَإِنَّهُمْ﴾: للتوكيد تعود إلىٰ الظالمين.

﴿لَءَاكِلُونَ مِنْهَا﴾: لآكلون: اللام للتعليل والتّوكيد حيث لا طعام لهم آخر، ولن يأكلوا منها علىٰ قدر الضّرورة، بل سيُؤمروا أن يملؤوا منها البطون.

﴿فَمَالِـُٔونَ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، أي: يُكرهون ويجبرون على الأكل منها حتّى تمتلئ بطونهم منها.

[٦٧] ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لا تدل على التّرتيب والتّراخي، وإنما للترتيب العددي.

﴿إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾: للتوكيد، لهم عليها: اللام لام الاختصاص، عليها: تفيد المشقة والعلو.

﴿لَشَوْبًا﴾: اللام للتعليل، الشّوب هو الشّيء المخلوط الممزوج، يقال: شاب الطّعام أو الشّراب، أي: خلطه بشيء آخر.

﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾: الحميم: الماء البالغ غاية أو نهاية الحرارة، يشربونه فيختلط بالمأكول من شجرة الزّقوم، أيْ: أنّهم إذا أكلوا الزّقوم فملؤوا منها البطون عندها يحتاجون الماء ليطفئ لهم العطش، فيذهبون إلى الحميم (قيل: هو خارج جهنم) فيشربون من الحميم فيختلط الحميم في بطونهم مع الزّقوم والعياذ بالله.

[٦٨] ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾:

﴿ثُمَّ إِنَّ﴾: ثمّ للترتيب العددي، إنّ للتوكيد.

﴿مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾: بعد الشّرب من الحميم يُرجَعُ بهم إلى الجحيم؛ لأنّ الحميم خارج جهنم، فيخرجون خارج جهنم ليشربون من الحميم، ثمّ يُعادون إلى الجحيم، كقوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرّحمن:٤٤].

[٦٩] ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾:

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ﴾: ألفوا: وجدوا وهناك فرق بين ألفوا ووجدوا: ألفوا

من ألفى تستعمل للأمور المحسوسة المشاهدة، وفي الأمور غير المستحبة المذمومة، بينما وجدوا تستعمل في الأمور القلبية المعنوية، ووجدوا أعم وأشمل من ألفوا، ارجع إلى الآية (١٧٠) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾: وجدوا آباءهم ضالين عن طريق الهدى في الظّلمات. ظلمة الشّرك والجهل والتقليد والفساد.

[٧٠] ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾:

﴿فَهُمْ﴾: يحثُّ ويدفع بعضهم بعضاً على الإسراع في اتباع الآباء.

﴿يُهْرَعُونَ﴾: مشتقة من يُهرع بالأسير أيْ: يُسرع به بعد القبض عليه، أيْ: يسرعون، مندفعين إلى اتباع آبائهم من دون تفكُّر أو تعقل في الشّرك والكفر والضّلال.

[٧١] ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق، أي: تحقق ضلال أكثر الأولين.

﴿قَبْلَهُمْ﴾: الضّمير يعود إلى قريش من المشركين وتعني: من زمن بعيد أو قريب ولو قال: من قبلهم لكانت تعني من زمناً قريباً.

﴿أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: الأمم الخالية لقد ضل قبلهم كثير ممن سبقوهم الكثرة ضلت والقلة آمنت.

[٧٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: كالسّابقة في الآية (٧١).

﴿أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾: أيْ: لم نتركهم على غفلتهم، بل أرسلنا إليهم رسلاً منذرين لهم من العذاب والنّار، والإنذار يعني: الإعلام والتّحذير.

[٧٣] ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾:

﴿فَانظُرْ﴾: نظرة فكرية قلبية كيف أداة استفهام للسؤال عن الحال كان عاقبة (حين يذكر العاقبة بكلمة كان ولم يقل: كانت) يدل على أن العاقبة معناها العذاب، وحين يؤنث العاقبة فيقول: كانت عاقبة تعني: الجنة، وذلك في كلّ القرآن الكريم.

﴿كَانَ عَاقِبَةُ﴾: أيْ: عذابهم وهلاكهم.

﴿الْمُنذَرِينَ﴾: القوم الّذين أنذروا من رسلهم فأصروا على كفرهم ولم يتعظوا كيف كان عذابهم وهلاكهم.

[٧٤] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾:

أيْ: فانظر كيف أهلكنا المنذرين إلا عباد الله المخلصين الّذين استجابوا لرسلهم أنجيناهم.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: ارجع إلى الآية (٤٠) من نفس السّورة للبيان، أي: الموحّدين الّذين استجابوا للإنذار وانتفعوا به فنجوا من العذاب أو الهلاك.

[٧٥] ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: ارجع إلى الآية (٧١) للبيان.

﴿نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾: حين قال: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [القمر:١٠] أو حين قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٧].

﴿فَلَنِعْمَ﴾: الفاء للتعقيب المباشرة، واللام في لنعم للتوكيد، ونعم من أفعال المدح العامة؛ نعم المجيبون: تعني: نحن الّذين أجبناه، فلنعم تعود لله سبحانه وتعالىٰ، ولم يقل: فلنعم المجيب وجاء الجمع بصيغة الجمع للتّعظيم؛ لأنّ إنقاذ نوح من الكرب تطلب القدرة والعلم والحكمة.

[٧٦] ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾:

﴿وَنَجَّيْنَاهُ﴾: تدل علىٰ بطء النجاة وطول الزّمن (بعد ٩٥٠ سنة) ولم يقل: أنجيناه الّتي تدل علىٰ السّرعة وقصر الزّمن، ونجاته التي تمت بعد صنع الفلك، وتعني: زمن الطوفان.

﴿وَأَهْلَهُ﴾: أولاده الثّلاثة سام وحام ويافث وزوجاتهم.

﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾: من ابتدائية، الكرب: من الغرق والطّوفان، ووصف ذلك بالكرب، والكرب هو المكروه الّذي لا تستطيع دفعه عن نفسك، ولا يدفعه عنك من حولك حين تستغيث بهم، فإن كان لك فيه حيلة للنجاة فلا يسمّىٰ كرباً، فالكرب: المكروه الّذي لا يملك أو يستطيع أحدٌ دفعه إلا الله وحده سبحانه، فإنه القادر علىٰ ذلك.

❖❖❖

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن
شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا
بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ
يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ
يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٥

سورة الصّافات [الآيات ٧٧- ١٠٢]

[٧٧] ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾:

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ﴾: وجعلنا أولاده الثّلاثة سام وحام ويافث (ذريته عليه السلام) هم أصل النّاس عامة، سام أصل العرب والرّوم وفارس، وحام أصل الأفارقة والقبط والبربر والسّودان، ويافث أصل التّرك والصّين والولايات الواقعة جنوب الاتحاد السّوفيتي ويأجوج ومأجوج.

﴿هُمُ﴾: للتوكيد والحصر.

﴿الْبَاقِينَ﴾: كلّ النّاس الّذين من غير ذريته ماتوا وانقرضوا، فالنّاس كلّهم من ولد نوح عليه السلام، أيْ: هم الّذين بقوا وتناسلوا.

[٧٨] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾:

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾: أبقينا له الذّكر الحسن في الأجيال الّتي أتت بعده فحين نسمع اسم نوح يُذكر نقول: عليه السلام، ويثنون عليه من بين الأنبياء وأنه من أولي العزم، وذكر اسمه في القرآن (٤٣ مرة)، وغيره من الكتب.

الآخرين: الأقوام الّتي جاءت بعده ولم تعاصره.

[٧٩] ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾:

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾: أيْ: تركنا عليه أن يسلم عليه في الذين جاؤوا من بعده، وسلام نكرة يشمل سلام التّحية والأمن والسّلام ويشمل السّلامة من كلّ مكروه. وقال ابن عباس: يُذكر بخير، والسلام الذي يأتي معرفة (بأل التعريف): يدل على

سلام التحية فقط، وجاء السلام في كل القرآن بصيغة النكرة إلا آية واحدة هي قول عيسى عليه السلام: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ﴾ [مريم:٣٣].

﴿فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: في الملائكة والإنس والجن، أيْ: تركنا كلّ العالمين يسلمون عليه تسليماً ويقولون: عليه السلام؛ لأنّه كان مُحسناً أو تكريماً له؛ لأنّه من أولي العزم من الرّسل.

[٨٠] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: تعني: مثل ذلك وتعني الكاف للتّشبيه، ذلك: اسم إشارة، إنا كذلك: أي: مثل ذلك الجزاء وهو سلام عليه حين يُذكر اسمه والثّناء والذّكر الحسن والسّيرة الطيبة الّتي يتداولها النّاس.

﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: نجزي: من الجزاء: وهو الأجر والثواب، المحسنين: جمع مُحسن. ولبيان الإحسان ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة.

[٨١] ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾:

إنّه للتوكيد، من ابتدائية بعضية، عبادنا المؤمنين: وهذا ثناء عليه إضافة نا للتشريف، فقد كان عليه السلام محسناً وعبداً مؤمناً.

[٨٢] ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لتبيان بعد منزلة المؤمنين من الكافرين.

﴿أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾: أي: الكافرين من قومه بالطّوفان، انتبه إلى لفظ الآخَرين بفتح الخاء الكافرين الّذين عاصروه، وأمّا الآخِرون بكسر الخاء فتعني: الأجيال الّتي جاءت بعده.

[٨٣] ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾:

﴿وَإِنَّ مِن﴾: إنّ للتوكيد، من ابتدائية تعليلية.

﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾: أي: إبراهيم من شيعة نوح؛ أي: من أتباع نوح عليه السلام، والأشياع: أعم من الأتباع؛ الأتباع: هم فقط كانوا معه في زمنه؛ أي: من سار على ملة ومنهاج نوح، ودعا بدعوته.

﴿لَإِبْرَٰهِيمَ﴾: اللام لام الاختصاص والتّوكيد، وكان ما بين نوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام ما يقارب (٢٦٤٠ سنة).

[٨٤] ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرفية بمعنى حين.

﴿جَآءَ رَبَّهُۥ﴾: أقبل على ربه، ولم ينتظر حتّى يأتيه من يدعوه إلى الإيمان والتّوحيد.

﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: بفطرة الإسلام والتّوحيد، وقلب سليم من الشّرك والشّك والنّفاق، قلب سليم: قلب معافى من كلّ مرض في العقيدة والدّين، والباء للإلصاق واللزوم والاستمرار، وفي سورة الشّعراء آية (٨٩) قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾. ارجع إلى سورة الشّعراء آية (٨٩) لمعرفة الفرق بين الآيتين.

[٨٥] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾:

﴿إِذْ قَالَ﴾: ظرفية بمعنى الماضي حين؛ أيْ: واذكر إذ قال لأبيه أو حين قال لأبيه وقومه.

﴿لِأَبِيهِ﴾: اللام لام الاختصاص، أبيه آزر أو تعني عمه، وهذا هو الأصح فالقرآن يسمّي العم أباً، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ

﴿إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة:١٣٣]. ارجع إلى سورة الشعراء آية (٧٠) لمعرفة أبيه ومن هو آزر.

﴿وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾: ماذا استفهام توبيخ وإنكار، وماذا أقوى وأشد استفهاماً من (ما) تعبدون، وإبراهيم عليه السلام يعلم ما يعبدون؛ لأنّه قال لأبيه آزر كما ورد في سورة الأنعام الّتي نزلت قبل سورة الصّافات: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٧٤].

ولكنه عليه السلام يريد أن ينكر على أبيه (أي عمه) وقومه ما يعبدون ويوبخهم على ذلك ويقيم عليهم الحُجَّة، وفي سورة الشعراء آية (٧٠) قال لهم ما تعبدون؟ استفهام في بداية الأمر استفهام حقيقي، ولذلك أجابوه: نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين، أما في سورة الصافات قال: ماذا تعبدون؟ استفهام إنكاري، وتوبيخ؛ لأنه يعلم ماذا يعبدون.

[٨٦] ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾:

الإفك هو الكذب المتعمَّد وهو أقبح الكذب؛ لأنه كذب على الله تعالى، ويكون بقلب الحقيقة أيْ: أكذباً آلهة دون الله تريدون.

﴿أَئِفْكًا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري فهو ينكر على عمه وقومه عبادة أو تأليه غير الله تعالى، والاستفهام أقوى من الإخبار؛ لتكون الإجابة منهم فتكون حجة عليهم.

﴿ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ﴾: آلهة أصناماً، دون الله: غير الله أو سواه.

﴿تُرِيدُونَ﴾: تبغون تعبدون، تريدون تدل على التّجدد والاستمرار وتقديم المفعول على الفعل (تريدون) للاهتمام والعناية بدلاً من القول أتريدون آلهة من

دون الله إفكاً؛ أي: إنكم على إفك (باطل) في شرككم والآلهة التي تعبدونها هي أيضاً إفك وباطل.

[٨٧] ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء عاطفة، ما استفهام إنكاري وتوبيخ وتحذير.

﴿ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أيْ: ما ظنكم برب العالمين حتّى عبدتم آلهة غيره، ولم يُبيِّن ما نوع هذا الظّن، فقد يعني: ما سوء ظنكم برب العالمين حتّى تعبدوا غيره، أو فما ظنكم أن يصنع بكم إذا أشركتم به ألا يعاقبكم ويسخط عليكم، أو ما ظنكم: أليس هو ربكم ويستحق العبادة وحده، والظّن: هو الاحتمال الراجح حين ترجح كفة الإثبات على كفة النّفي.

[٨٨] ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾:

أراد إبراهيم عليه السلام أن يحطِّم الأصنام الّتي يعبدها قومه فانتظر قدوم عيد لهم، فلما عزموا إلى الخروج إلى العيد راح ينظر إلى السّماء والنّجوم، كما يفعل القوم حين يشعرون بقدوم المرض والسّقم ينظرون إلى السّماء يطلبون العون لكي لا ينكروا عليه عدم خروجه معهم، فلما سألوه أن يخرج معهم أخبرهم أنّه سقيم لا يستطيع الخروج؛ لأنّه يشعر أنّه مريض في بدنه.

[٨٩] ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾:

﴿فَقَالَ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، أيْ: قال لهم مباشرة: إنّه سقيم بعد أن نظر في النّجوم.

﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾: مريض، والسقيم: حالة خاصة من المرض، والمرض يشمل السقم، والمرض قد يكون مرضاً عضوياً؛ أي: يصيب البدن، أو نفسياً، والسقم مرض عضوي فقط، وحقاً هو مريض من إقبال قومه على عبادة الأصنام والشّرك

بالله، كما كان رسول الله ﷺ يحزن على قومه لعدم إيمانهم فيصفه الله تعالى بقوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِۦ صَدْرُكَ ﴾ [هود:١٢]، ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ ﴾ [الكهف:٦].

إنّي: للتوكيد، أي: اذهبوا وحدكم إلى عيدكم.

[٩٠] ﴿ فَنَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾:

﴿ فَنَوَلَّوْا۟ ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، تولوا عنه: انصرفوا عنه، أيْ: تركوه.

﴿ مُدْبِرِينَ ﴾: ذاهبين إلى عيدهم، وفي سورة الأنبياء الآية (٥٧) قال إبراهيم ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ قال ذلك في نفسه أو بصوت خافت.

[٩١] ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾:

﴿ فَرَاغَ ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، أيْ: ذهب إبراهيم مسرعاً وبخُفية، أو تسلل إلى الأصنام بخُفية كما يتسلل الثعلب المراوغ بحيث لا يراه أحد، وقيل: وضعوا بعض طعامهم عند أصنامهم ليأكلوه بعد عودتهم، فقال إبراهيم للأصنام مباشرة:

﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾: ألا: أداة حضٍّ وحثٍّ، والهمزة في ألا همزة استفهام إنكاري وتوبيخ، فلم تجب الأصنام على سؤاله طبعاً.

[٩٢] ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴾:

﴿ مَا لَكُمْ ﴾: ما للاستفهام والسّخرية والتهكم، لكم: اللام لام الاختصاص، لا النّافية.

﴿ لَا تَنطِقُونَ ﴾: لا تجيبون.

[٩٣] ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾:

﴿ فَرَاغَ ﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب، راغ: مال على الأصنام ضرباً باليمين، أيْ: راح يكسرها بيده اليمنى ويحطمها بقوة وشدة واليمين تدل على القوة والشّدة غيرة على دين الله.

[٩٤] ﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾:

﴿ فَأَقْبَلُوا ﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب، إليه يزفون: اتجهوا إليه مسرعين، بعد عودتهم من عيدهم، وبعد أن وجدوا آلهتهم جذاذاً إلا كبيراً لهم، وبعد أن تساءلوا عمن فعل هذا بآلهتهم وظنوا أنّه إبراهيم.

﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾: من زف يزفُ بمعنى أسرع يُسرع، أي: اتجهوا إليه أو نحوه مسرعين.

ولم يُذكر في هذه السّورة ما جرى بين إبراهيم وقومه من الحوار كاملاً وذكر ذلك في سورة الأنبياء آية (٥٩-٦٢).

[٩٥] ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾:

﴿أَتَعْبُدُونَ ﴾: استفهام إنكاري وتقريع، العبادة تعني: امتثال أوامر المعبود وتجنب نواهيه.

﴿مَا ﴾: اسم موصول بمعنى الّذي أو مصدرية.

﴿تَنْحِتُونَ ﴾: من النّحت الصّناعة من حجر أو خشب أو من فضة أو ذهب.

ثم قال لهم: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء:٦٧].

[٩٦] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا﴾: وما بمعنى الّذي، أي: الله خلقكم وآلهتكم (أصنامكم).

﴿تَعْمَلُونَ﴾: أيْ: بأيديكم من الأصنام والتّماثيل والآلهة، وما تعملون من النّحت والتّصوير والتّجارة.

[٩٧] ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾:

بعدما أصابتهم الحيرة أمام إبراهيم أرادوا به كيداً فقالوا:

﴿ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا﴾: البنيان هو البناء الثابت الأثري، واملؤوه بالحطب وأوقدوا النّار، ثمّ ألقوا إبراهيم فيه، له: اللام لام الاختصاص له خاصة.

﴿فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة؛ الجحيم: أي: إذا اضطربت وتأججت ألقوه في النّار المستعرة المتأجّجة.

[٩٨] ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾:

﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، أرادوا به: أيْ: بإبراهيم.

﴿كَيْدًا﴾: الكيد: هو إيقاع المكروه بالغير قهراً سواء علم أو لا، والكيد أقوى من المكر، والكيد هو إحراقه على مرأى من النّاس.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾: ردّاً على قولهم: فألقوه في الجحيم بما أنّ الإلقاء يكون من الأعلى إلى الأسفل، فجاء الرّد على كيدهم كأنّهم هم الّذين سقطوا في النار بدلاً من إبراهيم.

فكانوا هم الأسفلين وإبراهيم عليه السلام لم يُصَبْ بأيٍّ أذى.

وإذا قارنا هذه الآية ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ مع الآية (٦٩) من سورة الأنبياء ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾:

نجد في سورة الأنبياء قالوا: حرقوه وانصروا آلهتكم، فجاء الرّد فجعلناهم الأخسرين مقابل انصروا آلهتكم (النّصر قابله بالخسارة).

وفي سورة الصّافات مقابل الإلقاء (من أعلىٰ إلىٰ أسفل) جعلهم هم الأسفلين.

[٩٩] ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾:

﴿وَقَالَ﴾: إبراهيم عليه السلام بعد نجاته من النّار وعدم استجابة قومه لدعوته.

﴿إِنِّى﴾: للتوكيد.

﴿ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾: أيْ: مهاجر إلىٰ ربي أو إلىٰ حيث أمرني ربي، وهي الهجرة إلىٰ الشّام.

﴿سَيَهْدِينِ﴾: السّين للاستقبال القريب، سيهدين إلىٰ أين أذهب لإقامة الدّعوة والتّبليغ ولإعلاء كلمته وعبادته، وسيهدين عامة تشمل إبراهيم وغيره فكل من يهاجر إلىٰ الله سبحانه سيهديه، وليست خاصة بإبراهيم وحده ولو كانت تعني: إبراهيم وحده لقال سيهديني.

[١٠٠] ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

ثمّ دعا إبراهيم عليه السلام ربه فقال:

﴿رَبِّ هَبْ لِى﴾: الهبة: العطاء من دون مقابل، ارجع إلىٰ سورة إبراهيم الآية (٣٩) للبيان، أي: ارزقني.

﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: ذريــة صالحة أو ولــداً صالحاً يحمل الرّســالة من بعده ويتحمل مسؤولية النّبوة، من ابتدائية بعضية، أيْ: بعض الصّالحين.

[١٠١] ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾:

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب، بشــرناه: من البشارة وهي الخبر السّار لأوّل مرة.

﴿بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾: البــاء للإلصاق، غلام حليم: هو إســماعيل، كما قال أكثر المفسرين، وحليم: ذو حلم وصبر وأناة ولا يستفزه الغضب وإسماعيل أكبر من إســحاق بـ(١٣) ســنة، ولم يقل: غلام عليم: يعني: إسحاق، كما جاء في سورة الذّاريات (٢٨) والّذي يؤيد أنّه إسماعيل قوله في الآية (١١٢) من نفس السّورة: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أيْ: بعد ذكر حادثة الذبح جاء ذكر البشــارة بإسحاق.

[١٠٢] ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء عاطفة، لما: ظرفية للزمان الماضي بمعنىٰ حين.

﴿بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾: أي: بلغ إســماعيل السّــن الّذي يقدر فيه علىٰ السّعي؛ أي: العمل كما قال ابن عباس. قيل: (١٣) ســنة وهو المرجح، معه: أيْ: مع أبيه إبراهيم عليه السلام، بلغ معه الســعي، ولم يقل بلغ السعي بشكل عام؛ لأن إسماعيل في ذلــك العمر له قدرته وطاقته علىٰ العمل فيقوم بما يقــدر عليه ويترك ما لا يقدر عليه لأبيه، وأبوه لن يكلفه إلا علىٰ قدر طاقته وقدرته فهذا هو سر بلغ معه.

﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ﴾: فيها معنىٰ العطف والحنان ولم يقل: يا ابني.

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ﴾: إنّــي للتوكيد، أرىٰ في المنام: ولــم يقل: رأيت في

المنام أرىٰ تدل علىٰ كثرة الرّؤيـــا والتّجدُّد. فقد رأىٰ إبراهيم نفس الرّؤيا في كلّ ليلة لمدة ثلاث ليال، فلو رأىٰ الرّؤيا مرة واحدة لقال: رأيت. كما جاء في ســـورة يوسف آية (٤) حين قال: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾.

﴿أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾: أيْ: لم يَرَ إبراهيم أنّه ذبح إســـماعيل في منامه بيده، وإنما أُمر في المنام بذبحه، ويدلُّ علىٰ ذلك قوله: افعل ما تؤمر، أي: ما طلب منك.

﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ أيْ: فكِّر وتدبَّر في هذه الرّؤيا، ماذا: اســـتفهام أقوىٰ وآكد من حرف ما.

ماذا ترىٰ من الرّأي علىٰ وجه المشـــاورة (وهو في سن ١٣ سنة) وشاوره ليعلم إســـماعيل ما يقوله أبـــوه إبراهيم أنّه بلاء من اللـــه، ويثبته ويصبره ويعلمه الانقياد إلىٰ أمر الله، فهو أمام أمرين الأمر الأوّل البرُّ بربِّه، والثّاني البرُّ بأبيه.

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾:

﴿قَالَ﴾: إسماعيل لأبيه إبراهيم: افعل ما تؤمر به.

﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾: السّين للاستقبال القريب.

﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: إن شرطية.

﴿مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: من ابتدائيـــة، ولم يقل: صابراً مـــن الصّابرين أفضل من صابر؛ لأن الدّعاء بصيغة الجمع أفضل مـــن الدّعاء بصيغة الإفراد من الصّابرين علىٰ قضاء الله وقدره.

❖ ❖ ❖

فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ
صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ
ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي
ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ
﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ
﴿١١٥﴾ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ
ٱلۡمُسۡتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكۡنَا
عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ
﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنۡ
عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾
إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ
ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

سورة الصّافات [الآيات ١٠٣- ١٢٦]

[١٠٣] ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾:

﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء للترتيب الذّكري، لما: ظرفية زمانية للماضي بمعنىٰ حين.

﴿أَسۡلَمَا﴾: الابن إسماعيل أسلم نفسه لله، وأسلم الأب إبراهيم ابنه لله وكلاهما رضيا بقضاء الله وحكمه وعزما علىٰ تنفيذ أمره، أو فوَّضا أمرهما لله تعالىٰ.

﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾: أصل تلَّه ألقىٰ به علىٰ التّل (مجمع الرَّمل)، والجبين هو الجزء الخارجي المجاور للجبهة، وللوجه جبينين وجبهة، وتلَّه للجبين، أيْ: أضجعه علىٰ جبينه فصار أحد جبينيه علىٰ مجمع الرّمل كي لا يرىٰ وجهه وهو يتعذَّب، وأصبح هذا المكان فيما بعد مكان رمي الجمرات، وقد وصف الله سبحانه إسماعيل بثلاث صفات: الحليم، صادق الوعد، ومن الصالحين، كما ورد في الآية (١٠٠-١٠١) في هذه السورة، والآية (٥٤) من سورة مريم، وللجبين: اللام لام الاختصاص، أيْ: غائراً أو ملازماً لجبينه.

وقد ذكر الله سبحانه الجبهة في القرآن، فقال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡ﴾ [التوبة:٣٥].

[١٠٤] ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾:

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾: الواو للتوكيد، أن تفيد التّعليل، أيْ: قد صدقت الرّؤيا بعد أن

حاول إبراهيم بالفعل ذبح ولده بالسكين، ولكن الله سبحانه نزع منها خاصية القطع أو الذبح وحولها إلى أداة غير حادة.

[١٠٥] ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿قَدْ﴾: للتحقيق، أيْ: قد حققت المطلوب منك.

﴿صَدَّقْتَ الرُّءْيَآ﴾: الرؤيا: ما يراه النائم في منامه، ورؤيا الأنبياء صدق؛ أي: جعلت الرّؤيا المنامية رؤيا صادقة، والرؤيا تختلف عن أضغاث الأحلام المختلطة، والتي قد لا تكون صادقة.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾: إنا للتعظيم، كذلك: الكاف للتشبيه، ذلك: اسم إشارة يشير إلى ما فعله إبراهيم عليه السلام بالقيام بما أمره الله به.

أيْ: كما عفونا إبراهيم عن ذبح ولده وخلصناه من ابتلائه:

﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: أيْ: نجزي كلّ محسن على طاعته وامتثاله أوامر الله أيْ: ننجيه من كربته وشدته ومحنته، ونثيبه على صبره وإحسانه وإخلاصه.

[١٠٦] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَٰٓؤُا الْمُبِينُ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، واللام في كلمة لهو لزيادة التّوكيد.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلى ما ابتلينا به إبراهيم من ذبح ولده.

﴿لَهُوَ﴾: اللام لزيادة التّوكيد، هو للتوكيد أيضاً.

﴿الْبَلَٰٓؤُا الْمُبِينُ﴾: البلاء: هو الاختبار بالمكروه أو الشدة أو الكرب لاستخراج أو معرفة ما عند العبد من الطّاعة والصّبر، والبلاء قد يكون بالخير والشّر، أي: ابتلاء إبراهيم بذبح إسماعيل وصبر إسماعيل على تنفيذ حكم الله

تعالىٰ هو من أشد الابتلاءات علىٰ الإطلاق، المبين: الّذي يَقرُّ به كلّ فرد ـ والمبين الواضح ـ لا يحتاج إلىٰ دليل أو بيِّنة أنّه أصعب وأشد الابتلاءات.

[١٠٧] ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾:

﴿ وَفَدَيْنَٰهُ ﴾: الواو عاطفة، فديناه: من الفداء: هو ما يُجعل بدل الشّيء سواء كان مثله أو أنقص منه، والهاء في فديناه تعود علىٰ إسماعيل عليه السلام، أيْ: بدلنا ذبح إسماعيل عليه السلام بذبح كبش عظيم.

والأدلة كثيرة علىٰ أنّ الذّبيح كان إسماعيل عليه السلام منها:

الآية (١١٢) من نفس السّورة الّتي جاءت بعد ذكر الذّبح لتبشر بقدوم إسحاق.

كون إسماعيل ابنه الوحيد في تلك الفترة الزّمنية وكون إسماعيل عاش في مكة ولم يكن في الشّام.

﴿ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾: كبش كبير أملح لا عيب فيه.

[١٠٨] ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (٧٨) تركنا عليه في الأجيال الّتي جاءت بعده بالذّكر والثّناء الحسن بالقول عند ذكر إبراهيم عليه السلام عليه وسيرته الحسنة الّتي يتداولها النّاس.

[١٠٩] ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾:

سلام من الله تعالىٰ علىٰ إبراهيم وملائكته، وسلام عليه من كلّ من يذكر اسمه من الإنس والجن، سلام تحية وسلام وأمن في الآخرة، وسلام من كل مكروه ومن النار.

[١١٠] ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

لم يذكر (إنا) في هذه الآية؛ لأنّه ذكرها في الآية (١٠٥) فاكتفىٰ بذكرها هناك.

أيْ: كما جزينا إبراهيم عليه السلام نجزي غيره من المحسنين بالذّكر والثّناء الحسن سواء في الملأ الأعلىٰ، أو في الأرض، وكما قال تعالىٰ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢] نجزي المحسنين الدّرجات العُلىٰ.

[١١١] ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

ثناء وشهادة أخرىٰ لإبراهيم.

ودعوة وحثٌّ إلىٰ الإيمان والترغيب فيه.

وكل محسن مؤمن وليس كلّ مؤمن محسناً.

فالإيمان يسبق الإحسان، وقد تعني: أنه كان من عبادنا المؤمنين قبل أن يكون من المحسنين.

[١١٢] ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

﴿وَبَشَّرْنَٰهُ﴾: الواو عاطفة، بشرناه: أيْ: بشرته ملائكتنا حين دخلوا علىٰ إبراهيم، وهم في طريقهم إلىٰ قوم لوط بشروا إبراهيم بغلام عليم، كما ورد في سورة الذّاريات الآية (٢٨)، وإضافة الله سبحانه للملائكة؛ لأنّ البشرىٰ هي أصلها من الله تعالىٰ وتشريفاً لإبراهيم وتكريماً له والبشرىٰ هي الخبر السّار لأوّل مرة.

﴿بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا﴾: الباء للإلصاق واللزوم، بإسحاق (من امرأته سارة) وبأنّ

هذا الولد سيكون نبياً من الصّالحين، فالبشارة تحمل بشارتين الأولىٰ الولادة والثّانية النّبوة.

﴿مِنَ الصَّٰلِحِينَ﴾: من ابتدائية، الصّالحين: ارجع إلىٰ الآية (١٣٠) من سورة البقرة للبيان.

[١١٣] ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾:

﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾: البركة في اللغة هي الزّيادة والنّماء ومشتقة من البروك وهو اللزوم والثّبوت، أيْ: تعني كلّ خير إلهي ثابت ولازم ولا يسند فعل البركة إلا إلىٰ الله وحده.

وباركنا عليه، أيْ: علىٰ إبراهيم بكثرة الذّرية بأن جعل من صلبه أكثر الأنبياء والرّسل وباركنا عليه بالنّعم والبركات الدّنيوية والأخروية، فقد أصبح خليل الرّحمن وأولو العزم من الرّسل ومن المقربين.

﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾: أيْ: وباركنا علىٰ إسحاق بيعقوب وأولاده الأسباط ويوسف وبنيامين.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا﴾: من ابتدائية، ذريتهما: أيْ: إبراهيم وإسحاق، والذرية هم: النّسل، أي: الأولاد.

﴿مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾: محسن: المؤمن المتقي الّذي لم يقتصر إحسانه علىٰ نفسه، وإنما تعداه إلىٰ غيره وأصبح محسناً كماً وكيفاً ومراقباً الله تعالىٰ في أعماله. ارجع إلىٰ الآية (١١٢) من سورة البقرة لبيان معنىٰ المحسنين، وظالم لنفسه: إمّا بالشّرك أو بالعصيان أو بالتّقصير في عبادته، مبين: ظاهر الظّلم أو بين العصيان، ظلمه ظاهر لكلّ من يطلع عليه ويعرفه، وظلمه غير خفي ولا يحتاج إلىٰ دليل أو برهان.

ومن هذه الآية وغيرها يتبين أنّ قول إبراهيم عليه السلام حين ابتلاه ربُّه بكلمات فأتمهن قال: إنّي جاعلك للناس إماماً، قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤].

[١١٤] ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق، أي: قد تحقق وتم ذلك.

﴿مَنَنَّا﴾: بصيغة الجمع للتعظيم، والمن: الإنعام والعطاء.

﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾: على موسى وأخيه هارون بالنّبوة والرّسالة.

[١١٥] ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾:

﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾: أي: نجينا موسى وهارون وقومهما، أي: بني إسرائيل، والنّجاة تعريفها: النّجاة من الأمر المكروه فقط، وأمّا الفوز فهو النّجاة من الأمر المكروه، والنيل أو الوصول إلى الأمر المرغوب فيه أو الغاية.

﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾: من ابتدائية، الكرب تعريفه، ارجع إلى الآية (٧٦) من نفس السّورة والكرب العظيم: هو من الغرق والهلاك في البحر، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة:٥٠]، ولا يجوز خلطه بالنّجاة من البلاء العظيم: وهو النّجاة من آل فرعون ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٤٩]، إذن هناك نجاة من البلاء العظيم ببطء (وإذ نجيناكم) ونجاة من الكرب العظيم بسرعة (فأنجيناكم).

[١١٦] ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾:

﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾: الضّمير يعود على موسى وهارون وقومهما، نصرناهم: على فرعون وجنوده، نصرناهم: من النّصر: هو الغلبة العسكرية المادية بالقوة

والسّـــلاح مقارنة بالفتح هو النّصر من دون قتال أو قوة وســـلاح، كما قال تعالىٰ في سورة طه آية (-٧٨- ٨٠): ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾.

﴿فَكَانُوا۟ هُمُ﴾: للتوكيد، والفاء للترتيب والمباشرة.

﴿ٱلْغَٰلِبِينَ﴾: الغلبة تكون بالقدرة، وقد تكون بالحُجَّة والبرهان والسّلطان، الغالبين علىٰ فرعون وجنوده.

[١١٧] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾:

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا﴾: أي: موســىٰ وهارون، الإيتاء يختلف من العطاء. ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة للبيان.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التّوراة الكتاب، جاء بأل التّعريف ليدل علىٰ الكمال.

﴿ٱلْمُسْتَبِينَ﴾: الواضح البيِّن الأحكام والشّرائع.

[١١٨] ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾:

وهديناهما الصّراط المســتقيم: هو الإســلام دين الحق الّذي جاء به كافة الرّســل والصّراط المستقيم هو الطّريق الواسع السّــهل المستقيم الموصل إلىٰ الغاية بأقصر زمن ومسافة.

[١١٩] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾:

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا﴾: أي: خلفنا لهما الذّكر والثّناء الحســن في الأجيال الّتي جاءت بعدهم وسلام الآخرين عليهما حين ذكر أسمائهما.

[١٢٠] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١٠٩) من نفس السّورة للبيان.

[١٢١] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٨٠) للبيان.

أي: كما مننا وأنجينا ونصرنا وآتينا وهدينا وتركنا عليهما في الآخرين، نمن وننجي وننصر ونؤتي ونهدي ونترك الذّكر والثّناء الحسن، للمحسنين.

وهذه الآيات تدل علىٰ أن رسالتهما كانت واحدة.

[١٢٢] ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١١١) من نفس السّورة للبيان.

بعد أن ذكر الله سبحانه نوح وإبراهيم وموسىٰ وهارون يذكر ثلاثة من الرّسل إلياس ولوط ويونس.

[١٢٣] ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾: إنّ للتوكيد، إلياس: من سبط هارون، وهو إلياس بن فنحاص من العيزار بن هارون بن عمران أخي موسىٰ، وقيل: إلياس أو إلياسين اسم لمسمًّىٰ واحد، وإلياس نبي من أنبياء بني إسرائيل، بعثه الله تعالىٰ إلىٰ قوم من بني إسرائيل كانوا يعبدون صنماً يقال له بعل في مدينة أو قرية سُمِّيت بعلبك في أرض الشّام فدعاهم إلىٰ التّوحيد والإخلاص لله في العبادة، اسم إلياس في كتب بني إسرائيل إيليا.

[١٢٤] ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾:

﴿إِذْ﴾: واذكر إذ قال لقومه أو اذكر حين قال لقومه.

﴿قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾: فيها شعور بالعطف والحنان.

﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾: ألا الهمزة همزة استفهام إنكاري ينكر عليهم شركهم، وألا أداة حثٍّ وحضٍّ، تتقون: تتقون الله سبحانه وتعالىٰ، أيْ: تتقون عذابه أو ناره وتتقون سخطه وغضبه، وذلك بامتثال أوامره وطاعته وتجنُّب نواهيه.

[١٢٥] ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾:

﴿أَتَدْعُونَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، أتدعون، أيْ: أتعبدون.

﴿بَعْلًا﴾: اسم الصّنم، والبعل في اللغة: يعني السيد القائم، وبعلُ المرأة سيدها، وفيها معنىٰ الاستعلاء؛ أي: يعتبرون هذا الصنم سيدهم وأعلاهم فيعبدونه.

﴿وَتَذَرُونَ﴾: تتركون أو تعرضون عن عبادة الإله الحق المستحق للعبادة وحده.

﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾: ارجع إلىٰ سورة المؤمنون الآية (١٤) وكأنّهم سألوه من هو أحسن الخالقين؟ فقال:

[١٢٦] ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾:

جمع في هذه الآية صفتي الألوهية والرّبوبية معاً، وأنّه هو الله وهو الرّب وهو رب كلّ شيء ورب الأولين والآخرين.

فصفة الرّبوبية تدل علىٰ الخلق والتّربية والرّزق والتّدبير، أمّا صفة الألوهية فتدل علىٰ العبودية علىٰ أنّه هو الإله الحق الّذي يستحق العبادة، فلا معبود إلا هو، وهو الرّب المحيي والمميت واجب الوجود، وهو الخالق الحقيقي وحدَه.

❖❖❖

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا
لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا
فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم
مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ
كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ
وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ
شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

الحزب ٤٦

سورة الصّافات [الآيات ١٢٧- ١٥٣]

[١٢٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾:

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: الفاء تدل على التّعقيب والمباشرة، أيْ: كذبه قومه مباشرة كذبوا نبوته ورسالته وما دعا إليه من توحيد.

﴿فَإِنَّهُمْ﴾: الفاء للتوكيد.

﴿لَمُحْضَرُونَ﴾: اللام للتوكيد، محضرون: جمع مُحضر، أيْ: تحضرهم الملائكة قسراً ومن دون إرادتهم يوم القيامة إلى جهنم. ومحضرون لا تأتي إلا في سياق العذاب في كل القرآن.

[١٢٨] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: الّذين أخلصوا لله في عبادتهم ووحّدوه من قوم إلياس، أولئك ينجون ولا يُحضرون إلى العذاب.

[١٢٩] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (٧٨) من نفس السّورة.

[١٣٠] ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾:

سلام من الله وملائكته على آل الياسين، أيْ: عليه وعلى آل ياسين (الّذين آمنوا معه).

[١٣١] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

إنا: للجمع والتّعظيم، أيْ: كما أنجينا آل ياسين من العذاب ننجي المحسنين، إنا للتعظيم وتحمل معنىٰ التّوكيد والتّعليل. ارجع إلىٰ الآية (٨٠) لمزيد من البيان.

[١٣٢] ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنّ للتعليل للإنعام عليه كونه من عبادنا المؤمنين أو علّة الإحسان عليه أنّه من عبادنا المؤمنين. ارجع إلىٰ الآية (١١١) لمزيد من البيان.

[١٣٣] ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد، لمن: اللام في لمن لزيادة التّوكيد.

﴿لُوطًا﴾: هو ابن هاران أخي إبراهيم، خرج لوط مع عمه إبراهيم عليه السلام مهاجراً بعد أن آمن له أيْ: (صدق إبراهيم) بعد حادثة إلقاء إبراهيم في النّار فأرسله الله سبحانه إلىٰ قرىٰ سدوم وعمورة الّتي سُمِّيت بالمؤتفكات.

﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: بالجمع: جمع مرسل رغم أن لوطاً كان أحد المرسلين؛ لأن من يكذب رسولاً فقد كذب كل المرسلين؛ لأن رسالتهم واحدة من الله سبحانه إلىٰ أقوامهم. ولقد ذُكر لوطٌ عليه السلام في القرآن في (٢٧) آية بينما ذُكر عيسىٰ عليه السلام في (٢٥) آية؛ مما يدل علىٰ أن دعوة لوط كانت دعوة شاقة إلىٰ الذين يعملون الخبائث.

[١٣٤] ﴿إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿إِذْ نَجَّيْنَٰهُ﴾: أي: اذكر إذ نجيناه أو اذكر حين نجيناه وأهله، ونجيناه تدل علىٰ طول الزمن في دعوته لقومه.

﴿وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾: الأهل: تُطلق على الزوجة والأولاد وعشيرة الرّجل الأقربين. أهله: ابنتيه، أجمعين توكيد.

[١٣٥] ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء؛ لأن امرأته كانت من أهله.

﴿عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: أي: امرأة لوط الكافرة لم تكن على دينه، في الغابرين: جمع غابر والغابر تعني: الباقي أو تعني الشّيء الّذي مضى وانتهى.

في الغابرين: أي: الباقين في العذاب.

[١٣٦] ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لتباين الصّفات أو البعد بين النّجاة والدّمار.

﴿دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾: دمرنا قومه بأن جعلنا قراهم عاليها سافلها وأرسل عليهم حجارة من طين، أيْ: أهلكناهم ودمرنا قراهم تدمير فلم ينجو منهم أحد.

[١٣٧] ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾:

﴿وَإِنَّكُمْ﴾: للتوكيد، واللام في لتمرون والنّون في تمرون كلّها للتوكيد.

﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾: تمرون عليهم في قراهم قرى قوم لوط، في أسفاركم صباحاً ومساءً، مصبحين وقت الصّباح أو وقت دخول الصّباح.

[١٣٨] ﴿وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

أيْ: وتمرون عليهم بالليل في أسفاركم.

﴿وَبِٱلَّيْلِ﴾: الباء للإلصاق، والباء تعني: أيَّ وقت في الليل غير محدَّد ولم يقل: في الليل، وتعني: وقتاً محدَّداً بالليل.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: الهمزة للاستفهام والتّوبيخ لعدم تفكرهم وتدبرهم والفاء للتوكيد، وألا أداة حضٍّ وحثٍّ على التّفكير، فلو فكروا أو عقلوا لعلموا أنّ الله الّذي أهلك ودمَّر قوم لوط قادر على أن يهلك ويدمِّر كفار قريش.

ولم يذكر سلام على لوط في العالمين؛ لأنّه أُدخل في عداد المرسلين ونال السّلام من الله عليه في الآية القادمة (١٨١) حين قال: وسلام على المرسلين.

[١٣٩] ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿يُونُسَ﴾: يونس بن متى الملقب بذي النّون.

﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: لمن: اللام للتوكيد، من ابتدائية، المرسلين من ربهم إلى أقوامهم.

[١٤٠] ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾:

﴿إِذْ﴾: واذكر إذ أَبَقَ أو اذكر حين أَبَقَ.

﴿أَبَقَ﴾: تستعمل تحديداً للعبد الّذي يهرب بسرعة وخوف من سيده للتخلص من الأذى والمشقة، فشبه خروج يونس عليه السلام من بين قومه وترك البلد بغير إذن أو أمر من ربه بهروب العبد من سيده، ولهذا الإباق سبب فسرته الآيات الأخرى، فانظر في سورة الأنبياء الآية (٨٧).

﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: الفلك تستعمل للمفرد والجمع، والمشحون: المملوء بقوم نوح الذين نجوا معه، وبعض الحيوانات الأليفة والمتاع.

رُوِيَ عن ابن عبّاس قال: لما أنذر يونس قومه بالعذاب القريب فلما تأخَّر نزول العذاب خرج يونس متخفياً فقصد البحر فركب السّفينة فبعد أن ركب فيها

توقفت حركتها لا تتقدَّم ولا تتأخَّر، فقال ركاب السّـفينة: فيها عبد آبق من سيده فاقترعـوا فوقعت القرعة علىٰ يونس، وأعادوا ذلـك ثلاث مرات، وفي كلّ مرة يخرج اسمه، فقال يونس: أنا العبد الآبق فألقوه في البحر.

[١٤١] ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾:

﴿فَسَاهَمَ﴾: الفاء تدل علىٰ المباشـرة والتّعقيب، ساهم: شارك في القرعة، من المساهمة: مشـتقة من السّهام الّتي واحدها سهم وهي أعواد النّبال، وتسمَّىٰ الأزلام أيضـاً، فسـاهم: فقارع، فسـاهم، أيْ: دخل معهم فـي القرعة (طريقة للاختيار) وألقىٰ بسهمه مع سهامهم.

﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾: الفـاء للترتيـب والمباشـرة، مـن المدحضين: المدحض هو الخاسـر أو المغلوب، من المغلوبين في القرعة والدّحض أصله الطّيـن الّذي يزلق القدم، وأدحضه أزاله عن مكانه، وعملية إلقاء السّـهام عملية قدرية خالصة لا دخل لها فيها للهوىٰ ودليل علىٰ العدالة.

وهلاك واحد من الرّكاب أفضل وخيرٌ من هلاك الجميع، وقيل عندها: ألقوا يونس في البحر والاقتراع مشـروع فقد كان رسول الله ﷺ، كما روىٰ البخاري ومسـلم عن عائشة ﵂ قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد السفر أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سـهمها خرج بها معه»، ولم يبين الشـرع طريقة معينة للقرعة فبأي طريقة تمت فهو جائز.

[١٤٢] ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾:

﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾: الفاء للتعقيب والمباشـرة، التقمه الحوت، أي: التقمه الحوت بسـرعة من لقم الشّيء تَلَقَّمه، أيْ: بقي كاللقمة في فم الحوت ولم يبلعه وينزل إلىٰ معدته والحوت قد يكون إحدىٰ الحيتان الزرقاء الضخمة البنيان ذات

الوزن العظيم، وليس له أسنان وبقي يتنفس الهواء، أي: الأوكسجين الموجود في فم الحوت الواسع فترة من الزّمن، ثمّ نبذه الحوت، أي: طرحه وألقاه من فمه، وقيل: كان ذلك في نهر دجلة.

﴿وَهُوَ﴾: هو ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿مُلِيمٌ﴾: أي: فعل يونس عليه السلام فعلاً أو شيئاً يُلام عليه: أيْ: يُعاتب عليه من ربه واللوم نوع من العتاب أو ضرب من العتاب والعتاب دليل على المحبة، ولا يصل إلى درجة العقاب، والعتاب يحصل بين الأحبة، فأنت لا تعاتب إلا من تحرص على صحبته.

ومليم: مكتسب أو مستحق أن يُلام لكونه فارق قومه بغير إذن من ربه كما يفعل الهارب من سيده، وأَلامَ الرّجل: إذا أتى ما يُلام عليه من الأمر وإن لم يُلم، أمّا الملوم: فهو الّذي يُلام سواء أتى بما يستحق أن يلام عليه أم لا.

[١٤٣] ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾:

﴿فَلَوْلَآ﴾: الفاء السّببية، لولا: حرف امتناع لوجود، أيْ: تسبيحه في حياته منعه من اللبث والبقاء في بطن الحوت إلى يوم يبعثون.

﴿أَنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾: أيْ: كان من الذّاكرين الله كثيراً والمسبحين بحمده والتسبيح يعني: الذّكر بشكل عام والدّعاء، أو المصلين (التّسبيح يعني: الصّلاة)، من: ابتدائية، المسبحين: جمع مسبِّح: وتدل على أن صفة التّسبيح مستمرة عندهم ثابتة. ارجع إلى سورة القلم آيات (٤٨-٥٠) لمزيد من البيان، وسورة الأنبياء آية (٨٧-٨٨).

[١٤٤] ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾:

﴿لَلَبِثَ﴾: اللام للتوكيد، لبث: مكث وأقام، قيل: (٤٠) يوماً، وقيل: (٢٠) يوماً، وقيل: سبعة أيّام. اللبث: يقترن بزمن محدَّد؛ بينما المكث يدل على زمن غير محدد.

﴿فِي بَطْنِهِۦٓ﴾: في ظرفية، بطنه: تعود على الحوت، ولم يكن يونس في بطن الحوت كما قلنا، بل في فم الحوت، ولكن لو أراد الله أن يقضي على يونس لأماته، ثمّ نزل في بطن الحوت ومات، ثمّ بعد أن يميت الله الحوت فينزل إلى قاع البحر أو المحيط ويطمر في رسوبيات البحر مع الطّين والرّمل ويتحجر الحوت، ويصبح قبراً ليونس، ثمّ حين يُبعث الخلائق يوم البعث يبعث منه يونس.

﴿إِلَىٰ﴾: حرف غاية.

﴿يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: يوم البعث والقيام لرب العالمين، أيْ: يصبح بطن الحوت قبراً له إلى يوم البعث (زمن النّفخة الثّانية).

[١٤٥] ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾:

﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، نبذناه: النّبذ هو الطّرح والإلقاء للشيء استهانة به، وأمّا الطرح فأعم من النبذ، ويكون للشيء المهم وغير المهم.

﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾: الفضاء الواسع من الأرض أو الأرض العارية من الشّجر أو النّبات، مشتقة من العُري: عدم السّترة.

﴿وَهُوَ﴾: هو ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿سَقِيمٌ﴾: مريض عليل أو ضعيف الجسم لما مرَّ عليه من الزّمن من دون

طعام أو شـــراب. ارجع إلىٰ الآية (٨٩) من نفس السورة لمعرفة الفرق بين سقيم ومريض.

[١٤٦] ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴾:

﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴾: أي: الدّبـــاء أو القـــرع، وتمتاز شـــجرة اليقطين بسرعة النّمو وورقها العريض الممتد فوق الأرض وأنّه لا يقربها الذّباب، وتحتوي علىٰ المضادات الحيويـــة المهمة في ترميم الجروح وتقرحات الجلد، كما دلت الدراسات العلمية.

فكانت الشّجرة تضله وتحميه من الذّباب والحشرات وهي شجرة لم تكن موجودة ســـابقاً في هذا المكان، فهي من قدرة الله وعظمته، وكأنّها تحمل معها الدّواء والغذاء الغني بالأملاح والســـكريات، وكلّ ما يحتاجه للشـــفاء العاجل للعودة إلىٰ قومه مرة أخرىٰ.

[١٤٧] ﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴾:

﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ ﴾: مـــرة أخرىٰ إلىٰ القوم الّذين هـــرب منهم وعددهم أكثر من مئة ألف، وقوله تعالىٰ: أو يزيدون تعني: بل يزيدون عن مئة ألف، وما جرىٰ لقوم يونس أنّهم لما تركهم يونس تضرعوا إلىٰ الله تعالىٰ وآمنوا فرفع عنهم العذاب، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ [يونس:٩٨].

[١٤٨] ﴿فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴾:

﴿فَـَٔامَنُواْ ﴾: الفـــاء للترتيب والمباشـــرة، آمنوا بالله، أي: اســـتمروا علىٰ إيمانهم بعد عودة يونس إليهم.

﴿فَمَتِّعْنَٰهُمْ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، متعناهم: المتاع: من الانتفاع والتّمتع بالمأكل والمشرب والمسكن والملبس والحياة.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلىٰ: حرف غاية، إلىٰ حين أجلهم المسمَّىٰ أو منتهىٰ أعمارهم.

ثم ينتقل إلىٰ الكلّام إلىٰ قريش، ولم يقل: سلام علىٰ يونس في العالمين: لأنّه أبق إلىٰ الفلك المشحون من دون إذن أو إيحاء من الله تعالىٰ، وكانت النّهاية فالتقمه الحوت وهو مُليم، فلا يناسب بعد اللوم السّلام، ولكنه دخل في عداد المرسلين حين سلَّم الله تعالىٰ عليهم، وقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصّافات:١٨١].

[١٤٩] ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن جاءت الآيات السابقة في تقرير البعث والتوحيد بالبراهين والأدلة أراد الله سبحانه إبطال مقولة الذين زعموا أن الملائكة هم بنات الله سبحانه وتعالىٰ، وهم كما قال القرطبي قبائل جهينة وخزاعة وبني سلمة وعبد الدار وغيرهم.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾: الفاء للاستئناف، أي: اطلب الفتوىٰ من مشركي مكة وغيرهم من الأعراب علىٰ سبيل التّهكم والتّوبيخ، اسألهم ما الخبر.

﴿أَلِرَبِّكَ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري والإبطالي.

﴿ٱلْبَنَاتُ﴾: حيث جعلوا الملائكة بنات الله، كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ [الزّخرف:١٩].

﴿وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾: لهم: اللام لام الاختصاص؛ لأنّهم كانوا يظنون أنّ الجنس الأفضل هم الذّكور.

ويؤيِّد ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل:٥٥-٥٩]، ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف:١٧-١٨].

[١٥٠] ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، والهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ.

﴿خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾: أيْ: أُحضروا يوم خلقنا الملائكة وشهدوا كيف خلقناهم، فعرفوا بذلك أنّهم إناث أم شهدوا ولادة أحد الملائكة كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:١٩]، أم هذا من وسوسة الشّياطين لهم والتّزيين والإضلال ليزعموا أنّ الملائكة إناثاً، وهم: للتوكيد، شاهدون: حاضرون.

[١٥١] ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾:

﴿أَلَا﴾: أداة استفتاح.

﴿إِنَّهُم﴾: للتوكيد.

﴿مِّنْ﴾: ابتدائية.

﴿إِفْكِهِمْ﴾: الإفك هو الكذب المتعمد الناتج عن قلب الحقائق أو الحقيقة، وهو أشد الكذب.

﴿لَيَقُولُونَ﴾: اللام للتوكيد، وكذلك النّون في كلمة يقولون تفيد زيادة

التّوكيد، يقولون: بصيغة المضارع لتدل على التّجدُّد والتّكرار، وأنّهم استمروا يقولون الإفك: وَلَدَ الله، أو لحكاية الحال ليدل على بشع كذبهم كأنّهم يقولونه الآن.

[١٥٢] ﴿وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾:

أيْ: إفكهم لم يتوقف بأن زعموا الملائكة بنات الله أو أنّ الملائكة إناثاً، بل طغى إلى قولهم: وَلَدَ الله أن نسبوا لله الولد فقالوا: المسيح ابن الله أو العزير ابن الله، فردَّ الله عليهم سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:١-٤].

وقولهم: ﴿وَلَدَ ٱللَّهُ﴾: أشد سوءاً وطغياناً من قولهم ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة:١١٦] اتخذ الله ولداً يعني: تبنى الله ولداً وهي أهون من وَلَدَ الله، ورد الله سبحانه عليهم بقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن:٣].

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: إنّ للتوكيد واللام في كلمة لكاذبون لزيادة التّوكيد، وكاذبون: تفيد أنّ صفة الكذب ثابتة عندهم ومستمرة.

[١٥٣] ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾:

﴿أَصْطَفَى﴾: الهمزة للإنكار والتّعجب والاستبعاد والتّوبيخ، اصطفى: اختار (من نفس الجنس) ثبتت همزة الاستفهام وحذفت همزة الوصل؛ أي: أصطفى أصلها أَاِصطفى، استفهم مرة أخرى منهم، أربك اصطفى البنات الجنس الأدنى على الجنس الأعلى وهو خالق الجنسين؟، ثمّ أتبع الله سبحانه ذلك الاستفهام باستفهامين آخرين (ما لكم كيف تحكمون، أفلا تذكرون).

❖❖❖

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ
﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ
نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا
لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ
﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ
سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ
جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ
صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سُورَةُ صٓ

ترتيبها ٣٨ — آياتها ٨٨

سورة الصّافات [الآيات ١٥٤- ١٨٢]

[١٥٤] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾:

﴿مَا﴾: للاستفهام والتّوبيخ والإقرار والتّعجُّب.

﴿لَكُمْ﴾: اللام للاختصاص.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام عن الحال وتفيد التّوبيخ والتّقرير.

﴿تَحْكُمُونَ﴾: أيْ: كيف تحكمون بعقولكم هذا الحكم الفاسد السّيِّئ الّذي لا يقبله أيُّ عقل لكم ما تشتهون ولله ما تكرهون، أو ماذا أصاب عقولكم لتحكموا هذا الحكم، فهذا حكم عجيب ما كان يصح أن يصدر من أحد.

[١٥٥] ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

يتتابع الاستفهام والتّوبيخ لهم.

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة للاستفهام والإنكار والتّوبيخ، ألا للحثِّ والحضِّ.

﴿تَذَكَّرُونَ﴾: أنه منزَّه عن الولد والشّريك والنّد والصّاحبة، وليس بحاجة إلىٰ هؤلاء، وقد أُخبرتم بهذا سابقاً المرات الكثيرة، فلمَ لا تذكرونه: تذكرون: أيْ: تذكرون بوقت قصير لا تحتاجون إلىٰ الوقت الطّويل للتذكر.

[١٥٦] ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾:

ثمّ ينتقل من الدّليل العقلي المعنوي إلىٰ الدّليل الحسي.

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخي والتّقرير أم للإضراب الانتقالي.

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص، أيْ: لكم خاصة.

﴿سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾: السّلطان إما أن يكون سلطاناً حُجَّةً وبرهاناً على ما تقولون، حقٌّ أو سلطانُ قوة وقهر.

أي: أعندكم حُجَّة وبرهان أنَّ ما تقولونه حقٌّ وليس باطلاً إذن: أخرجوا لنا هذا السلطان، أو هل هناك من قهركم وأرغمكم على القول بذلك.

[١٥٧] ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، فائتوا بكتابكم، أيْ: أحضروا كتابكم الّذي فيه السّلطان والحُجَّة، أيْ: هذا الكتاب الّذي أنزل عليكم من السّماء، يخبركم بأنّ لله ولداً وبناتٍ وصاحبةً، وبينه وبين الجِنة نسباً. الباء للإلصاق والإلزام.

﴿إِن﴾: شرطية فيها معنى الشّك والافتراض.

﴿كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: في أقوالكم أو أفعالكم أم مجرَّد إفك وباطل.

[١٥٨] ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾:

﴿وَجَعَلُوا۟﴾: الجعل، أي: التّصيير والضّمير يعود على مشركي وكفار مكة وغيرهم. فهم لم يكتفوا بافترائهم بأن له ولداً أو شريكاً، بل ذهبوا أبعد من ذلك في إفكهم وجعلوا ﴿بَيْنَهُۥ﴾ أيْ: بين الله سبحانه ﴿وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾: صلةً وارتباطاً ناتجة عن التّزاوج والجنة يعني: الملائكة أو الجن وسُمُّوا بالجنة؛ لأنّهم لا يُرون

أو لاستتارهم عن الأبصار، فقد افتروا على الله الإفك فقالوا: إن الله سبحانه تزوج من صنف من الملائكة يقال لهم: الجنَّة، فأصبح له بناتٌ من الملائكة. قاله قتادة وابن السائب.

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

وهناك من قال: إنّ الجِنة هم الجن، وسُمُّوا بالجن؛ لأنّهم لا يُرون أيضاً، فقد جاء عن ابن عبّاس أنّ قريشاً كانت تقول: سروات الجن بنات الرّحمن وأن سروات الجن هن أمهات الملائكة؛ أيْ: أنّ الله تزوج من الجن فجعلوا بينه وبين الجنة نسباً، ويكون معنى ولقد علمت الجنة، أي: الجن إنّهم لمحضرون، إنّهم أنفسهم لمحضرون إلى العذاب.

وقيل هذا ردّاً على زعمهم أن بين الله سبحانه وبين الجِنة (الجِن نسباً) فلن يعذب الله الجن بالنّار فأبطل الله سبحانه ذلك الزّعم.

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد قد للتحقيق.

﴿عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ﴾: أي: الجن.

﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾: أيْ: كلّ ما يفتري على الله الكذب، لمحضرون: اللام للتوكيد محضرون إلى العذاب.

[١٥٩] ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾:

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: يُجيب الله الواحد الأحد عليهم منزهاً ذاته عن الولد والشّريك والنّد ومنزهاً صفاته وأفعاله أن يشاركه فيها أحد من خلقه منزّه

تنزيهاً مطلقاً. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١)، وسورة الحديد آية (١) لبيان معنى سبحان الله.

﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: عن تفيد المجاوزة والمباعدة، ما: اسم موصول بمعنى الّذي يصفون أو مصدرية، أيْ: سبحانه عن وصفهم.

وعما يصفون أنّ بينه وبين الجِنة نسباً، أو أنّ له ولداً أو شريكاً أو ندّاً أو صاحبةً، يصفون بصيغة المضارع الدّالة على تجدُّد وتكرار وصفهم أو لحكاية الحال للدلالة على بشاعة وصفهم كأنهم يقولونه الآن؛ فقد جاء في الحديث القدسي الذي رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي؛ فقوله: لن يُعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي؛ فقوله: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد.

[١٦٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾:

قيل: جاءت: سبحان الله عما يصفون اعتراضية، ويكون السّياق: ولقد علمت الجِنة إنّهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء منقطع.

﴿عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: أيْ: عباد الله المخلصين لا يصفون الله بالنّقائص كما يصف مشركو مكة وكفارها، أو غيرهم أو عباد الله المخلصين لا يكونون

مـــن المحضرين فـــي النّار، كما هو حـــال الجن أو لا يدخلـــون النّار مع هؤلاء المحضرين.

﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٤٠) من نفس السّورة للبيان.

[١٦١] ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾:

﴿فَإِنَّكُمْ﴾: الفاء للتوكيـــد، إنكم: الخطاب موجَّه إلىٰ المشـــركين والكفار الّذين يفترون علىٰ الله الكذب بالولد أو الشّريك أو النّسب أو النّد أو المثيل.

﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾: ما بمعنىٰ الّذي (اسم موصول) أو مصدرية وما أوسع شمولاً من الّذي، أيْ: فإنكم وعبادتكم لهذه الأصنام أو أنتم ومعبوداتكم، أو ما تعبدون من آلهة، أو من دون الله، أو غير الله بشكل متكرِّر ومستمرٍّ مثل الأوثان والأصنام وعيسىٰ أو عزير أو الآلهة أو الطّاغوت.

[١٦٢] ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ﴾:

﴿مَآ﴾: النّافية.

﴿أَنتُمْ﴾: جميعاً أنتم ومعبوداتكم (الخطاب لعبدة الأصنام).

﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور، وتقديمها يدل علىٰ الحصر، وتعود علىٰ الله.

﴿بِفَٰتِنِينَ﴾: البـــاء للإلصـــاق، فاتنين: مـــن الفتنة الابتلاء، وهي أشـــد من الابتلاء، وتكون بالخير والشر، بالإغواء والوساوس، والإضلال والتّزيين، والنّزغ والفساد؛ فاتنين: من أحد من الإنس والجن، أيْ: لا تستطيعون فتنة أحد عن دينه بأيِّ طريقة، أو قادرين علىٰ حمل أحد علىٰ الفتنة والفساد بين الله وخلقه.

[١٦٣] ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَنْ هُوَ﴾: من ابتدائية هو للتوكيد.

﴿صَالِ الْجَحِيمِ﴾: أي: لا يستطيعون فتنة أحد إلا من هو صال الجحيم: من هو مستحقٌّ ومستوجبٌ الجحيم، أي: الّذي سبق في علم الله سبحانه أنّه من أصحاب الجحيم، أي: المصرُّ على الشّرك والكفر. ارجع إلى الآية (٢٣) من نفس السورة، وسورة الرعد آية (١٨) لبيان معنى الجحيم.

[١٦٤] ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾:

المناسبة: يخبر الله تعالى عن موقف الملائكة وبراءتهم مما قاله المشركون من إفك وباطل أنّهم بنات الله، أو أنّهم إناث، أو بينهم وبين الله تعالى نسباً وصهراً، وأن الملائكة لا يبعدون إلا الله وحده وأنهم منزهون عن كل تلك الافتراءات على الله سبحانه.

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما النّافية.

﴿مِنَّا﴾: أيْ: واحد منا (من الملائكة).

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿لَهُ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾: مكان في السّموات يقوم فيه للعبادة، أيْ: يُعبد الله فيه ولا يتعدَّاه فمنهم الرّاكع أو السّاجد أو المسبح، وقد يعني: المقام المعلوم درجة أو مرتبة أو مكانته عند الله تعالى.

[١٦٥] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ﴾:

﴿وَإِنَّا﴾: ضمير متصل يفيد الجمع، ويعني: الملائكة.

﴿لَنَحْنُ﴾: اللام للتوكيد، ونحن لزيادة التّوكيد.

﴿الصَّآفُّونَ﴾: للعبادة والصّلاة أو الصّافون حول العرش، أو الصّافون لتلقي أوامر الله تعالىٰ، الصّافون صفة ثابتة فيهم.

[١٦٦] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾:

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ﴾: كما في الآية السّابقة.

﴿الْمُسَبِّحُونَ﴾: جمع مسبح والتّسبيح هو تنزيه ذات الله تعالىٰ وصفاته وأفعاله من كلّ عيب ونقص وعما لا يليق به، فكيف نرضىٰ أن نُعبد من دون الله وخُلقنا لنسبِّحه ليلاً ونهاراً. والتّسبيح يعني: الصّلاة.

وكما قال تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْئَمُونَ﴾ [فصلت:٣٨].

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:٢٠].

[١٦٧] ﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾:

﴿وَإِن﴾: الواو استئنافية، إن: نافية أقوىٰ نفياً من (ما).

﴿كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾: تعود الآيات لتتم الحديث أو الأخبار عن المشركين وما كانوا يتحدثون به قبل بعثة محمّد ﷺ.

ليقولون: اللام للتوكيد، والنّون في يقولون لزيادة التّوكيد، يقولون: في كثير من الأحيان لو أنّ عندنا ذكراً من الأولين.

[١٦٨] ﴿لَوْأَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿لَوْ﴾: شرطية.

﴿أَنَّ﴾: مصدرية للتعليل والتّوكيد.

﴿عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾: ذكراً: كتاباً مُنزلاً مثل ما أُنزل على الأولين: من الّذين خلوا من قبل من الأمم أو كالّذي أُنزل على الرّسل السّابقين أو اليهود والنّصارى ذكراً مثل التّوراة أو الإنجيل.

[١٦٩] ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾:

﴿لَكُنَّا﴾: اللام للاختصاص.

﴿عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: أولم يأتيهم أو يرسل إليهم سيد المرسلين وخاتم النّبيين ويُنزل إليهم القرآن الكريم، عباد الله المخلصين. ارجع إلى الآية (٤٠) من نفس السّورة.

[١٧٠] ﴿فَكَفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾:

فيه اختصار فنزلنا عليك الذّكر، بل سيد الأذكار وهو القرآن الكريم كما طلبوا.

﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، فكفروا به: به تعود على القرآن الكريم، كفروا به مباشرة بعد أن جاءهم، جحدوا به وأعرضوا عنه وقالوا سحر مبين، وقالوا أساطير الأولين، وقالوا افتراه وأعانه عليه قوم آخرون، وقالوا إنه لقول شاعر وقول كاهن.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: الفاء للتوكيد، سوف للاستقبال القريب والبعيد.

يعلمـــون: عاقبة كفرهم إن لم يتوبوا ويرجعوا عن غيِّهم وضلالهم ويؤمنوا بما أنزل الله، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم في الدّنيا أو في الآخرة.

[١٧١] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو اســتئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق، أيْ: قد تحقق وعدنا ونصرنا لعبادنا وجندنا الّذين سبقوكم بالإيمان.

﴿سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: أي: لقد تقدَّم وعدنا للمرسلين بنصرهم، فهذا ليس بشيء جديد.

﴿لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: اللام للاختصاص، المرسلين: من الرّسل والأنبياء.

وكلمتنا: قيل: هي ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِى﴾ [المجادلة:٢١].

وقيل: هي ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصّافات:١٧٢-١٧٣].

وسمَّاها كلمة، وهي أكثر من كلمة؛ لأنّ كلمة قد تعني واحدة أو كلمات.

ونظير هــذه الآية قوله تعالــى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرّوم:٤٧].

[١٧٢] ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾:

﴿إِنَّهُمْ﴾: إن للتوكيد.

﴿لَهُمُ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿ٱلْمَنصُورُونَ﴾: المنصــورون من اللــه بالمعونة على الأعــداء بالغلبة أو

بالحُجَّة. والبرهان، والمنصـــورون: جمع منصور، وتدل على الثبات؛ أي: نصر دائم، وهذه بشرى للرسل.

[١٧٣] ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿جُندَنَا﴾: ولم يقل: جنودنا، الفرق بينهما: جند اســـم جنس جمع جندي تشـــمل الواحد والاثنين والثّلاثة، جنود تعني: ثلاثة أو أكثر، ولا تشـــمل الواحد والاثنين. والجند تجمعهم أهداف واحدة، ومـــن جنس واحد، أمّا الجنود فلهم أهداف مختلفة ومن أجناس مختلفة.

﴿لَهُمُ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿الْغَالِبُونَ﴾: الغلبـــة تكون بفضل القدرة وبفضل العلـــم والذّكاء والفطنة، والمعونة والتأييد من الله تعالى أولاً.

[١٧٤] ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، تولَّى: أعرض عنهم عن المشركين وكفار مكة وصبر على أذاهم ؛لأن النّصر والعاقبة لك.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: حتّى حرف نهاية الغاية أو حتّى يأتي أمر الله بقتالهم أو أسرهم أو موتهم أو إهلاكهم، وقيل: كان ذلك يوم بدر، والحين الثانية التي جاءت في الآية (١٧٩) من نفس الســـورة تعني يوم القيامة، وفي الآية تهديد ووعيد للمشركين. حين: زمن غير معلوم مدته قد يطول أو يقصر.

[١٧٥] ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾:

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾: أيْ: ترقَّب ما سيحدث، أو انظر إلىٰ عاقبة أمرهم وحالهم وما سيحل بهم من العذاب والنّكال والقتل والأسر لمخالفتهم إياك وتكذيبهم.

﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: الفاء للتوكيد، سوف للاستقبال البعيد.

يبصرون: هم أنفسهم عاقبة كفرهم في الحياة الدّنيا.

[١٧٦] ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾:

رداً علىٰ سؤالهم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأحقاف:٢٢].

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج:١].

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢].

﴿أَفَبِعَذَابِنَا﴾: الهمزة: استفهام إنكاري، وتعجب، وتوبيخ؛ بصيغة المضارع يدل علىٰ تكرار الاستعجال والاستمرار عليه، والاستعجال يدل علىٰ جهلهم وسفههم وجرأتهم وكفرهم.

[١٧٧] ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، إذا شرطية، تدل علىٰ حتمية الحدوث، أيْ: لا بُدَّ أن ينزل العذاب بساحتهم.

﴿نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾: السّاحة في الأصل الفناء الواسع الّذي لا يشعر فيه النّاس

بالضّيق. ساحة القوم: قال الفراء: العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم؛ أي: نزل: حلَّ بهم وفاجأهم.

﴿فَسَآءَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، ساء من أفعال الذّم.

﴿صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: الصّبح هو الزّمن المفضل والميعاد الحق للمعركة لمفاجأة العدو قبل أن يستعدوا، أيْ: بئس ذلك الصباح على القوم المنذرين ؛لأنّه سيكون يوم هلاكهم ودمارهم.

[١٧٨] ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾:

هذه الآية ليست تكرار للآية (١٧٤) وإنما للتّهديد والوعيد ليوم القيامة، وهذه الآية ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾، والآية ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (١٧٩) هما في سياق الآخرة (يوم القيامة).

[١٧٩] ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾:

هذه الآية ليست تكراراً للآية (١٧٥)، الآية (١٧٥) تعني في سياق الدنيا (يوم بدر)، والآية (١٧٩) في سياق الآخرة (يوم القيامة)، وإنما تهديد ووعيد في سياق الآخرة (يوم القيامة).

[١٨٠] ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾:

يختم الله سبحانه السّورة بالتّسبيح مرة أخرىٰ والسّلام والحمد.

﴿سُبْحَانَ﴾: أيْ: تنزيه الرّب والإله الحق عما يشركون وعما يقولون وعما يفترون، وعن كلّ نقص وعيب وولد وشريك وصاحبة، يشمل الذّات والصّفات

والأفعال تنزيهاً مطلقاً. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١) وسورة الحديد آية (١) للبيان.

﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾: لأنّه رب العزة: عزة القوة وعزة القهر وعزة الإمتاع وعزة الملك له العزة جميعاً.

﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: أي: قول هؤلاء المفترين المعتدين. ارجع إلى الآية (١٥٩).

[١٨١] ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

سلامٌ على الرّسل والأنبياء كافة، ومنهم: لوط، ويونس الذين لم يخصهم بسلام كما فعل مع نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس؛ سلام عليهم في الدنيا والآخرة، سلام من الله ومن ملائكته ومن الثّقلين، سلام تحية، وسلام أمن وطمأنينة، وسلام من كلّ مكروه وضر، سلام مطلق، وسلام نكرة ليشمل كل أنواع السلام؛ ارجع إلى الآية (٧٩) من نفس السورة لمزيد من البيان.

[١٨٢] ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (٢) من سورة الحمد للبيان المفصل.

❖❖❖

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صٓ ۚ وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾
كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟
أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾
أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾
مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ
عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۖ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ
﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم
مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾
جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ ۖ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ
فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا
مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾

سورة ص [الآيات ١ - ١٦]

ترتيبها في القرآن (٣٨)، وترتيبها في النّزول (٣٧)، نزلت بعد سورة القمر وقبل سورة الأعراف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾:

﴿صٓ﴾: من الحروف المقطعة، ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾: والقرآن: الواو: واو القسم يقسم الله سبحانه بالقرآن والقسم يؤكد على أهمية المقسم به، وجواب القسم قيل: محذوف، وقيل: بل الّذين كفروا في عزة وشقاق، وقيل: كم أهلكنا من قبلهم من قرن، وقيل: إنّ ذلك لحق تخاصم أهل النّار، أو: إن كلّ إلا كذب الرّسل، ولم يُبين جواب القسم ليشمل كلّ الاحتمالات وغيرها من الأجوبة والآيات، أو أن محمداً لرسول الله، أو أن القرآن لحق.

وسمي بالقرآن: لأنّه مقروء ومحفوظ في الصّدور، ذي الذّكر: ذي اسم من الأسماء الخمسة (أب، أخ، حم، فو، ذو) ذي: بمعنى صاحب.

١ - ذي الذكر؛ ذي الشّرف: والعرب تقول: فلان له ذكر أو مذكور؛ أي: يتردد اسمه بكثرة لشرفه وشهرته.

٢ - والذّكر من التّذكير؛ أي: ذي التذكير يُذكر قارئه بما أمره ربه أو نهاه عنه وبما يحتاجه العبد في دنياه وآخرته.

٣ - ذي البيان: كما قال ابن عباس تبياناً لكلّ شيء؛ أي: ص والقرآن ذي الشّرف وذي التّذكير وذي البيان، وذي الذكر صفة للقرآن.

[٢] ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾:

﴿بَلِ﴾: للإضراب الانتقالي أو للتقرير والتّعيين.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: كفار مكة وغيرهم الّذين كفروا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبما أنزل الله.

﴿فِى عِزَّةٍ﴾: في ظرفية، عزة: عزة الامتناع عن قبول الحق والإيمان والرّسول والقــرآن، وهم في حميّة وجاهلية وتجبّر وعناد وتكبر في قبول ما أنزل الله وأمر به، وفي قراءة أخرىٰ: غِرة؛ من الغرور.

﴿وَشِقَاقٍ﴾: في مخالفة لله ســبحانه ولرسوله ﷺ وعداء. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٣٧) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾:

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾: كم الخبرية وتفيد الكثــرة؛ أي أهلكنا الكثير من القرون من قبلهم، ولمعرفة معنىٰ الهلاك ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٤) للبيان.

﴿مِن قَبْلِهِم﴾: مــن تفيد الزّمن القريــب؛ أي: أهلكنا القــرون الكثيرة قبل مجيئهم بزمن قريب.

﴿مِّن قَرْنٍ﴾: من ابتدائية، قرن: نكرة وتعني جماعة تعيش معاً في زمن واحد (قرن واحد)، والقرن يعادل مائة سنة.

﴿فَنَادَوا۟﴾: الفاء تدل علــىٰ التّرتيب الذّكري، نادوا: تعود علىٰ القرون التي أهلكت من قبلهم؛ النّداء هو رفع الصّــوت طالبين العون، ولم يحدد القرآن من

ينـــادون فربما كانوا ينادون ربهـــم؛ لكي ينقذهم، أو نادوا لكلّ من يســـتطيع أن ينقذهم من الهلاك.

﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾: ولات: مركبة مـــن (لا) النّافية (عموم النّفي)، وزيدت فيها التّاء للمبالغة والتّوكيد، ولات: تســـتعمل لنفي الحين؛ أي: حين لا مناص، وهـــي من أخوات ليس مختصة بنفي الزّمن كما قـــال عطاء والفراء: لات بمعنىٰ ليس. حيـــن: يعني زمن غير محدد، مناص: بمعنىٰ الفرار والخلاص يقال: ناص إذا فاته ونجـــا، فمعنىٰ ولات حين مناص: وليس هنـــاك وقت للهروب والنّجاة وليس الزّمن زمن فرار ونجاة من عذاب الله عز وجل.

[٤] ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾:

﴿وَعَجِبُوٓاْ﴾: كفار مكة.

﴿أَن﴾: تعليلية.

﴿جَآءَهُم﴾: والمجيء فيه نوع من المشـــقة والصّعوبة، مقارنة بأتاهم الّذي فيه معنىٰ السهولة.

﴿مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾: أي رسول منذر (من الإنذار وهو الإعلام والتّحذير)، منهم: من العرب أو من جنسهم وليس من الملائكة وهو رسول الله محمّد ﷺ.

﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا﴾: هـــذا: الهـــاء للتنبيه، ذا اســـم إشـــارة يشـــير إلىٰ رســـول الله ﷺ، وإذا قارنا هذا بالآية (٢) من سورة (ق) فقال الكافرون: ﴿هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾: جاء بالفاء في ســـورة (ق) فاء السببية؛ لأن ما قبلها قد يكون سبباً لما بعدها، أو الفاء: تدل علىٰ الترتيب والمباشرة؛ أي: في آية (ق) قال الكافرون مباشـــرة: ﴿هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾، بينما في سورة (ص): ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

﴿سَاحِرٌ﴾: أي سحرنا بأشياء فنراها على غير حقيقتها؛ أي: جاءنا بنوع من السّحر؛ لأنه ﷺ أثر في أنفسهم، ولم يستطيعوا الحد من رسالته؛ فاتهموه بالساحر.

﴿كَذَّابٌ﴾: صيغة مبالغة كثير الكذب كأن حرفته الكذب أو دائماً يكذب، مع أنّهم قبل البعثة كانوا يصفونه بالصّادق الأمين، ولأنّه دعاهم إلى عبادة الله وحده وترك ما يعبد آباؤهم وأبطل عبادة الآلهة فاتهموه بالسّاحر والكذاب والشّاعر والمجنون كما اتهم فرعون وهامان وقارون موسى عليه السلام ﴿فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر:٢٤].

[٥] ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾:

﴿أَجَعَلَ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتعجب.

﴿الْآلِهَةَ﴾: اللات والعزى ومناة الثّالثة وغيرها.

﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾: أي الله وحده لا إله إلا هو: إلهاً واحداً لا شريك له.

﴿إِنَّ هَذَا﴾: إنّ للتوكيد، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب ويشير إلى: جعل الآلهة إلهاً واحداً.

﴿لَشَيْءٌ﴾: اللام للتوكيد، شيء: أمر.

﴿عُجَابٌ﴾: مثير للعجب، وعجاب: أشد صيغ المبالغة في العجب وهي أشد من عجيب وعجب، فهم عجبوا أن جاءهم منذر، وبما أنّهم وصفوه بالسّاحر والكذاب فقد أصبحت دواعي العجب كثيرة فلذلك أكّد بإنّ وأكد باللام، فهم عجبوا العجاب الشّديد أن جعل آلهتهم إلهاً واحداً.

لمقارنة قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾، مع قوله تعالى في سورة ق آية

(٢): ﴿هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، وقوله تعالىٰ في سورة هود آية (٧٢): ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾:

ففي سورة (ق) قال: ﴿شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾: تدل علىٰ شدة العجب.

وفي سورة هود قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾: أكد بإن واللام؛ أي: أشد عجباً من عجيب.

وفي سورة (ص) قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾: أكد بإن واللام، وجاء بكلمة عجاب، فهذا أعجب العجب، وهو جعل الآلهة إلهاً واحداً، فهو أعجب من أن تلد عجوز عقيم، وهذا بدوره أعجب من جاءهم منذر منهم (في سورة ق)؛ ارجع إلىٰ سورة (ق) لمزيد من البيان.

وإذا قارنا قوله تعالىٰ: ﴿عُجَابٌ﴾ مع قوله تعالىٰ في الآية (١) من سورة الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾: نجد أن (عجباً): أقوىٰ وأشد مبالغة من (عجاب)؛ لأن (عجباً): مصدر، والوصف بالمصدر أقوىٰ وأشد من الوصف بالصفة.

[٦] ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾:

المناسبة: اجتمع المشركون مع رسول الله ﷺ في بيت أبي طالب يطلبون منه أن يكفّ عن عيب آلهتهم، وطلب منهم أن يقولوا: لا إله إلا الله. عندها خرجوا من بيت أبي طالب يقولون: أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب. كما روي عن ابن عبّاس.

﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾: خرجوا مسرعين، والملأ هم أعيان قريش زعماء قريش وصناديدهم، خرجوا مسرعين يقول بعضهم لبعض:

﴿أَنِ امْشُوا﴾: أن للتوكيد، امشوا: استمروا علىٰ عبادتكم آلهتكم.

﴿وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾: اثبتوا على عبادتها وتحمّلوا سبها وشتمها وذكر معايبها.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: إنّ للتوكيد، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة، يشير إلى التّوحيد، وما جاء به محمّد ﷺ.

﴿لَشَىْءٌ﴾: اللام للتوكيد، شيء يعني: أمر.

﴿يُرَادُ﴾: أي أمر مدبّر من محمّد ليصرفكم عن آلهتكم ومقصود، فلا حيلة لكم إلا الصّبر والاستمساك بالآلهة وعدم الاستجابة لدعواه ومطالبه.

[٧] ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾:

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى﴾: ما النّافية، سمعنا بهذا: التّوحيد، أو لا إله إلا الله الّذي يدعو إليه محمّد، ولم يخبرنا به أو يحدثنا عنه أحد من النّصارى.

﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: ملة عيسى أو النّصرانية؛ أي: ما سمعناهم يوحدون الآلهة، بل يقولون: إنّ الله ثالث ثلاثة.

﴿إِنْ هَٰذَآ﴾: إن نافية أشد نفياً من ما، هذا التّوحيد.

﴿إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾: أداة حصر؛ أي: حصراً اختلاق: كذب، اختلاق: ليس حقيقة؛ أي: افتعال وكذب، أو كذب مختلق اصطنعه محمّد من نفسه، فهم يحاولون إعادة الثّقة بعقيدتهم عقيدة الشّرك بعد أن زعزعها محمّد ﷺ بما جاء به من دين التوحيد.

[٨] ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۖ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِىٓ ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾:

﴿أَءُنزِلَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّعجب.

﴿عَلَيْهِ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، وتعني: محمّد ﷺ أي عليه خاصة.

﴿ٱلذِّكْرُ﴾: أي القرآن الكريم.

﴿مِنۢ بَيْنِنَا﴾: من ابتدائية، بيننا: أي على محمّد بالذّات وفينا السّـادة والقادة لقريش، وهو ليس من سـادتنا وأشـرافنا، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٥) من سـورة القمر وهي قوله تعالى: ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾: نجد أن الآية في سـورة (ص) جاءت في سياق الحديث عن كفار مكة، والآية في سورة القمر جاءت في سـياق الحديث عن قوم ثمود ونبيهم صالـح، وأما الفرق بين ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾، و﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ﴾:

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾: لأن الإنزال جاء في سـياق القـرآن والذكر كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف:١]، وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان:١]... وغيرها الكثير من الآيات.

وأما ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ﴾: جاءت في سـياق النبي صالح، والإلقاء: قد يكون ليـس لكتاب، وإنما لصحـف، أو ألواح، أو الوحي، وفي آيـة (ص): قدم عليه (يعني رسول الله ﷺ) تشـريفاً، بينما في آية صالح قدم الذكر على صالح عليه السلام، والتقديم يعني: للأهم.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل للتوكيد.

﴿فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾: الشّك هو تساوي طرفي الإثبات والنّفي؛ أي: في تردد وحيرة وغير مسـتيقنين. ذكري: أي قرآني؛ أي: هم في شك في القرآن وأنّه منزل من الله تعالى.

﴿بَل﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾: لما: ظرف زماني ينفـي الحدث في الماضي مع إثبات

حدوثه في المستقبل، يعني: حتّىٰ الآن لم ينزل بهم أو يصيبهم العذاب ولكن سوف ينزل بهم في الحاضر أو في المستقبل لا محالة قبل موتهم أو بعد موتهم؛ أي: قد يكون في الدّنيا أو في الآخرة- وإذا قارنا هذه الآية مع قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧] إضافة الياء تشير إلىٰ شدة العذاب مقارنة بقوله عذاب.

[٩] ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾:

المناسبة بعد أن نفىٰ الله سبحانه قدرتهم علىٰ أن يقسموا رحمته: أي نبوته علىٰ عباده؛ أي: أن يعطوا النّبوة لمن يشاؤون، كما قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١]، ينفي عنهم أن تكون خزائن رحمته بأيديهم.

﴿أَمْ﴾: الهمزة للتسوية، أم:

﴿عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾: النّبوة رحمة ورحمة ربك تشمل النّبوة وغيرها من أنواع الرّحمة، فيعطوا من يشاؤون ويمنعوا من يشاؤون، والرّحمة هي كلّ ما يجلب ما يسرّ ويدفع ما يضرّ (الوقاية) وتعني الإنعام علىٰ المحتاج.

﴿الْعَزِيزِ﴾: القوي الممتنع لا يحتاج إلىٰ أحد ولا يضره ولا ينفعه أحد، ولا يُقهر ولا يُغلب.

﴿الْوَهَّابِ﴾: صيغة مبالغة من: وهب وتدل علىٰ كثرة الوهب: العطاء بدون مقابل، واهب النّعم الباطنة والظّاهرة دائم الإحسان، شمل ببره وكرمه كلّ مخلوقاته. في هذه الآية خصص الوهاب بالرّحمة وأمّا في الآية (٣٧) من سورة الطّور قال: خزائن ربك لم يخصص أطلق، ولم يحدد ما نوع الخزائن.

[١٠] ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، والهمزة للاستفهام الإنكاري والتّقرير.

﴿لَهُم﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: المُلك: يعني الحكم والملك معاً، فهو مالك الملك وما بينهما؛ أي: ألهم مُلك السّموات والأرض وما بينهما فإن كان لهم ذلك:

﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾: الأسباب: جمع سبب: هو كلّ ما يتوصل به إلىٰ الشّيء أو الحدث، والسبب في الأصل الحبل، والأسباب الطرق والمسالك والأبواب التي توصلهم إلىٰ العرش؛ أي: أبواب السّموات. الفاء للترتيب والتّعقيب. ليرتقوا في الأسباب: ليصعدوا سبباً بعد سبب؛ أي باباً بعد باب حتّىٰ ينتهوا إلىٰ العرش ويمنعوا الوحي النّازل علىٰ محمّد ﷺ من ربه، أو ليتولوا تدبير الخلق والكون بما يريدون ويعطوا ويحكموا بالعطاء والمنع وتدبير شؤون الخلق والكون، واللام في ليرتقوا: للتوكيد، وكما قال تعالىٰ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟﴾ [الرحمن:٣٣]. ارجع إلىٰ سورة الكهف (٨٤).

[١١] ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾:

﴿جُندٌ﴾: نكرة للتحقير، وتعني كفار مكة أو قريش؛ أي: كفار قريش مهزومون كما هزم أحزاب الباطل الّذين تحزّبوا علىٰ أنبيائهم وجاؤوا من قبلهم. ارجع إلىٰ سورة يس آية (٢٨) لمعرفة الفرق بين جند وجنود.

﴿مَّا﴾: للتوكيد.

﴿هُنَالِكَ﴾: أي: في بدر، (مهزومون في بدر) أو وضعوا أنفسهم في أمر ليسوا هم أهله.

﴿مَهْزُومٌ﴾: مغلوبون لا محالة.

﴿مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: كفار قريش ما هم إلا جند أو حزب من أحزاب الباطل مهزومون عما قريب، وقد تكون هذه الآية رداً على قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾، فلا تعجل عليهم فإني سأسلب عزتهم وأهزم جمعهم.

[١٢] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: أي قبل كفار قريش كذبت الأحزاب، وكذبت تدل على الكثرة.

قوم نوح كذبوا نوح عليه السلام، قوم عاد كذبوا هوداً عليه السلام، وفرعون ذو الأوتاد كذبوا موسى وهارون عليهما السّلام.

[١٣] ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۖ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾:

وقوم ثمود كذبوا نبيهم صالحاً عليه السلام، وأصحاب الأيكة كذبوا شعيباً عليه السلام، وقوم لوط كذبوا لوطاً عليه السلام.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾: الأحزاب: الجماعات المتحزبة ضد رسلهم، أو المحاربة لرسلهم.

وجاء ذكر تكذيبهم كخبر عام بدون إيضاح سبب التّكذيب، ثمّ بيّن نوع التّكذيب في الآية (١٤) فقال تعالى: ﴿كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾.

[١٤] ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾:

﴿إِن﴾: نافية تعني: ما من أحد من هؤلاء الأحزاب إلا كذّب من أرسل إليهم من الرّسل، ولكن لم يقل الرّسول وإنما الرّسل؛ لأنّ من كذب واحداً من الرّسل كأنما كذب جميع الرّسل.

﴿إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾: إلا أداة حصر.

﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾: وجب وثبت عليهم عقاب الله بسبب تكذيبهم للرسل، والعقاب مشتق من كونه يعقب الذنب، والعقاب يتراوح بين الشديد واليسير،

وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٤) من سورة (ق) وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾: نجد الوعيد يسبق العقاب، والعذاب: وهو يُعد إنذاراً وتهديداً لوقوع العقاب.

[١٥] ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾:

﴿وَمَا﴾: النّافية.

﴿يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: أي ما ينتظر كفار قريش.

﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾: إلا أداة حصر، صيحة واحدة، قيل: هي نفخة الفزع كقوله تعالىٰ: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس:٤٩-٥٠].

﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾: ما لها من رادٍّ أو دافع؛ أي: من يصرفها أو يمنعها، ولن يعطوا إلا زمناً لا يزيد عن الزّمن ما بين حلبتي النّاقة وهو فواق النّاقة؛ أي: حتّىٰ يمتلأ الضّرع بالحليب مرة أخرىٰ بعد الحلبة الأولىٰ؛ أي: لن ينتظروا طويلاً حتّىٰ تقوم السّاعة ويحل بهم العذاب.

[١٦] ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾:

﴿وَقَالُوا۟﴾: كفار مكة.

﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾: القط: أي نصيبنا من العذاب الّذي توعّدتنا به ولا تؤخّره إلىٰ يوم الحساب. قالوا ذلك استهزاءً فهم لا يؤمنون بالبعث ولا بالآخرة ولا بالوعيد؛ أي: أرسله إلينا الآن قبل يوم الحساب، والقطّ: قد يعني الكتاب أو صحيفة الأعمال (الحسنات والسّيئات) كما قال ابن عباس؛ أي: عجّل لنا صحيفة أعمالنا أو الكتاب لنرىٰ ما كتب فيها. وقيل: القط: الحساب أو القضاء.

❖❖❖

ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٧﴾
إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ
مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ
وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ
ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ
خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ
وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ
وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ
لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي
بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ
مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ
﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ
﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ
بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾

ربع الحزب ٤٦

سجدة

سورة ص [الآيات ١٧ - ٢٦]

[١٧] ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾:

﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: الخطاب موجّه إلىٰ رسول الله ﷺ وإلىٰ أمته علىٰ ما يقولون: علىٰ ما يقوله كفار مكة عنك بأنّك ساحر أو كاهن أو شاعر وغيره من الأباطيل، واصبر علىٰ ما يقولون: ربنا عجّل لنا قطّنا، استهزاءً، ويقولون: بصيغة المضارع؛ أي: اصبر بشكل متجدد ومتكرر أو دائم الصّبر، اصبر كما صبر أولو العزم من الرّسل أو كما صبر إخوانك من الرّسل.

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِ﴾: اصبر واذكر: صبر داود علىٰ العبادة والطّاعة فقد ذكر في الصّحيحين (البخاري ومسلم) من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: أحبُّ الصّيام إلىٰ الله صيام داود؛ كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحبُّ الصّلاة إلىٰ الله صلاة داود؛ كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه. عبدنا: اختار هذه الكلمة تشريفاً له إنه كان عبداً ونبياً وملكاً، ذا الأيد: أي ذا القوة في العبادة والطّاعة رغم كونه نبياً مكلفاً بأعباء النّبوة، والملك: الحكم.

﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾: إنّه: للتوكيد، أوّاب: صيغة مبالغة؛ أي: كثير الرّجوع إلىٰ ربه بالتوبة والإنابة، أو سريع التّوبة إلىٰ الله، أوّاب: صيغة مبالغة من آب الرّجل إلىٰ أهله؛ أي: رجع، وإذا قارنا أواب، وأناب، كما في الآية (٢٤) من نفس السورة، أواب: كثير الرجوع إلىٰ الله بالتوبة والاستغفار، وأناب: سريع التوبة، أو الرجوع إلىٰ الله تعالىٰ؛ أي: الإقبال.

[١٨] ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿سَخَّرْنَا﴾: من التّسخير: أي التّذليل، وسخّر: أخضع، سخّره: أخضعه وقهره ليفعل ما يريده بدون اختيار من المسخّر، وكما قال تعالىٰ في سورة الأعراف آية (٥٤): ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾، أي: مسيّرات خاضعات مقهورات بأمر الله وإرادته لا باختيارها، وهي الّتي اختارت أن تكون مسخّرة بعد أن عرض عليها الأمانة فاختارت أن تكون مسخّرة.

﴿سَخَّرْنَا الْجِبَالَ﴾: أي أخضعنا وقهرنا.

﴿مَعَهُ﴾: أي مع داود.

﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾: يسبحن لله تعالىٰ، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤]، فالجبال والسّموات والأرض وكل شيء يسبح تسبيحاً لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالىٰ، والمعجزة هنا ليست التّسبيح بذاته فقط وإنما أن تسبّح الجبال مع داود وتردّد معه؛ أي: تسبّح مع تسبيحه، يسبّحن ولم يقل وسخّرنا الجبال معه مسبّحات، ولكن يسبّحن: بصيغة المضارع للدلالة علىٰ حكاية الحال والتّكرار والتّجدد؛ أي: يسبّحن الآن وكأنّنا نسمع تسبيحها وهي تسبّح، وإذا أخبرنا هذا الخبر الله سبحانه فهو أصدق من أسماعنا وعيوننا فيما لو كنا نسمعه ونراه.

بالعشي: الباء للإلصاق والدّوام، والعشي: من الزّوال إلىٰ الغروب (من العصر إلىٰ المغرب) أو من الظّهر إلىٰ المغرب، والإشراق: أي شروق الشّمس.

وقد أخذ بعض الأئمّة من هذه الآية دليلاً علىٰ مشروعية صلاة الضّحىٰ أو

صلاة الشّروق، وكونها جاءت بصيغة المعرفة ﴿بالعشي والإشراق﴾ فهذا يدل على الدّوام، ولم يقل مثلاً بكرة وعشياً الّتي تدل على وقت محدد.

وإنما تدل على التّسبيح الدائم ولكل مكان زمان للعشي وزمان للإشراق.

[١٩] ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾:

﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾: مجتمعة (الحشر هو السَّوق والجمع) والحشر يعني جملة واحدة وليس جماعة بعد جماعة، وهناك فرق بين الحشر والجمع: الحشر هو السَّوق، والجمع ويكون للجماعة، محشورة حول داود تسبّح معه.

﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: تعني الجبال والطّير وداود الكل لله أوّاب؛ أي: يردد التّسبيح، كلّ له مطيع بالتّسبيح أو خاضع له وراجع له، له: لله تعالى، وقد تعني لداود أيضاً؛ أي: مطيعة لداود تأتيه وتسبّح معه.

[٢٠] ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾:

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾: أي قوّيناه بكلّ أسباب القوة المادية والمعنوية من نصر ومهابة، وقوّيناه بالحرس والجنود وإلقاء الرّعب في قلوب أعدائه.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾: النّبوة، وقيل: علم الأحكام والشّرائع أو الزّبور، وقيل: الحكمة كلّ كلام وافق الحق فهو حكمة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٦٩) لبيان معنى الحكمة.

﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾: القضاء والحكم في الخصومات والدّعاوي، والفصل يعني التّمييز بين الشّيئين، وقيل: الكلام البيّن الّذي لا لَبسَ فيه.

[٢١] ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾:

﴿وَهَلْ﴾: الواو عاطفة، هل للاستفهام والتّعجب والتّشويق إلى الاستماع.

﴿نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾: النّبأ هو الخبر العظيم الّذي ينبغي أن يُعلم ويُهتمّ به وفيه فائدة مهمة، والخصم: يطلق على المفرد والمثنى والجمع، والذّكر والأنثى.

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمان الماضي.

﴿تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾: السُّور: الحائط المرتفع؛ أي: علو سور المحراب تسلقوا الحائط ودخلوا من أعلى الحائط، ولم يدخلوا من الباب، وتسوّروا: جاءت بصيغة الجمع؛ لأنّ الخصم يطلق على الواحد أو الاثنين أو الأكثر، والمحراب: مسجده مكان صلاته، فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان.

اختلف في تفسير الخصم الّذين تسوّروا المحراب: قيل: كانا ملكين، وقيل: كانوا إنساً من الإنس تسوّروا الحائط ودخلوا عليه وهو في غير وقت جلوسه للحكم، ففزع منهم ظاناً أنّهم يريدون قتله ظناً خطأً فاستغفر ربه من الظّن السّيئ وخرّ راكعاً وأناب، أو عزم أن ينتقم منهم وقتلهم ففكر عندها أنّ قتلهم غير مبرر ولا يحق له، والعفو أولى وأقرب إلى الصّواب.

[٢٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمان الماضي أو بمعنى لما:

﴿دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾: الفاء تدل على التّعقيب والمباشرة، فزع منهم: الفزع: الخوف المفاجئ الّذي يؤثّر في القلب فيؤدي إلى تسرّع ضربات القلب فيدل على شدة الخوف والاضطراب في القلب، ففزع منهم؛ لأنّهم دخلوا عليه

في غير زمن القضاء أو الحكم بين النّاس وبغير إذنه. وانظر كيف قال: ففزع منهم، ولم يقل: منهما، وقد سبق ذلك قوله تعالىٰ: خصمان، وقال الخصم؛ لأن كلمة الخصم ـ كما قلنا ـ تأتي في سياق المفرد والمثنىٰ والجمع.

﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡ﴾: لا النّاهية، لا تخف: حين رأوه في حالة الفزع، وقولهم: لا تخف يدل علىٰ أنّهم من الملائكة؛ لأنّ لا أحد يجرؤ أن يقول لداود: لا تخف ولا يجرؤ أحد أن يدخل علىٰ داود عليه السلام لأنّ الحرس يمنعهم ولكونهم من الملائكة فهم أهلٌ لذلك.

﴿خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾: بغىٰ: من البغي وهو التّعدّي أو أخذ حق الغير بقهر وقوة وتعسُّف.

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾: فاحكم: الفاء للمباشرة، احكم: افصل بيننا بالحق: الباء للإلصاق، ولا تشطط: ولا تبتعد عن الحق أو لا تَجُرْ أو تتجاوز الحد، وهذا الطّلب: احكم بالحق ولا تشطط لا يجرؤ علىٰ قوله أحد لنبي وملك إلا الملائكة.

﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾: أي دلّنا أو أرشدنا إلىٰ سواء؛ يعني الوسط؛ أي: العدل، والصّراط: الطّريق المستقيم؛ أي: احكم بالعدل وعدم الجور أو لا تمِل عن الحق.

[٢٣] ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿هَٰذَآ﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلىٰ أخيه.

﴿أَخِي﴾: أخوه في الدّين أو في الصّداقة أو الشّراكة، ومن حق الإخوّة أن لا يأخذ حق أخيه بقهر أو تعسُّف.

﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾:

﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾: ضمّها إليّ فاجعلني كافلها: يعولها وينفق عليها.

﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾: غلبني في المحاجَّة أو الكلام.

[٢٤] ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾:

﴿قَالَ﴾: داود لصاحب النّعجة الواحدة.

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾: فهو يؤكد ظلم صاحب النِّعاج (٩٩) بدون أن يستمع له، وهذا خطأ لا يجوز في القضاء.

وقيل: أخطأ داود عدة أخطاء.

١ - لم يستمع داود عليه السلام للطرف الآخر: لصاحب (٩٩) نعجة.

٢ - حكم داود وهو في حالة الفزع والخوف، وهذا مخالف لأركان الحكم الصّحيح أو القواعد الشّرعية.

٣ - حكم بدون أيِّ بينة.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾: وإنّ للتوكيد، كثيراً من الخلطاء: من الشّركاء في التّجارة أو المال؛ أي: خلطوا أموالهم مع بعضهم البعض.

﴿لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾: اللام للتوكيد، يبغي: من البغيّ وهو: التّعدي؛ وهو أخذ مال أو حق الغير بقهر وتعسُّف وظلم.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: لأنّ إيمانهم يمنعهم من أن يبغي بعضهم على بعض.

﴿وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡ﴾: أي عددهم قليل، قليل: نكـرة تفيد التّهويل والتّعجب من قلتهم، وما: تفيد التّوكيد.

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾: الظّن هو الاعتقاد أو الاحتمال الرّاجح؛ أي: علم داود.

﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾: أن مصدرية قد تقلب الظّن يقيناً، فتنّاه: ابتليناه.

﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، استغفر ربه: لأنّه شعر أو أحسّ بالذّنب أو الخطأ في حكمه.

﴿وَخَرَّ رَاكِعٗا﴾: بدلاً من وخرّ ساجداً، وهذه هي الآية الوحيدة الّتي قيل فيها: خرّ راكعاً، وبقية الآيات: خرّ ساجداً، فكيف نفسر ذلك؟ قيل: أطلق الرّكوع وأريد به السّجود (عبر بالرّكوع عن السّجود) أي: خرّ راكعاً ثمّ سجد أو خرّ بعد أن كان راكعاً، أو خرّ مطأطئاً رأسه؛ أي: سجد. والرّكوع يعني: الخضوع، وقد ثبت في السّنة أنّ داود بعد انحنائه خضوعاً سجد لله بعد ذلك، أسرع بالرّجوع إلى الله بالتّوبة.

وهناك من قال: إنّ داود لم يرتكب معصية متعمدة وإنما اجتهد في حكمه، والخطأ في الحكم أقل من المعصية، والمعصية تحتاج إلى سجود والخطأ غير المتعمد يناسبه الرّكوع الّذي هو دون السّجود.

[٢٥] ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾:

﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾: الفاء تدل على التّعقيب والمباشرة، غفرنا: أي مَحَونا ذنبه أو الخطأ الّذي ارتكبه.

له: اللام لام الاختصاص. ذلك: أي ذنبه أو خطأه.

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد له: لداود.

﴿عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾: اللام للتوكيد، زلفى: قربى، منزلة أو درجة، أو مكانة عالية عند الله من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٦٣].

﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾: حسن مرجع أو مآل؛ أي: الدّرجات العلى في الجنة كما قال تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال:٤].

[٢٦] ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾:

﴿يَٰدَاوُۥدُ﴾: نداء بيا النّداء للبعد؛ لاسترعاء انتباه المخاطب والاهتمام بما سيقال له.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً﴾: إنّا: للتعظيم، خليفة في الأرض: خليفة خلافة عامة، خليفة لمن قبلك وليس خليفة لله تعالى، وقد تعني: خليفة لمن سبقك من الأنبياء، أو حاكماً أو ملكاً.

﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾: الفاء للتوكيد، احكم بين النّاس بالحق: أي بالعدل والقسط، والحق هو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغير، والباء: للإلصاق والدّوام.

﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾: الهوىٰ ما تميل إليه النّفس باطلاً بما لا ينبغي ولا دليل، وبعيد عن الحق ويغلب علىٰ الهوىٰ الذّم.

﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الفاء السّببية، يُضلك عن سبيل الله: أي عن دين الله (عن تفيد المجاوزة والمباعدة) أي: يبعدك عن دين الله؛ أي: لا تحكم إلا بما أمر الله به وبالبينة والشّهود وعدم التّسرع في الحكم، والاستماع إلىٰ الطّرفين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: إنّ للتوكيد، الّذين: اسم موصول.

﴿يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي دين الله؛ أي: ينحرفون ولا يرشدون.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا﴾: اللام لام الاستحقاق، عذاب شديد في الدّنيا والآخرة.

﴿بِمَا﴾: الباء السّببية، ما: اسم موصول بمعنىٰ الّذي وهي أوسع شمولاً من الذي.

﴿نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾: لم يستعدّوا له بالتّقوىٰ، نسوا: من النّسيان المتعمد بالإهمال وترك الاهتمام به، ويسمىٰ يوم القيامة: يوم الفصل يوم الدّين، وسمّي يوم الحساب؛ لما يجري فيه من حساب، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

❖❖❖

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ
﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟
ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ
﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ
أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾
رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا
سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ
لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ
كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا
عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ
مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ
بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

سورة ص [الآيات ٢٧ - ٤٢]

[٢٧] ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾:

وما: الواو استئنافية، ما: النّافية، خلقنا السّماء والأرض وما بينهما باطلاً: أي عبثاً لا جدوىٰ منه ولا فائدة، وبلا حكمة، والباطل ضد الحق، فهي تسبّح الله وهي تعتبر سقفاً محفوظاً ومصدراً للرزق، وما خلقنا السّموات والأرض وما بينهما إلا بالحق؛ أي: بالدّقة التّامة وبالقوانين الثّابتة الّتي تحكم السّموات وما فيها من أجرام ومجرّات ونجوم تجري في أفلاك ثابتة لا تصطدم ببعضها منذ خلقها الله تعالىٰ.

والسّماء تعريفها: كلّ ما علاك، وتشمل السّموات السّبع والسُّحب والطّبقات الغازية المحيطة بالأرض.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا اسم إشارة، واللام للبعد، والكاف للخطاب، ذلك: إشارة إلىٰ خلقهما عبثاً.

﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: ظنوا ذلك باطلاً؛ لأنّهم لا يؤمنون أنّها تسبّح وتسجد وأن لها مهمة كما لهم مهمة، وأنّها من الآيات الدّالة علىٰ وحدانيته وقدرته وعظمته، وظنهم لا يغني من الحق شيئاً.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: الويل: الهلاك والعذاب، للذين: اللام لام الاختصاص

والاستحقاق، الّذين كفروا: الّذين لم يؤمنوا بالله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، تهديد ووعيد للذين كفروا حتّىٰ يرتدعوا ويرجعوا إلىٰ الإيمان.

﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾: من عذاب النّار.

[٢٨] ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾:

المناسبة: لو كان خلق السّماء والأرض عبثاً أو باطلاً لبطل الجزاء والحساب، ولاستوت عند الله أحوال المصلحين والمفسدين والمتقين والفجّار، ولفسدت السّموات والأرض وما بينهما، ولكن هذا لا يتّفق مع حكمة الله ورحمته.

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والإنكار أم للإضراب الانتقالي (أم المنقطعة)، إنكار التّسوية بين الفريقين الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات والمفسدين؛ أي: من ظن (الظّن: هو الاعتقاد أو الاحتمال الرّاجح، رجحت فيه صفة الإثبات فوق صفة النّفي)، إنّ الله يساوي بين المتقي والفاجر والمؤمن الصّالح كالمفسد في الأرض، فقد ظنّ ظناً باطلاً خطأً قبيحاً جديراً بالإنكار.

والفاجر: هو الفاسق الّذي يصرّ علىٰ المعاصي ويتوسّع فيها، فكأنّها أصبحت تتفجّر منه كالينابيع وكالزّنىٰ القتل والفساد. والفجار: تدل علىٰ الثبات والدوام علىٰ المعاصي والمحارم.

[٢٩] ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾:

﴿كِتَٰبٌ﴾: أي هذا كتاب: قرآنٌ، وبصيغة النّكرة للتعظيم.

﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾: أنزلناه جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا، إليك: تفيد النّهاية إليك أوّلاً ثمّ إلى أمتك.

﴿مُبَٰرَكٌ﴾: كثير الخير والنّفع والبركة سواء المنافع الدّنيوية والأخروية يأتي بالخير الكثير الإلهي والثّابت، مبارك مشتقة من: البركة وهي النّمو والزّيادة.

﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: اللام لام التّعليل، وأصلها: ليتدبروا آياته، واختار يدَّبّروا مبالغة في التّدبر؛ أي: يحتاج إلى تدبر عميق وفهم بالغ، وأمّا ليتدبروا؛ أي: يحتاجون إلى طول التّدبر (زمن أطول) فهم بحاجة إلى تدبر عميق، ولو قال ليتدبروا؛ يعني طول تدبُّر وتمعُّن زمن أطول.

والتّدبر: هو النّظر في عواقب الأمور وما تؤول إليه، ويكون بالعقل والقلب والنّظر في الأمور الخفية والحكمة وليس النّظرة السّطحية مع الاستفادة والتّطبيق.

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: اللام للتعليل، وليتذكر أولوا الألباب: أي يحتاجون إلى وقت أطول للتذكر والتّأمل، أمّا لو قال وليذكر أولوا الألباب: أي يحتاجون إلى وقت قصير للتذكر، التّذكر: يكون لأمر يعرفونه سابقاً، أولوا الألباب: أصحاب العقول النّيرة الواعية، والألباب مشتقة من: لب المخ؛ أي: منطقة الإدراك والتّفكير والفهم والبصيرة، ولمزيد من البيان ارجع إلى سورة البقرة الآيتين (١٧٩، ١٩٧)، وسورة الزّمر آية (١٨).

[٣٠] ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾:

﴿وَوَهَبْنَا﴾: الوهب عطاء بدون مقابل، والوهب لا يكون خاضعاً لقانون

أو أسباب حتّىٰ ولو توفرت؛ لأنّ الأسباب في ذاتها قد تكون هبة، والإنجاب كُلُّهُ يعد هبة من الله تعالىٰ بدون مقابل، في كلّ القرآن.

﴿لِدَاوُۥدَ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿سُلَيْمَٰنَ﴾: ابنه سليمان.

﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾: يعني سليمان، نعم: من أفعال المدح العامة.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿أَوَّابٌ﴾: كثير الإنابة والرّجوع والتّوبة إلىٰ الله مع الإسراع، لا ينتظر طويلاً. ارجع إلىٰ الآية (١٧) من نفس السورة.

[٣١] ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمان الماضي.

﴿عُرِضَ عَلَيْهِ﴾: من العرض وهو: الإحضار أمام الرّائي للشّيء المعروض، وهي الجياد، وعليه: تعود علىٰ سليمان عليه السلام؛ أي: أحضرت أمامه الجياد في عرض كالعرض العسكري أو الرّياضي.

﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾: العشي: ما بين الظّهر والمغرب، أو من الزّوال إلىٰ الغروب، وقيل: من العصر إلىٰ الغروب، والباء للإلصاق.

﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾: الصّافنات: جمع صافن وهو الجواد (الحصان) الأصيل العريق الّذي يقف علىٰ ثلاث قوائم والرّابعة يقف علىٰ طرفها؛ أي: علىٰ الحافر أهبة واستعداداً للجري والانطلاق، وتعني السكون عند الوقوف فالصّافن تعني كلا المعنيين.

الجياد: جمع جواد وهو الفرس القوي السّـريع (شديد العدو)، وقد تطلق على الإنسان: السّريع الكرم.

[٣٢] ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾:

﴿فَقَالَ﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب، قال سليمان عليه السلام لنفسه.

﴿إِنِّيٓ﴾: للتوكيد.

﴿أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾: الخير تعني: الصّافنات الجياد؛ أي: آثرت حب الصّافنات الجياد، عن: للمجـاوزة والإبعاد، ذكر ربي يعني: صلاة العصر أو نسـيت ذكر ربي؛ أي: لم أذكره (أسـبّحه أو أحمده) طوال ذلك الزّمن (زمن العرض).

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾: حتّى غابت الشّـمس عن أعين النّاس أو توارت عن أعين النّاس.

فعندها قام يذكر ربه ويصلي وبعد إتمام ذلك قال ردّوها عليَّ.

[٣٣] ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾:

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾: أعيدوها عليَّ.

﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾: الفاء: للمباشرة والتعقيب؛ طفق: شرع وبدأ يمسـح بيده سُـوقها وأعناقها تكريماً لها فقد تبيّن من الدراسـات العلمية أنّ سُـوقها وأعناقها هي أكثر المناطق حساسـية والمسح عليها من أفضل طرق

ترويض الخيل البري، حيث اتهمها وهي لا ذنب لها بأنّها شغلته عن صلاته أو ذكر ربه.

وما ترشد إليه الآية هو: تجنب الانشغال عن الصّلاة وعن ذكر الله حين يحين وقتها مهما كان الأمر وترك أمور الدّنيا والانتقال من الانشغال بالدّنيا (بالكون) إلى الانشغال بالمكوِّن (وهو الله سبحانه).

وأمّا القول بأنّه شرع طفقاً بالسُّوق والأعناق؛ أي: بالسّيف، فهذا لا يليق بأخلاق النّبوة وهو من الإسرائيليات وغير صحيح.

[٣٤] ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾:

﴿ وَلَقَدْ ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ ﴾: الفتنة: الاختبار والفتنة: ارجع إلى سورة العنكبوت الآية (٢) الفتنة أشد من الاختبار وأصلها عرض الذّهب على النّار؛ ليتبين درجة جودته من فساده وتكون في الخير والشّر، فتنة سليمان قيل: هي أنه لم يرزقه الله أيّ ولد. رغم الملك الواسع وتسخير الرّيح والجن والقصور والمحاريب.

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ﴾: الجسد: بدن مع روح بدون نفس؛ فرغم كلّ المحاولات لإنجاب الأطفال لم يستطع، وأخيراً ولدت له إحدى نسائه بوليد غير كامل البناء كأنّه مشلول غير قادر على الحركة، جاءت به المولدة ووضعته على كرسيه؛ أي: عرشه بعد الولادة، وهناك من قال: إن سليمان مرض مرضاً شديداً وضعف جسده بعد أن كان قوياً مسيطراً على الجن وغيرهم، وأراد الله أن يبتليه بالمرض؛ أي: السّقم.

﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٧) من نفس السورة. اعتبر سليمان عليه السلام عدم رزقه بولد كامل البنية ابتلاء أو عقوبة علىٰ ذنب ارتكبه أو بغير ذنب، أو اعتبر مرضه المضني الّذي أفقده قوته وعافيته ابتلاء أو عقوبة، ثمّ أناب: أي أسرع بالتّوبة والرّجوع إلىٰ الله والاستغفار، ثم: تفيد التّرتيب الذّكري، وقيل: ثمّ أناب؛ رجع إلىٰ حالته الأولىٰ صحيحاً معافىٰ، ثم: قد تفيد التّرتيب والتّراخي في هذه الحالة.

[٣٥] ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾:

﴿قَالَ﴾: سليمان عليه السلام.

﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾: بدون استعمال ياء النّداء؛ لأنّه علم أنّ ربه قريب سميع الدّعاء فلم يحتاج إلىٰ ياء النّداء الدّالة علىٰ البعد، اغفر لي: اغفر لي ذنبي أو ذنوبي؛ أي: امحوها واعفو عني وتقبل صالح أعمالي.

﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا﴾: هب: من الهبة. ارجع إلىٰ الآية (٣٠) لمعرفة معنىٰ الهبة، ملكاً: الملك: استفاضة الملك واتساع المقدور؛ أي: ملكاً أعظم من مُلكي السّابق.

﴿لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾: لا: النّافية؛ أي: ملكاً لن تعطي أحداً مثله من بعدي، أو قيل: لا يسلبه أحد مني ولم يكن في ملكه يومئذ الرّيح والشّياطين.

﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾: أنت: ضمير متصل يفيد الحصر والقصر؛ أي: أنت وحدك الوهاب.

﴿ٱلْوَهَّابُ﴾: صيغة مبالغة تدل علىٰ كثرة الوهب: العطاء بدون مقابل وبدون

أسباب، واهب جميع النّعم الباطنة والظّاهرة، دائم الإحسان الّذي شمل ببره وكرمه كلّ الكائنات.

[٣٦] ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾:

﴿فَسَخَّرْنَا﴾: الفاء تدل على المباشرة والتّعقيب، سخرنا: ارجع إلى الآية (١٨) من السّورة نفسها لمعرفة معنى التّسخير؛ وهو التّذليل بصورة عامة، سخرنا: بنون التّعظيم.

﴿لَهُ﴾: اللام لام الاختصاص له خاصة.

﴿ٱلرِّيحَ﴾: أي أضفنا الرّيح إلى ملكه.

﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾: رخاء: لينة هادئة ناعمة أو عاصفة كما في سورة الأنبياء (٨١)؛ أي: لها عدة استعمالات حسب ما يريد من السّرعة، أو يأمرها سليمان.

﴿حَيْثُ﴾: ظرف مكاني.

﴿أَصَابَ﴾: من الصّواب؛ أي: حيث أراد الصّواب، أي السّفر أو القصد أي: النية.

[٣٧] ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾:

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾: جمع شيطان، والشّياطين: كفَرَة الجن، وسخرنا له الشّياطين: بالإضافة إلى الرّيح استجابة لدعائه: هب لي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي.

﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾: كلّ بناء يحتاجه؛ لكي يبنوا له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجِفان كالجواب وقدور راسيات.

﴿وَغَوَّاصٍ﴾: في البحار؛ لكي يستخرجوا له الحلية من اللآلئ والمرجان، كلّ بناء وغواص: هؤلاء كانوا من الشّياطين المطيعين له.

[٣٨] ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾:

﴿وَءَاخَرِينَ﴾: أي: شياطين آخرين بالإضافة إلى كل بناء وغواص.

﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ﴾: هم مَرَدة الشّياطين غير الصالحين، مقرونين في الأصفاد، مشدودين في القيود للتأديب والكف عن الفساد.

﴿ٱلْأَصْفَادِ﴾: جمع صفد: السّلسلة أو القيد.

[٣٩] ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾: هذا: الهاء للتنبيه، وذا اسم إشارة للقرب يشير إلى الرّيح والشّياطين.

عطاؤنا: العطاء فيه معنى التّملك؛ أي: جعلناه مُلكاً لسليمان بعكس الإيتاء ليس فيه تملك؛ أي: يمكن استرداده، وكل الأمور الّتي أعطيت لسليمان هي من نوع العطاء.

﴿فَٱمْنُنْ﴾: فأعطِ من تشاء.

﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾: أو امنع وأمسك عمن تشاء.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: لا حساب عليك في ذلك العطاء أو الإمساك، فلن نسألك كم أعطيت أو منعت.

[٤٠] ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (٢٥) من السّورة نفسها.

[٤١] ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾:

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾: من سلالة إسحاق عليه السلام أيوب بن أموص بن أروم بن عيص بن إسحاق، واذكر: يا رسول الله لقومك قصة أيوب، أو صبر أيوب علىٰ ما ابتلاه الله تعالىٰ، عبدنا أيوب: وصفه بعبدنا تشريفاً له، والعبودية لله تعالىٰ كلها عز وشرف للعبد.

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني للماضي بمعنىٰ: حين نادىٰ ربه.

﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾: النّداء يكون برفع الصّوت، أمّا الدعاء يكون برفع الصّوت أو خفضه.

﴿أَنِّى﴾: للتوكيد.

﴿مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾: المس: هو دون اللمس؛ أي: أدنىٰ درجات اللمس فهو اعتبر الإصابة بالمرض لسنين طويلة لمجرد المسِّ، ونسب المرض والنُّصب والعذاب الّذي يلاقيه إلىٰ الشّيطان تأدباً مع الله سبحانه.

فقد أصابه المرض الشّديد لسنين طويلة، فكان الشّيطان يوسوس له بخواطر السّوء وكيف يحدث له ذلك وهو رسول ونبي ويتركه الله ولا يشفيه! فكانت وساوس الشّيطان تسبب له عذاباً نفسياً شديداً أشد من عذابه البدني، ورغم أنّ الله سبحانه هو ابتلاه بالمرض، فلم يذكر ذلك أبداً تأدباً مع الله تعالىٰ. وفي سورة الأنبياء آية (٨٣) قال: ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

﴿بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾: بضم النّون والنُّصب: الضُّر ولم يقل بنَصب بفتح النّون وتعني: التّعب والمشقة كلّ ما أصابه من عمل الشّيطان ووساوسه، وعذاب: نكرة يشمل خسارة الأولاد والمال والفقر وابتعاد النّاس عنه خوفاً من العدوىٰ رغم أنّ مرضه كان غير معدٍ.

[٤٢] ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾:

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾: الضّرب أي: اضرب برجلك الأرض؛ أي قلنا له: اضرب برجلك، ويقال: ركض الدّابة: جعلها تركض، إذا ضربها برجليه وهو يركبها ليحثها علىٰ السّرعة، فركضَ برجله الأرض فخرج الماء: نبع الماء فاغتسل بالماء ثمّ شرب من النّبع.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلىٰ الماء الّذي هو مغتسلٌ لك وشرابٌ.

﴿مُغْتَسَلٌۢ﴾: أي ماء تغتسل به فتشفىٰ به من مرضك الجلدي، وكان من غير الأمراض المعدية؛ لأنّ زوجته لم تصب به غير الّذي كان يظنه النّاس.

﴿بَارِدٌ﴾: لماذا بارد؛ لأنّ مرضه الجلدي كان يشعر معه بحكة وألم كالحرق، والحرق حين تضع عليه شيئاً بارداً كان يخفف الألم.

﴿وَشَرَابٌ﴾: شراب لك تشربه.

❖❖❖

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ
نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى
ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ
إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ
وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ
﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾
نصف الحزب ٤٦
۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ
ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ
لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا
فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾
هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾
قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾
قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

سورة ص [الآيات ٤٣ - ٦١]

[٤٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾:

﴿وَوَهَبْنَا﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٠) من السّورة نفسها للبيان.

﴿لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾: تقديم «له» يدل علىٰ الحصر، أهله: أولاده.

﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾: عاد إليه أهله بعد شفائه من المرض بعد أن ابتعدوا عنه؛ أي: الذّرية، وعادوا بزيادة الضعف من بنين وحفدة (الذّرية: الآباء والأبناء).

﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾: رحمة عامة للمؤمن وغير المؤمن، وأمّا رحمة من عندنا أو من لدنا: فهي رحمة خاصة فقط بالمؤمنين، منا: لأنّ هذه الرّحمة لم تخصه وحده بل شملت أولاده فكانت رحمة عامة، وفي سورة الأنبياء قال تعالىٰ: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ فهذه الرّحمة خاصة بأيوب، ورحمة منا رحمة له ولذريته.

﴿وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: تذكرة لذوي العقول النّيرة. ارجع إلىٰ الآية (٢٩) من السّورة نفسها للبيان.

وفي سورة الأنبياء قال تعالىٰ: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ تذكرة للعابدين باللجوء إلىٰ الله والصّبر علىٰ ما أصابهم وعدم اليأس، إذن ما حدث لأيوب ذكرىٰ للعابدين بشكل عام وذكرىٰ لأولي الألباب بشكل خاص، أو ذكرىٰ للعابدين، فإن لم يتذكر هؤلاء فعلىٰ الأقل تكون ذكرىٰ لأولي الألباب، ويبدو أنّ الآيات في سورة الأنبياء أخص في سياق تكريم الأنبياء، وسياق الآيات في سورة ص سياق عام.

[٤٤] ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾:

تـــدل هذه الآية ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾: على أنّ أيوب حلف يميناً على زوجته؛ لأنّها قـــد فعلت فعلاً وهو مريض أغضب أيوب فدلّه الله ســـبحانه في هذه الآية كيف يوفي بيمينه ولا يحنث، والحنث: هو الإثم والذّنب.

والحنث في اليمين إذا لم يوف بما حلف عليه يأثم ويذنب، ولذلك يجب الوفاء باليمين المؤكد أو المعقود.

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾: الضّغث: جمعها: أضغـــاث، وتعني: التداخل وعدم الوضوح؛ أي: مختلطة؛ أي: حزمة من عيدان يابســـة أو قضبان أو القش مختلطة ببعضها.

﴿فَاضْرِب بِّهِۦ﴾: أي زوجتك، ولم يبين من يضرب به إكراماً لها؛ لأنّها كانت زوجة صابرة صالحة، فاضرب به ضربة واحدة وانتهى الأمر ويكون قد برَّ بيمينه وخرج من حنثه.

﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾: في يمينك؛ أي لكي لا تأثم بعدم الوفاء بما حلفت به، ولتكون قدوة لمن غيرك في الوفاء والبر بالقسم.

﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾: على البلاء.

﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: نِعم من أفعال المدح، العبد: أي أيوب، إنّه: للتوكيد، أوّاب: كثير وسريع الرّجوع إلى الله بالتّوبة والإنابة.

[٤٥] ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾:

المناسبة: بعد أن وصّى الله سبحانه رسوله بالصّبر على ما يقوله كفار مكة وذكره:

أوّلاً: بصبر داود على طاعة الله وعبادته (صيام يوم وإفطار يوم) وقيام الليل.

وبصبر سليمان على ما ابتلاه ربه، ولم يهبه ولداً رغم ملكه العظيم وتسخير الرّيح له والجن.

وبصبر أيوب على ما ابتلاه ربه بالمرض والفقر والأهل.

جاء في هذه الآية ليذكّره بصبر إبراهيم حين ألقي في النّار وحين أمر بذبح ولده.

وبصبر إسحاق في دعوته لبني إسرائيل إلى الإيمان والصّلاح.

وبصبر يعقوب حين فقد ولده وذهب بصره.

وبصبر إسماعيل حين تلَّه للجبين (بالذّبح).

وبصبر اليسع وذي الكفل على أذى بني إسرائيل.

فقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾: عبادنا: إبراهيم الأب، وإسحاق الابن، ويعقوب ابن الابن (ابن إسحاق) عليهم السلام.

﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾: أولي: أصحاب، الأيدي: جمع يد؛ وتعني القوة والكرم؛ أي: أصحاب القوة في العبادة وطاعة الله والصّبر والإيمان.

والأبصار: أولي البصيرة، أو أصحاب البصائر في الفقه في الدّين والعلم ومعرفة الأحكام.

[٤٦] ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾:

﴿إِنَّآ﴾: للتعظيم.

﴿أَخْلَصْنَاهُم﴾: ميّزناهم بشيء خاص بهم، وأخلصناهم قد تعني: الإخلاص؛ أي: اصطفيناهم وجعلناهم من المخلَصين: بفتح اللام؛ أي: لنا خالصين.

﴿بِخَالِصَةٍ﴾: الباء للإلصاق والدّوام، خالصة: مزيّة صفة لا شائبة فيها وهي ذكرىٰ الدّار؛ أي: دار الآخرة، كثيرو الحديث عن الموت وما بعده والدّار الآخرة والجنة ويذكّرون النّاس بها.

[٤٧] ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾:

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ﴾: لمن: اللام للتوكيد، من: ابتدائية بعضية.

﴿الْمُصْطَفَيْنَ﴾: الاصطفاء: هو الاختيار من الأشياء المتشابهة المتناظرة مثل: تختار من نفس الجنس الإنس؛ أي: المختارين من بين النّاس أولاً، والمصطفين من بين المرسلين.

﴿الْأَخْيَارِ﴾: أي هم من خير البرية، اخترناهم للنبوة وحمل الرّسالة، كانوا من الأخيار بإيمانهم بربهم والاستقامة علىٰ دينه وشرعه، وبأخلاقهم ومعاملتهم وصبرهم وطاعتهم المثلىٰ.

[٤٨] ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾:

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ﴾: الرّسول النّبي الحليم ومن الصّابرين علىٰ ابتلاء الله بالذّبح، والّذي كان صادق الوعد، وكان من الأخيار يأمر أهله بالصّلاة والزّكاة وكان عند الله مرضياً.

﴿وَالْيَسَعَ﴾: واذكر اليسع من الّذين فضّلنا علىٰ العالمين ومن الأخيار، وقد ورد ذكره في آيتين فقط الآية (٨٦) من سورة الأنعام: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، وورد ذكره في هذه الآية (٤٨) من سورة

(ص): ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ ولم يذكر القرآن من هو ولا متىٰ بُعث ولا لمن أرسل.

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾: ورد ذكره في آيتين فقط أيضاً من الصّابرين ومن الصّالحين ومن الأخيار: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء:٨٥-٨٦]، ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص:٤٨].

وهناك من قال: إنّ ذا الكفل هو ابن أيوب عليه السلام، وهو الوحيد من بين أولاده أصبح نبياً وسمي ذا الكفل؛ أي: الحظ والنّصيب؛ لأنّه اصطفي للنبوة.

﴿وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾: الواو في كلمة «وكلّ» تدل علىٰ هؤلاء وغيرهم؛ أي: كلّ من ذكر داود وسليمان وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل واليسع وذو الكفل وغيرهم من الأنبياء والرّسل من الأخيار، الأخيار: ارجع إلىٰ الآية (٤٧) للبيان.

[٤٩] ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾:

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب، ذكر: أي هذا ذكر بعض الأنبياء والرّسل. أو شرف وثناء جميل لهم يُذكرون في أقوامهم ومن جاء بعدهم. وقد تعني: هذا من الذّكر الحكيم؛ أي: القرآن لما جرىٰ من ذكر هؤلاء الأنبياء.

﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾: إنّ للتوكيد، للمتقين: اللام للاختصاص والاستحقاق، خاص بالمتقين.

﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: اللام في «لحسن»: للتوكيد، مآب: مرجع؛ أي: الجنة، يرجعون إليها بعد البعث والحساب، وهناك فرق بين الإياب والرّجوع، الإياب: يستعمل للرجوع إلىٰ منتهىٰ الغاية أو القصد ويسكن بعدها ويستقر.

[٥٠] ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾:

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: عدن: إقامة واستقرار، إقامة دائمة بلا زوال أو تحوّل.

﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾: مفتّحة: اسم مفعول يدل على المبالغة في فتحها؛ أي: ليلاً ونهاراً دائماً مفتّحة، مفتّحة لهم: تكريماً لهم مفتّحة لا تغلق، ولو قال مفتوحة تعني: تفتح أحياناً وتغلق أحياناً أخرى، وكما جاء في الآية (٧٣) من سورة الزمر: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾؛ أي: وجدوها مفتوحة لهم.

[٥١] ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾:

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾: متكئين فيها؛ أي: في جنات عدن على الأرائك، المتكئ: هو ما بين النّائم والجالس، أو ما بين النّائم والقاعد، والاتكاء يدل على الوضع الّذي يأخذ فيه الإنسان راحته كقوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرّحمن:٥٤]، ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾ [الرّحمن:٧٦].

﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾: يطلبون فيها (في جنات عدن).

﴿بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾: الباء للإلصاق والدّوام، فاكهة: اسم جنس تشمل كلّ الفواكه مختلفة الأنواع والكثيرة الكمية.

﴿وَشَرَابٍ﴾: من مختلف الأنواع منه ما مزاجه من تسنيم، وشراب مزاجه من كافور، وشراب من عسل مصفى، وشراب من لبن لم يتغير طعمه ومن خمرٍ لذة للشاربين، ولم يذكر الطّعام؛ لأنّ الفاكهة والشّراب للتلذذ والمتعة أمّا الطّعام فلا داعي لذكره؛ لأنّه موجود قبل الفاكهة والشّراب.

[٥٢] ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾:

﴿وَعِندَهُمْ﴾: عند المتقين.

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾: الطّـرف: أي: العين، وفي سـورة الصافات: وصفهن بقاصرات الطرف عين؛ قاصرات الطّرف: لا ينظرن إلىٰ غير أزواجهن.

﴿أَتۡرَابٌ﴾: جمع تِرب: متسـاويات في الحسن وفي السّن كلّهن جميلات في سن واحدة، قيل: في سن (٣٠) وحُسن القوام تتقلب في الصّورة الّتي يحبها.

[٥٣] ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾:

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسـم إشـارة ويشـير إلىٰ جنات عدن والنّعيم، والفاكهة والشّراب، وقاصرات الطّرف أتراب.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنىٰ الّذي، أو ما مصدرية.

﴿تُوعَدُونَ﴾: من الوعد الّذي يعدكم ربكم يوم القيامة.

﴿لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾: اللام للتوقيت ظرفية زمانية، يوم الحساب: يوم الدّين يوم الجزاء.

[٥٤] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾:

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: إنّ للتوكيد، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يفيد القرب.

﴿لَرِزۡقُنَا﴾: اللام للتوكيد، رزقنا: عطاؤنا.

﴿مَا﴾: النّافية.

﴿لَهُۥ﴾: لرزقنا.

﴿مِن نَّفَادٍ﴾: أي انقطاع أو فناء (زوال)، من نفد: فني وذهب أو زال أو قل.

[٥٥] ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ﴾:

﴿هَٰذَا﴾: تعني الكلام السّابق أو المذكور للمتقين.

﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾: الواو استئنافية، إنّ للتوكيد، للطاغين: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، الطّاغين: جمع طاغٍ: وهو الّذي تعدّىٰ حدود الله وخرج عن طاعة الله تعالىٰ، وتمرّد وأصرّ واستمر بدون أن يتوب، طغوا في الكفر والفساد والضّلال.

﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾: اللام للتوكيد، شر: أسوأ مآب مرجع أو مآل منقلب، ثمّ فسره بالآية التّالية:

[٥٦] ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾:

﴿جَهَنَّمَ﴾: شر مآب جهنم دركة من دركات النّار، ومشتقة من كونها بعيدة القعر، وما يدل علىٰ بعد قعر جهنم ما رواه مسلم في صحيحه، عن أنس بن مالك قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذا سمع وجبة (صوت سقوط الشيء) كقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [الحج:٣٦]؛ أي: سقطت؛ قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم؛ قال: هذا حجر رمي به في جهنم منذ سبعين خريفاً، وهو يهوي فيها الآن حتىٰ انتهىٰ إلىٰ قعرها». ارجع إلىٰ الآية (١٨) من سورة الرّعد لمزيد من البيان.

﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يدخلونها يقاسون حرها، يحرقوا بها، من: صَلَىٰ اللحم يَصليه: ألقاه في النّار ليشويه

﴿فَبِئْسَ﴾: الفاء للتوكيد، بئس: فعل من أفعال الذّم.

﴿ٱلْمِهَادُ﴾: الفِراش، شبّه ما تحتهم من النّار بالمهد المريح الّذي يُعدّ للوليد ليحميه من الأذىٰ؛ أي: لبئس ما مهدوه لأنفسهم في الدّنيا.

[٥٧] ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾:

﴿هَٰذَا﴾: تستعمل في الانتقال من غرض إلىٰ غرض، أو تثنية للغرض الّذي قبله.

﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾: الفاء للتوكيد، ليذوقوه: اللام للتعليل، والهاء تعود علىٰ العذاب المتضمن الحميم والغسّاق، من الإذاقة والذّوق فليذوقوا العذاب.

﴿حَمِيمٌ﴾: الحميم: الماء البالغ أقصىٰ درجات الغليان.

﴿وَغَسَّاقٌ﴾: صديد يسيل من أجسام الطّاغين من أهل النّار، غسق الجرح: إذا سال منه ماء أصفر يسمىٰ القيح، غسقت العين: سال دمعها؛ أي: شرابهم الحميم والغسّاق.

[٥٨] ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾:

﴿وَءَاخَرُ﴾: أي وعذاب آخر كالحميم والغسّاق.

﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾: من ابتدائية، شكله: مثله؛ أي: مثل الحميم والغسّاق في الشّدة والكره.

﴿أَزْوَٰجٌ﴾: أصناف وأجناس مثل الزّمهرير وعذاب السّموم وأكل الزّقوم، سأرهقه صعوداً.

[٥٩] ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾:

﴿هَٰذَا﴾: قد تستعمل للانتقال من غرض إلىٰ غرض، والهاء: للتنبيه، وذا: اسم إشارة يدل علىٰ القرب يشير إلىٰ نوح.

﴿فَوْجٌ﴾: الجمع الكثير من الكافرين والضّالّين، وجمعه: أفواج، فوج من

الأتباع. انظر هذا التّدرج من القلة إلى الكثرة: نفر رهط شرذمة قبيلة عصبة طائفة ثلّة فوج فرقة حزب زمرة فئة جيل.

﴿مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾: المقتحم الدّاخل أو الرّامي بنفسه في جهنم، من: أقحم الفرس في النّهر؛ أي: أدخل الفرس بشدة وبعنف.

فهم يرمون بأنفسهم؛ لأنّهم يضربون بمقامع من حديد فيلقون بأنفسهم في النّار خوفاً من الضّرب بالمقامع من حديد، معكم: أي أيّها الرّؤساء أو المتبوعون.

﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾: دعاء يقوله الرّؤساء أو المتبوعون رداً على قول خزنة جهنم: هذا فوج مقتحم معكم، فيقولون: لا مرحباً بهم؛ الرّحب: هو السّعة؛ أي: لاتسعت بهم أمكنتهم ولا رحبت عليهم الأرض أو جهنم، وهذا يدل على انقطاع الصّلة والمودة بين الرّؤساء والأتباع.

ودليل على أنّ جهنم مكان ضيق مطبق غير واسع؛ لكي لا يشعروا بالرّاحة، وهذا نوع آخر من أنواع العذاب.

﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾: إنّهم للتوكيد، صالو النّار: داخلون في النّار ومقاسون حرّها ولهيبها، من: صَلَى اللحم، يصليه؛ أي: يلقيه في النّار ليشويه.

[٦٠] ﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي الأتباع للرؤساء الّذين لم يرحبوا بهم.

﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾: بل للإضراب الإبطالي؛ أي: أنتم أحق بما قلتم، وعللوا ذلك الرّد بأنّكم أنتم قدمتموه لنا؛ أي: الكفر والضّلال والفساد، أو دعوتمونا إليه بسبب إغوائكم إيّانا وإضلالكم لنا في الدّنيا ولولا أنتم لم نقع فيه.

﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾: الفاء للتوكيد، بئس: من أفعال الذّم، بئس المقرّ والمآب أو المقام.

[٦١] ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾:

﴿قَالُوا۟﴾: أي الأتباع.

﴿رَبَّنَا﴾: اعترفوا وآمنوا بأنّه ربهم، آلآن؟ ويدعوه، فهم يحاولون أن يظهروا بمظهر المظلوم والمغرّر به. قالوا ربنا: حذف ياء النّداء الدّالة على البعد.

﴿مَن﴾: شرطية.

﴿قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾: أي من أضلّنا وأغوانا ودعانا للكفر والشّرك، وبالتّالي أوردنا النّار وسبّب لنا هذا العذاب.

﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، زده عذاباً ضعفاً: أي ضاعف له العذاب بأن يصبح ضعفين أو مضاعفاً، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٨٦].

❖❖❖

وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ
سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ
ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟
عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ
إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ
مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

سورة ص [الآيات ٦٢ - ٨٣]

[٦٢] ﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾:

﴿وَقَالُواْ﴾: الرّؤساء وقادة الضّلال والشّرك من كفار قريش ومشركيها، قالوا يوم القيامة.

﴿مَا لَنَا﴾: ما للاستفهام، تحمل معنىٰ الإنكار والتّحقير.

﴿لَا نَرَىٰ﴾: في النّار بعد أن نظروا حولهم.

﴿رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾: أين هم أصحاب محمّد ﷺ أمثال بلال وعمار وصهيب وسليمان وخباب الّذين كنا نعدّهم من الأشرار.

من ابتدائية، الأشرار: ضد الأخيار، جمع: أشرّ. اعتبروهم من الأشرار؛ لأنّهم اتبعوا دين محمّد ﷺ وخالفوا دين آبائهم.

[٦٣] ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾:

﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾: قرأ نافع وحفص والجمهور، الهمزة في «أتخذناهم» كهمزة استفهام وحذفوا همزة الوصل، أتخذناهم: الهمزة للاستفهام والإنكار علىٰ أنفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم؛ لأنّهم أدركوا أنّ أصحاب محمّد في الجنة.

﴿سِخْرِيًّا﴾: من السخرية: وهي استنقاص حق من يسخر منه، وأصلها الذّلّة. ارجع إلىٰ الآية (٧٩) من سورة التّوبة للبيان، ولمعرفة الفرق بين سِخرياً: بكسر السين، وسُخرياً: بضم السين؛ ارجع إلىٰ الآية (٣٢) من سورة الزخرف.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، الهمزة للتشكيك.

﴿زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: أي كأنّهم ليسوا في النّار معنا، أو هم في النّار معنا ولكن لا نراهم، زاغت عنهم: مالت عنهم الأبصار لم تعد تراهم، عنهم: تفيد المجاوزة والمباعدة، الأبصار: أي الأعين.

ولمقارنة سِخرياً بكسر السّين مع سُخرياً بضم السّين ارجع إلى الآية (٣٢) من سورة الزّخرف للمقارنة.

[٦٤] ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا اسم إشارة، واللام للبعد، ويشير على الّذي أخبرناك به بما يجري من حوار بين الرّؤساء والقادة من أئمّة الكفر والضّلال، والضعفاء أو الأتباع والمتبوعين في النّار.

﴿لَحَقٌّ﴾: اللام للتوكيد، والحق: هو الأمر الثّابت الّذين لا يتغير ولا يتبدل، وكأنّه وقع لا محالة (رغم أنّ السّياق في المستقبل).

﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾: شبّه ما جرى بينهم من سؤال وجواب وحجاج أو جدال بالتّخاصم؛ أي: شعور بنوع من الكراهية والعداوة بينهم.

[٦٥] ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ، قل لكفار مكة والنّاس عامة.

﴿إِنَّمَآ﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾: منذر: اسم فاعل من: أنذر، والإنذار: هو الإعلام مع التّحذير والتّخويف من عقاب الله وعذابه، منذر لكلّ من يكفر بآيات ربه ولقائه وعبادته، منذر لكم من القهار الجبار، والنّذير: كثير الإنذار صيغة مبالغة في الإنذار، ولم يقل: بشيراً ونذيراً؛ لأن الآيات جاءت في سياق جهنم، وذكر النار، والحميم والغساق.

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ﴾: الواو عاطفة، ما: النّافية المطلقة؛ أي: الشاملة، من: استغراقية لا وجود لأي آلهة إلا الله.

﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾: إلا: أداة حصر وقصر، الله: الواحد القهار.

﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾: الّذي لا شـــريك له ولا ولد. ارجع إلىٰ سورة الصافات آية (٤) للبيان ومعرفة الفرق بين أحد وواحد.

﴿ٱلْقَهَّارُ﴾: صيغة مبالغة من القهر، والقهر يعني: الغلبة والقدرة كماً وكيفاً؛ أي: القادر علىٰ قهر كلّ شـــيء بقوته وجبروته وعزته وعلمه، والمسيطر علىٰ كلّ شـــيء والخاضع له كلّ شيء، وقد ذكر الاســـم الواحد القهار في ست آيات في القرآن.

[٦٦] ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾:

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أي خالق ومالك وحاكم السّموات السّبع والأرض وما بينهما.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: مشـــتقة من: العزة، عزة القوة والقهـــر والغلبة والمنعة، القوي الّذي لا يُقهر ولا يُغلب، والممتنع لا يحتاج لأحد ولا يضره ولا ينفعه أحد.

﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾: صيغة مبالغـــة من: غفر، كثير المغفرة، يمحو السّـــيئات ويغفر الذّنوب جميعاً مهما كثرت أو تعددت إلا الشّرك والكفر، وأما الغفور: أي: دائم المغفـــرة، ولمعرفة المزيد من الفرق بين غفّار وغفور؛ ارجع إلىٰ ســـورة طه آية (٨٢).

[٦٧] ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ إلىٰ قومك وإلىٰ النّاس أجمعين.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد؛ ويعني القرآن الكريم.

﴿نَبَؤٌا عَظِيمٌ﴾: النّبـــأ هو الخبـــر العظيم، والنبأ: أهم من الخبـــر، وفيه فائدة

للناس، ويعني النبأ؛ أي: القرآن الكريم وما فيه من الأنباء والآيات والأحكام والوعد والوعيد وأنباء الرسل والغيب والبعث والوحدانية ولا (إلهٍ إلا الله الواحدُ القهار).

[٦٨] ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾:

﴿أَنتُمْ﴾: للتوكيد، عن: تفيد المجاوزة والابتعاد.

معرضون: أي لا ترغبون في سماعه أو تأبَون سماعه ولا تهتدون به ولا تؤمنون به، وفي الآية توبيخ لهم.

﴿مُعْرِضُونَ﴾: تدل على أنّ الإعراض عندهم أصبح صفة ثابتة فيهم.

[٦٩] ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾:

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ﴾: ما النّافية، ينفي رسول الله ﷺ عنه بهذه الآية علم الغيب، كان: تشمل كلّ الأزمنة، من علم: استغراقية، أيّ علم، بالملأ الأعلى: أي الملائكة إلا عن طريق الوحي.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمان للماضي.

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾: ولم يقل إذ اختصموا، يختصمون: للدلالة على حكاية الحال؛ أي: يريد أن يضع فعل يختصمون كأنّه يحدث الآن وأمام مرأى العين، حين اختصموا بعد أن أخبرهم الله سبحانه أنّه جاعلٌ في الأرض خليفة، قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة:٣٠]، وفي شأن السّجود لآدم وامتناع إبليس. وبيّن نوع الخصام في الآية (٧١) القادمة.

[٧٠] ﴿إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿إِن﴾: تفسيرية أو نافية.

﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾: الوحي لغة: إعلام بالخفاء، وفي الشّرع: ما يُلقي الله سبحانه

على أنبيائه ورسـله من تكاليف وتعاليم دينية وآيـات ووعد ووعيد. ارجع إلى سورة النّساء آية (١٦٣).

﴿إِلَّآ﴾: للحصر.

﴿أَنَّمَآ﴾: للقصر.

﴿أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بيّنٌ واضح الإنذار، نذير: صيغـة مبالغة من الإنذار، وهو الإعـلام مع التّحذير والتّخويف، نذير لكلّ مسـلم ولكلّ إنسـان، وبيّن الإنذار واضح لا يخفى على أحد ولا يحتاج إلى دليل أو برهان.

[٧١] ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف تعني: واذكر إذ أو إذ بمعنى حين؛ أي: واذكر حين قال ربك للملائكة.

﴿إِنِّى﴾: للتوكيد.

﴿خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾: أي آدم، مـن ابتدائية، طين: يعني تراب + ماء. ارجع إلى سورة الحجر آية (٢٦) للبيان. والدراسات العلمية تشير إلى أن تركيب جسم الإنسـان فيه (١٦) عنصراً من عناصر التّربة أو أكثر مثل الصّوديوم والبوتاسيوم والحديد والكلورايد والماغنزيوم والكالسيوم، خالق: بالتّنوين ليدل على الحال أو الاستقبال.

[٧٢] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (٢٩) من سورة الحجر للبيان. والسؤال: ما هو الفرق بين: (فقعوا له)، أو (اسجدوا) أو (خروا سجداً)؟

فقعوا له: أي: مباشرة اسجدوا وبسرعة وبدون أي تأخير.

خروا سجداً: هبوط فيه صوت يشبه خرير الماء.

وأما السجود: فهو السجود المعتاد سجود الصلاة أو التلاوة.

[٧٣] ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾:

ارجع إلى الآية (٣٠) من سورة الحجر للبيان.

[٧٤] ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾:

﴿ إِلَّآ ﴾: أداة استثناء، استثناء منقطع؛ أي: المستثنى ليس من المستثنى منه أي:

﴿إِبْلِيسَ ﴾: المستثنى، والمستثنى منه: الملائكة، وهو ليس من جنسهم فهو من الجن وكان مع الملائكة آنذاك، والأمر بالسّجود كان للملائكة وله أيضاً.

﴿ٱسْتَكْبَرَ ﴾: أبى أن يسجد بسبب استكباره، وبيّن سبب استكباره في الآية (٧٦) القادمة، وارجع إلى الآية (٨٧) من سورة البقرة لبيان معنى استكبر وتكبر.

﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾: كان لا تعني الزّمن الماضي، فهي تستعمل للحاضر والمستقبل أيضاً، كان بدءاً من تلك اللحظة من الكافرين ومن قبل لم يكن، من ابتدائية، ولم يقل أول الكافرين؛ لأن هناك من سبقه إلى الكفر من شياطين الجن.

[٧٥] ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾:

﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ ﴾: ما للاستفهام، وهل سبحانه لا يعلم ما منع إبليس من السّجود ليستفهم؟ طبعاً لا، ولكن هذا نوع من الاستفهام ليظهر للبشر الّذي لدى إبليس من التّكبر الّذي كان سبباً لطرده من الجنة، فلا يفعلوا ما فعل إبليس. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣٢) من سورة الحجر وهي قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾، والآية (١٢) من سورة الأعراف وهي قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ ﴾؛ ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٢) لبيان الفرق.

﴿أَن تَسْجُدَ ﴾: أن حرف مصدري للتعليل والتّوكيد، وأصلها أن لا تسجد،

والمانع إمّا أن يكون من الغير «عامل خارجي» مثل القهر والإكراه، وإمّا أن يكون عاملاً داخلياً مثل الكِبر أو التّكبر.

﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: لما: للذي خلقت بيدي، بيدي: تكريماً له؛ أي: آدم عليه السلام.

﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾: الألف والسّين والتّاء تعني: الطّلب والهمزة للاستفهام والتّوبيخ والتّقريع لإبليس. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧).

﴿أَمْ﴾ للإضراب الانتقالي.

﴿كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾: قيل: العالين نوع من الملائكة مثل حملة العرش الّذين لم يشملهم الأمر بالسّجود.

[٧٦] ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾:

قال إبليس: أنا خير منه؛ أي: من آدم؛ خلقتني من نار وخلقته من طين، كان من الأفضل لإبليس أن يكتفي بالصّمت بقوله: أنا خير منه، ولكنه يريد أن يخبر أنّ النّار أفضل من الطّين، فهذا كان تصور إبليس وظنه.

[٧٧] ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾:

﴿قَالَ﴾: سبحانه لإبليس.

﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، منها: من الجنة.

﴿فَإِنَّكَ﴾: الفاء تعليلية، إنّك للتوكيد.

﴿رَجِيمٌ﴾: تعني من المبعدين والمطرودين من رحمة الله ومن كلّ خير، والرّجيم: الملعون والمذموم أو المرجوم بالشّهب الثّاقبة [الصافات:١٠]، أو الشهب المبينة [الحجر:١٨].

[٧٨] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: الواو عاطفة، إنّ للتوكيد.

﴿عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾: على تفيد الاستعلاء والمشقة، واللعنة تعني: الطّرد من رحمة الله ومن كلّ خير، وقوله: لعنتي ولم يقل ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾ [الحجر:٣٥] لعنتي أقوى تأكيداً وشدة من قوله: وإنّ عليك اللعنة، ولعنتي تفيد الاستمرار واستبعاد العفو؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (١٦١-١٦٢) لمقارنة آيات اللعن في القرآن.

﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾: يوم الحساب والجزاء، ارجع إلى الآية (١٦١) من سورة البقرة؛ للمقارنة والبيان.

[٧٩] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾:

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي﴾: قال إبليس: رب فأنظرني: الفاء للتوكيد، أنظرني: أخّرني أو أمهلني، وهذه الآية نفسها ذكرت في سورة الحجر آية (٣٦)، وفي سورة الأعراف آية (١٤)؛ حذف الفاء ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ والسبب في وجود الفاء في آيتي (ص) والحجر: أنها تعيد السبب (أي: فاء السببية)؛ أي: ما قبلها سبب ما بعدها.

﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: إلى حرف غاية (لعموم الغايات) يوم يبعثون؛ أي: يوم البعث، فهو يريد أن ينجو من نفخة الموت، النّفخة الأولى نفخة الصّعق والموت، ويبقى أحياناً إلى النفخة الثانية (نفخة البعث)، ولم يستجيب الله سبحانه له.

[٨٠] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾:

﴿قَالَ فَإِنَّكَ﴾: قال تعالى فإنّك: الفاء للمباشرة، إنّك للتوكيد.

﴿مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾: من ابتدائية، المؤخَّرين أو الممهلين إلى يوم الوقت المعلوم حتّى النّفخة الأوّلى.

[٨١] ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾:

﴿إِلَى﴾: حرف غاية لعموم الغايات (بداية أو نهاية أو ما بين ذلك).

﴿يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾: أي يوم أو وقت النّفخة الأولى نفخة الصّعق والموت حيث تموت كلّ الخلائق.

[٨٢] ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾: قال إبليس، فبعزتك: الفاء: للعطف، وتفيد التوكيد، بعزتك يا رب عن خلقك وغناك عنهم وعن طاعتهم، وأنّك تَقهر ولا تُقهر، وتَغلب ولا تُغلب، ولا يضرك ولا ينفعك أحد من خلقك، فبعزتك: الباء باء القسم، يقسم بعزة الرّب.

﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾: اللام لام التّوكيد، والنّون في «أغوينهم» لتأكيد الإغواء، أغوينهم من الإغواء: الإضلال والفساد؛ أي: أغوين عبادك أجمعين. ارجع إلى سورة الحجر آية (٤٢) لمزيد من البيان.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: للتوكيد، فلا ينجو أحدٌ من الغواية لن يُستثنى أحدٌ.

[٨٣] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: أخلصوا دينهم وطاعتهم لله ووحّدوا الله تعالى وتقبّل الله إخلاصهم فجعلهم من المخلَصين، فهؤلاء لن أقدر على إغوائهم وإضلالهم. ارجع إلى سورة الصّافات آية (٤٠) للبيان.

❖ ❖ ❖

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ
﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

ترتيبها ٣٩ — آياتها ٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾

سورة ص [الآيات ٨٤ - ٨٨]

[٨٤] ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾:

الاحتمال الأوّل:

﴿قَالَ فَالْحَقُّ﴾: قال تعالىٰ: فالحق: لأملأنّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين.

﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾: أي ولا أقول إلا الحق.

الاحتمال الثّاني:

﴿فَالْحَقُّ﴾: قولي، أو الحق مني.

﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾: ولا أقول إلا الحق، أو لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين.

الاحتمال الثّالث:

﴿فَالْحَقُّ﴾: أي أنا الحق.

﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾: لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين، والحق هو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغير ولا يتبدل.

[٨٥] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾: اللام للتوكيد، والنّون في «أملأن» لزيادة التّوكيد.

﴿جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ اسم من أسماء النّار أو دركة من دركاتها. ارجع إلىٰ سورة الحجر آية (٤٣) لمزيد من البيان، والآية (٥٦) من نفس السورة لبيان معنىٰ جهنم.

منك: من جنس؛ أي: من الشّياطين منك ومن ذريتك.

﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾: أي مَن سار على نهجك واتّبع خطواتك ووساوسك وإغواءك.

﴿مِنْهُمْ﴾: من الثّقلين الإنس والجن.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد لكلّ من تبعك من ذرية إبليس ومن ذرية آدم.

[٨٦] ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ.

﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: ما النّافية، أسألكم عليه: على تبليغ الوحي أو الرّسالة أو القرآن.

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: من استغراقية تعني: أيّ أجر قليل أو كبير، ولو أدنى الأجر أو أعظم الأجر.

﴿وَمَآ أَنَا۠﴾: تكرار «ما» النّافية يفيد توكيد النّفي.

﴿مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾: المتقوّلين كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقَوَّلَهُۥ﴾ لا أزيد ولا أنقص من الوحي، ارجع إلى قوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام:٩٠] للمقارنة.

[٨٧] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿إِنْ﴾: النّافية أقوى نفياً من ما.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد، يعود على القرآن الكريم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: ذكر من الله تعالى، من: الذّكر والتّذكير والبيان كقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى:٦]، فالقرآن يذكرك بكلّ ما تحتاج إليه في دنياك وآخرتك. ارجع إلى الآية (١) من السّورة نفسها.

العالميـــن: اللام لام الاختصـــاص، العالمين: عالم الإنـــس وعالم الجن (الثّقلين)، وذكر: أقوىٰ وأشـــد توكيداً من قوله: ذكرىٰ، يستعمل «ذكر» في سياق الدّعوة والتّبليغ والشـــرف ورفعة القرآن، وذكرىٰ تســـتعمل في ســـياق النّسيان والتّذكير العادي، ولا ننسىٰ بداية السّورة (ص) وهي قوله تعالىٰ: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ وختام السّورة قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ مما يدل علىٰ أن القرآن كأنه عقد واحد نظمت آياته وسوره علىٰ أكمل وجه في الاتصال المحكم الوثيق يدل علىٰ عظمة الخالق وقدرته وعلمه وأنه المعجزة الخالدة إلىٰ يوم القيامة.

[٨٨] ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾:

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾: الواو عاطفة، لتعلمن: اللام لام التّوكيد، والنّون في «تعلمن» لزيادة التّوكيد.

﴿نَبَأَهُۥ﴾: صدق أخبـــاره وصدق ما وعد به، وصدق وعيـــده وما ذكر فيه، وصدق ما جاء به محمّد ﷺ.

﴿بَعْدَ حِينٍ﴾: بعد: ظرف للزمان والمكان، حين: ظرف للزمان غير محدد الزّمن، وقد يطول أو يقصر.

لتعرفـــن دلالة هذه الآيات وهـــذه الألفاظ بعد حين قد يطـــول أو يقصر، وتعني: لـــن تعرفوا دلالاتها كاملة في زمن واحـــد؛ لأنّ دلالات هذه الآيات قد يتضح معناها شـــيئاً شيئاً مع اتساع معرفة الإنســـان، وليبقىٰ القرآن فوق كلّ هذه المعرفة مهما اتســـعت دوائرهـــا وحتّىٰ لا تنقضي عجائبـــه، ولمعرفة الفرق بين الحين والدّهر: الدّهر هو أوقات متوالية مختلفة.

❖❖❖

فهرس تفسير القرآن الثري الجزء التاسع

السورة ورقمها	الصفحة
سورة لقمان [الآيات ١٢ - ١٩]	٦
سورة لقمان [الآيات ٢٠ - ٢٨]	٢٥
سورة لقمان [الآيات ٢٩ - ٣٤]	٣٩
سورة السّجدة [الآيات ١ - ١١]	٥٥
سورة السّجدة [الآيات ١٢-٢٠]	٦٧
سورة السّجدة [الآيات ٢١ - ٣٠]	٧٩
سورة الأحزاب [الآيات ١ - ٦]	٩١
سورة الأحزاب [الآيات ٧ - ١٥]	١٠٣
سورة الأحزاب [الآيات ١٦ - ٢٢]	١١٣
سورة الأحزاب [الآيات ٢٣ - ٣٠]	١٢٣
سورة الأحزاب [الآيات ٣١ - ٣٥]	١٣٣
سورة الأحزاب [الآيات ٣٦ - ٤٣]	١٤١
سورة الأحزاب [الآيات ٤٤ - ٥٠]	١٥١
سورة الأحزاب [الآيات ٥١ - ٥٤]	١٥٩
سورة الأحزاب [الآيات ٥٥ - ٦٢]	١٦٧
سورة الأحزاب [الآيات ٦٣ - ٧٣]	١٧٩
سورة سبأ [الآيات ١ - ٧]	١٨٩
سورة سبأ [الآيات ٨ - ١٤]	١٩٩
سورة سبأ [الآيات ١٥ - ٢٢]	٢١١
سورة سبأ [الآيات ٢٣ - ٣١]	٢٢١
سورة سبأ الآيات [٣٢ -٣٩]	٢٣٣
سورة سبأ [الآيات ٤٠ - ٤٨]	٢٤٣
سورة سبأ [الآيات ٤٩ - ٥٤]	٢٥٥
سورة فاطر [الآيات ١ - ٣]	٢٦١

السورة ورقمها	الصفحة
سورة فاطر [الآيات ٤ - ١١]	٢٦٧
سورة فاطر [الآيات ١٢ - ١٨]	٢٨١
سورة فاطر [الآيات ١٩ - ٣٠]	٢٩٣
سورة فاطر [الآيات ٣١ - ٣٨]	٣٠٥
سورة فاطر [الآيات ٣٩ - ٤٤]	٣١٧
سورة فاطر [الآية ٤٥]	٣٢٧
سورة يس [الآيات ١ - ١٢]	٣٣١
سورة يس [الآيات ١٣ - ٢٧]	٣٤٥
سورة يس [الآيات ٢٨ - ٤٠]	٣٥٩
سورة يس [الآيات ٤١ - ٥٤]	٣٧٣
سورة يس [الآيات ٥٥ - ٧٠]	٣٨٥
سورة يس [الآيات ٧١ - ٨٣]	٤٠١
سورة الصّافات [الآيات ١ - ٢٤]	٤١٣
سورة الصّافات [الآيات ٢٥ - ٥١]	٤٢٧
سورة الصّافات [الآيات ٥٢ - ٧٦]	٤٣٩
سورة الصّافات [الآيات ٧٧ - ١٠٢]	٤٥١
سورة الصّافات [الآيات ١٠٣ - ١٢٦]	٤٦٣
سورة الصّافات [الآيات ١٢٧ - ١٥٣]	٤٧٣
سورة الصّافات [الآيات ١٥٤ - ١٨٢]	٤٨٥
سورة ص [الآيات ١ - ١٦]	٤٩٩
سورة ص [الآيات ١٧ - ٢٦]	٥١١
سورة ص [الآيات ٢٧ - ٤٢]	٥٢١
سورة ص [الآيات ٤٣ - ٦١]	٥٣٣
سورة ص [الآيات ٦٢ - ٨٣]	٥٤٥
سورة ص [الآيات ٨٤ - ٨٨]	٥٥٥
فهرس تفسير القرآن الثري الجزء التاسع	٥٥٨

❖ ❖ ❖